

الكوميديا الإلهية

البحيم

دانتي أليجييري

ترجمة

حسن عثمان



كوميديا
دانتي أليجيري

”فلورنسي مَوْلِدًا لِأَخْلَقًا“

النشيد الأول
الجحيم

ترجمة
حسن عثمان

الطبعة الثالثة



دارالمخارف

إلى ذكرى
دانتى أليجييري
«الشاعر الأعظم»

تصديري

في تصديري لكتاب «سافونارولا : الراهب الثائر» الذي نشرته دار الكاتب المصري في القاهرة سنة ١٩٤٧ ، عبرت عن اعتزالي وضع بعض الكتب عن التراث الإيطالي وحضارة عصر النهضة ، والآن أقدم للقارئ العربي بعد سنوات من البحث والشواغل ترجمة «الجحيم» وهي النشيد الأول من «كوميديا دانتي أليجييري الشاعر الأعظم» ، وأحد عظماء الرجال في تاريخ البشرية ، ورائد عصر النهضة الأوروبية .

وترجع بداية معرفتي بدانتي وآثاره إلى سنة ١٩٣٤ ، حينما كنت أدرس في إيطاليا اللغة والأدب والفن والسياسة والتاريخ . وكان دانتي من أهم الشخصيات التي أثارت إعجابي واهتمامي . وكنا نجتمع كرفاق في قاعة الدرس وخارجها لدراسة بعض آثاره وتدقيقها ، كنا من جنسيات وأمم مختلفة : من إنجلترا وفرنسا وألمانيا وسويسرا ورومانيا وتركيا وأمريكا واليابان ومصر ومنذ ذلك الوقت أخذت أقرأ له وعنه قليلا وكثيراً ، وأخذت أقرب منه وأبتعد عنه لكي أعود إليه حسب الشواغل والظروف . وفكرت سنة ١٩٤١ في أن أضع كتاباً عاماً يصور حياته ومؤلفاته ، ولكنني وجدت الأمر غير هينٍ فأرجأت ذلك للمستقبل ، وأنا غير حريص على أن أتعجل الكتابة حتى أستريد من الدرس والتحصيل . ومضيت في عملي ، وتوليت تدريس بعض نواحٍ من دانتي ، في نطاق مناهج أوسع ، في كلية الآداب بجامعة (الإسكندرية) تارةً ، وفي كلية الآداب بجامعة (القاهرة) تارةً أخرى ، فيما بين سنة ١٩٤٢ و سنة ١٩٥٠ . وقمت بتدريس شيء عنه في مدرسة الألسن بالقاهرة سنة ١٩٥٣ ، ونشرت بعض مقالات عن دانتي وعن بعض شخصيات «الجحيم» مع ترجمة بعض أبياتها ، فيما بين سنة ١٩٤٨ و سنة ١٩٥٠ . وكنت أنوي المضي في كتابة مثل هذه المقالات والترجمات التي تتناول بعض شخصيات

« الكوميديا » لأجمعها أخيراً في كتاب ، ولكنى عدلت عن ذلك حينما قويت منى العزم فاتجهت في ٢١ أكتوبر سنة ١٩٥١ إلى ترجمة « الكوميديا » كلها ، لدوافع علمية وأدبية وشخصية ، شحذتني جميعاً إلى ارتياد هذا الميدان الخصب ، وتزوّدت ببعض أدوات البحث وارتحلت ولا زلت أرتحل إلى المواطن التي عاش فيها ذاتي ، أو التي أجد فيها له وعنه ، في أقطار مختلفة ، بعض المصادر والمراجع والصور والرسوم والألحان الموسيقية ، لكي أتعلّم وأفهم وأتأمل . ووجدت في ذلك كله معتصماً آمناً ومرتعة عظيمة وثروة لا تقدر .

وأرجو أن أضيف بهذا العمل جهداً إلى الجهود التي بذها السابقون من أبناء اللغة العربية - قدر استطاعتهم - كما سأوضح في المقدمة التالية . وكذلك أرجو أن يأتي في المستقبل من يفعل في هذا الصدد خيراً مما فعلناه جميعاً .

وإني أتقدم بالشكر والإعزاز للأساتذة والأصدقاء والزملاء الذين كان لهم على فضل في تعليم وتوجيه ، أو تشجيع أدبي ، أو شرح مسألة ، أو معارضة فكرة ، أو إعارتي بعض الكتب ، أو توفير مكان مناسب للعمل ، أو تيسير أسفاري للخارج ، أتقدم بالشكر إلى الأساتذة والدكاترة محمد شفيق غربال ، وإرنست هاتش ويلكنس ، ومحمد عوض محمد ، وبونيفاتشو دي ماركو ، وحسن محمود ، ومراد كامل ، وإبراهيم رزقانة ، وأومبرتو ريتزيتانو ، وكامل محمد علي ، ومحمود نبيه صلاح ، والشاطر بصيلي عبد الجليل ، ووليام مرقص .

وأشكر بكل إعزاز الأستاذ الدكتور عبد الحليم النجار لما تفضل به من مراجعة هذه الترجمة معي بالرجوع إلى النص الإيطالي « للجحيم » مع مقابلته ببعض الترجمات الإنجليزية والفرنسية ، ولما أبداه من النصح والإرشاد والجهد حتى أمكن الوصول إلى هذه الصياغة .

وكذلك أشكر من لا أذكر اسمه ، وقد كان له على فضل فعال في إقداي على ترجمة « الجحيم » ، ربما دون أن يعرف فضله الحقيقي ، ولكنى

أنا أعرفه وأذكره بالإعزاز والتقدير . وربّ فضلٍ مجهولٍ - من صاحبه -
أفعل من فضلٍ معلوم .

وأشكر دار المعارف لما بذلته من رحابة الصدر والجهد والعناية في سبيل
تقريب دانتي إلى قراء اللغة العربية ، بإخراج هذا الكتاب في الثوب اللائق به .
ولعلّ هذا العمل يجد بعض القبول لدى قراء العربية والمشتغلين بالدراسات
الدانتيّة . وعفواً ومعذرةً عما أكون قد وقعت فيه من أخطاء وأوجه نقص .
وأرجو أن أعمل في المستقبل خيراً مما عملت في الماضي ، ولعلّي أستطيع يوماً
أن أنجز ترجمة « المطهر » و « الفردوس » إن شاء الله .

معهد الدراسات الأفريقيّة

بجامعة القاهرة

حسن عثمان

٣ شارع شجرة الدر - الزمالك (سابقاً)

٤ مايو ١٩٥٥ .

مقدمة

- نظرة عامة إلى العصور الوسطى — حياة دانتي —
- شخصيته — بعض مؤلفاته الصغرى — أصول الكوميديا —
- الكوميديا — ترجمة الجحيم والدراسات الدانتية .

يتشابه ثلاثة من عظماء العالم في قوة الروح ، ولطف الحس ، وسعة الأفق ، والثورة على القديم ، وفي التطلع إلى بناء مجتمع إنساني مثالي ، وإن اختلفت أداة التعبير عند كل منهم . فالأول دانتى أليجييري ، الذي أراد في « الكوميديا » أن يقيم عالماً جديداً ، أساسه العدالة والحرية والنظام والوحدة ، والتطهر والصفاء والحب والأمل . والثاني ميكلائنجلو بوناروتي ، الذي عبر في تماثله الشاهقة وصوره الإلهية عن بناء عصر جديد ، تسوده القوة والحرية والصدق والذوق الرفيع . والثالث لودفيج فان بيتهوفن ، الذي هدَفَ في ألحانه الرائعة إلى إقامة عالم مثالي ، قوامه الحق والفن والحرية والسلام ، وبلغ به الأمر أن تطلع إلى خلق إله جديد ! وفي كل من هؤلاء قوة وضعف ، وسداجة وحكمة ، وبراءة وإدراك عميق ، وأسى ونيران ودموع ، وسخط وبأس ومرارة ، وفلسفة ووصفية ، وحب وصفاء وأمل وإيمان . خرج ثلاثهم من الأسى والشجن بالصبر عليهما ، وظفروا بالإبداع ، وحلّقوا في أجواز الفن الرفيع ، بما لم يصل إليه غيرهم . صوروا الطبيعة ، ورسموا الإنسان ، ووصفوا الأرض والسماء ، بالقلم والريشة والإزميل واللحن ، وأخرجوا للإنسانية روائعهم الخالدة .

« ١ »

عاش دانتى أليجييري في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ، والرابع الأول من القرن الرابع عشر في عهد بدأت العصور الوسطى تخفض فيه أشرعتها ، وينبتق خلاله فجر عصر جديد ، عهد شهد ظهور البيوتويات ، وتمثلت فيه آثار الماضي وميض المستقبل . وكان ذلك عهداً يشبه من بعض الوجوه القرن الثامن عشر في فرنسا الذي مهد لعصر الثورة الفرنسية الكبرى . وإذا نحن ألقينا نظرة عامة إلى العصور الوسطى وجدنا إيطاليا والعالم قد تناولتهما أحداثٌ وظروفٌ شملت مختلف أوجه النشاط الإنساني ، ومهدت جميعاً لظهور دانتى

وعصر النهضة والعصر الحديث .

في ميدان السياسة نجد الدولة الرومانية الغربية — بعد انقسام الإمبراطورية القديمة إلى شرقية وغربية — قد سقطت على أيدي البرابرة الجرمان سنة ٤٧٦ . وأدى تدفق هؤلاء الغزاة إلى إحداث آثار عميقة في أوروبا وإيطاليا . وتعرضت إيطاليا لسيطرة القوط واللومبارد والفرنجة والألمان ، فسادت بها حالة من الفوضى والاضطراب زماً ليس بالقصير . ولم يستمر الأمر على ذلك النحو ، إذ قامت محاولات لإيجاد نوع من الاستقرار السياسي ، مثل ظهور الإمبراطورية الرومانية المقدسة ، على أكثاف البرابرة الجرمان ، التي شملت مناطق واسعة في أوروبا ، وكانت إيطاليا جزءاً منها . ولكن سرعان ما أصابها التفكك والانقسام ، وأصبح سلطانها اسمياً ، وعمل الملوك والأمراء على تحقيق مصالحهم الشخصية .

وفي السياسة الداخلية نجد أن نظم الحكم قد تفاوتت في إيطاليا بين الديمقراطية وحكم الفرد . ونرى في فلورنسا مثلاً نهوض الكومون لحماية الشعب سليل اللاتين من طغيان النبلاء سلالة الغزاة الجرمان ، ومن أطماع البابوية والإمبراطورية على السواء . ونجحت فلورنسا في إقامة دستور ديمقراطي ، كما فهمت الديمقراطية في ذلك العصر ، وأصدرت ما يشبه إعلان حقوق الإنسان ، وألغت رق الأرض ، وأعلنت أن الحرية حق طبيعي للإنسان ، لا ينازعه فيه منازع ، ولا يستند إلى إرادة الغير ، وقالت إنها مصممة ليس على المحافظة على الحرية فحسب ، بل على السعي إلى المزيد منها والتوسع فيها . وبذلك كانت فلورنسا سابقة ، منذ القرن الثاني عشر للميلاد ، على الثورة الفرنسية الكبرى . وامتازت البندقية بدستورها الذي يجمع بين عناصر الجمهورية والأرستقراطية والملكية ، وذلك بمجلسها الكبير ، ومجلس الشيوخ ، ومجلس العشرة ، والدوج الذي يُنتخب لمدة الحياة . ونجد في دوقية ميلانو مثلاً لحكم الفرد الذي يستند إلى قوة السلاح ، على عهد آل فيسكونتي ، وقد ظهر كل من هذه النظم وتطور متأثراً بالظروف المحلية ، وأدى واجبه حسب روح العصر .

وفضلاً عن ذلك فقد تعرّضت الحكومات الإيطالية في الداخل والخارج للتزاع بين الجبلتين أنصار الإمبراطور والحلف أنصار البابا ، وارتبطت به المصالح الشخصية والاقتصادية . وتدخل الأجانب في شؤون إيطاليا تبعاً لمصالحهم . وقام كفاح مريير بين حكومات إيطاليا ، مثل الكفاح بين فلورنسا وبيزا ، وبين پيزا وجنوا ، وبين جنوا والبندقية .

وفي إيطاليا ارتبط الدين بالسياسة ، كما لم يحدث في بلدٍ آخر . وذلك أن البابوية حاولت أن تبذل جهد المستطاع ، لإيجاد حالة من الاستقرار في إيطاليا المضطربة . وقامت البابوية في ذلك بعملٍ خيريّ ، ولكن أعوزتها وسائل الحاكم الزمنيّ ، أعوزتها فكرة الوراثة وما يرتبط بها من الاستقرار ، وأعوزها نظام الحكم والقوة العسكرية . وبذلك وُجدت في ظروفٍ لا تُحسد عليها ، فاضطرت إلى استخدام الحند واصطناع السياسة ، وآزرت حزباً على حزب وحكومةً على أخرى ، ووقفت تُعارض أطماع الإمبراطورية . وأدّت هذه الظروف إلى أن تخرج البابوية على واجبها الدينيّ ، كما انغمست في الحياة الدنيا ، وخرج بعض رجال الدين على قواعد الدين ، فأثار ذلك السخط في نفوس المخلصين للدين ، وزعزع مركز الكنيسة في المجتمع الإيطاليّ .

عانت فلورنسا أهوالاً جساماً بسبب الكفاح الذي استعر بداخلها . واشتعلت بها نار الصراع الحزبيّ ، بسبب مسألة زواج بين آل بونديلونتي والحلف وآل أميديّ الجبلتين . وتداول الجانبان النصر والهزيمة . ففي سنة ١٢٤٨ هُزم الحلف وطُردوا من فلورنسا ، وفي سنة ١٢٥١ عاد الحلف منتصرين إلى فلورنسا . ثم انتصر الحلف مرةً أخرى وطردوا الجبلتين من فلورنسا ومن بينهم فاريناتا دلّيّ أوبرتي . وفي سنة ١٢٦٠ تجدد القتال وانتصرت سينا الجبلينية بتأييد مانفريد بن فردريك الثاني ، في موقعة مونتأپرتي . وعقد مجمعٌ من المدن الجبلينية ، وتقررّ هدم فلورنسا ، ولكن فاريناتا دلّيّ أوبرتي عارض هذا القرار بعزمٍ شديد ، وأنقذ فلورنسا من الدمار ، وآثر بذلك مصلحة الوطن على مصلحة حزبه السياسيّ . ثم انتصر الحلف على الجبلتين بمؤازرة الفرنسيين

في موقعة بنيقتو في سنة ١٢٦٨ التي هُزم فيها مانفريد وُقُتل .

ونلاحظ من الناحية الاقتصادية أن إيطاليا بحكم موقعها الجغرافي كانت طريقاً للتجارة العالمية بين الشرق والغرب . وكان للإيطاليين في الشرق مراكز تجارية هامة . ولقد أدت الحروب الصليبية إلى نمو العلاقات التجارية بين الشرق والغرب . وظلت الجمهوريات والمدن الإيطالية محتفظة بمكانتها التجارية حتى كشف البرتغاليون طريق الرجاء الصالح ، في النصف الثاني من القرن الخامس عشر . ولقد أدت تجمّع الثروة المكتسبة من التجارة في أيدي النبلاء ، إلى انصرافهم عن واجبهم الحربي ، فاتخذوا لأنفسهم جنداً من المرتزقة . وعندما ضعفت قوتهم الحربية تأخّر نفوذهم السياسي ، وبذلك وُجدت الفرصة أمام الشعب للتغلب عليهم . وكذلك رفعت الثروة أفراد الشعب إلى مراكز ممتازة ، فتغلبوا على النبلاء ، أو عاشوا معهم جنباً إلى جنب ، فزال بالتدريج الحدّ الفاصل بين النبلاء والشعب . وعلى هذا نجد أن الثروة كانت من العوامل الفعّالة في تغيير الميزان السياسي والاجتماعي في إيطاليا . وفضلاً عن ذلك فقد أتاحت الثروة الفرصة لنشر العلم والأدب والفن . ومن الغريب في ذلك العصر أن أغلب التجار الأثرياء كانوا أصحاب فن وذوق ، فعنوا بالثقافة والآثار ، واقتنوا التحف والعاديات ، وشجّعوا رجال العلم والفن ، عن إعجاب صادق وإيمان صحيح .

ومن الناحية العلمية العقلية ، نجد أهل العصور الوسطى عامة قد آثروا الإيمان على الفهم ، والنقل على العقل ، ولم يعرفوا في الغالب الابتكار والخلق . على أن هذا لم يمنع بعض أنصار العقل من الدرس والبحث في نطاق تعاليم الكنيسة . ظهر مثلاً القديس أوغسطين في القرنين الرابع والخامس ، ودعا إلى التعقل لبلوغ الإيمان ، وإن كانت مدينة الله عنده هي السماء والكنيسة ومدينة الشيطان هي الأرض . ولكن ما إن بلغت العصور الوسطى في أوروبا القرن الثاني عشر ، حتى أخذ الفكر المسيحي يتغيّر ويتشكّل ، نتيجةً للهدوء والاستقرار النسبي ، وللتطور الطبيعي ، ولتأثير الفلسفة اليونانية ،

التي كانت الكنيسة قد وقفت في سبيلها ، والتي بدأت بأفلاطون وانتهت إلى أرسطو . وقد ساعد فلاسفة العرب واليهود على تقريب هذه الفلسفة اليونانية إلى العقل الأوروبي ، بفضل حركة الترجمة من العربية والعبرية إلى اللاتينية ، في إسبانيا وإيطاليا على الخصوص ، فضلاً عما قدموه من نتاجهم الفكري في الشرق والغرب . وفي القرن الثالث عشر - عصر العلم ودوائر المعارف - ظهرت ثمرات الفكر الوسيط ، باتجاهاته المتنوعة . نادى الغزالي مثلاً بالتصوّف والإيمان ، بينما آثر ابن رشد العقل والمنطق ، في سبيل الوصول إلى الله . وظهرت نزعة قوية - تسير ما وجد من قبل - للتوفيق بين العقل والدين . وأسهم في ذلك ابن رشد وابن ميمون . وأفاد ألبرتو الكبير من شروح ابن سينا وابن رشد لأرسطو ، وحاول أن يُكمل فلسفته بمسكتشفات العلم ، واستخدم الفلسفة في فهم اللاهوت . وكذلك تأثر القديس توماس الأكويني - زعيم الفلسفة المدرسية - بروح العصر ، وعمل على التوفيق بين العلم والدين ، وقام بتنصير فلسفة أرسطو وجعلها ملائمةً لتعاليم الكنيسة ، وإن كان قد خالف ابن رشد وعارضه في بعض نزعاته العقلية . ثم جاءت جهود طائفة من أحرار الفكر ، وأولهم روجر بيكون الإنجليزى ، الذى دعا إلى التجربة في العلم ، ويعتبر أبا العلم الحديث . وظهر أيبيلار الفرنسى ، الذى قال بأنه لا يجوز للإنسان أن يؤمن دون أن يفهم ، وبذلك جعل العقل قبل الإيمان بشكلٍ صريح . ووجدت هذه الآراء بيئةً صالحةً في إيطاليا ، إذ كانت قد نشأت بها أقدم جامعة في العالم بالمعنى الحديث ، في بولونيا ، في النصف الثانى من القرن الثانى عشر ، كما ذاعت هذه الآراء في الجامعات الأخرى التى نشأت في إيطاليا وأوروبا ، مثل بادوا وناپلى وفلورنسا وپارىس وأكسفود وكمبردج ، وأسهمت جميعاً في بعث الحركة العلمية في إيطاليا وأوروبا .

ومن الشخصيات البارزة في هذا العصر ، الإمبراطور فردريك الثانى ، من أسرة هوهنشتاوفن ، الذى ترك أملاكه في أوروبا وعاش في ناپلى وصقلية . كان فردريك رجلاً واسع الأفق متعدد الجوانب ، وسمّاه دانتى بالرجل العالم .

وسماه أهل العصر « أعجوبة الدنيا » . حاول فردريك توحيد إيطاليا والسيطرة على البابوية ، فلغنه البابا واعتبره أسوأ من الشيطان . والتقى فردريك برجال الملك الكامل في الشام سنة ١٢٢٩ ، لالحرب والقتال ، بل لعقد معاهدة تجاه أعدائهما من المسلمين والمسيحيين على السواء . ويعتبر ذلك نقطة تحول في العقلية الأوروبية ، في عصر الحروب الصليبية . وفي ناحية العلم ، كان فردريك يجمع حوله العلماء من كل جنس ودين ، ودرس بنفسه علوم العصر ، وتعلم العربية ، وتأثر بآراء ابن رشد ، وقام بتجارب في النبات والحيوان والفلك والإنسان . وشهد عهده فترة هامة في ظهور اللغة الإيطالية الوليدة . ويعدّه بعض المؤرخين أول رجل في العصر الحديث .

ومن الناحية الروحية النفسية ، اعتبر أهل العصور الوسطى عامة الحياة على الأرض حياة مؤقتة عادمة الأهمية ، ومرحلة للحياة الآخرة السعيدة ، وأعوزتهم الشجاعة والثقة القائمة على الإدراك الصحيح ، فخضعوا للخرافات . ولم يتنوقوا جمال الطبيعة ، وعدّوا الحياة من أسرار الله التي لا يجوز الكشف عنها ، وكانت الغابات والجبال عندهم مأوى للشياطين . ولم يعرفوا الفيض والزيادة عن الحاجة ، ولم يسخرّوا العلم في سبيل الحياة المادية ، فعاشوا على الكفاف ، وأحسّوا بالتبرّم والسخط . ودفّعهم ذلك إلى الخروج على الحياة التي عاشوها ، كردّ فعل طبيعي لما سيطر على نفوسهم زمانا طويلاً . وتفاوت ما دار بخلد الناس من الخواطر والاتجاهات في سبيل الخروج على تقاليد العصور الوسطى ، وإيجاد مجتمع جديد .

ظهر في القرن الثاني عشر في تسكانا ولبارديا ، وفي أنحاء من أوروبا ، جماعة من المبتهجين الممتعين بالحياة ، الذين تأثروا بالأبيقورية ، ودعوا إلى التمتع بملذات الحياة على الأرض لا في ملكوت السماوات ، وأظهروا روحاً وثنية ومجّدوا آلهة اليونان ، وامتازوا بالابتكار والسخرية ، وحملوا على تعاليم الكنيسة وهاجموا الفلسفة المدرسية وتقاليد العصور الوسطى ، وبذلك كانوا رواداً لأحرار الفكر في العصور الحديثة .

وظهر أنصار بيتر و والدو في فرنسا وإيطاليا ، الذين دعوا إلى الرجوع بالمسيحية إلى نصّ الكتاب المقدّس ، وقالوا بأنه لا يجوز أن تكون هناك صلة بين الإنسان والله عن طريق رجل الدين . وقام في جنوبي إيطاليا الراهب يواكيمو دا فلورا ، الذي تأثّر بثقافة اليونان وبيزنطة والعرب والنورمان ، وعامل الناس على اختلاف أديانهم بالعطف والرحمة والتواضع ، وقال إن حرية الإنسان من روح الله . وتكلّم بروح يسودها التشاؤم ، وأعلن أن العالم تنتظره أيام حالكة السواد ، وأنه يسمع نذير العاصفة من بعيد ، وأن ضمير الإنسان سيتغيّر ويتطوّر بالتسامي والتصوّف ، وسيكون الرهبان المخلصون على رأس العالم الجديد ، الذي سيصبح أمل الإنسانية المرتقب . وظهر في وسط إيطاليا القدّيس فرنشيسكو الأسيسي ، الذي لم يعرف السخط والتشاؤم ولم يهدّد العالم بالويلات ، بل تغنّى بجمال الطبيعة ، ومجدّ الله في كلّ مخلوقاته من إنسان وحيوان ونبات ، وامتاز بشعوره الإنساني ، فأحبّ الناس جميعاً حتى أولئك الذين كرههم المجتمع ، وعامل الأخيار والأشرار والأغنياء والفقراء بالبرّ والرحمة ، ودعا إلى إصلاح المجتمع على أساس من التماؤل والحبّ والصفاء والأمل .

وإن كلّ هذه الاتجاهات المتفاوتة لتدلّ بوضوح على ما ساور نفوس أهل العصر من الحيرة والقلق ، مع التطلّع إلى بناء عالم جديد .

وأخيراً نلاحظ أن اللغة والأدب الإيطاليين قد تأخّر ظهورهما عن نظيرهما عند سائر الأمم الأوروبية . ويرجع ذلك إلى أثر اللغة اللاتينية ، التي لم تستطع إيطاليا — بحكم كونها مهد الحضارة الرومانية — أن تتخلص منها بسهولة ، كما فعلت سائر أنحاء الإمبراطورية الرومانية . وكما يرجع هذا التأخّر إلى ظروف إيطاليا السياسية ، وما نالها من الاضطراب عقب غارات البرابرة الجرمان ، والذي استمرّ عدة قرون . منعت هذه العوامل الإيطاليين من ابتكار لغة جديدة في وقت مبكّر ، ولكنها احتجزت تلك المعاني الإنسانية التي جاشت في صدورهم ، حتى تهيأت لهم فرصة التعبير عما في نفوسهم ، وكان ظهور اللغة والأدب الإيطاليين على صورة فجائية متدفقة .

في القرن الحادي عشر كتب الإيطاليون شعرهم باللغة الفرنسية ، ثم كتبوه بلغة البروفانس ، التي تأثرت أديب شعراء التروبادور ، بما يحتويه من عناصر التراث العربيّ الشرقيّ ، والذي تناول الطبيعة وعواطف الإنسان ، وبما كان مخالفاً لتقاليد العصور الوسطى . وبذلك ساعد شعراء التروبادور في إيطاليا على إيجاد منفذ ، يُعبر الإيطاليون خلاله عما يدور بين جوانحهم . وفي أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر ، بدأت تظهر اللهجات العامية المتعددة ، التي كانت مزيجاً من اللاتينية ولهجات الغزاة البرابرة والتطورات المحلية .

وُجدت بعض مراحل مرت خلالها اللغة والأدب الإيطالي الوليد . قال المنشدون الدينيون أولاً شعراً دينياً باللهجات العامية في بعض أنحاء إيطاليا . وظهر شعر يواكيمو دا فلورا الذي يُهدد العالم بالويلات ، كما نادى من بعده القدّيس فرنسيسكو الأسيسي في شعره بالحبّ والصفاء والأمل . ولقي ذلك كله سيلاً سهلاً إلى قلوب الإيطاليين ، الذين وجدوا فيه تنفيساً عما جاش بين جوانحهم . ثم جاءت المدرسة الصقلية ، في النصف الأول من القرن الثالث عشر ، وقد تأثرت أديبها بالتراث اللاتيني واليوناني وثقافة الشرق والعرب والنورمان . وبدا في شعر هذه المدرسة عنصرٌ تقليديّ ، يتناول قصص العصور الوسطى وأخبار الفرسان وأساطير الشرق والأخلاق والعلم ، كما اشتمل على عنصر إنسانيّ جديد يتناول بعض خفايا النفس البشرية ، ومن شعرائها پيير دلا فيني .

وانتقل شعر المدرسة الصقلية إلى مدرسة بولونيا ، في النصف الثاني من ذلك القرن ، فاحتوى شعرها على كلا العنصرين ، التقليديّ والعاطفيّ الإنسانيّ ، ومن شعرائها جويدو جوينترتشي . واتخذت مدرسة بولونيا لهجة تسكانا أداة لها ، وهي اللهجة التي ستصبح اللغة الإيطالية . ويرجع تفوق لهجة تسكانا إلى أنها كانت بحكم موقعها المتوسط في إيطاليا ، أبعد عن التأثير باللهجات الغزاة البرابرة ، فأخذت تنمو وتتطور في بيئتها المحلية تطوراً تدريجياً أقرب إلى الاستقبال ، حتى وصلت إلى مستواها الرفيع . ويرجع هذا التفوق أيضاً إلى مركز تسكانا

السياسى والمالى فى المجتمع الإيطلالى ، ولظهور شعراء ممتازين من التسكان قالوا الشعر بلهجتهم العامية .

والمرحلة الأخيرة فى هذا التطور اللغوى الأدبى هى مدرسة الشعر الحديث فى تسكانا، التى نجد فيها كذلك آثار الشعر التقليدى ، فضلاً عن شعر الطبيعة والعاطفة والإنسان . وكان من شعراء هذه المدرسة جويدو كافالكانتى ودانتى أليجييرى .

هذا هو مجمل الأحوال السياسية والدينية والاقتصادية والعلمية والنفسية والأدبية التى سبقت ظهور دانتى ، وامتزجت كلها وتفاعلت ، وعبرت جميعاً عن الاتجاه إلى تغيير المجتمع الإنسانى وتطوره . وقد أدت العصور الوسطى واجبها وتطورت خلال هذه العوامل إلى عصر النهضة فالعصر الحديث . ولقد كان لظروف الحياة الإيطالية العنيفة المتنوعة المتعارضة المتفاعلة المختلفة المؤتلفة ، بحسناتها وسيئاتها ، أثرها الفعال فى خلق أجيال من العباقرة الإيطاليين ، كانوا ثمرة العصر وبناته على السواء ، وأخرجوا نتاجهم الرائع فى الفكر والعلم والأدب والتصوير والنحت والعمارة والسياسة والحرب . . . ومن هؤلاء دانتى أليجييرى ، الشاعر ، الفنان ، الجندى ، السياسى ، المصلح ، المتصوف .

« ٢ »

معلوماتنا عن حياة دانتى قليلة ، وتواجهنا فيها فجوات ومتناقضات . وقد خلق بعض الكتاب حوله جواً من الخيال والقصاص ، وتعسف بعضهم فى دراسته . ولكن هناك من حاول فهمه على حقيقته ، أو ما يقرب منها ، ووصل بقدر المستطاع إلى دانتى الحى الواقعى .

وُلد دانتى فى فلورنسا فى أواخر مايو ١٢٦٥ . وعُمد باسم دورانتى أليجييرى ، ومن المعانى التى تُقال فى تفسير اسمه حامل الجناح الباقى على الزمن . وهو ينتمى إلى أسرة يقال إنها تنحدر من أصل رومانى نبيل ، وتدعى أسرة إليزبى التى

ترجع إلى عهد يوليوس قيصر . ويقال إن جده كاتشاجويدا دلي إليزي قد اشترك في الحملة الصليبية الثانية في القرن الثاني عشر . وفي وقت ميلاد دانتى كانت أسرته أسرة متواضعة ، ملكت بعض الأرض في ريف فلورنسا . وماتت أمه موتاً بيلاً وهو في سن مبكرة . وتزوج أبوه أليجيرو دى بلنتشوق امرأة أخرى ، وكان يعمل مسجل عقود واشتغل بالربا . ويظهر أنه لم يولِ ابنه العناية الكافية ، أو على الأقل كان هذا هو شعور الابن نحو أبيه . ومات الأب ولماً يكتمل دانتى دور الشباب بعد .

أحبّ دانتى في سن التاسعة بياتريتشى ابنة فولكو پورتينارى من أثرياء فلورنسا ، ويقال إنه رآها بعدئذ في سن الثامنة عشرة ، وربما شاهدها في بعض أماكن من فلورنسا ، في حديقة أو كنيسة أو في بعض الحفلات . وتزوجت بياتريتشى سيمون دى باردى الثرى ، ثم ماتت في شرح الصبا ، فحزن دانتى لموتها حتى مرض .

انصرف دانتى إلى الدراسة ، وتلقى التعليم السائد في عصره ، واختلف إلى دير القرنتشسكان في فلورنسا ، حيث درس تعاليم القديس فرنشسكو ، كما تردّد على دير الدومنيكان ، حيث درس تعاليم القديس توماس الأكويني . ودرس بعض الوقت في جامعتي بادوا وبولونيا . وعكف دانتى على دراسة القانون والطب والموسيقى والتصوير والنحت والفلسفة والطبيعة والكيمياء والفلك والسياسة والتاريخ واللاهوت . ، ودرس تراث اللاتين ، وألمّ بتراث اليونان والشرق بطريق غير مباشر ، وعرف ثقافة العصور الوسطى ، وتعلم الفرنسية ولغة البروفنس ، ودرس أدب التروبادور ، وأدرك آثار الأدب الإيطالي الوليد .

ونشأت صلة ودّ وصداقة بين دانتى وبعض البارزين في فلورنسا ومن هؤلاء برويتو لاتيني . وكان لاتيني موظفاً في الحكومة ، وقام بسفارة لدى الفونسو الحكيم ملك قشتالة ، وطُرد من فلورنسا بعد موقعة مونتاپرتي ، وعاش في باريس بعض الوقت ، ثم عاد إلى فلورنسا حيث شغل بعض الوظائف . وكتب لاتيني فيما كتب قصيدة إيطالية تسمى « الكتر الصغير » وتعدّ دائرة



معارف صغيرة ، وتحوى فكرة « الكوميديا » وفيها الغابة الموحشة ، وأحاديث عن الله وخلقت الإنسان والكواكب وعن الفضائل ، ويقابل فيها المؤلف عدداً من النساء اللاتي يوجهن إليه الحديث والنصح ، ويصحبه بعض الوقت أوفيدديوس الشاعر اللاتيني ، الذي يشرح له لذّة الحبّ وأخطاره . وكان لاتيني أستاذ دانتى الرومى ، وهو الذى شجعه على دراسة التراث اللاتينى وفرجيليو بخاصة ، وعلمه كيف يطلب المجد ويُخلد اسمه . ومن أصدقاء دانتى فى فلورنسا جويدو كافالكانتى ، الذى وضع شعراً رقيقاً فى الحب ، يتفق مع أسلوب مدرسة الشعر التسكاني الحديث . وعلم كافالكانتى دانتى أسرار الشعر ، « أن الحبّ والقلب الرقيق شيء واحد » .

هكذا كان دانتى رجلاً واسع الثقافة ، ودوّباً على القراءة والدرس ، وكان يجد لذّة كبرى فى هذه الدراسات المتنوّعة ، وفى قول الشعر ، واستعان بذلك على مواجهة كثير من المصاعب والمحن التى انصبت عليه فى حياته القاسية ، فوجد فيه ملجأً آمناً مما ناله من الويلات .

ولم يقتصر دانتى على حياة الدرس والشعر ، بل اشترك فى الحياة العسكرية ، وكان فارساً ومقاتلاً شجاعاً . وحدث فى سنة ١٢٨٥ أن تجددت وتوتر العلاقات بين الجلف والجلبين فى إيطاليا ، وتدخل فى السياسة الإيطالية شارل الثانى الفرنسى انذى آزر الجلف على الجلبين . وتجمع الجلف بزعامة فلورنسا ، وتكتل الجلبين بزعامة أريتزو ، والتقى الجانبان فى موقعة كامبالدينو فى سنة ١٢٨٩ . وفى هذه المعركة قاتل دانتى بشجاعة فى طليعة فرسان فلورنسا ، وتحمل هجوم فرسان أريتزو العنيف ، ورأى تراجع فرسان فلورنسا خلف مشاتهم لإعادة تنظيم صفوفهم ، وشهد تراجع المعركة وتطورها ، وشارك فى إحراز النصر الفلورنسى . وكذلك اشترك دانتى فى القتال ضد بيزا ، وأسهم فى حصار قلعة كاپرونا ، الذى انتهى بسقوطها فى أيدي القوات الفلورنسية ، فكان دانتى فى ذلك جندياً لا يتأخر عن أداء واجبه وقت الحرب .

واشترك دانتى فى حياة المجتمع ، واختلط بالشباب الفلورنسى ، وتمتع

بمليذات الحياة . ثم تزوج جيما دوناتي . ولا نكاد نعرف شيئاً عن حياته في أسرته ، إذ لم يكده يشير في آثاره إلى الحياة الزوجية . ولا نعلم هل فعل ذلك على طريقة شعراء الروبادور ، الذين آثروا أن يبقوا حياة الأسرة بعيدة عن الشعر والأدب ، أو أن هناك من الأسباب الخاصة ما حملته على ذلك . وعلى كل حال فإن جيماً كانت امرأة صالحة من أسرة طيبة ذات نفوذ في المجتمع الفلورنسي . وأنجب دانتى في نحو عشر سنوات من الحياة الزوجية ثلاثة أبناء على الأقل : بييرو وجاكوبو وبياتريتشى . وعاش في أسرته حياة معقولة . ولكن يظهر أن دانتى لم ينعم بالسعادة في أسرته ، ربما لأن جيما لم تقدّر إحساسه الشعري ، ولم تدرك ما انطوى عليه من عبقرية ، وإن كانت سترعى مصالح الأسرة عندما يتعرض دانتى للأذى وحياة المنفى والتشريد .

وسجّل دانتى اسمه سنة ١٢٩٥ في نقابة الأطباء والصيدالة ، التي كانت تشمل تجارة الجواهر والصور والكتب ، وإن لم يمارس هو إحدى هذه المهن . وبذلك أمكنه أن يدخل الوظائف العامة والحياة السياسية ، تبعاً لقوانين ذلك العهد . واشترك دانتى في بعض اللجان والمجالس الحكومية ، فأصبح عضواً في مجلس قبطان الشعب ، ثم عضواً في مجلس المائة . وأرسلته حكومة فلورنسا في سفارات إلى بعض المدن الإيطالية . ذهب مثلاً إلى سينا لتسوية بعض مشاكل الحدود ، وسافر إلى بيروجيا لكي يُعيد بعض المواطنين الفلورنسيين إلى وطنهم ، وذهب إلى فيرارا لكي يهنيء الماركيز ديست بزواجه ، وقصد إلى سان جيمينيانو لتدعيم حلف الحلف ضد الجبلين . وظهر اسم دانتى في سجلات الحكومة ، يبدى رأياً ، أو يدافع عن فكرة ، أو يستدين مبلغاً من المال لعدم كفاية إيراده . ولا عُرِف أنه رجلٌ مفكر ، وشخص عملي ، وعلى صلاتٍ طيبة بأفراد ممتازين ، وأنه شاعر مثقف ، اختير عضواً في مجلس السنيوريا ، الذي يمثل سلطة الحكومة العليا في فلورنسا ، من ١٥ يونيو إلى ١٥ أغسطس سنة ١٣٠٠ ، تبعاً للدستور الفلورنسي ، الذي اقتضى هذا التغيير السريع منعاً من الطغيان السياسي . وأبدى دانتى في الوظائف والمهام التي عهد

بها إليه رجاحة العقل وشجاعة الرأي والوطنية ، وكان يؤثر المصلحة العامة على المصالح الخاصة ، واعتبر من أكفأ رجال السياسة في زمنه .

كانت فلورنسا في القرن الثالث عشر مدينةً ناجحة ذات قوةٍ حربية ، وثروة متزايدة ، وأخذ نجمها السياسي يعلو في الأفق ، ومع ذلك فقد سادها الخلاف الحزبي بين آل تشيركي زعماء الجلف وآل دوناتي زعماء الجبلين . وكانت بستويا تعاني من شقاقٍ داخلي ، شطر الجلف إلى حزبي البيض والسود . ودعت بستويا فلورنسا أن تتولى حكمها بعض الوقت ، على طريقة العصر ، لتوطيد السلام والأمن بها . ونقلت حكومة فلورنسا بعض زعماء الجبلين من بستويا إلى فلورنسا ، للعمل على استتباب وسائل الأمن . ولكن نتج عن ذلك إذكاء النزاع الحزبي العنيف في فلورنسا ذاتها ، وانضم آل تشيركي إلى البيض ، وآزر آل دوناتي السود ، الذين كانوا أقرب إلى مسaire السياسة البابوية ، وبذلك أصبحوا أصحاب النفوذ في روما . وحدث بين البيض والسود في فلورنسا صدام مسلح ، وحاول السود القيام بانقلاب لتولي الحكم ، ولكن حكومة فلورنسا سيطرت على الموقف ، وقرّر مجلس السنيوريا ، ودانتي عضو فيه ، نفي بعض زعماء الجبلين فترةً من الزمن ، تخفيفاً من حدة النزاع الحزبي ، وكان من بين المنفيين جويدو كافالكاتي صديق دانتي ، الذي مرض بالملاريا في منطقة ساراترانا ، ورجع بتدخل دانتي إلى فلورنسا ، حيث مات بعد قليل .

لم يسكت السود على هذه الحال ، بل عملوا على إعلاء شأنهم ، وزاد اتصالهم بالبابا في روما . وحدث أن طلب بونيفاتشو الثامن ، على عادة البابوات في ذلك العصر ، أن تقدم حكومة فلورنسا مائة فارس للقيام بالخدمة العسكرية على الحدود التسكانية . واتجهت الحكومة كالعادة إلى إجابة طلب البابا . ولكن دانتي وقف يعارض أغلبية أعضاء مجلس السنيوريا ، وحاول الدفاع عن مصالح فلورنسا في وجه المطامع البابوية ، التي كانت آخذة في الازدياد . وعمل دانتي على أن يوجد الوحدة السياسية في فلورنسا ، وبذل

المستطاع لكي يحمل مواطنيه على تناسي الخلافات والأحقاد في سبيل مصلحة الوطن ، ولكن دون جدوى ، وذهبت دعوته أدرج الرياح ، واتسعت شقة الخلاف بين فلورنسا وروما ، فأرسلت حكومة فلورنسا وفداً إلى روما ، للوصول مع البابا إلى اتفاق يصون المصالح ، وكان من أعضائه دانتي .

واجه دانتي البابا بشجاعة ، ولم يدعن لمطالبه ، وبذلك أخفق الوفد في أداء مهمته . واستبقى البابا دانتي بعض الوقت ، لكي يبعده عن مسرح الحوادث في فلورنسا . وخطبت روما دانتي في وحدته بكلمات العظمة المسطرة على آثارها ، والتي تحفظ ذكريات قيصر وأغسطس وشهداء المسيحية الأوائل . وكان البابا قد طلب وقتئذ إلى شارل دي فالوا الأمير الفرنسي أن يسير إلى فلورنسا ، لكي يعيد إليها السلام . وانضم السود إلى شارل ، وهزم البيض المتحمسون لقضية فلورنسا ، وشوهد الجبن والخوف والخنوع ، والتحوّل السريع لإرضاء السيد الحديد . وسيطر السود على الموقف بمعونة شارل . وصدرت أحكام للتنكيل بالبيض ومن بينهم دانتي . أتهم دانتي في يناير سنة ١٣٠٢ بمعارضة قدوم شارل دي فالوا إلى فلورنسا ، وبارتكاب الغشّ والسرقه ، وباستخدام سلطان وظيفته في ابتزاز الأموال عندما كان عضواً في مجلس السنيوريا . وفرضت عليه غرامة قدرها خمسة آلاف من الفلورينات ، تُدفع في ثلاثة أيام ، وتقرر عزله من الوظائف ونفيه مدة سنتين . وعندما وصل دانتي إلى سينا عرف بما ناله ، فلم يدخل فلورنسا . وصل في مارس سنة ١٣٠٢ حكم جديد يقضي بمصادرة أملاكه ، وبإحراقه حياً إذا وقع في يد الحكومة . وكان ذنبه الحقيقي معارضة سياسة البابا والدفاع عن مصالح فلورنسا ، فلقى جزاء ذلك حكم النفي والقتل ، وحرّم عليه إلى الأبد رؤية وطنه ، الذي هو نصف الحياة لمن له قلب . ومرت بباصرة دانتي رؤى الصبا ، وذكريات الحب والأهل والأصدقاء ، وذكريات فلورنسا بقصورها وجسورها وطرقها ونواحيها المنعزلة ، وبدأ حياة المنفى والتشريد .

لم يتأدر إلى ذهن دانتي لأول وهلة أنه لن يرى فلورنسا إلى الأبد . وكان

حكما عليه بالغش والسرقة والرشوة أسوأ عنده من الموت . والتقى دانتى بالمنفيين من فلورنسا من آل تشيركى وآل أوبرتى وآل أبانى ، الذين اجتمعوا فى أريتزو الجبلية ، التى عطلت على هؤلاء الجلف المنفيين ، ورحبت بمحاربة فلورنسا من جديد . وفى تلك الأثناء عرف دانتى عمدة أريتزو أوجوتشونى دِلاّ فادجولا ، ونشأت بين الرجلين صلة وطيدة ، فأهدى إليه « الجحيم » . واختار المنفيون من بينهم اثنى عشر عضواً ، منهم دانتى ، ليعملوا كمجلس يدبر شؤونهم . وقرّر المنفيون مهاجمة فلورنسا ، ووُضعت تفصيلات الخطة لتنفيذ ذلك الهجوم . وتجمعت قوات من الجبلين والبيض من پيزا وبولونيا وپستويا ، وكان عليها أن تجتمع فى مكان قريب من فلورنسا فى تاريخ محدد . ولكن تقدّم بعضها وتأخر بعضها الآخر ، وهجم الفلورنسيون البيض قبل وصول الإمداد الضرورية ، ودخلوا فلورنسا من باب سان جالتو ، ووصلوا إلى سان جوفانى . ولكن هذه القوات المتقدمة من البيض لم تستطع الصمود أمام الفلورنسيين السود ، فانسحبت بعد أن تكبدت خسائر فادحة . ووجد دانتى أن الفلورنسيين المنفيين لا تسودهم خطةٌ موحدة ، ويعوزهم الإدراك الصحيح ، ورأى المنافسة تدبّ بينهم وبين حلفائهم من الجبلين . وكرهه مواطنوه المنفيون لصدقه وصراحته ، وربما فكروا فى قتله ، وكان يتمنى أن يزول هذا الشقاق كله ، وأن يعود السلام إلى وطنه ، فابتعد عن هؤلاء المنفيين ، وجعل من نفسه حزباً هو العضو الوحيد فيه !

حياة دانتى غامضة بعد هزيمة الفلورنسيين المنفيين . يقول عن نفسه إنه انتقل من مكان لآخر ، كسفينة دون شراع أو ملاح وسط العاصفة الهوجاء . ومن المعروف أنه ذهب إلى فيرونا سنة ١٣٠٤ ، حيث أحسن بارتلوميو دِلاّ سكالاستقباله . ولكنه غادرها بعد قليل ، ولا يُعرف خط سيره على وجه التحقيق . يقال إنه قضى بعض الوقت فى لوكّا ، ثم ذهب إلى وادى لونيديجانا ، وزار فورلى ، وربما تولى التدريس العام أو الخاص فى بولونيا ، وزار بادوا ، حيث التقى بجاتو ، وأوحى كلٌّ منهما للآخر ببعض آثاره . وربما انتقل بعض

الوقت إلى منطقة ليفورنو وجنوا . ويقول بعض الباحثين ، ومن بينهم بوكاتشو وقيلاقي ، إنه ذهب إلى باريس ودرس في السوربون في الفترة من سنة ١٣٠٨ إلى سنة ١٣١٠ . وينهب آخرون إلى أنه بلغ أكسفورد في أسفاره ، وإن كانت الأدلة على هذه الرحلات خارج إيطاليا غير وافية .

تولى هنرى السابع عرش الإمبراطورية الرومانية المقدسة سنة ١٣٠٩ . وكانت تُراوده مطامع وأحلام سياسية ، وأراد أن يحقق السلام في أوروبا ، وقرّر أن يعبر الألب لزيارة إيطاليا ، بعد انقطاع الأباطرة عن زيارتها منذ زمن غير قصير ، وتوجّج في ميلانوبنتاج ملوك المبارد الحديدى سنة ١٣١١ . عندئذ تجددت آمال دانتي في إقرار السلام في إيطاليا ، وفي العودة إلى وطنه فلورنسا . كان دانتي يؤيد فكرة الإمبراطورية العالمية لتوطيد السلام وتحقيق السعادة على الأرض ، فكتب رسالة إلى أمراء إيطاليا وشعوبها ، يحضّم فيها على الانضواء تحت لواء الإمبراطور ، ولكن لم يُصنع إليه أحد ، بل أخذت المدن الإيطالية تقف في وجه الإمبراطور ، وعملت فلورنسا على تكوين الحزب الجلفي لمقاومته ، وألغت أحكام النفي على الخصوم السياسيين لكي تتألف القلوب ، باستثناء أقلية كان منهم دانتي . واستولى الإمبراطور على بريشا ، وأخذ دانتي يحرّضه على أن يضرب مباشرة فلورنسا رأس الأفعى ، ولكنه لم يستطع . وسار الإمبراطور بإزاء الشاطئ حتى بلغ روما ؛ حيث توجّج بتاج الإمبراطورية سنة ١٣١٢ . وأخيراً قرّر مهاجمة فلورنسا في أغسطس من تلك السنة . وتجمعت لديه قوات من الجبلين والبيض . ولكن فلورنسا لم تستسلم ، ونهضت للدفاع عن كيائها ، وجمعت قوات من مدن الحلف الجلفي ، ووقفت في وجه الإمبراطور . وظلّ هنرى متردداً أمام المدينة ، وتفشى المرض بين قواته ، فاضطر إلى الرحيل عنها دون قتال في أوائل سنة ١٣١٣ ، واتجه صوب پيزا ، ولكنه أصيب بالحمى على مقربة من سيينا ، ومات ، ودفن باحتفال مهيب في كاتدرائية پيزا . وبذلك أخضفت فكرة الإمبراطورية العالمية ، وبكى دانتي بدموع الحمية والغضب معاً .

وأخيراً سنحت الفرصة سنة ١٣١٥ لعودة دانتى إلى وطنه ، عندما وافقت حكومة فلورنسا على إرجاع بعض المنفيين إليها . وكتب أحد أصدقاء دانتى إليه بذلك ، ولكن على شرط أن يعترف بأنه مخطئ ، ويدفع غرامة مالية ويطلب الغفران فى حفلٍ رسمى ، حيث يسير النادمون فى موكبٍ علىٰ وهم حفاة الأقدام إلى معمدان سان جوفانى . وصحیح أن العودة إلى الوطن ، ورؤية ضفاف الأرنو ، ولقاء الأصدقاء ، كان حلماً جميلاً لم ينقطع عن مرادة دانتى ، ولكن نفسه الأبية لم تقبل هذه الشروط المهينة . فكتب إلى صديقه يتساءل ، أهذا هو النداء المحيد الذى يرجع به دانتى إلى وطنه ، بعد أعوام من حياة المنفى ، وقال إنه من العار على من قضى وقته فى الدرس الطويل أن يستجدى مثل هذا العطف والرحمة ، وإنه إذا وجدت طريقة أخرى فإنه مستعدٌ لسلوكلها بكل سرور للعودة إلى وطنه ، وإلا فإنه لن يدخل فلورنسا أبداً . وقال بمرارة إنه سيرى الشمس والنجوم فى كل مكان ! عندئذ حكمت فلورنسا بقطع رأس دانتى إذا هو وقع فى يدها ، وذلك فى الوقت الذى كان يطلب فيه أن تضع فلورنسا على رأسه إكليل الغار !

مضى دانتى فى حياة المنفى والتشريد . وامتنى أحياناً دابةً ، وعبر الأنهار والتلال ، وسار أحياناً على قدميه ، وقد تفقد دراهمه ، وهو يحمل أوراقه وحوائجه القليلة . وسافر تارةً ليلاً وتارةً أخرى نهاراً ، وارتحل طوراً فى رفقة بعض الأمراء أو التجار أو عامة الناس ، وسافر أحياناً وحيداً ، دون أن يحسن معرفة الطريق ، وربما اعتدى عليه بعض الرعاع ، وكان من المحتمل أن يهلك فى بعض حله وترحاله . وانتقل دانتى فى شمال إيطاليا . ولقى أحياناً الترحاب وحسن الوفادة عند الأمراء ، وعمل بعض الوقت سكرتيراً وندبياً ودبلوماسياً ومعلماً لكى يكسب القوت . وعاش أحياناً أخرى فقيراً مشرداً ، وجاع ، وطلب المأوى ، وتمزقت ثيابه ، وما كان أشقّ على نفسه أن يرتقى سلام الغير طلباً للطعام ، وما كان أشد ما يجد من ملوحة فى خبز الآخرين !

عاد دانتى إلى فيرونا حوالى سنة ١٣١٦ ، وقضى بعض الوقت فى ضيافة كان

جراندى دِلا سكاللا ، وكان أميراً غنياً معجباً بالعبقريات ، واجتذب إليه الشعراء ورجال العلم والفن . وتوطدت الصلة بين الأمير ودانتي ، حتى أهدى إليه «الفردوس» ، وكان هو أول من يطلعه على أناشيد «الكوميديا» ، ثم يستنسخها وينشرها بين الناس . وكان الأمير الشاب صاحب مغامرات في الحرب والحب ، وكان أحياناً يبدو متغطرساً لا يبالي بشعور الآخرين . ولم يرتح دائماً لقوة دانتي واعتزازه بنفسه . وصدرت عنه أحياناً بعض أقوال وتصرفات جرحت شعور دانتي . وعهد إلى دانتي بتسوية بعض المشكلات البسيطة التي تنشأ بين أهل فيرونا ، وكان عليه أن يفرض عليهم بعض الغرامات ، وكان ذلك عملاً قليل الأهمية بالنسبة للدانتي . واحتمل دانتي ما ضايقه إلى القدر الذي استطاعه . وأحس أخيراً أنه أصبح عبئاً على الأمير ، وشعر أن الوقت قد حان لكي يضرب في الأرض مرةً أخرى ، وأصبحت فيرونا سجناً له بكل ما فيها من فنٍّ وذوق وجمال ، فعادها . ولكنه ظلّ يحتفظ بذكرى القصر الذي آواه وأحسن إليه ، وبقي على تقديره لكان جراندى دِلا سكاللا .

انتقل دانتي بين بعض المدن مثل مانتوا وجوبيو وأوديني . وما إن اجتاز حدود رومانيا حوالي سنة ١٣١٧ حتى سارع أميرها جويلدو نوفلولاى دعوته إليه في رافنا ، وجنّبه مؤونة السؤال ، لأنه كان رجلاً كريماً شاعراً يدرك ما يجول بنفوس العظماء من الأسى عند طلب المعونة . وكانت رافنا وقتئذ تعيش على ماضيها العظيم ، وتضم ذكريات فرنشسكا دا ريميني ، التي كان الأمير من أسرتها . وقرّر الأمير للدانتي مكاناً مستقلاً لإقامته ، وعهد إليه بالعمل أستاذاً وسفيراً ، حتى لا يعيش عائلة على أحد . وأصبح للدانتي في رافنا أصدقاءً وتلاميذ . ومن أصدقائه جوفانى دل فرجيليو الأستاذ في بولونيا ، وراينالدو كونكوريدجو أسقف رافنا ، وبييرو جاردينو . وجاء إليه ابنه بييرو الذى كان محامياً ، وجاكوبو الذى تتلمذ عليه ، وجاءت أسرنا الابنين ، وقدمت عليه ابنته بياتريتشى ، التي أصبحت راهبة في دير سان استيفانو دل أوليڤيا في رافنا . واعتاد دانتي أن يسير طويلاً في غابة رافنا ، وعلى شاطئ الأدرياتيك ،

ويصنعي إلى صوت الريح بين الأشجار العالية ، ويستمع إلى صفق الأمواج ، ويفكر ويتأمل . وهكذا أضفت رافنا على دانتى السلام والهدوء في أواخر أيامه .

وحدث عراكٌ في البحر بين تاجرٍ رافنيٍّ وسفينة بندقية ، انتهى بمقتل القبطان البندقي وبعض رجاله . فأدى ذلك إلى أن تقطع البندقية علاقتها السياسية برافنا ، وهددت بإقامة حلفٍ عسكريٍّ لمحاربة رافنا . عندئذ لم ير جويدو نوقاو بدءاً من أن يرسل سفيره دانتى إلى البندقية للعدل على تسوية الموقف . ونجحت سفارة دانتى في تخفيف حدة التوتر في العلاقة بين البندقية ورافنا ، وأصبحت أساساً لمفاوضات مقبلة بين الجانبين . ورجع دانتى وزملاؤه إلى رافنا بطريق البر ، وعبروا منطقةً مملأى بالمستنقعات ، فأصيب دانتى بالمalaria ، ووصل رافنا مريضاً ، ولم يحتمل جسده وطأة الحمى ، فأسلم الروح في ليلة ١٣ - ١٤ سبتمبر ١٣٢١ . ومات دانتى ويداه فوق صدره ، وكانت عيناه مغلقتين ووجهه متصلباً . مات ولم يكن يبدو أكان حياً أم ميتاً ، لأنه كان ينام على هذه الصورة . وهكذا استراح أخيراً دانتى العظيم .

وفي تلك الليلة لم ينم ولداه وابنته ، ولم ينم أمير رافنا ، ولم ينم مريدوه وأصدقاؤه . وأعلن جويدو نوقاو الحداد العام ، وألقى رثاءً مؤثراً أطرى فيه مزايا الشاعر العظيم ، ووعد بإقامة قبر يليق بمقامه ، ولكن حال عصف السياسة بحكمه دون تنفيذ ما وعد . وحمل جثمان دانتى صفوة من أهل رافنا ، ودفن في كنيسة براتشافورتى للفرنسيسكان .

ويقص بوكاتشو روايةً لا نعرف مداها من الصحة . يقول إن « الفرديوس » ظلّ عدة شهور بعد موت دانتى ينقصه الأناشيد الثلاث عشرة الأخيرة . وبحث عنها أولاده ومريدوه دون جدوى . وظنّ بعض أن دانتى لم يكمل « الكوميديا » وفكر ابنه في تكملتها على أحسن وجه مستطاع . وبعد عدة شهور ظهر الشاعر لابنه جاكوبو في الحلم - كما يروي بوكاتشو - وأخبره بمكان القصائد الناقصة في حائط بمنزل كان قد سكنه جاردينو ، وهناك أمكن العثور عليها ، وبذلك كملت « الكوميديا » !

أدركت فلورنسا بعد أكثر من نصف قرن من وفاة دانتي ، ما ارتكبته في حقّ ابنها العبقري من الظلم والاحود . وأرادت أن تكفر عن خطيئتها ، فعهدت إلى بوكاتشو ثم إلى بييرو بن دانتي بدراسة « الكوميديا » للجمهور . وذاعت بالتدريج بين الناس ، وانتشر صيتها في أنحاء من إيطاليا ، فدرست في أماكن كثيرة مثل بولونيا وبيزا والبندقية وبياتشيزا . . . وكشف الناس في أحيائها عما خالج نفوسهم واضطرم بين جوانحهم ، فنجرت على ألسنتهم وتغنوا بها . وزاد إحساس فلورنسا ببحودها ، فحاولت أن تنقل رفات الشاعر لكي تدفنه في وطنه في حفل مهيب . ولكن رافنا عارضت أشدّ المعارضة . وبذلت فلورنسا جهوداً طويلةً في هذه السبيل . وتدخل البابا ليو العاشر المديثشي في النصف الأول من القرن السادس عشر لنقل جدث الشاعر إلى فلورنسا ، وسعى ميكلائنجلو لتحقيق هذا الغرض . ولم تستطع رافنا أن ترفض طلب البابا ، وأوشك المسعى على النجاح . ولكن عند فتح مقبرته في رافنا وُجد التابوت فارغاً إلا من بعض عظام . ووقفت المساعي عند ذلك الحدّ .

وفي سنة ١٨٦٥ في فترة الاحتفال بعيد ميلاد دانتي السّمائة ، أقيمت بعض إصلاحات في كنيسة براتشافورتى ، وظهر في أثناءها تابوتٌ خشبيّ داخل أحد الجدران ، كان مكتوباً عليه أن الأب أنطونيو سانتي كان قد أخفاه سنة ١٦٧٧ ، ووُجد به هيكلٌ عظميٌّ ، وافق قياس جمجمته قناع الموت لدانتي ، كما اتفقت بقايا العظام التي وجدت في عهد ليو العاشر مع هذا الهيكل المستكشف . وهذا يعني أن: أحد القسس — وربما كان رئيس دير الفرنتسكان — كان قد أخفاه في مكان ما في عهد ليو العاشر ، ثم وضعه الأب سانتي سنة ١٦٧٧ حيث كُشف عنه سنة ١٨٦٥ . ووضعت بقايا دانتي هذه في تابوت من البلّور ثلاثة أيام ، ثم نقلت في حفل مهيب إلى كنيسة براتشافورتى ، وحضره مندوبو فلورنسا ، ونُقش على تابوته : « ليست فلورنسا بل أهواء الحزبية هي التي حكمت عليه بالنفي الدائم » . وأقامت رافنا برجاً تذكاريّاً به ناقوس من البرونز والفضة ، أسهمت بلديات إيطاليا في نفقاته ، وكانت فلورنسا قد شيّدت قبراً

رمزيًا لدانتى فى كنيسته سانتا كروتشى ، أقامه ريتشى سنة ١٨٢٩ ، ويتكوّن القبر من تابوت فارغ ، يعلوه تمثالٌ جالسٌ للشاعر ، وقد تُوج بإكليل الغار ، وإلى يمين التابوت تمثال سيدة واقفة ، ترمز لإيطاليا وتشير بيدها إلى الكلمات المحفورة أسفل تمثال دانتى ، والتي تقول: «مجددوا الشاعر الأعظم» ، تلك الكلمات التي جعل دانتى هومير وس يقوها فى فرجيليو ، فى الأنشودة الرابعة من «البحيم» ، فاستعارتها إيطاليا لتقولها فى دانتى . وإلى يسار التابوت تمثال سيدة أخرى ، ترمز إلى فلورنسا ، وهى منحنية أسفل التابوت ، ويدها لإكليل الغاز الذي كانت تودّ أن تضعه على رأسه حيًّا ، وهى والهة تبكى ، وستظلّ دائماً تبكى ، جزاء ما ارتكبت فى حقّ ابنها العبقري من جحود ونكران للجميل !

« ٣ »

يقول بوكاتشون دانتى كان ذا وجهٍ طويلٍ وجهيةٍ عريضةٍ وأنفٍ أُنْفَى ، وعينين لامعتين واسعتين ، وذقنٍ مدبَّبٍ ، وكانت شفته السفلى أبرز قليلاً من العليا ، وكان أسود الشعر ، أسمر اللون ، متوسط القامة . وعندما تقدمت به السن أخذ يسير فى انحناءٍ قليل ، وكان فى مشيته وقارٌ واتزان ، وفى مظهره رقةٌ وعدوبة . وتبدو عليه علامُ الحزن والتفكير والتأمل . وكانت ملابسه نظيفةً مناسبةً ، وإذا تمزقت فى أوقات الشدة أصلحها بنفسه . وكان يمتدح الطعام الطيب . ولكنه يقنع بأبسط الغذاء ، ويأكل قليلاً وفى ميعادٍ محدّد . وكان قليل الكلام ، وكانت قوته فى الكلام والصمت على السواء ، وكان يعرف قيمة الكلمة ، ولم يكن يتكلم فى الغالب إلا إذا سئل ، فكان يجب فى أدبٍ ورقة . وكان يتكلم أحياناً بطلاقة وفصاحة .

إذا درسنا شخصية دانتى وجدناه رجلاً متعدّد الجوانب ، تبدو فيها أمارات التعارض . كان يدرس ، ويعنى ، ويعزف الموسيقى ، ويرسم ، ويقول الشعر ، ويشغل بالسياسة ، ويتمتع بالحياة ويزهد فيها ، ويبدو خجلاً صامتاً ، ومع

ذلك فهو جرىء شجاع لا يرهب شيئاً . يبدو أحياناً مسيحياً وأحياناً وثنياً ،
وتارة بابوياً وطوراً إمبراطورياً . والمرأة عنده نصف إلهة تقوده إلى الفضيلة والله ،
وهي أيضاً صخرةٌ أذلت كبريائه وقادته إلى الشيطان . ويبدو صارم المظهر
جاد الملامح ، ويلوح شائخاً متكبراً مشغولاً بأفكار عالية . ومع ذلك فهو
وديع متواضع دمث الطباع . كان يقضى الساعات الطويلة عاكفاً على القراءة ،
فإذا تعب خرج إلى أحضان الطبيعة ، ومشى مسافات طويلة . ونظر إلى السماء
الصفافية والسحاب المتغير والمرج الأخضر . وكان يجلس تحت الشجرة العالية ،
وينظر إلى أسراب الطير ، ويلتهم الفاكهة الناضجة ، ويقطف الأزهار
الجميلة ، ويرتشف النبيذ المعتق ، ويعطف على الأطفال والمرضى والمحتاجين ،
وكثيراً ما تطلع في الصباح إلى نوافذ الحسناوات ، وترقب العذارى في الكنائس .
وإن ما يبدو على دانتى من التعارض ما هو إلا مظهرٌ خارجى ، والعبارة
فوق التقسيمات والمفارقات ، وتتعاون آراؤهم وثقاتهم وأحاسيسهم على خلق
ثمراتهم . كان في دانتى عنصر من كل شيء . واستطاع أن يجعل من أحاسيسه
المختلفة وما دار بين جوانحه مادةً لخلق « الكوميديا » .

كان الحب عند دانتى هو الحياة . وما حياة شاعرٍ بغير حبٍّ ؟ وكان
أهم حبٍّ عنده هو حب بياتريتشى - ووضع الكلام عنها في الفردوس الأرضى
من « المطهر » وفي « الفردوس » - ولكن بياتريتشى لم تستطع أن تشارك دانتى
في شعوره ، بل سخرت من صدقه ، وتقوات عليه مع أترابها . وبدت له
بياتريتشى في حياة المنفى كنجمة الصبح في صحراء الحياة . وقد بلغ حب دانتى
لبياتريتشى حد الإعجاز ، وفجّر له ينابيع الشعر والفن . وهى عنده امرأة
ناضجةٌ مكتملة . كما أنها مصدر الوحي والإلهام . وهى تطهر نفسه من الأدران ،
وتجعله قادراً على رؤية الله ، وتحيله إلى عابدٍ متصوف عاشق يقرب من
الحبيب الأول .

ومع هذا فقد أحب دانتى غيرها من النساء . بكى عندما ماتت بياتريتشى .
ولكنه كان في حاجة ملحةً إلى الحب . والتقى عن طريق دموعه بغيرها من



النساء . وربما لا يؤدي شيء إلى الحب كما تؤدي الدموع مع الدموع والزفرات مع الزفرات . أحب دانتى جنتوكا العذراء الصغيرة الخدابة . وأحب فيوليتا التى جعلته يتنهّد عند مرأى الورود . وأحب ليزيتا القوية الواثقة من نفسها . وأحب بيترا المرأة الصخرة وارتمى تحت قدميها ، وظلت باردة أمامه كالصخر الذى يفرقه فى أعماق البحر بعد النوء الشديد . وبذلك نحسّ صدى الحب وشذا النساء فى آثاره الرائعة . هكذا كان دانتى يعشق الجمال أينما وجد ، ويستجيب لنداء القلب ، وما قلبه إلا جزء من الطبيعة ، يطير مع الرياح ويهتز مع النسيم ، وينساب مع منحدرات المياه ، ويشارك الثلج فى نصاعته فوق قمم الجبال العالية ، ويستيقظ مع الربيع الضاحك المزدهر .

وكان دانتى صاحب إحساسٍ مرهف ، جعله شديد التأثر قادراً على البكاء حتى يفقد الوعى . وكان له غرفةٌ يسميها غرفة الدموع . ويقول إن البكاء يجعله هشاً متهاكاً حتى لا يكاد يعرفه أحدٌ . ومن فرط الحزن يتحرك رأسه كأنه شيءٌ ثقيل لا حياة فيه . وتتعب عيناه من البكاء حتى تعجزا عن البكاء . بكى دانتى عندما أحبّ بياتريتشى ، وبكى عندما فقدها سريعاً . وعندما تقدم فى السن لم ينقطع عن البكاء ، فكان يبكى فى كهولته أحياناً كما كان يبكى وهو طفل . بكى عندما أهين شرفه ، وعندما جاع وطلب المأوى ، وعندما عجز عن تحقيق أمانيه . وبكى عندما كتب « الكوميديا » . وبكى عندما شارك المعتدين الآلامهم فى « الجحيم » . وبكى عندما عاتبته بياتريتشى فى « المطهر » . وبكى عندما سمع غناء الملائكة فى « الفردوس » . استخدم دانتى حساسيته المرهفة ودموعه المنهمرة فى خلق « الكوميديا » . والبكاء ميزةٌ ونعمة . ولا يمكن أن يكون البكاء غير جدير بالعظماء . ولكن ما أقسى بكاء الرجل المتكبر !

امتاز دانتى بالكبرياء ومدح النفس . كان معتزلاً بنفسه إلى حدّ جعله لا يحقد على الآخرين ، وارتفع إلى المستوى الذى لم يجد عنده فى البشر ما يحسداه عليه . وكلّ رجال الفن الذين أهينوا وجرحت نفوسهم ، عملوا لتأكيد ما منع

عندهم ، وكسبوا ثقةً هائلةً بنفوسهم ، واعتزوا بملكاتهم ، وأعلنوا عنها بالقول والعمل والإبداع ، وكان الفنان يقول لمن أساءوا إليه : إنكم لا تريدونى ولا تقدرون قدرى . وإنى أبدو أمامكم شخصاً نكرة ، ولا مال عندى ، ولست من أسرة بارزة ، ولا سلطان لى ، ومع ذلك فسيأتى اليوم الذى تُرغمون فيه على إجلالى ، وتسعون إلى سعيأ ، وسوف أقوم بخلق ما تعجزون عنه جميعاً ، وتدركون أية رسالة انطوت عليها نفسى . هكذا أحسّ دانتى عندما عاش فى المنفى ، وعندما أخذ يكتب « الكوميديا » . أحسّ دانتى بالتفاوت الهائل بين عبقريته وبين حياته الواقعة . وأخذ يمدح نفسه بنفسه . وإن كان قد اعترف بأن هذا لا يرضيه كلّ الرضا . قال دانتى إنه نابغة ، وإن أسلوبه الجميل يضعه فى مستوى هوميروس وثرجيليو ، وإن كلماته ستصبح غذاءً للناس ، وإنه صُلِبُ لا يعبأ بالمصاعب . وإنه يتشرف بحياة المنفى . ونعت « الكوميديا » بالمقدّسة ، وسمى نفسه بالحمل وسط الثعالب ، وتكلم عن شجاعته فى معركة كامبالدينو . كان دانتى يطمع فى أن تتوجه فلورنسا بتاج الشعراء . وبدا كأنه نبيٌّ أعزل وملكٌ بغير عرش . كان يحسّ أنه أعلى من الملوك والبابوات الذين عجزوا عن أداء واجبهم ، وأصبحوا لا يصلحون للقيام بالمهام الخطيرة التى ألقيت على كواهلهم . تكلم دانتى كإمبراطور وبابا ، ولعن الملوك والبابوات . وتكلم باسم إيطاليا والعالم . فعل ذلك لإيمانه المطلق بأنه شاعرٌ عبقرى ، واعتبر أن مجد الشعراء أعظم من مجد الملوك والبابوات . واعتق رأى أرسطو القائل بسيادة مَنْ له التفوق العقلى .

ونجد دانتى ساخطاً أشدّ السخط على المجتمع الذى عاش فيه . وكثيراً ما بدا له العالم مليئاً بالأخطاء وخلواً من كل فضيلة . واعتبر أعمال أكثر الناس تؤدّى إلى انهيار المجتمع . وأثارت أعمال الملوك ورجال الدين فى نفسه الاشمئزاز والسخط . واعتبر دانتى أغلب الرجال متغيرين متقلبين ، وأكثرهم حيوانات بهيمية وأشبه بالوقى . والمبشرون والوعاظ كانوا عنده كالحیوانات ، والقسس يملأون بطونهم التى لا تمتلئ ، والبابا مرتش وخارج على تعاليم الكنيسة . والإيطاليون عنده لصوص

سِفلة وعبيد أذلاء ، والفرنسيون متغطرسون والإسبان بخلاء . . . وبذلك لم يكده يرضيه شيء في زمانه ، والحاضر عنده شرٌّ وفوضى ومدعاة للخجل . وكان دانتى يتطلع إلى ملجأ آمن في زوايا الماضي وثنايا المستقبل . لم يرض عظماء الرجال عن الواقع لأنهم أدركوا بإحساسهم المرهف ما لم يدركه غيرهم ، ورأوا بعيونهم الصافية ما عجز أهل العصر عن رؤيته . وليس من الإنصاف أن نعدّ دانتى متشائماً . وأولى بنا أن نعدّه فوق التشاؤم والتفاؤل ، إذ لم يكن سخطه تشاؤماً ويأساً من الحياة ، ولكنه كان حافزاً على الإصلاح والتغيير . وسيحاول دانتى ، على طريقته ، إصلاح الناس والمجتمع بالشعر الرائع والفن الرفيع .

كان شعور العنف والقسوة جزءاً من شخصية دانتى المتعدّدة الجوانب ، إلا أن ذلك كان شعوراً قوامه الرحمة ويهدف إلى الخير والمصلحة . وهو لم يكن يقسو على أحد في الحياة الواقعة ، ولكنه اتخذ من شعور القسوة عنصراً في خصلته الأدبي ، وقد عبر عن ذلك في آثاره الرائعة . عندما قست عليه بيترا ولم تبادلها حباً بحب ، قال إنها إذا وقعت في يده فلن يكون رحيماً بها ، وسيعاملها كالذبّ عندما يمزح . وفي « الجحيم » عامل بوكّا دلتى أبأتى بعنف وقسوة ، وانتزع شعر رأسه لأنه خان قضية الجلف . وعندما سأله ألبريجو دى مانفريدى أن يزيل عن عينيه الثلج المتجمد ، حتى تجد دموعه لها مخرجاً ، سخر به ولم يجب سؤاله ، واعتبر أن من الكياسة والذوق أن يكون قاسياً معه ، لأنه غدر بالأصدقاء . وفي « الفردوس » امتدح دانتى القديس دومينيكو لأنه كان قاسياً على أعدائه .

وكذلك كان حب الانتقام عنصراً هاماً في شخصية دانتى ، وإن لم ينتقم من أحد في الحياة الواقعة . وقد عبر في آثاره عن لذته ورغبته في الانتقام . قال إن الإنسان ينال شرفاً عظيماً إذا انتقم . وتكلم في « الجحيم » عن الانتقام الإلهي . ولم يجعل في « المطهر » امرأة ثكلى تطلب العدالة من الإمبراطور تراجان ، بل جعلها تطلب الانتقام من قاتل ابنها ، لأن العدالة قد فات أوانها ، ولن

يعوضها شيء عن موت ابنها . وفي « الفردوس » يجعل دانتي الإمبراطور جستينيان ينطق بأن الانتقام مجد . وتتكلم بياتريتشى فى السماء عن عدالة الانتقام . وارتفع دانتي بالانتقام إلى الله ذاته ، الذى يغضب من خطايا البشر ، فيسلط عليهم عذابه وانتقامه . وتحوى « الكوميديا » كلها معنى الانتقام . فهى انتقامٌ مثالى قدمه الفنان لنفسه وللناس . وإن كان دانتي قد امتدح فى « المطهر » من صفح وعف عن الانتقام ، وعذب المنتقمين وطهرهم من الرغبة فى الانتقام .

وكان شعور الأبوة والبنوة جزءاً واضحاً فى شخصية دانتي . وهو قد فقد عطف الأمومة والأبوة فى سن مبكرة . وجرب حياة الأسرة ، وعاش فى المنفى بعيداً عن أبنائه . وشعر دائماً أنه فى حاجة إلى أن ينطق بلفظ الأم والأب ، وأن يسمع نداءهما له . وقد عوض فرجيليو دانتي قدراً كبيراً من الحنان الأبوى الذى افتقده فى أثناء حياته . فى « الجحيم » يناديه فرجيليو بيا ابنى ، ويا بنى الصغير ، ويا ابنى الحلو ، وينادى دانتي فرجيليو بيا أبى ، ويا أبى الحبيب ، ويا أبى الحلو العزيز ، ويا من أنبأ أكثر من أب . وهو يحنو عليه ويرشده ويقبله ويحميه من الأخطار . واعتبر دانتي فرجيليو بمثابة الأم ، عندما تفرغ على صوت النيران وتهرب بولدها بعيداً عن ألسنة اللهب . وكذلك يجعل برونيتو لانينى يناديه بأى بنى . وهكذا ينطق كاتشاجويدا وآدم والقديس بطرس فى « الفردوس » .

كان دانتي شجاعاً جريئاً لا يرهب شيئاً فى حياته العملية . فقد عارض سياسة بونيفاتشو الثامن وحاول الدفاع عن مصالح فلورنسا . وبذلك وضع دانتي نفسه أمام قوة هائلة لم يكن يستطيع لإنسان أن يقف فى سبيلها . ولم تكن هناك موازنة بين قوة الرجلين فى المجتمع . ومع ذلك فقد وقف الرجلان وجهاً لوجه ، ونظر كل منهما للآخر محاولاً تغليب فكرته . وقف البابا غاضباً متكبراً ، ووقف دانتي جريئاً شجاعاً . قال البابا « لماذا أنتم معاندون ؟ اخضعوا لى ، إذ لا غرض لى سوى توطيد السلام فى فلورنسا » . ولكن دانتي كان يعرف أنه

يريد توطيد السلام البابوي ، فلم يُسلم ولم يُذعن . تشابه الرجلان في الصلابة والطموح والكبرياء ، ولكنهما اختلفا في كثير من التفاصيل . كان بونيفاتشو رجلاً قوياً بمركزه وسلطانه غنياً بالذهب ، وحوله الأمراء والنبلاء ، على حين لم يكن لدانتي ثروة ولا سلطان . كانت قوة دانتي لا تزال خافيةً في عقله وقلبه وفنه . أراد بونيفاتشو أن يسيطر على الملوك والأمراء ، على حين سيحكم دانتي من عليائه على الملوك والأباطرة والبابوات . وكان كلٌّ منهما خيالياً . أراد بونيفاتشو أن يحقق المثالية الدينية التي تنهى إلى شخصه ، ويجعل في يده السلطة الدينية والزمنية على السواء . بينما كانت ترى مثالية دانتي إلى أن تجعل الإمبراطور صاحب السلطة الزمنية والبابا صاحب السلطة الدينية . وشعر كلٌّ منهما أنه مُلهم من الله ، بونيفاتشو كبابا ، ودانتي كشاعر . احتقر بونيفاتشو رجل الدين والسياسة والمال صفةً الشاعر في دانتي . ولم يعترف دانتي للبابا المرتشي بصفته الدينية والسياسية . لم يعترف دانتي بغير قوة الروح والفن . واحتفظ كل منهما بصفات موطنه . امتاز بونيفاتشو بالخفاف والصرامة والغلظة والتعصب السائد في رومانيا ، على حين امتاز دانتي بصفات الفلورنسي ، رجل الثقافة والأدب والذوق والفن . وكذلك اختلف الرجلان في المظهر . كان بونيفاتشو طويل القامة ممتلئ الجسم ، بينما كان دانتي متوسط القامة نحيفاً : وآتهم الاثنان بالرشوة ، وإن كان بونيفاتشو وحده هو المرتشي . ولم يتصور البابا أن دانتي سيضعه في « الجحيم » وسيقول عنه متحكماً إنه القسيس الأعظم ، وبأنه معتصب الكرسي البابوي ، وبأنه رجلٌ جشع منافق . هكذا وقف دانتي أمام بونيفاتشو بعزمٍ لا يلين وشجاعة لا توصف . ولقي دانتي جزء ذلك الإهانة والنفي والتشريد ، ثم كسب الخلود .

والوطنية من صفات دانتي البارزة . تكلم دانتي عن إيطاليا كثيراً . تكلم عن مدنها وقراها وأنهاها وجبالها وكنائسها وأبراجها وأهلها ، وأعطى صورةً جغرافية لكثير من مناطقها ، وحدد ارتباط الأشخاص بها . ولم يجب دانتي مكاناً في الأرض كما أحب إيطاليا وفلورنسا بخاصة . فإيطاليا عنده حديقة

الإمبراطورية ومركز العالم . وفلورنسا هي الوطن النبيل والمدينة العظيمة على نهر الأرنو الجميل . وهي المكان الجميل الذي نام فيه كالحمل . ومع ذلك لم يتكلم دانتى بعنف وقسوة كما تكلم عن إيطاليا وفلورنسا . قال عن فلورنسا إنها غابة "حزينة" بائسة ، وإنها مليئة بالحسد والكبرياء والبخل ، وحكومتها سيئة "مضطربة" ، وأهلها لصوص "وحوش" ، وقد أحبوا الذهب حتى أصبحت فلورنسا جديرة بأن تسمى مدينة الشيطان . ويقول إن نساء فلورنسا الفاجرات يخرجن ولا حياء هنّ لإغراء الناس بلباز "تديهن" ، التي ينبغي أن تُحفظ لإرضاع أبنائهنّ الأبرياء . وعندما أخفق هنرى السابع أمام أسوارها ازداد غضب دانتى ، ونعتها بذئبة الأرنو . والأفعى ، والعنزة المريضة . وكذلك لعن كثيراً من أنحاء إيطاليا . ولا يكاد يوجد مكانٌ بها إلا ويثير غضبه ؛ ويفتح في جسمه جرحاً قديماً . وأرض إيطاليا عنده ملأى بالأشواك والعواصف والجرائم والآثام . وهي الأرض الخائنة الخبيثة الحسود العاصية . ويقول إن لوكّا ملأى بالزيفين ويستويا موطن الوحوش ، وأهل پيزا ذئاب ، وبولونيا غاصّة بالخلاء والوصوليين ، وأهل جنوا خلواً من كلّ كياسة ، ويستحقون الإذلال .

ربما لم يوجد من لعن شعبه وبلاده كما فعل دانتى . وإن من يُلقى هذه اللعنات لابد أن يكون قد تألم كثيراً فأفرغ ما في نفسه على ذلك النحو . والسباب واللعنات فنٌّ ولغة يفهمها الشعب الفلورنسى صاحب العواطف الحارة والتعبيرات العنيفة . على أن اللعنات لا تدلّ دائماً على البذاءة والسفه بقدر ما تدلّ على الحب والحرص على المصلحة . في الحقيقة لم يكره دانتى فلورنسا وإيطاليا ، بل كره مساوئهما وأخطاءهما . كان حبه لهما أعظم من أن يحمّله على الوقوف أمام أخطائهما موقف المتفرّج المحايد . أحب دانتى بلاده ، وساء ما كانت عليه من القوضى والانقسام ، ولم يستطع السكوت عمّا كانت تعانیه . واستمدّ دانتى من ويلات إيطاليا ونكباتها حياً لشعوره الوطني الصميم ؛ وصدّرت عنه في سبابه ولعناته روحٌ وطنيةٌ عالية . يخاطب دانتى إيطاليا بلفظ إيطاليا ، وربما كان هو أوّل من أدرك قيمة وحدتها

السياسية . نادى دانتى إيطاليا بالعبدة الذليلة ، ونعتها بسفينة بغير شراع ولا ملاح وسط العاصفة الموحجة ، ودعاها إلى أن تنظر إلى سواحلها وأطرافها وأن تجمعها إلى صدرها ، وسألها هل يعرف أى جزء فيها معنى السلام والهدوء . واتجه إلى الله طالباً الصفح والمغفرة ، وسأله هل أدار نظره عن إيطاليا ، وماذا ينبغي لها في طيات المستقبل من الأحداث ! وبهذا أصبح دانتى نبى إيطاليا ، وأعطى وطنه حلماً سياسياً مستمداً من الواقع ومن غير الواقع ، من الماضى والحاضر والمستقبل ، من الدموع والأسى والزفرات الممتزجة بالرجاء والأمل . وظلت صيحاته تجرى في دماء الإيطاليين ، وأصبحت كلماته إنجيل الوطنية الإيطالية في القرن التاسع عشر .

وعلى الرغم مما نال دانتى من الآلام والحزن والحياة الصعبة التي عاشها ، وعلى الرغم من روح الصرامة والجدّ الذي سادته ، فقد توفّر فيه روح التهمك والسخرية . ويظهر أن الذين يتعرضون للويلات والعذاب يصبحون أكثر الناس تهكماً وسخرية . امتاز دانتى الصارم بالقدرة على المقارنات البهجة واستخراج المشاهد المضحكة من نفسه ومن وجوه الناس ومن أعينهم وحركاتهم . وعرف دانتى وسط آلامه كيف يبتسم ويضحك ، وكيف يبعث الآخرين على الضحك . كان يبتسم عندما يسمع القيل والقال عنه في فيرونا . وكان يتخلص بسرعة بديهته من بعض المواقف الحرجة . وكان يقابل السخرية بالسخرية ، حتى مِمَّنَّ أحسنوا إليه . واعترف دانتى بميزة الضحك لنفسه . وتهكم على لهجات إيطاليا المتعددة ، وسخر من المبالغة في صناعة الشعر وتزيينه . و « الكوميديا » مليئة بمواقف السخرية ، التي صاغها دانتى حتى في مواضع الأسى والعذاب . سخر دانتى في « الجحيم » من فلورنسا ومن بونيفاتشو الثامن ومن الشياطين ومن الهالكين المعذبين . وسخر من فرجيليو ، وسخر من نفسه ، وصوّر أخطاءه وخوفه وتردده وشعوره بالخجل . وفي « المطهر » سخر دانتى من استاتزيوس ، وحمل أرواح الآثمين على الضحك ، وسخر من الجشعين حينما جعل بعضهم يُسأل عن طعم الذهب في فمه . وفي « الفردوس » سخر من الأرض ،

وسخر بجر مجوريو الكبير وجعله يشعر بالندم . وتأثر دانتى فى سخريته بصفات مواطنيه ، ولكن تهكمه وسخريته كانت محدودة معتدلة رقيقة دون ضوضاء وضجيج .

ولم يحرص دانتى على جمع المال أبداً ، وربما وصل شعوره بإزائه إلى حد الكراهية فى بعض الأحيان . وهو إن لم يكن من أسرة معوزة إلا أنها كانت أسرة محدودة الموارد . وكانت قِلَّة المال من عوامل إخفاقه فى الزواج من بياتريشى التى انتمت إلى أسرة تتمتع بالثراء والجاه . وبذلك ارتبطت قلة المال بحياته العاطفية منذ سن مبكرة . وكان أبوه يشتغل بالربا - كما رأينا - ولذلك عيّر بعض الناس دانتى أحياناً بأنه كان يعيش على أموال غيره ، فزاد ذلك من عزوفه عن المال . وفى الوظائف والسفارات التى تولّاها لم يكن يكفى دانتى مال الحكومة الفلورنسية ، فكان ينفق من ماله القليل ، وبلغ به الأمر حد الاستدانة أحياناً لتغطية النفقات الضرورية . وكان اتهاماً عجبياً ذلك الذى وجهه إليه خصومه السياسيون من حزب الحلف السود ، واعتبارهم إياه مرتشياً مستغلاً وظيفته لا يتراز أموال الناس . قال مصيره إلى النى والحكم عليه بالموت ! وما أشق أن يُتهم بالرشوة والسرقة الرجل الأمين الذى يبذل من ماله ويكلف نفسه فوق طاقتها فى سبيل المصلحة العامة ! وصحيح أن دانتى أحس بالفاقة والجوع فى بعض فترات من حياة المنفى التى عاشها ، ولكن ذلك لم يجعله يحرص قط على جمع المال ، ولم يُستدل فى سبيله أبداً ، بل كان ينأى عن سبل جمعه ويكتفى بما يصله منه لقضاء حاجاته الضرورية . واعتبر دانتى أن ذهب الدنيا كله منذ أقدم الأزمنة حتى عصره ، لا يستطيع أن يربح نفساً واحدة أضناها فى سبيله الكد والتعب . وما ارتبط بالمال من جاه وصيت وأبهة لم يساو عنده أكثر من نفثة ربح تغير اسمها إذ تغير مكان هبوبها واتجاهه . وأى مال أو جاه أو صيت كان من شأنه أن يُغرى دانتى العظيم ؟

أحس دانتى ، ككثير من العباقرة ، بشعور العزلة والوحدة . ولم يطل عمر والديه حتى يتمتع بحياة الأسرة ، ولم تدرك بياتريشى قدره ، ولم يكن له

من بين رفقاء الشباب صديق حقيقى ، وكان يقضى الوقت معهم فى حياة اللهو والمرح دون أن يفهمه أحدٌ على حقيقته . ونعرف أن أخاه فرنشسكو غير الشقيق قد عاونه بعض الوقت ، ولكن لا يعلم أحد طبيعة العلاقة بينهما . ولم تطل حياته الزوجية ، التى لم يذكر شيئاً عنها . وقد عاش ولداه بيتر و جاكوبو على مقربةٍ منه فى أواخر حياته ، وقالوا بعض الشعر . ولعلّ دانتى تألم عندما وجد مستواهما أقلّ من المتوسط . وفى الحياة السياسية وجد دانتى أن أغلب الناس يعملون لمصالحهم الذاتية ، وتعوزهم حرارة القلب وصفاء النفس والإخلاص للوطن ، فنأى عنهم جميعاً . وعلى الرغم مما لقيه من الصعاب فى حياة المنفى ، فقد أحسن بعض الأمراء استقباله ، وقدّره بعض رجال السيف والقلم ، وأصبح له فى رافنا أصدقاء ومريدون ، كما رأينا . ولكن لم يوجد بينهم من يفهمه حقّ الفهم . كان أصدقاؤه ومعارفه يجتمعون من حوله هنا وهناك فى شبه حلقة ، وكان هو يدنو منهم وينأى عنهم ، دون أن يمتزج بهم تماماً ، حتى لو كان فى محيطهم . وقلائل جداً أولئك الذين أصبحوا له أصدقاء حقيقيين . وربما لم يوجد له أصدقاء فى فلورنسا سوى برونيتو لاتينى وجويدو كافالكاتنى وفوريزى دوناتى . وربما لم يفهمه فى حياة المنفى سوى جوتو وجويدو نوفلو .

ولم يكن دانتى يكره الناس أو يترفع عنهم . وبالعكس فقد أحب دانتى الناس على طريقتة ، ولكنه كره مساوئهم . وعلى رغم ما لقيه على أيدي مواطنيه من العنت والإرهاق والجحود ، فإنه بذل من الخير لمواطنيه ولل بشرية كآبها ما لم يستطع أحد أن يبذله فى سبيله . وهل استطاع دانتى أن يرفع أبناءه وأهله ومريديه إلى المستوى الذى تطلع إليه ، فى الذوق والإحساس وسعة الأفق والكميامة والسلوك ؟ ومنّ من الناس أمكنه أن يحسّ إحساسه ويرى ما رآه ؟ وكم شارك الناس الآلامهم وآمالهم ، على حين لم يكده يشاركه أحد فى أشجانه وأمانيه ! وكم اتهمه الناس بما ليس فيه ، على حين لم يكده يتهم أحداً فى الحياة الواقعة بما ليس فيه ! وكم حاول بعض أهل العصر إهانته وإذلاله مع أنه لم يهن ولم يذل أحداً ! وكم أحسّ بكدب الناس وتناقضهم وخداعهم ، على حين لم يكذب هو ولم ينافق ولم يخلع

أحدأً أبداً ! وكم اشأأزت نفسه عندما رأى الأعين الشرهة على مائدة الطعام ! وكم سخر دانتى ورئى عندما سمع أحكام الناس فى الناس وفى الوجود ، وكم تألم حينما سمع بعض معاصريه يدعى العلم بكل شىء ويحاول أن يفرض رأيه وميزانه على الآخريين ، وكأن كلاً منهم وحده صاحب الرأى الصائب والفهم الصحيح !

حاول دانتى كثيراً ، فى حدود معرفته واستطاعته ، أن يُفسح صدور الآخريين ، ويبعد بهم عن صغار الأمور ولغو الكلام ، وعمل على أن يسمو بذوقهم . ويزرع فى نفوسهم المعرفة والحكمة والحب والصفاء والأمل ، ولكن دون جدوى . ومع ذلك فلم ييأس . إن كان قد يش من قومه ومعاصريه ، فإنه لم ييأس من الإنسانية فى مجموعها . وحاول أن يسجل لإحساسه وميزانه وأمله فى تراثه الخالد ، لعل بعض الناس يدركون يوماً بعض ما رآه وأحسه وتطلع إلى تحقيقه . أوليست « الكوميديا » كلها محاولة هائلة لجمع ألوف العناصر المختلفة . المتعارضة ، المتولفة ، فى الواقع وغير الواقع ، وصياغتها فى بناء محكم منسجم متآلف لبلوغ هدفه الأعلى ! ومن من قومه استطاع أن يدرك هدفه العظام ؟ هكذا كان على دانتى أن يعيش أغلب حياته وحيداً حتى بين جموع الناس ، ويشقى بوحدته ويسعد . ولم ينقطع دانتى عن الناس ، بل اختلط بهم . وتغلغل فى نفوسهم ، وضرب صفحاً عن التفاصيل الصغيرة ، وأدرك من خفايا البشر والوجود ما لم يكده يدركه غيره . دون أن يمتزج بالناس أو يمتزج به الناس ، وربما على غير ما كان يرجو ويأمل .

على أنه لا لوم على أحد ، ولا على دانتى ذاته . فى هذه العزلة الروحية التى عاشها ، ولا ذنب لأحد أنه لم يعرف قدره الحقيقى . ولم يمتزج بنفسه انصافية . وهذا هو بعض الثمن الذى تدفعه العبقريّة ، لكى تبلغ أسمى ما فى الوجود . وأقرب الناس إلى عصره ، والذى فهمه وأشرب روحه العبقري ولكن بعد فوات الأوان ، هو ميكالأنجلو ، الذى شابهه وأحبه ، وأراد أن يشيد له قبراً من الرخام ، عند محاولة نقل رفاته إلى فلورنسا ، ولكنه لم يوفّق . ولجأ دانتى فى

وحدته الروحية إلى محراب الفن ، فكان له خير معتم .

كانت الشدائد التي انصبت على دانتى هي بوتقة العبقرية . فعندما تعرّض دانتى لصنوف العذاب ، وعندما عاش بين المطامع والأحقاد ، وعندما فقد الأهل والوطن وسلام النفس ، وعندما تبخرت أمانيه ، أصبح دانتى هو دانتى . وفي أعماق بؤسه استطاع أن يكشف عن ثروته التي لا تُتقدر . وصحيح أن دانتى لم يكن في حياته صاحب سلطان ، ولم يملك سلاحاً يعوّض به في ميدان الحياة العملية ، مِمّا أصابه من جحود أهل العصر . ولكنه ملك سلاح الفن . وأيّ سلاح أقوى : الجهل المطبق ، والحسد البغيض ، والحقّد القاتل ، والنفاق المهين ، والزهو الفارغ ، والطبل الأجوف ، وإلجاء الكاذب ، والسلطان الزائل ، والمال المزيف ، أو الفن العبقري الخالد ؟ وإنه لمن سخريه القدر أن جعل الجهلاء الأذلاء من أنفسهم قضاةً ليحكموا على دانتى الأبيّ العالم الفنان ! صحيح أن بعض المعاصرين قد حاولوا أن يحكموا على دانتى ، ويقيسوه بمقاييسهم النافهة ، ولكن كانت أحكامهم في الحقيقة حكماً عليهم لا عليه . وصحيح أن دانتى قد خسر في أثناء حياته وأخفق . ولكنه خسر وأخفق لكي يكسب ما لم يكسبه أحد . خسر دانتى أشياء نافهة ، ولكن بقي له العلم والتجربة والفن والإيمان . وإذا كان دانتى قد أهدر دمه ، وخُلمت عنه أرديته ، فقد تسربل من جديد بأثواب لا تبلى من الفن الرفيع .

أحسّ دانتى بحاجة إلى أن يواجه ما ناله من المحن بالخلق والإبداع . وهكذا عمل دانتى ليل نهار ، وضرب وطرق ، وكتب ثم مزق الورق ، وبكى ، ونفث روحه فيما كتب ، وبذلك انتقم لنفسه الأبية العزيزة المتكبرة ، المشحنة بالجراح . خسر دانتى أشياء زائلة ، ولكنه ظفر بما لم يكد يظفر به إنسان . ولم يكن لظفره حدّ ، عندما أكسبه فنه الخلود . وماذا فعل العجزة من معاصريه ؟ وأي شيء كانوا يستطيعون أن يفعلوه ؟ إن هؤلاء المعاصرين الذين حكموا عليه بالنار تارةً ، وبالحديد تارةً أخرى ، في فترة سنوات قلائل ، قد ماتوا وهم أحياء ، وأصبحوا تراباً تذروه الرياح . أما هو فقد ظلّ وحده ، على الرغم من

كلّ شيء ، شامخاً خالداً منتصباً على الإنسان الغادر وعلى الزمان الفانى ! .
 هذه جوانب وصور من حياة دانتي وشخصيته ، لعلها تساعدنا على فهم
 عبقريته الفذة ، وتذوق آثاره الرائعة ، وتقدير ثمراته الرفيعة ، والنهل من نبعه
 الفياض الصافى . وسوف نعرض لنواحٍ أخرى من شخصيته عند ترجمة « المطهر »
 ثم « الفردوس » .

« ٤ »

كتب دانتي عدداً من المؤلفات الصغرى ، تعدّ مراحل في نموّ الأدب ،
 وتمهّد لآيته الكبرى « الكوميديا » . أولها « الحياة الجديدة » التى كتبها بلهجة
 تسكانا (العامية) نحو سنة ١٢٩٣ ، وهى عبارة عن قصة شبابه . والمقصود
 بالعنوان أنها بحثٌ جديدٌ بسبب الحب الذى أحسه نحو بياتريتشى . وتحوى
 شعراً ونثراً . فسبق القصائد الظروف التى قيلت فيها ، ويلبها شرح وتعليق عليها
 حتى تُصبح أقرب إلى الفهم . وهى تحتوى على عنصرى القصة واليوميات .
 ويتكلم دانتي فيها بنصف صوت ، فلا يفصح دائماً عن المقصود . وفيها تصوير
 لبعض مظاهر الحياة فى فلورنسا ، بقصورها وشوارعها وكنائسها ، والريف
 المحيط بها . وتشمل عنصراً من الصناعة والافتعال ، بما أورده فيها من المناقشات ،
 وتأثر فى ذلك بتقاليد العصور الوسطى . ولكنه بذل جهده لكى يبنى ويرسم
 ويعبر بفن رقيق . وتسرّد « الحياة الجديدة » ثلاث مراحل فى تاريخ حب دانتي :
 الأولى مرحلة الشباب الباكر ، ويتغنى فيها بمزايا بياتريتشى . وفى الثانية يبدو
 أكثر جدّاً ، ويشيد بالفضائل التى تشعّ منها . وفى الثالثة يفقدها بالموت .
 بشرح دانتي فى المرحلة الأولى كيف سيطر الحب على قلبه عندما رأى بياتريتشى
 فى سن الثامنة ، وقد بدت وهى تلبس ثوباً بسيطاً أحمر اللون . وعندما يتصوّر
 موتها يأخذها الحزن ، ويدعو العشاق إلى البكاء ، ويبكى ويطلب الرحمة ،
 وينام كطفل أفحمه البكاء . ويذكر أثر التحية المرفوضة فى نفسه . ويروى
 ذهابه إلى حفلة ساهرة ، ربما كانت حفلة زواج بياتريتشى ، وكيف استند

إلى جدار حتى لا يسقط . ويذكر لبعض من سألته عن حبه أنه لا يقصد به إلا التمدح ببياتريتشى وتمجيدها ! وعنده الحب والقلب الرقيق شيء " واحد " . وتحمل محبوبته الحب فى عينها ، فتجعل من ينظر إليها رقيق المشاعر ، وعندما تحيى الآخرين تبدو رقيقةً نبيلة ، وتعقل الألسنة ، وتظهر أنها جاءت من السماء إلى الأرض لكى تقوم بالعجائب . وعندما ماتت حزن عليها حزناً شديداً ، وأصبحت فلورنسا عنده كأرملة . ولما ماتت أصبحت ملكاً له لا يشاركه فيها أحد . ولا يذكر دانتى ما يجعلنا نصور أنه كان محبوباً لديها ، وهو لا يكذب ، ولا يتظاهر بغير الحقيقة ، ويذكر المواضيع التى تعرض فيها للسخرية بسبب حبه العنيف . وأخيراً يروى أنه رأى بياتريتشى فى رؤيا ، ووعدها - إذا مد الله فى أجله - أن يقول عنها ما لم يقله رجل فى امرأة من قبل . وفى « الحياة الجديدة » نواة « الكوميديا » بما فيها من ألم وبكاء ، وما تحويه من زهدٍ وتصوف ، وما تتضمنه من أرواح الملائكة ورؤى السماء .

وكتب دانتى « الوليمة » باللهجة التسكانية ، فى الفترة بين ١٣٠٦ و ١٣٠٨ على وجه التقريب . والكتاب وليمة علم ومعرفة ، وله طابع دوائر المعارف بالنسبة للعصر . وقصد دانتى أن يضع هذا الكتاب فى أربعة عشر فصلاً ، ولكنه لم يتم منه سوى أربعة فصول . وهو يحتوى على ثلاث قصائد ، يتلوها شرحها اللغوى ثم الرمزي ، ثم ألوان المعرفة التى بسطها دانتى . و « الوليمة » نوع من « الحياة الجديدة » إلى حد ما ، ولكن باعها ليس الحب ، بل الفلسفة والمعرفة . والفصل الأول عبارة عن مقدمة يذكر فيها أن كل إنسان بالطبيعة صديق لكل إنسان ، وأن هذا الشعور الإنسانى يجعل من المحتم على من نال حظاً من المعرفة أن يقدم هذه المعرفة إلى سائر الناس . وهذا شعور إنسانى نبيل ، يوضح ما انطوت عليه نفس دانتى من حب الخير ، والرغبة فى رفع مستوى المجتمع . ويتكلم دانتى عن اللغة الإيطالية ، ويدافع عنها كلغة جديدة ، وكتعبير عن إحساسه بوحدة الوطن الإيطالى . ويتناول الفصل الثانى خلود النفس ، وتقسيم السماوات ، متبعاً علم الفلك عند اليونان والعرب . ويذكر

أنه قد تعزى بقراءة بعض كتاب اللاتين ، وأنه أحب الفلسفة التي ظهرت له في ثوب سيدة رقيقة . ويتناول الفصل الثالث الفلسفة ، والنفس ، وطبيعة الحب ، والعقل ، ومركز الإنسان في العالم ، والصدقة ، والشمس كرمز لله ، ومشكلة الشر . ويبحث الفصل الرابع في الأخلاق ، ومعنى النبالة التي تقوم على الخلق والمعرفة ، لا على أساس الثروة أو النسب . ويتكلم عن الإمبراطورية الرومانية وضرورة إقرار السلام على يد الإمبراطور ، ويذكر استقلال البابا والإمبراطور ، كلاً في النطاق المخصص له . ويشير إلى الحياة الفعالة وحياة التأمل ، وأهمية كل منهما للإنسان . ويذكر دانتى في مواضع متفرقة من « الوليمة » مسائل تتعلق بشخصه والظروف التي تعرض لها ، وبأحوال فلورنسا ، والحوادث المعاصرة . ويلاحظ على أسلوب الكتابة أثر الألفاظ والتراكيب اللاتينية ، ومع ذلك فإن هذا الكتاب يعد أساساً للنثر الإيطالي الفنى والعلمى ، وقد عبر به دانتى عن مسائل العلم والفلسفة والنفس والأخلاق والسياسة ، بوضوح وصدق وبساطة ، وهو لا يخلو من الحرارة والتلوين .

ووضع دانتى كتابه « عن اللغة العامية » ، في الفترة التي كتب فيها « الوليمة » . وضع هذا الكتاب باللغة اللاتينية لخاصة المتعلمين . ولم يتم منه إلا الجزء الأول وقسماً من الجزء الثاني ، ولا نعرف مدى الكتاب الذي كان ينوى أن يكتبه . أظهر دانتى في هذا الكتاب أنه رائد في ميدان اللغة . وتكلم في الجزء الأول عن الفارق بين اللاتينية والعامية ، واعترف بالعوامل الأساسية في تغير اللغات المستمر ، تبعاً للزمان والمكان . وهو يتناول الأسرار اللغوية الرئيسة في أوروبا في الشرق والشمال والغرب ، ويقول بوجود ثلاثة فروع كبيرة للأسرة اللغوية الغربية ، وهي اللغات الرونسية والفرنسية والإيطالية . ويعترف دانتى بأن لغة الروننس هي أول لغة كتبت بها الشعر الغنائى ، وأن اللغة الفرنسية امتازت بكتاباتها الثرية الجميلة ، وأن الإيطالية قريبة من اللاتينية ، وظهر بها شعر غنائى رقيق . ويميز دانتى في إيطاليا بين أربع عشرة لهجة محلية . ويقول إنه ليس من بينها لهجة واحدة تصلح لأن تكون لغة أدبية رقيقة . ويتكلم عن

خصائص اللغة التي تحدد وحدة إيطاليا العقلية . وفي الجزء الثاني يبحث استخدام اللهجة العامية في الشعر ، ويذكر أمثلةً من الشعر الروفني والفرنسي والإيطالي . ثم يتكلم عن كتابة القصائد ، عن الموضوع والوزن والقافية والتركيب والأسلوب واللغة ، لكي يصبح الشعر جديراً بالاسم .

وأخر كتاب نعرض له من مؤلفاته الصغرى هو كتاب « الملكية » ، الذي كتبه في الفترة من ١٣٠٩ إلى ١٣١٣ على وجه التقريب . وانتهى من وضعه بعد أن تبدد حلمه السياسي ، الذي كان يأمل في تحقيقه على يد الإمبراطور هنري السابع . وكتبه باللاتينية لأنه لم يقصد أن يكون كتاباً لعامة الناس . وتأثر في كتابته بدرجات متفاوتة ، بفلسفة أرسطو ، وبآراء الرومان ، وبالكتاب المقدس ، وتعاليم توماس الأكويني . وبشيء من فكر ابن رشد .

يقول دانتي في الكتاب الأول من « الملكية » : إن الله قد زود الناس جميعاً بحب الحقيقة ، وإن عليهم أن يعملوا لخير الأجيال القادمة ، وأن يؤدوا لها ما أداه لهم أسلافهم . وإنه يقصد بكتابته خير المجتمع الإنساني ، ويقول إن الغرض من الحضارة استكناه العقل الإنساني ، واستنباط الملكات للعمل على أساس من العلم والمعرفة . ويتكلم عن السلطة الزمنية الملكية أو الإمبراطورية العالمية ، ويسوق الأدلة على ضرورتها لحياة البشر . ويقول إن الجنس البشري يصبح أقرب إلى الله إذا زاد اتحاده وترابطه .

ويذكر دانتي الحرية التي يتكلم عنها كثير من الناس بالسنتهم ، ولكن لا يفهمها إلا القليل . ولا تقوم الحرية عنده على المصلحة الذاتية أو الشهوات . وإلا أصبح الناس في مستوى الوحوش الضارية . والحرية عنده أساس لتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة . وعنده أن الديمقراطية والأوليغاركية والديكتاتورية تحول الناس إلى عبيد لجماعة أو طبقة أو فرد . ويرى أن ليس الشعب للحاكم ، بل الحاكم للشعب ، وليس الشعب للقوانين ، بل القوانين للشعب . والملوك والحكام هم خدام الشعب ، وقد تأثر في ذلك برأى توماس الأكويني .

ويقول دانتي إنه يصلح للحكم من يستنبط من الآخرين أحسن ما فيهم ،

والكى يمكنه أن يفعل ذلك ينبغي أن تتوفر فيه صفات الخير التى يتطلبها من الغير . ويقول إنه لا بد من العمل بدلاً من الكلام ، وإنه تلزم حياة المجتمع الوحدة والنظام والعدالة وحب الخير والحرية والسلام . وعنده أنه لا يحقق ذلك سوى ملك أو إمبراطور عالمى واحد . يحقق الانسجام والتناسق العام ، ويمنع طغيان الأمراء المحليين ، الذين تتفاوت بيناتهم وتقاليدهم . ثم يأسى دانتى على ما يحتاج الإنسانية من العواصف والزوايع ، لتعدد الحكام فى العالم ، وجشعهم ، وشهوة التملك عندهم . وفى الكتاب الثانى من « الملكية » يتكلم دانتى عن الإمبراطورية الرومانية ، التى كانت عنده إمبراطورية إلهية ، قامت على الحق ، الذى هو إرادة الله . والرومان عنده أنبل شعوب الأرض ، وقد نشأت إمبراطوريتهم بمعجزة سماوية . وقضى الرومان بفتوحهم على التنافس والصراع بين الجماعات والشعوب ، وحققوا الحرية والسلام . ويقول إن الطبيعة تحقق أهدافها عن طريق أقوام عديدين ، ومنهم من يمتاز بملكة الحكم ، ومن يولد لكى يُحكم ، وكلهم يؤدون دورهم الطبيعى فى المجتمع الإنسانى . ويذكر أن النصر يتم للمنتصر بحكم الله وقضائه ، وعنده أن المتبارزين ينبغي ألا يتبارزوا بدافع من الكراهية أو الحب ، بل للتعاون على تحقيق العدالة . وكذلك الحال عنده فى الحروب . ويندد دانتى بالبوابات الذين تدخلوا فى أعمال الأباطرة وأضعفوا الإمبراطورية .

وفى الكتاب الثالث من « الملكية » يعترف دانتى بأنه مُقدم على ما قد يُغضب بعض الناس ، ولكنه لا يضحى بالحقيقة فى سبيل الأصدقاء ، ويستمد الشجاعة من أرسطو والكتاب المقدس ، لأن من يدافع عن الحقيقة تحرسه قوة الله . ويتكلم عن الشمس (رمز البابا) والقمر (رمز الإمبراطور) . ويقول إن للقمر دورته المستقلة عن الشمس ، وإذا استمد منها ضوءاً فهذا يجعله يؤدى دورته بطريقة أفضل . وأوضح خطأ الفكرة القائلة بأن الإمبراطور يستمد سلطته من البابا ، لأن الإمبراطورية وجدت وازدهرت قبل ظهور البابوية ، وعلى ذلك فالكنيسة ليست مصدر سلطة الإمبراطور . ويقول إن الإنسان هو الكائن الذى يتميز بجسم مادى قابل للفساد مع روح باقية ، وإن غرضه المزدوج هو

السعادة في الأرض ، والسعادة في الحياة الآخرة . ولذلك يلزم الإنسان دليلان : البابا الذي يقوده إلى السعادة في الآخرة بالدين والإيمان ، والإمبراطور الذي يقوده إلى السعادة في الدنيا بالفلسفة والحكمة والقانون والحرية . وللبابا ميدان السلطة الروحية وللإمبراطور مجال السلطة الزمنية . وعنده أن كلاً من البابا والإمبراطور يستمد سلطته من الله مباشرة . ولا يجوز عند دانتى أن يتدخل البابا في الشؤون الزمنية ، ولا أن يتدخل الإمبراطور في الشؤون الدينية . وليس معنى هذا أن تنقطع الصلة بينهما ، بل على الإمبراطور أن يخضع للبابا كأبٍ روحى ، يستمد منه الضياء والرحمة ، التى تعينه على أداء واجبه الزمنى .

أراد دانتى بالفصل بين السلطتين المحافظة عليهما ، لأن خروج إحدى السلطتين عن مجالها يهدد مصلحة المجتمع . والوصل بينهما قائمٌ فى استعانة الإمبراطور بسلطان البابا الروحى . وهدف دانتى بذلك إلى حماية إحدى السلطتين من طغيان الأخرى ، مع إيجاد التفاهم والتوافق بينهما . وهنا نجد أصالة الفكر السياسى عند دانتى ، وخروجه على الفلسفة السياسية فى العصور الوسطى .

هذه صورة عن بعض مؤلفات دانتى الصغرى ، بألوانها المختلفة من عاطفة وفكر وعلم وفلسفة وسياسة . وتعدّ كلها كإعداد وتمهيد ومقدمة لأثره الرائع « الكوميديا » .

« ٥ »

لم يكن دانتى بطبيعة الحال أول من تناول فى « الكوميديا » عالم ما بعد الحياة . ولقد تناولت ثقافة البشر هذه الناحية منذ أقدم العصور ، فى أقطار شاسعة امتدت من سيبيريا إلى الصين والهند وبابل ومصر وسوريا وفارس واليونان وروما وإسكندناوة وأيرلندا والأندلس . نجد مثلاً المصريين القدماء قد عرفوا فى ديانتهم الجحيم المظلمة بما تحتويه من ألوان العذاب ، وتصوّروا الفردوس بما فيه من أنواع

التعيم والسعادة الأبدية ، وعندهم أوزيريس يزن أعمال الناس ، ويدفع بهم إلى الجزاء العادل . وفي ديانة البابليين تهبط عشتروت إلى الجحيم ، حيث عذاب الزمهرير والجوع والعطش والبرص ، لتبعث تاموز إلى الحياة . وعند اليهود أرض الظلام ، التي تقع تحت الأرض ، وتتلقى الأخيار والأشرار على السواء . وفي ديانة الفرس جحيمٌ ومطهرٌ وفردوسٌ ، والإنسان ميدان معركة بين أهورا مازدا إله الخير وأهريمان ملك الظلمات والعالم السفلي . وفي ديانة الهند يهبط يودهشتيرا إلى الجحيم حيث راتحة الإثم والجثث والديدان والهوام والطيور والكواسر وأمواج اللهب ، ويصعد البطل أرجنا إلى السماء مأوى المؤمنين ، حيث الأزهار الجميلة والحوريات تحت الأشجار الخضراء ، والأنغام السماوية ، ويصل البطل محاطاً بالملائكة وصفوة البراهمة إلى حضرة رب الأرباب . ويذكر هوميروس في الإلياذة عالم الموتى والأبالسة وأنهار الجحيم ، وأبواب السماء ونعيم الفردوس . ويتكلم في الأوديسية عن زيارة أوليسيس للعالم السفلي وحديثه مع أشباح الموتى . وفي بعض محاورات أفلاطون مثل فيدون وفيدروس والجمهورية ، كلامٌ عن مصير الأشرار الذين يلقون العذاب في مهاوى الجحيم ، وعن مصير الصالحين الذين ينعمون بمباهج الفردوس . وتحتوى ثقافة الإتروسكيين على عالم ما بعد الحياة ، وما يشمله من الشياطين والرعب والفرع . وبعض رسوم مقابرهم تعدّ كمقدمات لجحيم دانتي . ويذكر فرجيليو في الإنيادة هبوط إينياس إلى العالم السفلي ، ويصف ما شهده في مدينة ديس من وحوش خرافية وشياطين وأنهار ويران وعواصف ، ويسرد أنواع الآثمين كمرتكبي خطايا الجسد والبخلاء والذين حاربوا أولياء نعمتهم والزنانين ، ثم ينتقل إلى أرضٍ خضراء سعيدة ، فيها رقص وغناء وذات أضواء ، وهى موئل مَنْ جُرِّحوا في سبيل أوطانهم ، ومكان الرهبان والصادقين ومَنْ بذلوا خدماتهم للآخرين . ويشير لوكانوس في « فارصاليا » واستاتزيوس في « أنشودة طيبة » وأوفيدوس في « التحولات » إلى عالم الموتى .

وكذلك نجد تراث المسيحية في العصر القديم وفي العصور الوسطى مليئاً بأفكارٍ وصورٍ متنوعة عن العالم الآخر ، ومفعماً برؤى القديسين وقصص

المغامرين عن ذلك العالم . فنجد في « الكتاب المقدس » إشارات متعددة متفرقة عن العالم الآخر . ونجد الرؤيا في آخر « العهد الجديد » ، التي ترجع إلى أواخر القرن الأول الميلادي ، وتُنسب إلى القديس يوحنا الإنجيلي ، نجدها تشتمل على عذاب الآثمين وسط حشد من الوحوش والحیوانات الخرافية . ونجد رؤيا القديس بولس التي وُضعت في القرن الرابع ثم نمت حتى القرن الثالث عشر ، قد وصفت عذاب الآثمين في الجحيم بين النيران والأفاعى والزمهيرير ، وسجلت مسير السعداء الذاهبين مع الملائكة إلى نعيم الفردوس . وللايرلنديين رحلاتٌ خيالية إلى العالم المجهول ، مثل رؤيا (أو مطهر) القديس پاتريك في القرن الخامس ، التي زار فيها الجحيم وشهد الأفاعى والوحوش والنيران ونهر المعدن السائل بالغلين ، ورأى الشياطين على شاطئه تطعن الآثمين بخطاطيفهم ، ورأى بركة الكبريت ، والمعذبين المصلوبين على الأرض ، وعذاب الزمهيرير ، والقبور التي تندلع منها ألسنة اللهب . ومن ذلك أيضاً رحلة القديس براندان في القرن السادس الذي وصل في سفينة مع بعض الرهبان إلى منطقة الملعونين ، حيث شهد يهوذا فوق صخرة وسط المحيط . ونجد رحلة الجندي الراهب توندال في القرن الثاني عشر ، الذي زار العالم الآخر ، ورأى عذاب النار والثلج ، وشهد الشياطين بخطاطيفهم ونهر الكبريت ، ورأى لوتشيفيرو - إبليس - مقيداً بالأغلال ، كما شاهد الأبرار في الفردوس ينشدون الترانيم العلوية ، والملائكة يخلقون في السماء . وقد تُرجمت هذه الرحلات إلى أكثر من لغة أوروبية في القرن الثاني عشر .

وفضلا عن ذلك فقد وُجد في إيطاليا في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ، جماعةٌ من كتاب الرؤيا (المشاهدة) وصفوا الحياة في عالم ما بعد الحياة ، مثل الراهب يواكيمو دا فلورا الذي رأى نهر الكبريت المحترق يعلوه جسرٌ يؤدي إلى حديقة الفردوس . وتكلم الراهب ألبريجو عن عذاب الجليد والأفاعى وبحيرة الدم الآتية والنيران ، والشيطان المقيد بالأغلال في مركز الجحيم ، والجسر الذي يؤدي إلى السماء . وكذلك تناول القديس توماس الأكويني

الجحيم والمطهر والسماء ، ووفقاً في ذلك بين المسيحية وفلسفة أرسطو . ووضع بونفوزين دا ريفان من ميلانو « كتاب الكتب الثلاثة » ، الأسود للجحيم والأحمر لعذاب المسيح والذهبي للفردوس . وكذلك شاعت في فلورنسا أسطورة المركز أوجو دى برانديج ، الذى ضلّ السبيل في غابة مظلمة ، وشهد الآثمين ينالون العذاب ، وعُرفت أيضاً رؤيا ماتيلدا دى مجدبورج عن الجحيم والمطهر والفردوس . وتداول الفلورنسيون رؤيا ماتيلدا دى هاكتورن عن الجحيم والفردوس .

وتراث الإسلام مليءٌ بصور متنوعة عن العالم الآخر . يذكر « القرآن الكريم » والحديث وكتب التفسير ، وفقهاء الإسلام وعلماءه ، ومتصوفوه وأدباؤه ، نماذج شتى عن عالم ما بعد الحياة . ويتناول ذلك في مجموعه دركات الجحيم ، وعذاب الآثمين بالنار ، والصديد ، والأفاعى وشواظ اللهب ، والقطران الآنى وخطاطيف الشياطين ، والبرص والحرب والزمهير ، والريح العاتية ، والصراط ، والجسر ، والبرزخ ، والأعراف ، والشوق إلى الله ، والتطهر ، والتوبة ومعارج السماوات ، ووردة السعداء ، وصفاء النفس ، والنور الإلهى ، ونعيم الفردوس . ومن ذلك أيضاً القصص الإسلامى الذى تناول رحلات الأبطال المغامرين إلى العوالم المجهولة ، وما فيها من الأخطار والعجائب ، التى انتشرت بخاصة في القرن العاشر الميلادى ، في الخليج الفارسى والمحيط الهندى ، وبلغت العراق ومصر ، ومن ذلك النوع بعض قصص ألف ليلة وليلة .

ولقد انتقل هذا التراث الإسلامى عن عالم ما بعد الحياة ودنيا المغامرات والعجائب ، إلى أوروبا من عدة طرق : عن طريق الحضارة العربية في الأندلس ، الذى كان كعبة العلوم والفنون في أوروبا . وعن طريق العرب في صقلية وجنوب إيطاليا . وعن طريق الحروب الصليبية ، التى أذكت الحركة التجارية والثقافية بين الشرق والغرب . وظلت صقلية في عهد النورمان وفي عهد الجرمان ، وعلى الأخص زمن الإمبراطور فردريك ، مركزاً للعلم والمعرفة . ودرس بعض الرهبان المسيحيين اللغة والثقافة العربية : وعرف العالم

الأوروبي آراء المسلمين في عالم ما بعد الحياة منذ القرن التاسع الميلادي .
انتشرت هذه المعرفة في إسبانيا وفرنسا وإيطاليا وإنجلترا ، ودُرست أقوال
المسلمين في هذا الصدد ، وعلى الأخص آراء ابن رشد وابن سينا . وترجم
القرآن الكريم لأول مرة ترجمةً ملخصةً إلى اللغة اللاتينية في النصف الأول
من القرن الثاني عشر . وعُرفت صور من الإسراء والمعراج الإسلامي بلغات
مختلفة في أوروبا ، منذ القرن الثالث عشر . وظلت هذه الصور تتواتر في
كتابات العلماء ورجال الدين والأدباء في أوروبا حتى أواخر القرن الخامس
عشر . ومثال ذلك كتابات رودريجو إكزيمينيز أسقف طليطلة ، في النصف
الأول من القرن الثالث عشر . والرحلة الخيالية التي كتبها راييموندو لوليو القطلوني
في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ، عن البعث والعقاب والثواب ونعيم
الفرديوس في الإسلام . والتاريخ الإسباني العام الذي أمر بكتابته ألفونسو الحكيم
ملك قشتالة . وما كتبه ريكولفو دا پنتينو الراهب الدومينيكي الفلورنسي عن
العرب ، في مطلع القرن الرابع عشر . وقصيدة فاتزيو دلي أوبرتي بالإيطالية
عن معراج النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، بعد زمن دانتي ، بعد منتصف القرن
الرابع عشر . وكذلك ما دوّنه الأب روبرتو كاراتشولو عن ذلك بالإيطالية
في أواخر القرن الخامس عشر .

وفي أثناء القرن الحادي عشر بعض المستشرقين مسألة العلاقة بين « كوميديا »
دانتي والتراث الإسلامي . ومن الأمثلة على ذلك ميغويل آسين پلاثيوس
المستشرق الإسباني ، الذي وضع سنة ١٩١٩ كتاباً بالإسبانية عن « العلم
الإسلامي لما بعد الحياة في الكوميديا الإلهية » ثم وضع له ملخصاً بالإسبانية تُرجم
إلى الإنجليزية ، وكان هناك اتجاه لنشر ترجمة الأصل الإسباني الكامل إلى
الفرنسية ، ولكن ذلك لم يتم بعد ، لخلاف بين ورثة المؤلف والناسر پول جوتتر في
پاريس . درس هذ العلامة موضوعه نحو عشرين سنة ، ووازن بين « كوميديا »
دانتي ومؤلفات بعض متصوفي الإسلام مثل محيي الدين بن عربي ، ورسالة الغفران
للأبي العلاء المعري ، وكتابات المحدثين والمفسرين ، وبعض صور الإسراء والمعراج

النبيين . وتكلم عن أوجه الشبه بينها وبين عوالم « الجحيم والمظهر والفردوس » عند دانتي . وقال پلانيوس إنه من المحتمل أن برونيو لاتيني — أستاذ دانتي وصديقه — الذى انتقل بين قشتالة وفلورنسا ، قد حمل إلى دانتي بعض المعلومات الشفوية أو الخطية عن وصف الإسلام والمسلمين للحياة الآخرة . وقد أثارت نظريته مناقشات في الجوّ العلمى ، وأيده بعض الباحثين وعارضه آخرون .

وفي سنة ١٩٤٩ أصدر إنريكو تشيرولى ، المستشرق الإيطالى وسفير بلاده في طهران ، مؤلفاً بعنوان « كتاب المعراج ومسألة المصادر العربية — الإسبانية للكوميديا الإلهية » . ونشر تشيرولى في كتابه الترجمة اللاتينية والفرنسية القديمة ، لإحدى صور المعراج الإسلامى . وتلخص قصة هذه الترجمة في أن ألفونسو العاشر ملك قشتالة ، أمر بترجمة هذه الصورة من صور المعراج الإسلامى من العربية إلى القشتالية . وقام بالترجمة إبراهيم الحكيم الطبيب اليهودى سنة ١٢٦٤ . ثم طلب ألفونسو إلى بوناقتورا دا سيينا الإيطالى ترجمتها من القشتالية إلى اللاتينية والفرنسية القديمة ، في نفس السنة ، لإذاعتها فيما وراء الحدود الإسبانية ، وكان ذلك متمشياً مع سياسة الملك ألفونسو في تشجيع العلوم والفنون . وبذلك أيد تشيرولى فكرة پلانيوس في احتمال نقل برونيو لاتيني لدانتي بعض المعلومات عن الإسراء والمعراج الإسلامى .

كانت الفرصة إذاً سانحة أمام دانتي لكى يلمّ بعلم ما بعد الحياة عند المسلمين بطريق غير مباشر ، مما كان معروفاً لدى علماء الغرب ، في العصر الذى عاش فيه . ومن المحتمل أنه اطلع على الترجمة اللاتينية والفرنسية للمعراج الإسلامى المشار إليه ، ولا يبعد أنه استمع إلى بعض الرهبان الذين كانوا على علم برأى الإسلام وعلماء المسلمين عن عالم الآخرة . وأقرب الشبه بين دانتي والإسلام قائم في بعض الصور القرآنية ، وبعض آراء المفسرين ، وبعض أفكار المتصوفين الإشراقيين كابن عربى ، عن بعض صور « الجحيم والمظهر والفردوس » . والصلة ضعيفة بين دانتي وأبى العلاء المعرى في « رسالة الغفران » لاختلاف الطريقة والمضمون العام في كل منهما .

هذه فكرة عاجلة عن عالم ما بعد الحياة قبل دانتي في الشرق والغرب . ولا ريب أن دانتي الرجل المثقف قد اطلع على كثير من هذه العناصر المتنوعة . ولكن هذا لا يُنقص من أصالته شيئاً . وإذا كان في « الكوميديا » أوجه شبه بما سبق دانتي من الأفكار عن عالم ما بعد الحياة ، منذ أقدم العصور حتى زمنه ، فإنها تختلف وتتميز بيناتها وتفصيلاتها ومضمونها وهدفها . وصحيح أن دانتي قد استخدم المادة التي وصل إليها ، في عالم الآخرة ، كما في سائر فروع العلم والمعرفة ، واقتبس من هنا وهناك ، وتأثر بهذه الناحية وتلك ، إلا أنه أضاف ، وحوّر ، وغير ، ولوّن ، ونظّم ، وخلق ، وفاض بفنه الرائع في بناء « الكوميديا » .

« ٦ »

يقال إن دانتي بدأ بكتابة بعض أناشيد « الجحيم » في فلورنسا باللغة اللاتينية ، ثم أعاد كتابتها بلهجة فلورنسا ، وهو في حياة المنفى . ويقال إنه انتهى من كتابة « الجحيم » سنة ١٣١٤ . ويظهر أنه أنهى « المطهر » في حدود سنة ١٣١٦ . وكتب « الفردوس » في رافنا . وأطلق دانتي لفظ « الكوميديا » على قصيدته الخالدة ، وهو لفظ مأخوذ عن اليونانية القديمة ، بمعنى أغنية تعنى بلغة العامة ، وتجري على اللسان دون تكلف وتصنع . وكذلك قصد بهذا اللفظ أنها تبدأ في غابة موحشة مظلمة وتنتهي إلى السعادة الإلهية . سماها الدارسون والناشرون فيما بعد « الكوميديا الإلهية » ومن هؤلاء بوكاتشو في كتابه عن « حياة دانتي » ، وناشر « الكوميديا الإلهية » في البندقية سنة ١٥٥٥ . والمقصود بذلك ما تناوله دانتي فيها ، مما هو فوق متناول البشر . ويقول دانتي في كتاب إهدائه « الفردوس » إلى كانْ جراندى دلا سكالّا إن لقصيدته ثلاثة معان : المعنى اللفظي وموضوعه حالة الروح بعد الموت ، والمعنى الرمزي وموضوعه الإنسان بما يناله من جزاء على ما فعل ، والمعنى الصوفي وموضوعه الخروج بالناس من البؤس في الحياة الدنيا ، وقيادتهم إلى طريق الخلاص والسعادة في الحياة الآخرة .

« الكوميديا » نوع فريد من الشعر ، وليس لها نظير فيما سبق وفيما تلا من القصائد الطويلة ، من ناحية بنائها العام ، ومضمونها الشامل المتنوع ، وهدفها في الدنيا والآخرة . ويمكن أن تسمى « الدانتياذة » على غرار تسمية « إلياذة » هوميروس و« إنيادة » فرجيليو . ويتنظمها العدد ثلاثة ، رمز الثالوث المقدس . وهي تنقسم ثلاثة أناشيد . « الجحيم والمطهر والفردوس » . و« الجحيم » مقسمة إلى مدخل وتسع حلقات ، و« المطهر » مقسم إلى تسعة أفاريز والفردوس الأرضي ، و« الفردوس » مقسم إلى تسع سماوات وسماء السماوات . ويتكون كل نشيد من ثلاث وثلاثين أنشودة ، يضاف إليها مدخل « الجحيم » ، فتصبح كلها مائة أنشودة ، أى مربع رقم عشرة ، وهو العدد الكامل ، ورمز الوحدة واللانهاية في العصور الوسطى . وأبياتها ثلاثيات ، وكان دانتى أول من ابتدع طريقته ، وأناشيدها متقاربة الطول ، وأقسامها الثلاثة متساوية الطول على وجه التقريب . وتبلغ « الجحيم » ٤٧١٠ أبيات ، و« المطهر » ٤٧٥٥ و« الفردوس » ٤٧٥٨ ، ومجموعها ١٤٢٣٣ بيتاً . « والكوميديا » رحلة خيالية إلى العالم الآخر ، استغرقت في نظر أغلب النقاد سبعة أيام ، وبدأت في مساء الخميس ليلة الجمعة ٧ - ٨ أبريل سنة ١٣٠٠ وانتهت يوم الخميس ١٤ أبريل . واستغرقت زيارة دانتى « للجحيم » حوالى ثمان وأربعين ساعة ، وزيارة « المطهر » أربعة أيام ، واستغرقت زيارة « الفردوس » نهائياً واحداً ، وكان الزمن الباقى للعبور بين « الجحيم والمطهر والفردوس » .

وإذا نحن وقفنا قليلاً أمام أقسام « الجحيم » ، موضوع هذه الترجمة ، وجدنا أولاً الأنشودات الثلاث الأولى تشمل المقدمة والمدخل . ثم تأتي حلقات « الجحيم » التسع . والحلقة الأولى هي اللهب ، الذى يعدّ كقائمة للجحيم الحقيقية ، ويشغل الأنشودة الرابعة . وتبدأ الجحيم الحقيقية من الحلقة الثانية ، وتنقسم قسمين : الجحيم العليا والجحيم الدنيا أو مدينة ديس . وتتكون الجحيم العليا من أربع حلقات ، من الثانية إلى الخامسة ، وتشمل الأنشودات من الخامسة إلى الثامنة ، وهى موضع عذاب من ارتكبوا الخطيئة ، لأنهم لم يتمالكوا

أنفسهم أمام الظروف والمؤثرات ، وخطاياهم أخفّ من غيرهم . وتتكون الجحيم الدنيا من أربع حلقات ، من السادسة إلى التاسعة ، وتشمل الأنشودات من التاسعة إلى الرابعة والثلاثين ، وهى مكان عذاب مَنْ ارتكبوا خطايا أكبر لانطباع نفوسهم على الشر والفساد .

تمثل « الجحيم » الشباب الحرّ الطليق المتكبر التائر ، وتصورّ الفطرة والمغزائر الإنسانية لإشباع ميولها ، وهى الخطيئة والعذاب والمأساة والحياة الدنيا . ويمثل « المطهر » التجربة والنضج والفكر ، والتوبة والتطهر والأمل . ويصورّ « الفردوس » الكهولة والطهارة والصفاء والحرية والخلاص والنور الإلهى . و« الكوميديا » كلها مرآة الحياة وقصيدة الإنسانية الكبرى . وهى فنٌ رفيع يهدف إلى تغيير الإنسان وإصلاح المجتمع . وقصدَ دانتى أن يجعل منها بداية لعصر جديد ، وكأنه أراد بذلك أن يضع كتاباً مقدساً جديداً يهدى البشر إلى سواء السبيل . وبدا فيها دانتى كأنه أورفيو جديدٌ لعالم جديد .

ولكن كيف السبيل إلى تغيير النفس البشرية ؟ وما الوسيلة إلى إصلاح المجتمع ؟ وجد دانتى أن تغيير العقائد والقوانين والنظم والطبقات والحكومات والمظاهر لا تؤدى إلى إصلاح حقيقى ، وأدرك أن العظات الدينية وتعاليم الفلسفة لا تكفى أغلب الناس لسلوك الطريق القويم ، بل ينبغى تغيير روح الإنسان فى باطنه . ووجد أن الإنسان أذنٌ وعين وذوق ، وخوف ورغبة ، وحب وكراهية ، ويأسٌ ، وأمل . وينبغى إذاً تصوير الحياة ، وإيضاح خفايا النفس ، ونشر العلم والمعرفة . وأراد دانتى بهذا أن يكون مصلحاً ومعلماً للبشر . وقد حمل معه كرسى الأستاذية فى كل مكان : فى البيت والجامعة والقصر والكنيسة والحديقة والطريق . وهو نفسه كان يطلب العلم والمعرفة على الدوام . ولكى يتم نشر المعرفة بين الناس وتغيير نفوسهم ، كان لابد من أن يلجأ إلى أداته السحرية : الفن . ويجمع الفن الحياة كلها ، ويضمّ المعارف والوقائع والأحلام والأمانى والمثل ، وينفذ عن طريق الإبداع إلى النفوس ، ويأسرها بالجمال والقوة والإحساس ، ويربى ، ويهذب ، ويعلم ، ويصقل . وهكذا آمن دانتى برسالته العليا .

وعلى ذلك فإن « الكوميديا » إحدى المحاولات الهائلة ، التي قام بها شاعر لإصلاح الإنسانية . وهي معجزة من الشعر أراد واضعها أن يقوم بمعجزة روحية لإصلاح البشر .

« الكوميديا » كاتدرائية ضخمة وعمارة شاهقة ، متناسقة البناء مترابطة الأجزاء ، يعتمد فيها السابق واللاحق بعضه على بعض . وجعل دانتى فيها الإنسان والدنيا والآخرة والعالم والله فى بؤرة واحدة . ووضع فى إطارها العام كل المعارف والحزبائيات الدقيقة المادية والمعنوية . واستمد دانتى ذلك من ثقافته الواسعة ، من الميتولوجيا ، وحضارة القدماء ، وتراث المسيحية ، ومن أوروبا وأفريقيا وآسيا ، ومن الشرق والغرب ، ومن ظروف الحياة التي عاشها ، ومن إحساسه المرهف الذى لم يكذب يحسه إنسان .

ألقى دانتى فى « الكوميديا » فوارق الزمان والمكان ، ومزج بين الأسطورة والتاريخ ، وبين الواقع والخيال . وقدّم بريشة الفنان صوراً مأخوذة من الحياة الواقعة . ومن ذلك ما نجده فى « الجحيم » موضوع هذه الترجمة مثل : صُغريات الزهور التي تنحني بصقيع الليل ثم تقف على سيقانها عندما تكملها أشعة الشمس ، وتساقط أوراق الشجر فى الخريف ، ونظرات الحكماء الهادئة وكلامهم النادر الرقيق ، والعاصفة الجهنمية التي لا تهدأ أبداً ، والحمام الذى يطير بأجنحة ثابتة إلى العرش الحبيب ، والعاشقين اللذين يذوبان وجداً وهياماً ، والكلب الجائع الذى يلتم الطعام ولا يجد إلا فى افتراسه ، والوحش الذى يهبط كما تسقط الأشربة بقوة الريح ، وسريعى الغضب اللذين يتضاربون بالأيدى والصدور والأقدام وقد غمرهم طين المستنقع ، والقارب الذى ينطلق فوق سطح الماء بسرعة فائقة ، والصفادع التي تختفي من الأفقى وتغطس إلى قاع المستنقع ، وشهب النار التي تسقط على الرمل سقوط الثلج فى جو دون رياح ، والحائث العجوز الذى يحمق فى سم الحيايط ، وبسنة السفن الذين يعكفون على عملهم فى مصنع سفن البندقية ، والطهاة وهم يطهون اللحم فى القدور ، والزارع الذى يستريح على سفح التل ويرقب الحياحب فى أسفل الوادى ، والراعى الذى

يتولاه اليأس لسقوط البرد ، والفقر الذي يهرول في تمسح الجياد وسيده في
انتظاره ، والأم التي تهرب أمام النيران وتأخذ وليدها بين ذراعيها وهي شبه
عارية ، والعظاية التي تنتقل من عوسج لآخر زمن الصيف ، والسائر فوق
الصخور الوعرة ، ومرضى الاستسقاء والملاريا والبرص والحرب ، والراقصين
والمصارعين والمبارزين .

ورسم دانتى في « الكوميديا » السهل والجبل ، والصحراء والغابة ، والجندول
والنهر والبحر ، ومطلع الشمس وغروبها ، والنجوم ، والحيوان ، والنبات . ولم
يقل جزءاً من الجسم البشري من الخارج والداخل ، إلا رسمه أو أشار إليه .
وصور البكاء والعيول وضربات الأكف والتهد ، والبسات والضحكات
والترنم بالأغاني . ورسم طبائع البشر : شهوة الجسد ، والجشع والشه ، والأمومة
والأبوة ، والكذب ، والسرقعة ، والبخل ، والإسراف ، والحقد ، والأناية ،
والغضب ، والنفاق ، والغدر ، والحب ، والصفح ، والتوبة ، والتطهر ،
والصفاء ، والأمل ، وخلص النفس ، والسلام .

وفي « الكوميديا » موتى وأحياء ، وفقراء وأغنياء ، وأشرار وأطهار ،
وبابوات وملوك وأباطرة ، وأطفال ونساء ، وداعرون وقديسون ، وشعراء وعلماء ،
وفلاسفة وموسيقيون ، وأبالسة وملائكة . وبها شخصيات حية ، تحس ، وتعبّر ،
وتأسى ، وتبكي ، وتنظهر ، وتبهج وتسعد . وفيها الصبر والجلد ، والخوف والتردد ،
واليأس ، وقوة النفس التي تظفر في كل معركة . وفيها الحكمة البالغة ، والمثل
السائر ، والعظة والعبرة ، والثورة ، والرقعة والدعابة ، والعنف ، والسخرية والتهكم ،
والإيمان والأمل .

ويتكوّن كل بيت في « الكوميديا » من أحد عشر مقطعاً ، وقوافيها في
الغالب هي أب أ ، ب ج ب ، ج د ج . . . وتسير أبياتها الثلاثية كوححدات
وموجات مترابطة متتابعة الواحدة في إثر الأخرى . ولا زخرف ولا صناعة في
شعره ، ولغته دقيقة محددة ، وكلماته مختارة ، وأسلوبه موجز مركز ، وتصبح
لغته أحياناً لغة إشارات . وكثيراً ما تبعث كلماته القليلة أمواجاً طويلة من الفكر
دانتى

والتأمل . ويصنع أحياناً تمثالا ضعفاً في ألفاظ موجزة . وليس مثل دانتي من يحس الحقيقة ، ويعبر عنها بأمانة وسهولة ، حتى ليبدو أحياناً حينها يكتب كأنه يتكلم . ويمتاز أسلوبه بملاءمة كل المواقف . وعنده الأسلوب العالى الرفيع ، والكلام العالى البسيط الذى يجرى على ألسنة الناس . وهو يكتب أقوى الشعر وأفخمه ، كما يكتب أجمل الشعر وأرقه . وتصبح لغته أحياناً كقنقاب من البلّور ، أو كئيران متأججة ، أو كموسيقى عذبة ترفع الإنسان إلىسمى الوجود . ونجد عنده ألحاناً رقيقة كحركة الطير ، وأخرى عنيفة كغضب الوحش الثائر ، وغيرها حزينة كالدمع المنهمر ، وأخرى سعيدة كأنغام القيثارة . ونجد أبياتاً بطيئة ، وأخرى سريعة ، وغيرها قوية قاسية ، وأخرى راقصة كالأهازيج . وتبدو كلها متسقة متألّفة كألحان السيمفونيا ، وتنساب روح دانتي بين الأفكار والمعاني والصور ، وتتسلل فى ثنايا الكلمات والمقاطع والحروف الساكنة والمتحركة ، التى تشبه الألحان الجريجورية تارةً ، وألحان بالسترينا أو باخ أو هيندل تارةً أخرى ، وتشبه أحياناً موسيقى بيتهوفن أو فاجنر .

ويجعل دانتي شعره فياضاً بالحياة : بالمفاجأة ، والاقتراب التدريجى من الهدف ، وبالضوء ، واللون ، والصوت ، والحركة ، والحوار . واستخدم الاستعارة والتشبيه والرمز بفنٍ عظيم . ولم يتخذ رموزه من المعانى المجردة ، بل من الأحياء الذين يشعرون ويتكلمون ويتحركون ، ومن الحيوان والنبات ومظاهر الطبيعة ، التى تخلق الجوّ المناسب وتحدد الهدف المقصود . ودانتي نحّات ، وحدّاد ، ومصوّر ، ورسام ، ومهندس ، وموسيقى ، فى وقت واحد . واستخدم لهجة فلورنسا العامية ، وأحياناً اللاتينية القديمة والوسيلة ، ولهجات إيطالية أخرى ، ولهجات فرنسية ، وخلق لنفسه لغةً عظيمة . ومع أنه من أعظم شعراء الأرض ، فإنه كثيراً ما يعترف بالعجز ، ويصمت ، ويستنجد بألهة الشعر . وقد قام دانتي بعمل يساوى خلق لغة جديدة ، عندما جعل لهجة فلورنسا العامية لغةً غنية ، نبيلة ، ناضجة ، قوية ، رقيقة ، سخية ، قادرة على التعبير عن كل شيء . وبذلك أصبحت لغة الحديد ، والنار ، والعاصفة ، والذهب ،

والصخر ، والشمس ، والزهر ، والطير ، والموسيقى .

صحيح أن « الكوميديا » ثمرة العصور الوسطى وعنوانها ، من حيث هيكلها العام ، وتقسيمها ، وقواعدها الخلقية ، ومعنى العقاب والثواب ، ومن حيث تأثرها بفلسفة المدرسين ، وتمشيها مع جغرافية بطليموس ، وتصويرها لكثير من أحوال المجتمع المعاصر . ومع هذا فهي بداية للعصر الحديث . وذلك لأن دانتى خرج فيها على كثير من تقاليد العصور الوسطى ، وضرب معاول في قيودها وأوضاعها ، وحطم خلالها أبا الهول ، وتغلغل في صميم الحياة الواقعة . ومن أمثلة ذلك أنه وضع البابا في « الجحيم » مع أنه مقدس عند المسيحيين ومكانه في « الفردوس » ، لأنه هدّد مصالِح فلورنسا ولم يرع روح المسيحية . ووضع مانفريد في « المطهر » لأنه أبدى الشهامة والنخوة ، وكان جديراً بسلوكه وإباحيته أن يوضع في « الجحيم » . وجعل سيجر دى براينت ، المتهم بالهرطقة ، في « الفردوس » لأنه مات في سبيل الدفاع عن الرأي . وأراد دانتى أن يقيم إمبراطورية عالمية يحكمها إمبراطور واحد . وقصد أن يحقق السعادة في الحياة الدنيا بالحكمة والعدالة والحرية والسلام ، وفي الآخرة بالتطهر والصفاء والإيمان . ورسم الطبيعة والإنسان . وخلق نماذج بشرية حية تصور شتى العواطف الإنسانية . وخلق في « الجحيم » مواقف العطف والرحمة وفي « الفردوس » مواضع التهكم والسخرية . حطم دانتى خلال « الكوميديا » الأرض قطعاً صغيرة ، وشيد منها عالمه الضخم ، ولكنه عالم قديم جديد ، كشف فيه أسرار النفس ، واختلطت السماء بالأرض ، وامتزج الأحياء بالأموات ، واقترب الإنسان من الله ، وانسابت أصوات الدنيا الصاخبة ، في أعطاف « الفردوس » الهادئ الصافي .

أراد دانتى بهذا كله أن يخلق عالماً جديداً تسوده الوحدة والصفاء والسلام . وكان ذلك حلماً رائعاً وأملاً عريضاً ، سعى دانتى إلى تحقيقه في السياسة والفن والحياة . وقد راود ذلك غيره من رجال العلم والفلسفة والسياسة والفن ، السابقين واللاحقين ، ولا يزال يراود الإنسانية حتى اليوم . ولكن هل سيفطن البشر

إلى مواطن العجز والقصور ، ويعترفون بالخطأ ، وهل يمكنهم أن يبلغوا مثل هذا العالم المثالي ، أو ما يقرب منه . بوسائل دانتى أو غيرها ؟ أم أن هذا شيء سيظل ، ربما لصالح البشر . أملاً لا يترجى !

« ٧ »

ليست ترجمة « الكوميديا » هي الكوميديا ذاتها . ولا يمكن أن تؤدي الترجمات ما أراد دانتى التعبير عنه تماماً . وقد أعرب دانتى نفسه عن عدم اعتداده بترجمة الشعر . التي تضييع موسيقاه ونغمه . ومع ذلك فقد عكف كثير من الدارسين على نقل « الكوميديا » إلى لغاتهم . ليشترك أكبر عدد ممكن من الناس في تذوق المعنى والهدف الذي قصد إليه دانتى . فقد كان هو نفسه حريصاً على نشر المعرفة والفن والتذوق بين الناس . حينما كتب « الكوميديا » بلهجة فلورنسا . حتى يقرأها من لا يعرفون اللاتينية . وهم الأكثرية . ومن أهداف ترجمة « الكوميديا » على العموم ، توجيه بعض الناس إلى تعلم اللغة الإيطالية ، لقراءة « الكوميديا » في نصّها . وبذلك تناح الفرصة لتذوقها وفهمها على حقيقتها ، والتمتع بما فيها من جمال رائع وفن عظيم .

ولقد اعتمدت في ترجمة « الجحيم » على عدة طبعات إيطالية . لأن دانتى لم يترك من « الكوميديا » نسخة واحدة بخط يده ، وترجع أقدم نسخة خطية إلى نحو أربع عشرة أو خمس عشرة سنة بعد وفاته (١٣٣٥ أو ١٣٣٦) . ولذلك فقد اعتمدت على ثلاث طبعات إيطالية رئيسة : طبعة الجمعية الدانتية الإيطالية — وجعلت لها المقام الأول . وطبعة أكسفورد ، وطبعة ماريو كازيلا . كما رجعت إلى طبعات إيطالية أخرى ، نشرها بعض المختصين في الدراسات الدانتية . وكذلك رجعت إلى بعض الترجمات الإنجليزية (والأمريكية) والفرنسية شعراً ونثراً ، للاستئناس بطريقتها في التغلب على صعوبات الترجمة . كما اطلعت على الترجمتين العربيتين السابقتين « للكوميديا » و« الجحيم » . وقد

مرّ على في هذه الترجمة بأكثر من دور . حاولت أولاً أن أكون قريباً من النص الإيطالي، ثم حاولت القيام ببعض التصرف، ثم رجعت إلى الاقتراب من النص الإيطالي، ولم أنصرف إلا في أضيق الحدود، وأشرت إلى ذلك غالباً في الحواشي .

ويظلم دانتى من يحاول ترجمة « الكوميديا » إلى لغة أخرى بأسلوب فصيح موحد . وهناك ترجمات عظيمة في حدّ ذاتها تمتاز بالفصاحة والفخامة ، وتعدّ صياغتها في اللغة الأجنبية فوزاً كبيراً ، وقد تؤدي خدمةً جلييلة لنجاحها في تقريب دانتى إلى أهل تلك اللغة . ونرى ذلك في ترجمة فرانسيس كارى الإنجليزية الشعرية مثلاً التي اتبع فيها أسلوب ميلتون ، فوجدت آذاناً صاغية عند الإنجليز في القرن الماضي . وكذلك نلاحظ على الترجمة الإنجليزية الشعرية التي صنعها دوروثي سايرز للجحيم والمطهر قوة الصياغة وفخامة الأسلوب في كل بيت ، ولا شك أنها ترجمة عظيمة ، ولكنها تخالف أسلوب دانتى وطريقته . وأفضل ترجمات « الكوميديا » هي الترجمات التي يحاول مترجموها التجاوب والتّوَجُّع مع دانتى والانتقال معه من الشعر الفخم والقول الجزل إلى الكلام البسيط العامي الذي يجرى على ألسنة الناس في الشارع والبيت ، وذلك مثل ترجمتي سنكلير وأيرس الإنجليزيةتين الثريتين ، وترجمة تشاردي الإنجليزية الشعرية . ويحسن بترجمتي دانتى إلى إحدى اللغات الأجنبية أن يراعوا أن ما دخل على اللاتينية القديمة الصافية من الألفاظ الغريبة وما حدث من الخروج على أصلها هو الذي أوجد لاتينية العصور الوسطى ؛ وما أصاب اللاتينية القديمة ولاتينية العصور الوسطى من الخروج على القواعد والتأثر بالألفاظ الغريبة وبالألفاظ والتعبيرات العامية هو الذي ساعد على خلق اللغة الإيطالية ، حينما اكتملت لها عوامل التطور التي حولتها إلى لغة جديدة .

ولذلك حرصت قدر المستطاع على متابعة أسلوب دانتى بوصفه معبراً عما تناوله بأساليب متنوعة ، وباعتباره خارجاً على سلطان اللاتينية حتى أصبح بمثابة خالقٍ للغة جديدة ، حينما جعل لهجة فلورنسا (العامية) جديرةً بالقول العظيم . وجعلت وضع الأبيات قريباً من الأصل الإيطالي بقدر المستطاع ، وإن

كنت قد كتبت أبيات كل ثلاثية دفعة واحدة عند الطبع . واحتفظت بكتابة أسماء الأعلام كما وردت في لغاتها الأصلية في الغالب ، إلا ما أصبح مشهوراً في إيطاليا ، أو كان أخفّ نطقاً في الترجمة ، فقد كتبه بالنطق الإيطالي . ولعلّ أكون قد جعلت النص الإيطالي واضحاً مفهوماً للقارئ العربي . ولقد بذلتُ جهد المستطاع لكي أبلغ هذا المستوى ، وعلينا أن نراعى اختلاف النصوص ، وتطور اللغة ، واختلاف الشراح وغازاة ما كتبه ، ولا أزعج أن هذا هو أفضل ما يمكن في هذا الصدد ولكني لم آل جهداً فيما فعلت . وتستلزم قراءة دانتى الأناة والتريث ، والرغبة في المعرفة ، والقدرة على الاستيعاب والتذوق .

وما من أمة متحضرة إلا وبها مختصون في دراسة دانتى . ولقد بدأتُ دراسة حياة دانتى وآثاره بعد موته في القرن الرابع عشر ، في فلورنسا وأنحاء من إيطاليا . وانتقلت هذه الدراسة إلى خارج إيطاليا منذ أواخر القرن الرابع عشر . وظلت هذه الدراسة مستمرة ، تشبط تارةً وتفتّر تارةً أخرى . ومنذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، زاد اهتمام الباحثين بالدراسات الدانتية ، ولا تزال هذه العناية قائمةً حتى اليوم . وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر أنشئت الجمعيات الدانتية في كثير من دول الغرب ، مثل جمعية دانتى في درسدن سنة ١٨٦٥ ، وجمعية دانتى في أكسفورد سنة ١٨٧٦ ، وجمعية دانتى في كمبردج في الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٨٨٣ ، والجمعية الدانتية الإيطالية في فلورنسا سنة ١٨٨٨ . وعُيّنت الجامعات الغربية -إيطالية وغير إيطالية - بالدراسات الدانتية . وعكف الباحثون - وبعضهم من رجال الدين - على دراسة حياة دانتى ، وعلى تحقيق نصوص مؤلفاته الإيطالية واللاتينية ، وترجمت مؤلفاته إلى اللغات الأجنبية ، وكتبت الشروح والتعليقات ، والمؤلفات العامة والتفصيلية ، ووُضعت المعاجم والقهارس ، ونُشرت الدوريات الدانتية ، وكتبت المقالات في الدوريات المختلفة ، وطبعت القراءات الخاصة ، ووُضعت كتب المراجع ، وعيّنت دور الكتب والجامعات الأوروبية والأمريكية يجمع المؤلفات الدانتية .

ومن تتسع له الفرصة لقراءة دانتي ، يُجذب إليه ، ويُصبح تلميذاً له ، بل تلميذاً في ميدان العلم والمعرفة على وجه العموم . ولدانتي مئات الألوف من الدارسين والتلاميذ والمعجبين في أنحاء العالم المتحضر كافة ، لأنه شاعر فنان حكيم صوفي ، عبر أصدق التعبير عن كل ما يقع تحت أعين البشر وإحساسهم . ومن العلماء والأدباء الأعلام في الدراسات الدانتية : پاسكولي ، وكاردوتشي ، ودي سانكتس ، ودوفيديو ، وزنجاريلي ، ودل لونجو ، وبيتروبونو ، وپاپيني ، من الإيطاليين ؛ وشلوسر ، وياور ، وبومر ، وفيجلي ، وفوسلر ، من الألمان ؛ وبارلو ، ومور ، وتويني ، وجاردنر ، وتوتزر ، وسابرز ، من الإنجليز ؛ ولونجفلو ، ونورتون ، وأول ، وهويت ، وويلكنس ، وتشاردى ، من الأمريكيين ؛ وأوزانام ، وأوفيت ، ولونيون ، وجيه ، وماسيرون ، من الفرنسيين ؛ وپلائوس الإسباني ، وسكارتاتزيني السويسري .

ورجَّح إدوارد مور في أواخر القرن الماضي ، أن طبعات كتابات دانتي وترجماتها والمؤلفات والبحوث الدانتية ، تأتت في المرحلة الثانية بعد الكتاب المقدس في طبعاته المختلفة والبحوث المتعلقة به . وسواء أضحَ هذا الترجيح في زمنه أم لم يضح ، وسواء أضحَ بالنسبة للوقت الحالي أم لم يضح ، فإن التراث والمؤلفات الدانتية من أعمق وأضحَم ما أنتجته العقول . ومن الأمثلة على ضخامة التراث الدانتي أن نسخ « الكوميديا » المخطوطة في العالم يتراوح عددها بين ٥٠٠ و ٦٠٠ نسخة . وعندما أراد ويلارد فيسكي أن يضم بعض المؤلفات والمراجع الدانتية إلى مكتبة جامعة كورنيل بالولايات المتحدة الأمريكية — بمناسبة جمعه مكتبة خاصة عن پتراركا — توقع أنه سيجمع عن دانتي نحو ٣٠٠ أو ٤٠٠ كتاب . ولكنه عندما قضى بعض فترات باحثاً منقياً في إيطاليا وخارجها عن هذه الكتب هاله ما تجمع لديه منها ، إذ بلغ ٧٠٠٠ مجلد ، ووضع لها تيودور كوخ فهرساً طُبع في نيويورك ١٨٩٨ — ١٩٠٠ ، ويقع في مجلدين يبلغ عدد صفحاتهما أكثر من ٦٠٠ صفحة بالحجم الكبير! وأصدرت ماري فاوُلر ملحفاً بالإضافة الدانتية حتى سنة ١٩٢٠ ، وبذلك بلغت هذه

المجموعة وقتئذ ٩٧٧٥ كتاباً ! ويحتوي مثلاً كتاب پاسيريني وماتزى عن المراجع والبحوث الدانتية فى الفترة من سنة ١٨٩١ إلى سنة ١٩٠٠ على ٥٩٤ صفحة ويشمل ٤٣٩٢ رقماً أى ٤٣٩ رقماً فى السنة مع إغفال المستخرجات! وبلغ التراث الدانتى الذى صدر فى النصف الأول من القرن الحالى أكثر من ٢٢٠٠٠ رقم ! وأورد إيفولا فى كتابه عن المراجع الدانتية من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٣٠ أورد ٣٧٥٣ رقماً !

وتُرجمت مؤلفات دانتى وعلى الأخص « الكوميديا » إلى كثيرٍ من لغات العالم ، مرات عديدة فى كل لغة . تُرجمت « الكوميديا » مثلاً إلى الإنجليزية أكثر من ٧٥ ترجمة جزئية وكاملة ، منها أكثر من ٤٠ ترجمة كاملة ! وترجمت « الجحيم » وحدها إلى الإنجليزية أكثر من ٢١ ترجمة ، وتُرجم « المطهر » وحده أكثر من ٨ مرات . وترجم « الفردوس » وحده أكثر من ٥ مرات . ومن أحدث الترجمات الإنجليزية « للكوميديا » ترجمة دوروثى سايرز ، التى ترجمت « الجحيم » شعراً ، وصدرت فى طبعة پنجوين ست مرات من سنة ١٩٤٩ إلى سنة ١٩٥٥ . وأصدرت ترجمة « المطهر » شعراً فى الطبعة ذاتها سنة ١٩٥٥ . وهى تعمل الآن فى ترجمة « الفردوس » . ومنذ سنة ١٩٤٨ إلى سنة ١٩٥٥ نُشرت ترجمات « الكوميديا » أو جزء منها إلى الإنجليزية شعراً أو نثراً ، لستة من الأساتذة والشعراء القدامى والمحدثين فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وهم هويت وأيرس وبرجن وتشاردى وهوس ونورتون ، وقد عمل كلٌّ منهم مستقلاً فى ترجمته الخاصة ، ولا يزال عمل من لم يكملها منهم جارياً ! وترجمت « الكوميديا » ترجمة كاملة إلى الفرنسية أكثر من ٢٢ ترجمة ، عدا الترجمات الجزئية . وأحدث ترجمة فرنسية هى ترجمة ألكسندر ماسيرون النثرية ، التى طُبعت فى باريس ١٩٤٧-١٩٥٠ . وترجمت « الكوميديا » كاملة إلى اللغة الألمانية أكثر من ٢٢ مرة . وتُرجمت إلى الإسبانية أكثر من ٨ مرات ، ومرتين - على الأقل - إلى اليونانية الحديثة . وهناك ترجمات « للكوميديا » إلى لغات أخرى كالروسية والبولندية والسويدية والرومانية والمجرية والبرتغالية والعبرية واليابانية والفارسية . وترجمت « الكوميديا »

٤ مرات إلى اللغة اللاتينية ، وترجمت إلى أكثر من ١١ لهجة من لهجات إيطاليا المحلية .

وكان متوسط طبع « الكوميديا » في نصها الإيطالي في أثناء القرن التاسع عشر أكثر من ٤ طبعات في العام ، في أوساط الدراسات الدانتية في العالم . وفي القرن نفسه بلغ متوسط طبعات مؤلفات دانتي كاملة وجزئية والمقالات والبحوث في الدوريات المختلفة أكثر من ٢٠٠ في العام ، في إيطاليا والأراضي التي تتكلم الإيطالية .

هذه بعض أمثلة عن مدى عناية العالم المثقف بدانتي والدراسات الدانتية ، التي لا تزال ماضية إلى الأمام حتى اليوم ، بعناية فائقة وصبر عظيم .

وكذلك وجد دانتي عناية كبيرة من جانب رجال الفن . فقد تناول دانتي وبعض نواح من مؤلفاته الرسامون والمصورون والنحاتون والموسيقيون ، الذين وضعوا رسوماً كروكية ، أو صوراً ملونة وغير ملونة ، وصنعوا التماثيل ، وألفوا الألحان التي تعبر عن بعض ما جال في ذهن دانتي أو جرى به قلمه . ومن هؤلاء جوتو ، وسنيوريلي ، وبوتيتشلي ، وميكلائنجلو ، وتزاندوناي ، من الإيطاليين ؛ وديلاكروا ، ودوريه ، ورودان ، من الفرنسيين ؛ وبليك ووسماكوت وهوليدني ، وروستي ، من الإنجليز ؛ وليست المجري ؛ وفاجر الألماني ؛ وتشايكوسكي الروسي .

ومع أن حظ دانتي مع أبناء اللغة العربية قليل جداً ، إلا أن الأمر لم يخل من بعض الدارسين الراغبين في المعرفة ، الذين تناولوا بعض نواح منه ، أو ترجموا شيئاً عنه . ومن هؤلاء قسطنطين الحمصي الذي كتب تسع مقالات في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنتي ١٩٢٧ و ١٩٢٨ ، عن الموازنة بين (الألعبية) الإلهية ورسالة الغفران ، وجعل فيها دانتي سارقاً لأفكار المعري وصوره ، وقال إنه كان جديراً بدانتي أن يتخذ المعري - وليس فرجيليو - دليلاً ومرشداً في رحلته الخيالية ، وأظهر بذلك أنه لم يستطع أن يتذوق ما عند دانتي من فن عظيم! وقد تأثر في ذلك بما كتبه قلة من الكتاب الذين لم يستطيعوا أن

يتذوقوا أدب دانتى وفنه ، وعلى الأخص برتون راسكو الأمريكى ، الذى مسخ فن كثير مِمَّنْ تناوهم من «عمالقة الأدب» ! وعندما نشر كامل كيلانى رسالة الغفران للمعري فى القاهرة سنة ١٩٣٠ ، لخص فى آخر كتابه جحيم دانتى تلخيصاً وافياً ، وأشار إلى أثر المعريّ فى دانتى ، دون أن يناقش الموضوع . وكتب محمود أحمد النشوى عشر مقالات فى مجلة الرسالة فى القاهرة سنة ١٩٣٤ ، بعنوان بين المعريّ ودانتى ، لخص فيها «الجحيم والمطهر» ، وتكلم عن بعض أوجه الشبه والخلاف بين الكوميديا والغفران . وكتب درينى خشبة ست مقالات فى مجلة الرسالة فى القاهرة سنة ١٩٣٦ ، عن دانتى والكوميديا الإلهية والمعريّ ورسالة الغفران ، لخص فيها حياة دانتى . وأشار بإيجاز إلى مؤلفاته الصغرى ، وأورد ملخصاً «للجحيم والمطهر والفردوس» ، وكذلك لخص الفصل السادس من إنياذة فرجيليو ، ونفى تأثير دانتى بالمعري ، وأشار إلى أثر بعض الصور القرآنية والإسراء والمعراج الإسلامى فى كوميديا دانتى . ونشر عمر فروخ فى بيروت سنة ١٩٤٤ كتاباً عن حكيم المعرة ، أورد فى آخره فصلاً موجزاً عن دانتى والكوميديا الإلهية ، وتأثرها بالمعريّ والتراث الإسلامى .

وكتب محمد مندور فى كتاب نماذج بشرية ، فى القاهرة سنة ١٩٥١ ، مقالين عن بياتريتشى ، وعالج بقلم الأديب الفنان دورها فى «الحياة الجديدة» وكيف كانت مصدر الإلهام لدانتى ، وشرح مكانتها فى «الكوميديا» وعلى الأخص فى «المطهر» وكيف أنها كانت وسيلة لبلوغ دانتى مراتب السعادة الأبدية . وكتابة محمد مندور تدل على نُمُق الفكر ورفعة الذوق ودقة الحس . ونشرت مجلة كتابى فى القاهرة سنة ١٩٥٣ ، ثلاث مقالات قدّمت فيها موجزاً عن حياة دانتى ولخصت «الجحيم والمطهر والفردوس» . وكتب محمود محمد الحضيرى فى مجلة رسالة الإسلام فى القاهرة سنة ١٩٥٣ ، مقالا عن أثر الإسراء والمعراج الإسلامى فى كوميديا دانتى ، بناء على نظرية آسين پلاثيوس يؤيدها إنريكو تشيرولى بكشفه الحديث عن إحدى قصص المعراج الإسلامى المترجمة إلى اللاتينية والفرنسية القديمة ، والتي سبقت الإشارة إليها . ووضعت عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) كتاباً

عن الغفران للمعرى في القاهرة سنة ١٩٥٤، أنكرت في آخره تأثر دانتي بالإسلام بعامة وبالمعرى بخاصة، وقصرت تأثيره على تراث العصر القديم والعصور الوسطى، وإن كانت قد قسمت في وزنها لآراء آسبن بلاثيوس دون مبرر. وهناك صفحات طيبة عن دانتي وآثاره باعتباره أحد قادة الفكر المصلحين في كتاب هربرت فيشر عن تاريخ أوروبا، في القسم الثاني من تاريخ العصور الوسطى، الذي اشترك في ترجمته ومراجعته محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني وإبراهيم أحمد العدوي، وطُبع في القاهرة سنة ١٩٥٤. ونشر محمد العزب موسى في مجلة الرسالة الجديدة في القاهرة سنة ١٩٥٥، مقالا عن دانتي أليجييري شاعر إيطاليا، تناول فيه حياته ومؤلفاته الصغرى ولخص «البحيم». وفي كتاب آنخل جنتال پالنشيا عن تاريخ الفكر الأندلسي، الذي نقله حسين مؤنس عن الإسبانية مع الإضافة والشرح والتعليق، في القاهرة سنة ١٩٥٥، فصل «عن دانتي والإسلام»، تناول شرح نظرية آسبن بلاثيوس في تأثر دانتي في «الكوميديا» بالتراث الإسلامي الديني والصوفي والقصصي.

ولم يعتمد أغلب هؤلاء الكتاب في دراستهم على اللغة الإيطالية مباشرة، أو لم يعتمدوا عليها اعتماداً كافياً، ومع ذلك فلهم فضل كبير في محاولتهم إعطاء صورة عامة عن دانتي وآثاره.

وكذلك كتب طه فوزي - وهو من خيرة العارفين باللغة الإيطالية - الكتاب العربي الوحيد - فيما أعرف حتى مايو سنة ١٩٥٥ - عن دانتي أليجييري في القاهرة سنة ١٩٣٠. وهو كتاب موجز جيد، أعطى فيه الكاتب صورة واضحة عن حياة الشاعر، وقدم ملخصاً حسناً «للبحيم والمطهر والفردوس»، كما أشار إلى مؤلفات دانتي الصغرى، وإن كان قد اعتمد في وضعه إلى حد كبير على كتاب ا. ياني بعنوان «جولة في قارب صغير: كتاب عن الإمامة أولية بدانتي» المطبوع في ميلانو سنة ١٩٢٧.

وهناك بعض جهود في ترجمة بعض آثار دانتي إلى اللغة العربية. ومن ذلك ترجمة عبود أبي راشد «للكوميديا» نثراً بعنوان «الرحلة الدانتيّة في الممالك

الإلهية» في ثلاثة أجزاء «الجحيم والمطهر والنعيم» ، ونشرها في طرابلس المغرب ١٩٣٠ - ١٩٣٣ . ومع أن المترجم كان من العارفين باللغة والثقافة الإيطالية ، وعلى الرغم من المجهود الكبير الذى بذله فى هذه الترجمة ، فإنه لم يعبر عن لغة دانتي بأسلوب عربى ملائم . وكذلك ترجم أمين أبو شعر «الجحيم» نثراً . ونشرها فى القدس سنة ١٩٣٨ . ولغته لطيفة مقبولة ، ولكنه تصرف فى الترجمة دون ضرورة ، واعتمد إلى حد كبير على ترجمة كارى الإنجليزية .

وقد حاولت أن أسهم فى هذا الميدان ، فنشرت مقالا عن حياة دانتي وشخصيته . فى مجلة الكاتب المصرى فى القاهرة سنة ١٩٤٨ . وترجمت فصولا تتناول بعض شخصيات من جحيم دانتي مع التحليل والتعليق ، نشرت فى مجلة كلية الآداب بجامعة (القاهرة) ١٩٤٩ - ١٩٥٠ . وأخيراً قمت بهذه الترجمة «للجحيم» .

هذه جهود قليلة جداً فى هذا المجال . ومع ذلك فهى أفضل من لا شىء . ولعله يأتى يوم قريب أو بعيد ، يدرك فيه الناطقون بالضاد أهمية دراسة دانتي وآثاره . لاسيما إذ كان أسلافنا فى الجنس واللغة والدين والعلم قد أثروا ، ولو بطريق غير مباشر ، فى بعض إنتاجه العظيم . وجدير بنا أن يظهر فينا من يتبع هذه العلاقة المثمرة ، كما فعل بعض علماء الغرب . وفضلا عن ذلك فإن دانتي ثروة إنسانية هائلة ، إذ مهّد للخروج من العصور الوسطى إلى عصر النهضة والعصر الحديث ، وأفاد منه أهل الغرب - بل الشرق أيضاً كاليابان - على اختلاف لغاتهم . ودانتي - كما رأينا وكما سنرى بقراءته - ينشر العلم ، ويصقل النفس ، ويربى الذوق ، ويعلم السياسة ، ويؤيد العدالة والحرية ، ويقوى الروح المعنوية ، ويدعو إلى التضحية والوطنية . ويزرع الإيمان والصفاء والأمل ، ويخلق فى أجواز من السعادة الروحية . ويخلق فناً رائعاً لا يدانيه فيه إنسان . وجدير بنا أن نشارك فى الإفادة بهذا التراث الإنسانى العظيم ، ونسهم فى دراسته وتعميمه بين قراء اللغة العربية . وبعد ، فهذه نواح من دانتي : عن عصره ، وحياته وشخصيته ، ومؤلفاته

الصغرى ، و«الكوميديا» ، وبعض الدراسات الدانتية . ولم أقصد في هذه المقدمة أن أفصل أو أوفى كل ناحية حقه من البحث والاستقصاء ، إذ أن ذلك يقتضى زمناً طويلاً وجهداً كبيراً ، ليس في استطاعة دارس بعينه أن يؤديه بمفرده الأداء العلمى المناسب . ولكنى قصدت أن أقدم من المعلومات ما قد يساعد القارئ العربى - ويساعدنى أيضاً - على فهم «البحيم» واستيعاب ترجمتها : ولعلى أكون قد بلغتُ بذلك بعض ما راودنى من أمل .

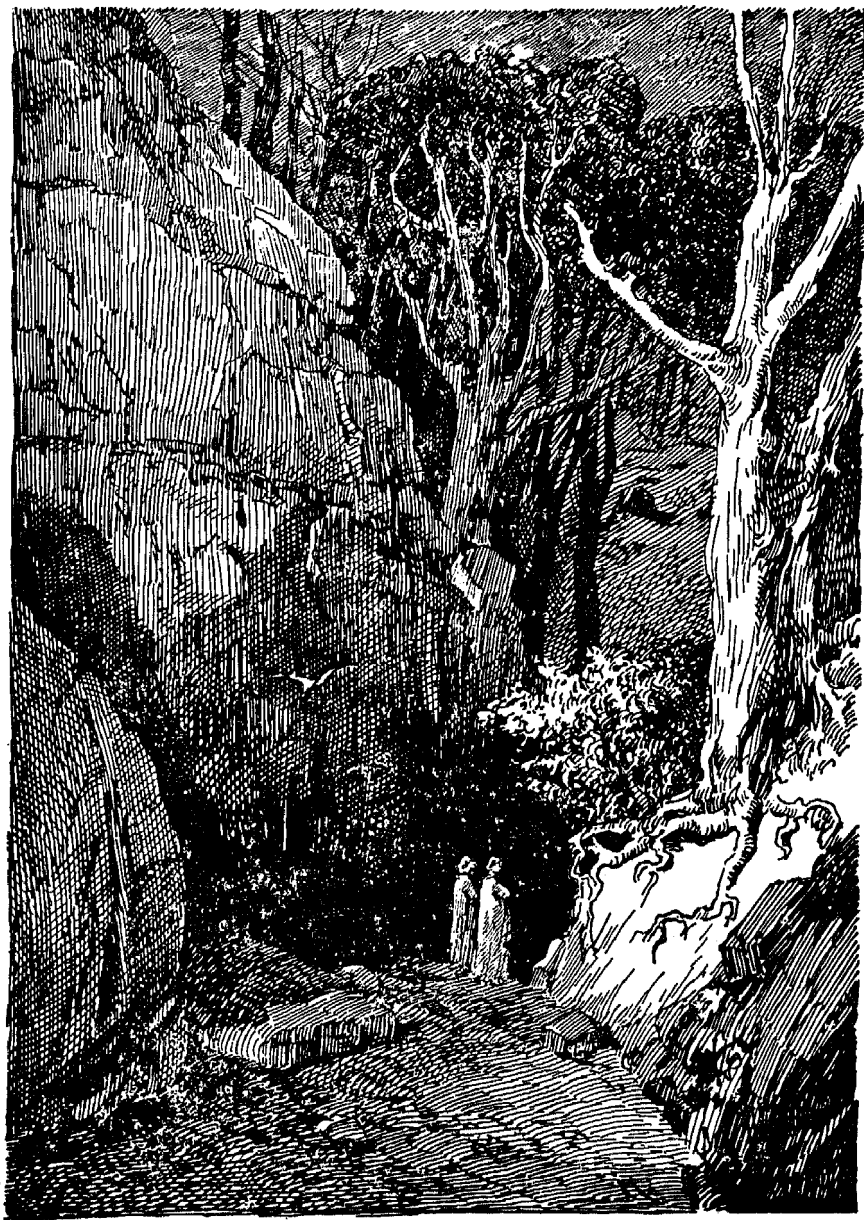
النشيد الأول

الحجيم

الأنشودة الأولى (١)

أفاق دانتى فى منتصف طريق حياته فوجد نفسه فى غابة مظلمة ضالاً
سواء السبيل ، حيث قضى ليلة فى عذاب شديد . ومع ذلك اعترم أن يقصّ
علينا ما لقيه فيها من خير وشر . تقدم دانتى فرأى جبلاً أضاءت الشمس قمته ،
فاتجه نحوه محاولاً أن يرتقيه . ولكن اعترض طريقه ثلاثة وحوش ، رمز الخطايا
التي تحيد بالبشر عن الطريق القويم ، فتولاه رعب شديد ، وأوشك أن يرخع
القهقري . وفى لحظة يأسه ظهر أمامه شبح بدا من طول صمته أبح الصوت ،
وكان ذلك شبح فرجيليو شاعر اللاتين . علا وجه دانتى الحياء ، عندما أدرك
أنه أمام ذلك الروح العظيم . عطف فرجيليو على دانتى وأزال مخاوفه ، وأوضح
له أن من المتعذر عليه سلوك الطريق الذى أرادته لارتقاء ذلك الجبل ، ما دامت
هذه الوحوش واقفة له بالمرصاد ، ولم تظهر بعدُ القوة التي سوف تقضى عليها ،
وتنقذ إيطاليا المهيضة . وأشار إلى أنه لا بد من اتباع طريق آخر ، حتى يرى فى
الجحيم نفوس الآثمين يلقون صنوف العذاب ، ويدرك أصل الشقاء فى الدنيا ،
ويشهد فى المطهر عذاب النفوس الثابتة التي تأمل بلوغ الفردوس بعد تطهرها ،
وقال إنه بعد اجتياز الجحيم والجانب الأكبر من المطهر سيركه فى رعاية من
هو أجدر منه بالصعود إلى مدارج الفردوس . وتقدّم فرجيليو إلى الأمام
وسار دانتى من ورائه .

- ١ في منتصف طريق حياتنا^(٢) ، وجدتُ نفسي في غابة مظلمة ، إذْ ضللتُ سواءَ السبيل^(٣) .
- ٤ آه ، ما أصعب وصف هذه الغابة الموحشة الكثيفة القاسية ، التي تُجدد ذكراها لي الخوف^(٤) !
- ٧ إنها شديدة المرارة حتى لا يكاد الموت يزيد عنها ، ولكن لكي أتناول ما وجدتُ هناك من خير^(٥) ، سأتكلم عن أشياء أخرى رأيتها فيها^(٦) .
- ١٠ لا أحسن أن أقول كيف دخلتها ، فقد كنتُ مُثقلًا بالنوم في اللحظة التي حدثتُ فيها عن طريق الصواب^(٧) .
- ١٣ ولكن بعد أن بلغتُ أسفل تل^(٨) ينهى عنده ذلك الوادي ، الذي مزق مرآه قلبي من الخوف ،
- ١٦ نظرتُ إلى أعلى ، ورأيتُ منكبيه وقد كسبها أشعة الكوكب الذي يهدى الناس في كل طريق^(٩) ،
- ١٩ عندئذ هدأ قليلاً الخوف الذي بقي في بحيرة قلبي^(١٠) طوال الليلة التي قضيتها في أسى شديد .
- ٢٢ وكسمنُ خرج لاهث الأنفاس من البحر إلى الشاطئ ، فيلتفتُ إلى المياه الرَّهيبية ، ويتأمل^(١١) ،
- ٢٥ هكذا التفتتُ روعي إلى الوراء وكانت لا تزال لائذةً بالفرار^(١٢) ، لكي تُحملك في الطريق الذي لم يدعْ أبداً إنساناً حياً^(١٣) .
- ٢٨ وبعد أن أرحتُ قليلاً جسدي المكثود ، عدتُ إلى المسير في المرتقى القفر^(١٤) ، وكانت قدمي المرتكرة هي السفلى دواماً^(١٥) .
- ٣١ وانظر ، عند وشك بداية المرتقى فهدة^(١٦) خفيفةٌ سريعة الحركة ، كانت مغطاةً بجلد أرقط .
- ٣٤ لم تتعد من أمام وجهي بل عاقت طريقى طويلاً ، حتى اتجهتُ مراتٍ عديدةً لكي أرجع القهقري .
- ٣٧ كان الوقت أول الصباح ، وقد صعدت الشمس إلى أعلى مع تلك النجوم^(١٧) ، التي صاحبتهما حينما حرك الحب الإلهي^(١٨) ،



٣ - دانق في الغابة المظلمة

أنشودة ١ : ٣٦

- ٤٠ لأول مرة^(١٩) ، تلك الأشياء الجميلة^(٢٠) ؛ وهكذا كانت ساعة النهار
والفصل الحبيب سبباً في أن أوئل خيراً ،
- ٤٣ في ذلك الوحش ذى اللون الزاهى^(٢١) ؛ ولكن ليس إلى حدّ
يغلب عنده ما نالني من الخوف ، حينما رأيت أسداً بدا لي^(٢٢) .
- ٤٦ وظهر هذا أنه قادم نحوي ، برأسٍ مرفوعٍ وجوعٍ غاضبٍ ،
حتى بدا الهواء يرتعد منه .
- ٤٩ وذئبةٌ بدتْ في ضمورها مليئةٌ بكل الشهوات ، وقد جعلتْ كثيرين
يعيشون في شقاء^(٢٣) ،
- ٥٢ ألفتُ على عبثاً كثيراً ، بالرعب الذي شعّ من عينيها ، ففقدتُ
الأملَ في بلوغ القمة .
- ٥٥ وكنتُ يحرص على الكسب^(٢٤) ، ويحين الوقت الذي يُصيبه بالخسران ،
فتصبح كل أفكاره بكاءً وحرناً^(٢٥) ،
- ٥٨ هكذا جعلني الوحش عدوّ السلام^(٢٦) ، الذي دفعني - وهو يتقدم
نحوي - إلى الوراء قليلاً قليلاً ، حيث تصمتُ الشمس^(٢٧) .
- ٦١ وبينما كنت أهبطُ مندفعاً إلى الموضع الخفيض ، ظهر أمام عينيّ ،
منّ^(٢٨) بدا لطول صمته أبحّ الصوت^(٢٩) .
- ٦٤ ولما رأيته في الفراغ الكبير صمحتُ به^(٣٠) : « كن رحيماً بي ،
كائناتاً منّ كنت ، شبحاً أو إنساناً حياً ! »
- ٦٧ فأجابني : « لست إنساناً ، وكنتُ من قبل إنساناً ، وكان أبواي
من لمبارديا^(٣١) ، وكانت مانتوا وطنهما معاً
- ٧٠ وُلدتُ في عهد يوليوس^(٣٢) ولو أن هذا كان متأخراً^(٣٣) ، وعشتُ في
روما أيام أغسطس الطيب^(٣٤) ، في عهد الآلهة المزيفين الكاذبين^(٣٥) .
- ٧٣ كنتُ شاعراً^(٣٦) ، وتغنيتُ باسم ذلك العادل ابن أنكيسيس^(٣٧) ، الذي
جاء من طروادة ، بعد أن التهمت النيران إليوم الشاحنة^(٣٨) .

- ٧٦ ولكن لم تعود إلى مثل هذا الضيق^(٣٩)؟. ولماذا لا ترتقي الجبل السعيد ،
الذى هو لكل سعادة مبدأً ومنبع ؟
- ٧٩ أحبته يجبين علاه الحياء^(٤٠) : « إذا أفأنت حقاً فرجيليو ، ذلك
النبع الذى يفيض بالكلام نهراً كبيراً ؟
- ٨٢ يا من أنت لسائر الشعراء فخرٌ ونبراس ، عسى أن ينفعنى الآن الدرسُ
الطويل والحب الشديد الذى جعلنى أبحث فى كتابك^(٤١) .
- ٨٥ أنت أستاذى وممرّ جعى^(٤٢) ، وأنت وحدك من قبستُ عنه الأسلوب
الجميل ، الذى أضفى على المجد^(٤٣) .
- ٨٨ انظر إلى الوحش^(٤٤) . الذى أرجعنى القهقرى . أعنى عليه أيها الحكيم
الذائع الصيت^(٤٥) ، لأنه يبعث الرعدة فى عروقى وفى نبضات القلب^(٤٦) .
- ٩١ أجبني إذ رآنى أجهش باكياً^(٤٧) : « إذا أردت النجاة من هذا المكان
الموحش ، فأجدى عليك أن تسلك طريقاً غيره^(٤٨) ؛
- ٩٤ لأن هذا الوحش الذى يُبكيك ، لا يدع إنساناً يمرّ فى طريقه ،
بل يُعوقه كثيراً ، إلى أن يقتله ؛
- ٩٧ وله طبيعة شريرة جدٌ ملتوية : حتى إن شهوته الجاححة لا تشبع أبداً ،
ويُصبح بعد الطعام أجوع من ذى قبل^(٤٩) .
- ١٠٠ والحيوانات التى يلقحها كثيرة^(٥٠) ، وسيزيد عددها بعد ، حتى
يأتى السلوق^(٥١) الذى سيقتله وهو فى غمرة الألم .
- ١٠٣ إنه لن يتغذى بالأرض ولا الذهب ، ولكن بالحكمة والحب والفضيلة ،
وسيكون شعبه بين الفلترو والفلترو^(٥٢) ،
- ١٠٦ وسيكون منقذ إيطاليا المهضمة ، التى مات فى سبيلها يجراحهم كميلاً
العدراء^(٥٣) ، وأويريالوس^(٥٤) وتورنوس^(٥٥) ونيزوس^(٥٦) .
- ١٠٩ وسيطارده فى كلّ المدائن ، حتى يضعه من جديد فى الجحيم ، الذى
أطلقه الحقد منها قديماً^(٥٧) .

- ١١٢ لذا أعتقد وأرى الخبير لك في أن تتبغى ، وسأكون دليلك ، وسأُخرجك من هنا خلال عالمٍ أبدى^(٥٨) ،
- ١١٥ حيث ستمتع الصرخات اليائسة ، وترى النفوس القديمة المعذبة^(٥٩) ، تصرخ كلٌّ منها طالبة الموتة الثانية^(٦٠) ؛
- ١١٨ ثم ترى أولئك الذين يرضون بين اللهب ، لأنهم يأملون أن يأتوا يوماً إلى زمرة السعداء^(٦١) .
- ١٢١ فإذا أردت بعدئذ الصعود^(٦٢) ، فستجد نفساً أخرى أجدر منى بذلك : وسأدعك في رعايتها عند رحيلي^(٦٣) ،
- ١٢٤ لأن الحاكم المطلق^(٦٤) الذى يحكم هناك فى العلياء ، لا يريد أن يأتى أحدٌ عن طريقى إلى مدينته^(٦٥) ، إذ كنتُ خارجاً على شريعته^(٦٦) .
- ١٢٧ إنه يحكم فى كل مكان^(٦٧) ، وسيطر هناك^(٦٨) ؛ هناك عالمه وعرشه الرفيع ، ما أسعد من اختاره إليه ! «
- ١٣٠ قلتُ له : « أيها الشاعر ، إنى أستحلفك باسم ذلك الإله الذى لم تعرفه^(٦٩) . ولكى تُجنّبنى هذا الشر^(٧٠) وما هو أسوأ^(٧١) -
- ١٣٣ أستحلفك أن تقودنى إلى المكان الذى حدثنى عنه الآن ، حتى أرى باب بطرس القديس^(٧٢) ، وأولئك الذين تجعلهم يدوقون سوء العذاب^(٧٣) .»
- ١٣٦ عندئذٍ تحرك هو ، وبقيتُ من ورائه^(٧٤) .

(١) الأنشودة الأولى مقلدة للكوميديا ، وتوضح خطتها العامة وهدفها الأساسي ، وتشبه المقدمات الموسيقية التي تمهد للحن الموسيقي كله .
(٢) يقصد سن الخامسة والثلاثين . وعبر دانتى عن ذلك في كتابه « الوليمة » :

Conv. IV. 23.

ولما كان دانتى مولوداً في ١٢٦٥ فيكون قد بلغ هذا العمر في ١٣٠٠ . يرى بعض النقاد أن دانتى بدأ رحلته الخيالية مساء الخميس ليلة الجمعة ٧-٨ أبريل ١٣٠٠ واستغرقت الرحلة سبعة أيام .
(٣) أى أن دانتى ضل طريق الإيمان والفضيلة في الغابة المظلمة ، رمز الحياة الآثمة .
(٤) يحاول دانتى بهذه الأوصاف أن يعطى صورة حقيقية للغابة ، وترمز إلى صعوبات الحياة وخطايا البشر .

(٥) يقصد فرجيليو الذى سيلقيه عما قليل .

(٦) أى الوحوش الثلاثة التي ستمرض سبيله .

(٧) أى أن ارتكاب الخطيئة أثقل أجفانه فضل السبيل القويم . وفي الكتاب المقدس النوم رمز الخطيئة :

Isaia, XXIX. 10; Gerem. LI. 39; Rom. XIII. 11.

(٨) التل أو الجبل رمز الحياة الفاضلة ، في مقابل الغابة رمز الحياة الآثمة . ويذكر الكتاب المقدس جبل الرب :

Gen. XXII. 14; Sal. XVI; Gerem. XXXI. 23.

وورد هذا المعنى في التراث الإسلامى :

القرآن : سورة البلد : ١١ - ١٦ .

ابن الليث السمرقندى : قرة العيون ومفرج القلب المحزون (مطبوع على حاشية مختصر تذكرة القرطبي للشعراني) القاهرة ١٣٠٨ ص ٧٥ .

(٩) أى الشمس ، كما يقول بطليموس . والمقصود أمل الآثم في أن يزال غفران الله .

(١٠) يقول النص بحيرة القلب ، والمقصود صميم القلب أو الفؤاد .

(١١) أى يتأمل الخطر الذى نجا منه وقد أوشك أن يقضى عليه .

(١٢) كان دانتى من فرط الرعب لا يزال يشعر أن نفسه تحاول الهرب .

(١٢) أى الغابة .

(١٤) هناك طريق يعيل إلى الارتفاع بين الغابة والتل ، وهو رمز للطريق بين حياة الخطيئة (الغابة) وحياة الفضيلة (التل) . وهذا طريق مقفر ، لأن أفراداً قلائل يحاولون الخروج من الخطيئة إلى الفضيلة . ويشير الكتاب المقدس إلى هذا الطريق :

Matt. VII. 14; Rom. III. 12.

(١٥) بدأ دانتى السير في هذا الطريق القفر المرتفع قليلاً بقدمه اليسرى أى العليا ، وبذلك تكون القدم المثبتة التي يرتكز عليها هي القدم اليمنى أى السفلى ، وهي التي يعتمد عليها في تحريك القدم اليسرى .

(١٦) الفهدة رمز ملذات الجسد .

وتوجد صورة الفهدة تنسب لأندريا دي بونايوتو والذي يلقب بهذا فيرتزه (سنوات نشاطه ١٣٤٣ - ١٣٧٧) ، وهي في الكامبوسانتوني بيزا .

(١٧) يقال إن الشمس كانت في برج الحمل عند بدء الخليقة . والمقصود ليلة ٧ - ٨ أبريل .

(١٨) أى الله ذاته .

(١٩) أى عند ما بعث الحب الإلهى أولى نبضات الحياة فى الكواكب والنجوم ، عن طريق

الملائكة .

(٢٠) تسمى الكواكب والنجوم بالأشياء أو الكائنات الجميلة لأنها من أعجب ما فى الوجود .

(٢١) يؤثر منظر الطبيعة زمن الربيع فى نفس دانتي ، فيبدد محاوفا ويبحث فى نفسه الرجاء .

(٢٢) الأسد رمز الكبرياء .

ويوجد نحت مصنوع من البرونز للأسد ويرجع إلى ١٢٨١ وهو فى القصر العام فى بيرودجا .

(٢٣) الذئبة رمز الجشع . وترمز الوحوش الثلاثة إلى الخطايا التى تبعد الإنسان عن الحياة

الفاضلة ، وكانت الحيوانات المفترسة تربي فى المصور الوسطى فى قصور النبلاء وأمام دور الحكومة وتوجد صورة مشابهة للمعنى الذى قصد إليه دانتي فى « الكتاب المقدس » :

Gerem. V. 6.

ووردت صور الوحوش ، مع اختلاف الوضع ، فى التراث العربى الإسلامى مثل :

المعرى ، أبو العلاء : رسالة الغفران : تحقيق وشرح عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) القاهرة ١٩٥٠ ص : ٢١٤ ، ٢١٦ .

وجاء فى بعض صور المعراج الإسلامى ، عقبات فى صور أصوات تعترض رحلة النبي محمد

إلى السماء ، وكانت مترجمة إلى اللاتينية والفرنسية القديمة فى عهد دانتي ، كما ورد فى كتاب تشيرونى :
Cerulli, E.: Il Libro della Scala e la Questione delle Fonte Arabo-Spagnole della Divina
Commedia. Roma, 1949. pp. 44-47.

ويوجد نحت من البرونز للذئبة ويرجع إلى القرن ١٤ وهو فى القصر العام فى سيينا .

(٢٤) يوازن دانتي بين من يحرص على الكسب فيخسر كل شيء ويناله الأسمى والحزن ، وبين

نفسه عند ما كان يأمل الوصول إلى قمة التل ، ففقد هذا الأمل بظهور الوحوش الثلاثة .

(٢٥) أى أنه يبكى دون دمع ، وهذا منتهى الألم .

(٢٦) يفسر ماسيرون تعبير (sanza pace) بمدو السلام ويرى غيره أنه يعنى من لا يعرف

السلام أو العدم السكون ..

(٢٧) أى فى الغابة التى يسودها الظلام .

(٢٨) هذا هو مارو فيرجيلوس فرجيليوس (٧٠ - ١٩ ق . م . Maro Publius Virgilius)

ولد على مقربة من ماتقوا ، وعاش فى كرمونا وميلانو وروما . ودرس الخطابة والفلسفة والأدب .

وأصبح من المقربين إلى أغسطس قيصر . ودفن على مقربة من نابلى . وهومن أعظم شعراء اللاتين ،

ويمثل العصر الذهبى . ومن مؤلفاته الإنيادة (Aeneid) وأناشيد الريف (Georgics) . درس

دانتي آثار فرجيليو واستمد من صوره وخياله وقته ، ومن فكرته عن زيارة الجحيم . اتخذ

دانتي من فرجيليو دليلا له فى الجحيم وأكثر المظهر ، وكان له بمثابة القائد والدليل والمعلم والحكيم

والأب العطوف ، فساعده على اختراق الصماب وأنقذه من الخطر ، وشجعه وعلمه ، وجعل دانتي

من فرجيليو صورة من نفسه تتجاوب أفكارهما فى هذه الرحلة الخيالية .

وفكرة دانتى عن فرجيليو كدليل له تشبه عند فرجيليو الكاهنة الجوز التي أرشدت إينياس عند هبوطه إلى الجحيم :

Virgilius : *Aeneid*, VI.

ويشبه هذا بعض ما ورد في تراث المسيحية في العصور الوسطى مثل رؤيا القديس بولس :
Miguel Asin Palacios : *Islam and the Divine Comedy*. Eng. Trans. by H. Sunderland.
London, 1926. p. 183.

وهناك شبه أيضاً هذه الناحية في التراث الإسلامى مثل ما جاء في المراج المشار إليه ، حيث كان جبريل يقود النبي محمد ، وتقرب طريقة الشرح والحديث المتبادل في المراج النبوى من صحة دانتى وفرجيليو :

Cerulli (op. cit.) p. 158, 166, 174, 181, 192.

(٢٩) أصبح فرجيليو منسياً في العصور الوسطى ، ولذلك بدا أنه لا يكاد يسمع له صوت .

(٣٠) ما إن رأى دانتى شبحاً أمامه حتى صاح به مستغنياً .

(٣١) لم يذكر فرجيليو اسمه ، بل ترك هذا لدانتى واكتفى بذكر وطنه . وهذه طريقة لإثارة

رغبة القارئ في المعرفة ، وإشراكه في التفكير والإحساس بالقصيدة . ويلاحظ أن هناك خطأ تاريخياً ، لأن اسم لمبارديا لم يكن معروفاً في زمن فرجيليو ، وعرفت لمبارديا باسمها بعد ذلك بخمسة قرون ، عند غزو اللانجوبارد لشمال إيطاليا .

(٣٢) يوليوس قيصر (١٠٠ - ٤٤ ق . م . Julius Caesar) من أعظم قواد الرومان

وأصبح قنصلاً ، وجعله فتح بلاد الغال معبود الشعب الرومانى ، وخرج عليه بوهي وانتهت الحرب بينهما بانتصار يوليوس قيصر في موقعة فارصاليا ووصل قيصر إلى مصر ، وأصبح دكتاتوراً في روما فتأمر عليه أنصار الجمهورية وقتلوه .

ويوجد تمثال نصفي ليوليوس قيصر من العصر الرومانى وهو في المتحف الوطني في ناپلى .

(٣٣) ولد فرجيليو في ٧٠ ق . م . وتولى سلطان قيصر متأخراً .

(٣٤) أغسطس قيصر (٦٣ ق . م . - ١٤ م . Augustus Caesar) أصبح أحد أعضاء

حكومة روما الثلاثية بعد مقتل يوليوس قيصر . وهزم ماركوس أنطونيوس وكليوپاترا ملكة مصر في موقعة أكتيوم . ويعتبر عصر الإمبراطور أغسطس العصر الذهبى لروما . وهو معاصر لفرجيليو ، ونقل قبره من برنديزى إلى قرب ناپلى .

ويوجد تمثال لأغسطس من العصر الرومانى وهو في متحف القاتيكان .

وتوجد صورتان قديمتان ليوليوس قيصر وأغسطس قيصر وترجعان إلى القرن ١٤ في كتاب جوستو دى مينابويوى ، في متحف كورسيني في روما .

(٣٥) أى في عهد الوثنية الرومانية القديمة .

ويوجد رسم لروما من عمل تاديو بارتولو (حوالى ١٣٦٢ - حوالى ١٤٢٢) وهو في القصر العام في سينا . كما يوجد لها رسم آخر من صنع تلاميذ جيرلاندايو في القرن ١٥ وهو في مكتبة الإسكوريال في إسبانيا .

- (٢٦) أهم صفة في فرجيليو هي شاعريته .
ويوجد تماثيل قديم لفرجيليو يرجع إلى حوالي ١٢٢٥ وهو قائم أمام قصر بروليتو في مانتوا .
- (٢٧) هو إينياس (Aeneas) بن أنكيزيس (Anchises) ملك الدردانيين وأحد أبطال حرب طروادة . وقدم إلى إيطاليا بعد خراب طروادة . ويمده دانتي - والأساطير القديمة - مؤسس الإمبراطورية الرومانية . وكتب فرجيليو الإنيادة عنه .
- وقد صنع برنيني (١٥٩٨ - ١٦٨٠) تماثلاً يرمز لإينياس وأنكيزيس وهو في متحف بورجيزي في روما .
- (٢٨) إليوم (Ilium) قلعة طروادة في آسيا الصغرى ، التي هدمها الإغريق بعد حصار دام ١٠ سنوات في القرن ١٢ ق . م .
- (٢٩) أي الغابة المظلمة .
- (٤٠) تولى دانتي الحجل عند مواجهة هذا الشاعر العظيم فجأة .
- (٤١) يقصد الإنيادة (Æneid) وهي أهم آثار فرجيليو . وتتكون من أكثر من ١٠,٠٠٠ بيت من الشعر ، وتروى أسطورة إينياس ، وتقص مخاطرته ووصوله إلى قرطاجنة وقصته مع ديدو الملكة ، وهبوطه إلى عالم الجحيم ، وإقامته مستعمرة في لاتيوم بإيطاليا ، التي تعد أصل الدولة الرومانية . ويمتاز أسلوب فرجيليو بالنقاء والسلامة ودقة التعبير ، وصوره حية غنية تمثل الأساطير والقصص والحياة والطبيعة وما بعد الحياة ، واستمد منه دانتي مادة دسمة .
- (٤٢) أي المؤلف الذي كان له عليه أعظم الأثر .
- (٤٣) هذا اعتراف دانتي بالجميل .
- (٤٤) أي الذئبة .
- (٤٥) الحكيم من ألقاب الشعراء لما كسبوه من التجربة والعلم .
- (٤٦) هكذا بلغ الخوف والفرح بدانتي .
- (٤٧) لم يستطع دانتي المرهف الحس سوى البكاء من فرط الخوف .
- (٤٨) أي يتبع طريق الجحيم والظهور لكي يبلغ السعادة العلوية .
- (٤٩) لا يشبع الوحش المفترس أبداً، ولا يزيد على الطعام إلا جوعاً . وفي «الكتاب المقدس»
Eccles. V. 10.
ما يشبه هذا المعنى :
- (٥٠) أي أن الوحوش المفترسة سيزيد عددها وتنتشر صفة الجشع بين الناس .
- (٥١) يذكر دانتي لفظ (Veltro) ومعناه كلب الصيد السلوقي . ويختلف النقاد في تحديد المقصود بهذا اللفظ . يرى بعض أن دانتي قصد به كان جراندي دلا سكاللا (Can Grande della Scala) أمير فيرونا، الذي لجأ إليه دانتي بعض الوقت . ويرى بعض أنه الإمبراطور هنري السابع الذي قدم إلى إيطاليا في ١٣١٢ ليحقق السلام ، ويقول آخرون إن المقصود به أحد البابوات المصلحين أو الروح القدس . وهذا يعني أية قوة يمكنها أن تعيد السلام إلى إيطاليا المهيمسة .
- (٥٢) يختلف النقاد في تفسير لفظ (Feltro) . يرى بعض أن المقصود به جبل فالترو في منطقة البندقية ، أو مونتفالترو في إقليم رومانيا بإيطاليا . ويعتقد بعض أنه يعنى القماش الخشن رداء الزاهدين الصالحين .
- (٥٣) العذراء كيلا (Cammilla) ابنة ملك الفولشين بإيطاليا ، التي ماتت وهي تقاثل الطروديين كما ذكر فرجيليو في الإنيادة :

(٥٤) أويريالوس (Euryalus) طروادى مات وهو يقاتل الشعب الثولشى :

Virg. Æn. IX. 179 ...

(٥٥) تورنوس (Turnus) ملك الروتوليين فى إيطاليا ، قتله إينياس

Virg. Æn. XII. 919 ...

(٥٦) نيزوس (Nisus) بطل طروادى مات وهو يقاتل الشعب الثولشى وكان مع أويريالوس فى رحلة إينياس إلى إيطاليا :

Virg. Æn. IX. 179 ...

(٥٧) أى أن الشيطان بمت الحسد من الجحيم إلى الدنيا لإغراء الناس وإفسادهم .

(٥٨) أى سيقوده خلال الجحيم الذى سيلقى فيه الآثمون العذاب الأبدى .

(٥٩) أى نفوس الآثمين قبل دانتى الذين يلقون العذاب فى الجحيم منذ بدء الخلق .

(٦٠) الموت الأول عنده هو موت الجسد فى الأرض . والموت الثانى هو موت الروح الذى

تطلبه النفوس المعذبة ، لكن تخلص من آلامها الهائلة فى الجحيم .

(٦١) أى نفوس المعذبين فى المطهر ، الذين يعذبون مؤقتاً وسيستقلون بهم تطهرهم إلى الفردوس .

(٦٢) أى الصعود إلى الفردوس .

(٦٣) يقصد بياتريشى .

(٦٤) فى الأصل لفظ إمبراطور ، أى الله .

(٦٥) المدينة هنا تعنى الفردوس . يشبه هذا ما جاء فى « الكتاب المقدس » :

Ebrei, XI. 10, 16; Apocal. XXII. 14.

(٦٦) مات ثرجيليو وثنياً ولذلك فهو خارج على المسيحية .

(٦٧) أى فى العالم كله .

(٦٨) أى فى الفردوس . جاء هذا المعنى فى « الكتاب المقدس » :

Isaia, LXVI. 1; Reg. VIII. 27.

(٦٩) لا يقبل دانتى اقتراح ثرجيليو فحسب ، بل يستحلفه بالله أن ينفذه فوراً .

(٧٠) أى الخطيئة فى الدنيا .

(٧١) أى عذاب الجحيم .

(٧٢) أى باب المطهر :

(٧٣) يقصد المعذبين فى الجحيم .

(٧٤) هذا تعبير عن مكانة ثرجيليو عند دانتى واحترامه إياه .

وقد ألفت جادجى (من القرن ١٩) لحناً موسيقياً عن هذه الأنشودة :

Gaggi, Adauto (Sec. XIX.) : II 1° canto dell' Inferno musica su parole.

الأنشودة الثانية (١)

أخذ الليل يرخى سدوله ، وسكنت كائنات الأرض واستراحت من عنائها ،
بينما ظل دانتى يستعد وحده لملاقاة أعباء رحلته التى تكتنفها الصعاب ، وساوره
الشك فى مقدرته على احتمال مشقات الطريق ، وطلب إلى فرجيليو أن يتأكد
من قدرته على احتمال أهوال الرحلة ، وذكر رحلة إينياس والقدّيس بولس إلى
العالم الآخر من قبل ، وقارنهما بشخصه فخائته قواه ، وآثر العدول عن هذه
الرحلة الشاقة . ولكن فرجيليو أخذ يزيل مخاوفه ، وعمل على إعادة الثقة إلى
نفسه ، وقصّ عليه كيف أن بياتريتشى عندما علمت بما أحاط به من
الصعاب هبطت إليه من السماء وسألته أن يسارع إلى نجدة دانتى . وكان
فرجيليو مستعداً لتلبية أمرها ولكنه سألها كيف تركت السماء إلى هذه الهاوية ،
فأخبرته بما كان من وقوف العذراء ماريا على ما أصاب دانتى من المخاطر ،
فنادت لوتشيا ، وخرجت بذلك على قوانين السماء وأعلمتها بالأمر ، فانتقلت
لوتشيا إلى مكان بياتريتشى ، وسألها أن تعمل على إنقاذ دانتى الذى أخلص لها
الجب . وبينما كانت بياتريتشى تقصّ على فرجيليو هذا الخبر ، اغرورقت
عينها بالدمع ، فما كان من فرجيليو إلا أن سارع إلى نجدة دانتى . وما زال
فرجيليو بدانتى حتى بدّد مخاوفه ، وعادت إليه شجاعته وثقته بنفسه ، فتجددت
رغبته فى القيام بهذه الرحلة الخطرة ، ومضى دانتى فى صحبة دليله وأستاذه تحدوهما
رغبة واحدة .

- ١ كان النهار آخذاً في الزوال ، وأراح الهواء القائم^(٢) كائنات الأرض من متاعها^(٣) ، وكنت وحدي
- ٤ أستعدّ لاحتمال حرب تُثيرها الرحلة^(٤) ويبعثها الأسي ، وهذا ما سيرويه عقلي الذي لا يُخطيء^(٥) .
- ٧ يا ربّات الشعر ، يا أيتها العبقريّة العليا ، الآن ساعدني ! وأنت أيتها الذاكرة التي سجلت ما رأيت ، هنا سيظهر نُبلك !
- ١٠ بدأتُ : « أيها الشاعر الذي تقودني : اختربر طاقتي ، أهي قويّة ، قبل أن تعهد بي إلى الخطوة العالية^(٦) !
- ١٣ تقول إن أبا سيلفيوس^(٧) ، ذهب يجسّمه إلى العالم الخالد ، وهو ما يزال بعدُ إنساناً فانياً .
- ١٦ ولكن إذا كان عدو كلِّ شرٍّ^(٨) رقيقاً معه ، وهو يفكر في طبيعة العمل العظيم الذي كان ينبغي أن يصدر عنه ، ونوعه ،
- ١٩ فلا يبدو أنّ هذا غريباً على إنسان يفهم ؛ لأنه اختير في السماء العليا ، لكي يكون أباً لروما المحيطة وإمبراطوريتها :
- ٢٢ وهذه^(٩) وتلك^(١٠) ، ليُقال الحقّ ، قد خصّصنا للمكان المقدّس^(١١) ، حيث يجلس خليفة بطرس الأعظم .
- ٢٥ وخلال هذه الرحلة ، التي من أجلها أكسبتهُ المجد ، أدركَ أموراً كانت سبباً في إحرازه النصر^(١٢) وفي الرّداء البابوي .
- ٢٨ ثمّ ذهب هناك^(١٣) الإناء المختار^(١٤) ، ليحمل إلينا الثقة في ذلك الإيمان ، الذي هو بداءةٌ نحو طريق الخلاص .
- ٣١ ولكن لِمَ أذهبُ هناك ؟ ومن ذا الذي يمنحني هذا ؟ إني لست إينياس ولا بولس . لا أنا ولا غيري يعتقد أني بهذا جدير^(١٥) .
- ٣٤ ولذا إذا استسلمتُ لك في المسير ، أخشى أن يكون ذهابي جنوناً : إنك حكيم ، وتفهمني خيراً مما أتكلّم^(١٦) .
- ٣٧ وكالذي يرغب عما كان يرغب فيه ، وبأفكار جديدةٍ يغيّر قصده ، حتى يصدف تماماً عما كان فيه بادئاً^(١٧) ،

- ٤٠ كذلك أصبحتُ على الشاطئِ المظلم ، لأني عدلتُ - وأنا. أفكر -
عن المخاطرة التي كانت سريعةً في بداعتها .
- ٤٣ أجبني شبح ذلك العظيم : « إذا كنتُ قد أحسنتُ فهمَ كلامك ،
فإن نفسك يشينها الحورُ ،
- ٤٦ الذي يُسيطر على الإنسان كثيراً ، حتى يصرفه عن جلائل الأعمال ،
كما يُخطئُ الحيوان النظرَ حينما يجفل (١٨) .
- ٤٩ ولكي تحرر نفسك من هذا الفزع ، سأقول لك لِمَ أتيتُ ، وماذا سمعته ،
في أول لحظةٍ تأملتُ فيها من أجلك ؟ (١٩) .
- ٥٢ كنتُ بين أولئك المعلقة نفوسهم (٢٠) ، ونادتنى سيدةً جميلةً مباركة (٢١) ،
فسألتهَا أن تأمرني (٢٢) .
- ٥٥ تأملتُ عيناها أكثر من النجم (٢٣) ، وبدأتُ تخاطبني في رقةٍ
ولطفٍ ، وفي لغتها صوت الملائكة (٢٤) :
- ٥٨ "أيها الروح الكريم من مانتوا ، الذي ما تزال شهرته باقيةً في
الدنيا ، والتي ستبقى كدورة الزمن (٢٥) ،
- ٦١ إن صديقي - وما هو للحظّ بصديق - قد اعترضته صعابٌ في الطريق
على الشاطئِ القفر ، فارتدّ من الرعب إلى الورا ؛
- ٦٤ وأخشى أن يكون ضلاله قد بلغ حدًّا ، يجعل نهوضي لنجدته
متأخراً ، حسبما سمعتُ عنه في السماء (٢٦) .
- ٦٧ تحرّك الآن ، وعاونيه بكلامك الفصيح ، وبما هو ضروريٌ لنجاته ،
حتى أصبحَ بذلك راضية النفس (٢٧) .
- ٧٠ أنا بياتريتشى ، التي أبعثك إليه ، إلى آتيةٍ من مكانٍ أرغب في
العودة إليه ؛ لقد حرّكني الحبّ الذي يجعلني أتكلم (٢٨) .
- ٧٣ وحينما أصبح في حضرة المولى ، سأُطنب لديه في مديحك (٢٩) ،
وعندئذٍ سكتُ عن الكلام ، فبدأتُ :

- ٧٦ " ياربة الفضائل (٣٠) ، التي بفضلها وحده (٣١) يسمو الجنس الإنساني ، على كل ما تحويه السماء ذات الحلقات الصغريات (٣٢) ،
- ٧٩ إن أوامرك تُسعدني كثيراً ، وحتى لو كنتُ قد أطعتك فعلاً لبدوتُ متأخراً ؛ وليس لكِ سوى الإفصاح عن رغبتك (٣٣) .
- ٨٢ ولكن أخبريني عن السبب في أنك لا تحذرين الهبوط إلى هذا المركز هنا أسفل (٣٤) ، من المكان الفسيح الذي تتحرقين شوقاً للعودة إليه (٣٥) ،
- ٨٥ فأجابتنى : " مادمتَ تحرص على المعرفة إلى هذا الحد ، فسأخبرك بكلماتٍ وجيزةٍ ، ليمَّ لا أخشى الدخول هنا .
- ٨٨ يجب أن نعشى - حسب - تلك الأشياء التي لها القدرة على الإضرار بالناس ؛ أما غيرها فلا ؛ لأنها لا تبعث الحروف (٣٦) .
- ٩١ لقد خلقتني الله برحمته بحيث لا يمسنى من يؤسكم أثر (٣٧) ، ولا يتالى من هذه النيران لهيب (٣٨) .
- ٩٤ وفي السماء سيدةٌ رقيقةٌ تتألم لهذه العقبة (٣٩) التي أبعثك من أجلها ، وبذلك خرجتُ على الحكم الدقيق هناك في العلياء .
- ٩٧ لقد نادتُ لوتشيا (٤٠) ، لكي تُتلي أمرها وقالت : - " إن المخلص لك محتاجٌ إليك الآن (٤١) ، وإني أوصيك به خيراً " - .
- ١٠٠ فهضت لوتشيا ، عدوة كل غليظ القلب (٤٢) ، وجاءت إلى الموضع الذي كنتُ فيه جالسةً مع راحيل العتيقة (٤٣) .
- ١٠٣ وقالت : " بياتريتشي ، يا مجد الله الحق ، ليمَّ لا تُسعين ذلك الذي أحبك كثيراً ، حتى خرج في سبيلك من غمار الناس (٤٤) ؟
- ١٠٦ ألا تسمعين الأسى في بكائه ؟ ألا ترين الموت الذي يصارعه فوق نهر ، لا ييزه البحر في أهواله (٤٥) ؟ " .
- ١٠٩ لم يسارع أبداً في الدنيا قومٌ إلى خيرهم ، ولم يتجنبوا أذى يصيبهم ، كما فعلتُ بعد النطق بهذه الكلمات (٤٦) .

- ١١٢ فجئتُ هنا - أسفل - من مقرّي السعيد ، وقد وضعتُ ثقتي في كلامك الأمين ، الذي يشرفك ويشرف من سمعوه .
- ١١٥ بعد أن قالت لي هذه الكلمات ، لفتتُ نحوي عينيها المتألفتين بالدمع^(٤٧) ، فجعلتني بذلك إلى الهجاء أكثر سرعة .
- ١١٨ وهكذا أتيتُ إليك كما رغبتُ ، وأخذتكَ من أمام ذلك الوحش ، الذي منعك من سلوك الطريق القصير إلى الجبل الجميل^(٤٨) .
- ١٢١ ما الأمر إذاً ، ولماذا ، لماذا تتوقف ؟ لِمَ يسكن قلبك كل هذا الحور^(٤٩) ؟ ولِمَ تُعوزك الشجاعة والعزم ،
- ١٢٤ ما دام مثل هؤلاء السيدات المباركات الثلاث ، يربعين أمرك في ساحة السماء^(٥٠) ، وتعدك كلماتي بخيرٍ عيم ؟ .
- ١٢٧ وكما تنحني صُغريات الزهور بصقيع الليل وتضمّ أكمامها ، ثم تستوي على سيقانها وقد تفتحت كلها ، حينما تكسوها الشمس اللون الأبيض^(٥١) ،
- ١٣٠ هكذا صنعتُ بشجاعتي الواهنة ، وسرتُ في قلبي شجاعةُ الشجعان ، حتى بدأتُ - كإنسانٍ تحرّر من الخوف^(٥٢) :
- ١٣٢ «إيه أيتها الرحيمة التي عاوتني ، وأنت أيها السكريم الذي أطعت سرياً كلمات الصدق التي أفضتُ بها إليك^(٥٣) !
- ١٣٦ لقد وجهتَ قلبي بكلماتك إلى الرغبة في المسير ، وبهذا رجعتُ إلى قصدي الأول^(٥٤) .
- ١٣٩ الآن سرّ ، فإن لكلينا رغبةً واحدةً^(٥٥) : يا دليلى^(٥٦) ، وسيدى^(٥٧) ، وأستاذي^(٥٨) . هكذا خاطبته ، ولما تحزّك للمسير
- ١٤٢ دخلتُ الطريقَ الوعر القاسي^(٥٩) .

حواشى الأنشودة الثانية

- (١) الأنشودة الثانية بمثابة مقدمة للجحيم .
 (٢) كان مساء ٧ أبريل قد أوشك على الحلول .
 (٣) يضع الليل حداً لمتاعب النهار ومشاغله .
 (٤) أعطى الليل الفرصة لدانتى للتفكير فيما هو مقبل عليه ، وكيف يتخلب على مشقات الرحلة .
 (٥) هكذا كان دانتى واثقاً بمقله الذى لا يخطفه .
 (٦) يساور دانتى الشك فى قدرته على مواجهة الصعاب المقبلة : ويحاول أن يستمد الثقة من أستاذه .
 (٧) يقول فرجيليو فى الإنيادة إن إينياس والد سيلثيوس هبط إلى الجحيم وكان لا يزال إنساناً حياً :

Virg. Æn. VI. 763-766.

ويوجد رسم لإينياس فى كتاب جوستو دى مينابوى من القرن ١٤ وهو فى متحف كورسى فى روما .

- (٨) أى الله .
 (٩) أى الإمبراطورية .
 (١٠) يعنى روما .
 (١١) يقصد الثاتيكان ، مقر البابوية .
 (١٢) عرف إينياس بن أنكيسوس عظمة السلالة التى سيؤسسها ، كما جاء فى الإنيادة :
 Virg. Æn. VI. 756-892.

(١٣) أى ذهب إلى السماء .

(١٤) الإناء المختار هو القديس بولس كما ورد فى « الكتاب المقدس » :

Apos. IX. 15.

ولد بولس فى طرسوس حوالى ٣ م . ويقال إنه قتل فى روما حوالى ٨٦ م . وله رحلة إلى العالم الآخر وضمت فى القرن ٤ م . ودخلت عليها تعديلات وإضافات حتى القرن ١٣ م . ويأتى ذكره فى الفردوس :

Par. XXI. 127; XXVIII. 138.

ويوجد حفر بارز يمثل رأسى القديسين بطرس وبولس ويرجع إلى القرن ٣ وهو فى المتحف المقدس فى الثاتيكان .

- (١٥) يقول دانتى إنه غير جدير بمثل هذه الرحلة ، ويرأوده الشك فى مقدرة على القيام بها .
 (١٦) هكذا يجلل دانتى نفسه ويشرح ما خالجه بشأن الرحلة فى صدق وبساطة .
 (١٧) يعبر دانتى عما أصابه من التردد .

(١٨) يقارن دانتي بين صفات الإنسان والحيوان . وهو بذلك يمجد - بالشعر - الطريق أمام رجال الأدب والفن في عصر النهضة ، الذين سيمزجون في كتاباتهم وصورهم بين المعاني والصفات التي يستخلصونها من الإنسان والحيوان . ويحاول فرجيليو بهذا الكلام أن يزيل مخاوف دانتي .

(١٩) أي عند ما جاءت إليه بياتريثي . وهذا إحساس رقيق أبداه فرجيليو نحو دانتي .

(٢٠) المعلقون مكانهم في اللبوس ، وليس لهم أمل في الصعود إلى السماء :

Inf. IV. 25-45.

(٢١) أي بياتريثي .

(٢٢) أي أن جمالها وما عليها من أمارات السعادة أثار في فرجيليو فأصبح مستعداً للمسارعة إلى تلبية أوامرها .

(٢٣) يصف دانتي إشعاع العينين ويشبهه بالنجم . وهذه بداية لوصف الشاعر في ذلك العصر لجمال المرأة .

(٢٤) يتكلم دانتي - على لسان فرجيليو - عن بعض صفات بياتريثي : الوداعة والرقعة وصوت الملائكة .

(٢٥) هكذا يمجد دانتي فرجيليو .

(٢٦) تبلى بياتريثي جزعها بشأن دانتي ، وهذا عطف من جانبها . والعطف ليس مكانه الجحيم ، تبعاً للتقاليد المسيحية ، ولكن دانتي يخالف من وقت لآخر هذه التقاليد . ويمزج بين العطف والرحمة والجحيم ، وهو بذلك يحاول التوفيق بين السماء والأرض وبين الجحيم والفردوس . وهذا خروج على تقاليد المصور الوسطى وأوضاعها .

(٢٧) يجمل دانتي بياتريثي - التي لم تحفل به في الدنيا - تهم به في الآخرة . وهذه سنة رجال الأدب والفن .

(٢٨) بياتريثي (Beatrice) ابنة فولكوپورتيناري (Folco Portinari) سيدة فلورنسية أحبها دانتي في طفولته ، ولكنها لم تحفل به ، وتزوجت من سيمون دي باردی (Simone de Bardi) وماتت في شرح الشباب في ١٢٩٠ وبقيت بياتريثي عند دانتي رمزاً للفضيلة وطريقاً للوصول إلى الله ومع هذا فإنها تظل إنساناً حياً . ويتضح ذلك في مواقف عديدة من الكوميديا . استمد دانتي صورتها من الواقع ومن الخيال ، ومن الأرض والسماء . وستأتى دراساتها في الفردوس الأرضي في المطهر وفي الفردوس ، إن شاء الله .

وقد وضع بنيامين جودارد الفرنسي (١٨٤٩ - ١٨٩٥) مؤلفاً موسيقياً غنائياً بعنوان دانتي (وبياتريثي) :

Godard, Benjamin: Le Dante, opéra-comique. Paris 1899 (Delta).

(٢٩) ستذكر بياتريثي فضائل فرجيليو في حضرة الله لكي يمنحه النعمة .

(٣٠) يسمى دانتي بياتريثي ملكة الفضائل في «الحياة الجديدة» و«المطهر» :

V.N. X. 2; Purg. XXXI. 107-109.

(٣١) أي عن طريق الحب والحكمة التي تثيرها بياتريثي في قلب الإنسان فترفضه فوق سائر الكائنات .

(٣٢) سماء القمر أقرب السماوات إلى الأرض ولذلك فهي عند دانتي السماء ذات المحيط الأصغر . والمقصود بهذا الأرض وما حولها .

(٣٣) أى أن رغبته بمثابة أمر عنده يسارع إلى تلبيةه ، ويشبه ذلك الروح التي سادت في الحب الوجداني النبيل في عصر الفروسية .

(٣٤) أى الجحيم .

(٣٥) أى الفردوس .

(٣٦) هذه فكرة أرسطو في كتابه عن الأخلاق :

Aristotle, *Etica*, III.

(٣٧) أى يؤس المعلقين في الميو .

(٣٨) أى نيران الجحيم .

(٣٩) يعنى العذراء ماريا .

(٤٠) هي القديسة لوتشيا (Lucia) التي عاشت في سيراكوزا في عهد الإمبراطور دقلديانوس في القرن الثالث الميلادي .

(٤١) اشتهرت لوتشيا بأنها شفيعة مرضى البصر ، وهي بذلك رمز رحمة الله التي تضيء الطريق أمام الآثمين . وكان دائي يشكو من مرض عينيه لكثرة القراءة . ومكانها في الفردوس :

Par. XXXII. 196-198.

وتوجد صورة لها من عمل بييرو لورنتزيتي من القرن ١٤ وهي في كنيسة سانتا لوتشيا ترا لي روفيناتا في فلورنسا .

(٤٢) هي عدوة غلاظ القلوب لأنها لقيت موتاً قاسياً .

(٤٣) راحيل (Rachele) ابنة لابانو والزوجة الثانية ليعقوب ، وأنجبت منه يوسف وبنيامين . وهي رمز حياة التأمل . ووردت في « الكتاب المقدس » :

Gen. XXIX. 15-30.

ويجعل دائي مكانها في الفردوس :

Par. XXXII. 7-9.

(٤٤) بفضل الحب المخلص كسب دائي من الفضائل ما جعله مختلفاً عن غمار الناس .

(٤٥) النهر ذو العواصف كالبحر ، رمز للحياة الحاطئة مثل الغابة المظلمة .

(٤٦) أى الكلمات التي قالتها لوتشيا لبياتريشي .

(٤٧) تأثرت بياتريشي حتى بكت من أجل دائي في الآخرة ، وهو الذي بكى من أجلها في الدنيا .

(٤٨) هذه أوصاف دقيقة للإنسان في حالات مختلفة . ويرسم دائي بريشته صورة الإنسان الحى . وفرجيليو يشجع دائي ويشد من عزمه بهذه الكلمات .

(٤٩) هذه الأسئلة المتلاحقة ، مع تقرير فرجيليو لدائتي بسبب الخوف الذي استولى عليه . تعطى الحرارة الموقف . وهذه هي فصاحة الشاعر .

(٥٠) أى العذراء ماريا ولوتشيا وبياتريشي ، وهن في مقابل الوحوش الثلاثة التي اعترضت

طريق دائتي من قبل . تمثل ماريا النعمة الإلهية وتمثل لوتشيا النعمة المضيئة وتمثل بياتريشي الحقيقة العليا ، وهذه كلها ضرورية لكي يخرج الإنسان من حياة الخطيئة ، ولأن الإنسان لا يستطيع أن

يفعل ذلك بدونها . تأثر دانتي في هذه الفكرة برأى القديس توماس الأكويني فيلسوف المصور الوسطى في المجموعة اللاهوتية :

Tommaso d'Aquino : Summa Theologica, Ia. IIac, CIX. 7.

- (٥١) هذا وصف دقيق لبعض صور الطبيعة ، وهذه بداية للخروج على تقاليد المصور الوسطى التي لم تكن تحفل بصور الزهور والطبيعة والحياة على الأرض .
- (٥٢) يعمل دانتي على إيجاد الصلة والتجاوب بين الإنسان والطبيعة . وهو في ذلك سباق على رجال الأدب والفن في عصر النهضة .
- (٥٣) يتكلم دانتي باسم الرحمة والكرم والكلمات الصادقة ، وليس هذا موضعه الجحيم ، ولكن دانتي يوفق بين الخير والشر والسماء والأرض .
- (٥٤) أي بدء الرحلة مع ثرجيليو .
- (٥٥) تغلب دانتي على مخاوفه وانتهت مقاومته لثرجيليو وبذلك أصبحت رغبتها واحدة .
- (٥٦) ثرجيليو دليل دانتي وقائده في الرحلة .
- (٥٧) وهو سيد ، لأنه سيصدر إليه بعض الأوامر .
- (٥٨) وهو أستاذه لأنه سيعلمه ويرشده ويشرح له ما غمض عليه . وهذا اعتراف دانتي بفضل ثرجيليو عليه .
- (٥٩) أي الطريق الوعر المؤدى إلى باب الجحيم .

الأنشودة الثالثة^(١)

وصل الشاعران إلى باب الجحيم ، وقرأ دانتى فى أعلاه وصف ما بداخله من العذاب ، وعمل فرجيليو على تهدئة روع دانتى ، ودخلا معاً إلى عالم الخفايا والأسرار . سمع دانتى صرخات المعتذبين وعويلهم ، وقد أحدث دويماً أشبه بعاصفة هوجاء ، فبكى من هول ما سمع . عرف دانتى أن هؤلاء هم الذين لم تكن لهم فى الدنيا الشجاعة لسلوك طريق الخير أو الشر ، فلم يعصوا الله ولم يطيعوه ، ولم يعملوا فى الدنيا إلا لمصلحتهم الذاتية ، ولذلك طردتهم السماء حتى لا يُنقصوا من جمالها ، ولفظتهم أعماق الجحيم حتى لا يكون لمرتكبي الآثام إلى جانبهم سبيل إلى التفاخر عليهم . ولهذا فإنهم يبقون فى مدخل الجحيم ، وهم يحسدون الناس على الخير وعلى الشر ، ويحسدون من هم أسوأ منهم حالاً . ولذلك فهم لا يستحقون الذكر فى الدنيا وتحقرهم العدالة الإلهية . يطلب فرجيليو إلى دانتى أن يكفّ عن الكلام عنهم ، ويسأله أن يتابع المسير . ورأى دانتى حشداً من هؤلاء الطغام يجرون عراة الأجسام فى أوسع دوائر الجحيم . وقد أطبقت عليهم الحشرات فتلسعهم وتدمى وجوههم ، ويختلط دمهم بدمهم . ويسيل على الأرض : فتلممه ديدان كريمة مزعجة عند أقدامهم ، وهذا هو جزاؤهم . ثم رأى دانتى حشداً من المالكين عند ضفة نهر أكبر ونرى : ورأى كارون أول حراس الجحيم . يعبر بهم النهر . واعترض كارون على وجود دانتى الإنسان الحيّ ، فأوضح له فرجيليو أن هذه هى إرادة السماء . وشعر دانتى بزلزال عنيف وهبت ريح عاتية تخللها برق ملتهب ففقد مشاعره وسقط على الأرض كمن أخذه النوم .

- ١ « هنا الطريق إلى مدينة العذاب ، هنا الطريق إلى الألم الأبدي ،
هنا الطريق إلى القوم المهالكين (٢) .
- ٤ لقد حرّكت العدالة صانعي الأعلى ، وخلقتني القدرة الإلهية والحكمة
العليا والحبّ الأوّل (٣) .
- ٧ لم يُخلق قبلي شيءٌ سوى ما هو أبديّ (٤) ، وإني باقٍ إلى الأبد .
أيها الداخلون ، اطرحوا عنكم كلَّ أمل (٥) .
- ١٠ هذه الكلمات رأيها مكتوبةٌ بلونٍ داكن (٦) ، في ذروة بابٍ ، فقلتُ :
« أستاذي ، إن معناها قاسٍ على نفسي (٧) » .
- ١٣ وأجابني جوابٌ خبير (٨) : « هنا ينبغي أن تطرح عنك كلَّ شكٍ ؛
وهنا ينبغي أن يموت كلَّ خور (٩) » .
- ١٦ لقد وصلنا إلى المكان الذي أخبرتُك أنك ستري فيه القومَ
المعذّبين ، الذين فقدوا غايةَ العقل (١٠) .
- ١٩ وبعد أن وضع يده في يدي بوجهٍ بشوشٍ ، فهدأً بذلك من خاطري ،
دخل بي إلى عالم الأسرار (١١) .
- ٢٢ دوتُ هناك تنهتٌ وبكاءٌ وصراخٌ عالٍ ، في جوٍّ بغير نجومٍ ،
فأسأل ذلك لأوّل وهلةٍ مدامعي (١٢) .
- ٢٥ لغاتٌ غريبةٌ ، وصرخاتٌ رهيبةٌ ، وكلماتٌ أسيّ ، وصيحاتٌ غضبيّةٌ ،
وأصواتٌ صمّاءٌ عاليةٌ ، ولطماتٌ أيدٍ تصاحبها ،
- ٢٨ أحدثتُ ضجيجاً يدور على الدوامٍ ، في هذا الجوِّ الأبديّ الظلام ،
كذرات الرّمْل حين تعصف بها زوبعة (١٣) .
- ٣١ قلتُ وقد حفتُ برأسي الرعب (١٤) : « أستاذي ، ما هذا الذي أسمع ؟
ومن هؤلاء القوم الذين يبكون وقد غلبهم الألم هكذا (١٥) ؟ » .
- ٣٤ أجباني : « هذه الصورة البائسة ، تتخذها النفوس التعسة ، لأولئك
الذين عاشوا دون خزيٍّ أو ثناء (١٦) » .

- ٣٧ لأنهم مختلطون بتلك الزمرة الطالحة من الملائكة ، الذين لم يكونوا
ثائرين ولا مُخلصين لله ، بل كانوا لأنفسهم (١٧) .
- ٤٠ لقد طردتهم السماء كى لا ينقص جمالها ؛ ولا تقبلهم الجحيم العميقة ،
حتى لا يُحز الآثمون عليهم بعض الفخر (١٨) .
- ٤٣ قلتُ : « أستاذى ! أى ألمٍ مريرٍ يحملهم على هذا البكاء العنيف ؟ » .
فأجابنى : « سأقول لك هذا بكل إيجاز .
- ٤٦ ليس لهؤلاء فى الموت أملٌ (١٩) ، وحياتهم العمياء شديدة الضعة (٢٠) ،
فهم يحسدون كل المصائر الأخرى (٢١) .
- ٤٩ لا يدع العالم لهم ذكراً (٢٢) ، وتزدر بهم الرحمة (٢٣) والعدالة (٢٤) :
دعنا من ذكرهم ولكن انظر واذهب .
- ٥٢ وأنا الذى كنتُ أنظر ، رأيتُ علماً يجرى بسرعة فائقة وهو يدور (٢٥) ،
حتى بدا لى أنه يعاف كل سكون ؛
- ٥٥ وفى إثره جاء من القوم صفٌ طويلٌ ، لم أكن أعتقد أبداً أن
الموت قد أهلك منهم هذا العدد (٢٦) .
- ٥٨ وبعد أن تعرفتُ على بعضهم (٢٧) ، رأيتُ وعرفتُ شبح ذلك الذى
اقترب الرفض الأكبر جيباً وخوراً (٢٨) .
- ٦١ وسرعان ما أدركتُ فى ثقة ، أن هذه كانت جماعة الأشرار ،
المكروهين من الله ومن أعدائه (٢٩) .
- ٦٤ هؤلاء التساء الذين لم يكونوا أحياء أبداً (٣٠) ، كانوا عراةً وأمعت في
لسعهم الزنايير وذباب الدواب الذى كان هناك .
- ٦٧ وأسأل على وجوههم الدم الذى اختلط بدموعهم ، وجمعته ديدانٌ
مزعجةٌ عند أقدامهم (٣١) .
- ٧٠ وعندما مددتُ نظرى إلى الأمام ، رأيتُ قوماً على ضفة نهر كبير (٣٢) ؛
فقلتُ : « أستاذى ، الآن دعنى أعرف من هؤلاء وأى

- ٧٣ قانونٍ يجعلهم يبدون متهافتين على العبور هكذا ، كما أتبين في خافت الضوء .
- ٧٦ أجبني : « ستصبح الأمور معروفة لك ، حينما نوقفُ خطواتنا على ضفة أكبروتى الحزينة (٣٣) » .
- ٧٩ وبطرفٍ غضبيضٍ ساده الحياء ، وخشية أن يشقّلَ كلامي عليه ، منعتُ نفسي عندئذ من الكلام ، حتى بلغنا ذلك النهر .
- ٨٢ وهناك رأيتُ شيخاً أبيض ذا شعر عتيق (٣٤) يأتي في سفينةٍ نحونا ، وهو يصيح (٣٥) : « ويلٌ لكما ، أيهاتان النفسان الخبيثتان !
- ٨٥ لا تأملا في رؤية السماء أبداً ، إني أت لكى أقودكما إلى الضفة الأخرى ، في الظلمات الأبدية ، في النيران والجليد (٣٦) .
- ٨٨ وأنت أيها الإنسان الحى هنا (٣٧) ، باعدُ نفسك عن هؤلاء الموتى (٣٨) . ولكن حينما رآني لم أحرك ساكناً ،
- ٩١ قال : « بطريقٍ غيره ويموائٍ أخرى ستبلغ الشاطئ ، ولن يكون هنا عبورك (٣٩) : إن زورقاً أخفّ ينبغي أن يحملك (٤٠) » .
- ٩٤ قال له دليلى : « لا تغضبني يا كارون ، هكذا أريدُ هناك حيث يمكن أن يُفعلَ ما يراد (٤١) ، ولا تسلني على ذلك مزيداً » .
- ٩٧ عندئذٍ سكنتُ الوجدتان اللتان حفهما الشعر (٤٢) ، من الملاح فوق المستنقع المكفهر (٤٣) ، الذى كانت حول عينيه حلقاتٌ من لهب .
- ١٠٠ ولكن تلك النفوس التى كانت مضناةً وعاريةً غيرت لونها واصططكت أسنانها ، حينما سمعتُ الكلمات القاسية ،
- ١٠٣ ولعنتُ الله وأهلها ، والنوعَ البشرى ، والمكانَ والزمانَ ، وأصلَ وجودها وميلادها (٤٤) .
- ١٠٦ ثم تلاصقتُ كلها معاً ، وهى تبكى بمرارةٍ عند الضفة المعونة ، التى ترتقب كل إنسانٍ لا يخاف الله (٤٥) .

- ١٠٩ وكارون الشيطان ، بعينين من الجمر ، يجمعهم كلهم بإشارةٍ واحدة ، ويضرب بمجدافه من يبطنُ منهم^(٤٦) .
- ١١٢ وكما تتساقط أوراق الخريف واحدةً بعد أخرى ، حتى يرى الغصنُ على الأرض كلَّ أوراقه^(٤٧) ،
- ١١٥ كذلك تقذف سلالة آدم الخبيثة بأنفسها ، من هذه الضفة واحدةً فواحدةً ، بإشارات كارون^(٤٨) ، كطيرٍ سمع النداء^(٤٩) .
- ١١٨ هكذا يسرون على الموج الداكن ، وقبل أن ينزلوا هناك ، يتجمع هنا ثانياً حشدٌ جديد .
- ١٢١ قال أستاذى الرفيق : « يا نبى ، أولئك الذين يموتون ، والله غاضبٌ عليهم ، يجتمعون كلهم هنا من كلِّ حدبٍ وصوبٍ^(٥٠) ،
- ١٢٤ وهم متحفزون لعبور النهر ؛ لأن العدالة الإلهية تهزمهم ، فيتحول الخوف عندهم إلى رغبة^(٥١) .
- ١٢٧ لا تمرّ من هنا نفسٌ طيبةٌ أبداً ؛ ولهذا إذا كان كارون يشكو منك ، تستطيع الآن أن تعرف جيداً مغزى كلماته^(٥٢) .
- ١٣٠ وعندما انتهى قوله ، اهتزَّ السهل المظلم بعنفٍ شديد ، حتى إن ذكرى ما نالني من فرعٍ ، تجعلني بعدُ أتصبُّ عرقاً^(٥٣) .
- ١٣٣ لقد بعثتُ أرضُ الدموع ريحاً عاتيةً ، أبرقتُ ضوءاً قرمزيّ اللون^(٥٤) ، غلب عندي كلُّ المشاعر ،
- ١٣٦ فسقطتُ كرجلٍ يأخذه النوم^(٥٥) .



٤ - قارب كارون

حواشى الأنشودة الثالثة

- (١) الأنشودة الثالثة هى مدخل الجحيم ، وتسمى قصيدة كارونى .
 (٢) يبدو تكرار أوائل الأبيات الثلاثة الأولى كأنها ضربات ناقوس رهيب . وهى ترسم بالتدرج ما وراء هذا الباب ، وتنتقل من ألم إلى ألم أشد . ويقول النص : عن طريق أو خلاى يذهب إلى
 (٣) يشبه هذا قول القديس توماس الأكوينى بأن القوة والحكمة والحب هى عناصر الثالث المقدس :

D'Aq. Sum. Th. I. IX. al, XXXIX. 8.

- (٤) يريد دانتي أن يقول إن السماء والملائكة خلقوا قبل الجحيم .
 (٥) هذا من أشهر أبيات الكوميديا . وليس هناك من عذاب أشد من أن يفقد الإنسان كل أمل . وجعل دانتي باب الجحيم ينطق عما بداخله . وأخذ فكرة الكتابة فى أعلاه من شيوع الكتابات على الأبواب فى العصور الوسطى .
 استوحى رودان (١٨٤٠ - ١٩١٧) مصادر مختلفة قديمة وحديثة ، استوحى الفن القوطى ، واستوحى جحيم دانتي ، وفق عصر النهضة وفق ميكالانجلو ، واستوحى ديوان بودلير « أزهار الشر » ، كما استوحى ذاته فى صنع « باب الجحيم » الذى كلفته بصنعه لجنة الفنون الجميلة فى باريس فى ١٨٨٠ ولم يكن قد تم صبه عند موته فى ١٩١٧ ، ولكنه صب من البرونز فى ١٩٢٧ . وكان رودان من بين الكثيرين من رجال الفنون التشكيلية المقدرين لأدب دانتي وفنه ، وكان يحتفظ فى جيبه بنسخة من ترجمة أ. ريشارول الفرنسية الثرية للجحيم . واتخذ رودان من جسم الإنسان فى أوضاع مختلفة ، ومن نوازعه وعواطفه ومآسبه وأحلامه مادة لخلق نماذج من التماثيل البارزة والقائمة بذاتها ، التى غطت كل أجزائه وعلت ذروته . والباب موجود الآن فى حديقة متحف رودان فى باريس ، ويبلغ ارتفاعه ٢٤٨ سم وعرضه ١٥٧ وعمقه ٣٤ سم . وتوجد له نماذج مصبوبة من البرونز فى كل من متحف رودان فى فيلادلفيا فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وفى متحف الفن فى زوريخ ، وفى متحف الفن الحديث فى طوكيو .

- (٦) اللون الأسود يناسب الجحيم .
 (٧) أحس دانتي بقوة ما كتب على باب الجحيم .
 (٨) عرف فرجيليو أفكاره التى بالتجربة ، كما رأينا فى القصيدة السابقة .
 (٩) يشبه هذا قول فرجيليو عن شجاعة إينياس :

Virg. Æn. VI. 261.

- (١٠) أى الذين فقدوا معرفة الحق أو الله . يشبه هذا قول أرسطو بأن الحق هو غاية العقل فى كتاب الأخلاق ، وفى « الوليمة » تعبير عن المقصود :

Aris. Ethica, VI.

C onv. II. XIII. 6...

- (١١) وضع اليد فى اليد وإشراق الوجه من مظاهر عطف فرجيليو على دانتي .

(١٢) لم يستطع دانتي الموهب الحس سوى البكاء عند سماعه هذه الأصوات الأليمة ويشبه هذا ما ذكره فرجيليو:

Virg. Æn. VI. 665 ...

كما يشبه بعض ما جاء فى التراث الإسلامى عن عواء أهل النار :

علاء الدين المتقى بن حسام الدين الهندي : كتاب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال .
حيدر آباد ، ١٣١٢ هـ ، ص : ٢٨٠ رقم ٣٠٨٩

(١٣) يعمل دانتي بهذا التشبيه على إيجاد الصلة والتجاوب بين الإنسان والطبيعة . وتشبه أصوات المذبذبين بعض ما ذكره فرجيليو :

Virg. Æn. VI 557.

(١٤) يشبه هذا قول فرجيليو :

Virg. Æn. II. 559.

(١٥) يشير هذا إلى ما قاله فرجيليو :

Virg. Æn. VI. 560.

(١٦) أى الذين عاشوا ولم تكن لهم الشجاعة ليعملوا الخير أو الشر ، وبذلك لا يستحقون سوء السمعة ولا حسن الأعدوة .

(١٧) تأثر دانتي فى هذا ببعض القصص الشعبي ، كما ورد فى رحلة القديس برانندان فى المصور الوسطى . وربما كتب دانتي هذا وفى ذهنه ذكريات الفلورنسيين المحايدين الذين ظلوا منزولين ولم ينضموا إلى أى حزب سياسى فى أثناء الكفاح الداخلى فى فلورنسا فى عصره .

(١٨) الآثمون أفضل منهم لأنه كانت لهم إرادة الشر على الأقل .

(١٩) أى فقدوا الأمل فى موت نفوسهم .

(٢٠) حياتهم دنيتة لأنهم سيقون أبداً فى الجحيم ولن تكون لهم فى الدنيا أية ذكرى .

(٢١) يحسدون مصائر الناس جميعاً ، حتى أولئك الذين يلاقون عذاباً أشد .

(٢٢) هذا لأنهم لم يتركوا أثراً من خير أو شر .

(٢٣) أى رحمة الله فى السماء .

(٢٤) أى عدالة الله فى الجحيم .

(٢٥) العلم المتحرك على الدوام رمز لنفوس المذبذبين الذين ترددوا فى حياتهم دائماً .

توجد صورة إسلامية ذات شبه هذه الصورة ربما عرفها دانتي وقت انتشار الثقافة الإسلامية فى أوروبا وعصره :

أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف ، كتاب العلوم الفاسخة فى النظر فى أمور الآخرة . القاهرة ١٣١٧ هـ . ج ١ : ٥٤ - ج ٢ : ص : ٨ و ١٤ .

(٢٦) عذاب هؤلاء أن يدوروا على الدوام ، ولا تجوز لهم راحة لأنهم لم يحفلوا فى الدنيا بغير الأكل والنوم ، كالحلوانات . والدائرة التى يدورون فيها هى أكبر دوائر الجحيم عند دانتي لأن الجحيم مخروطية الشكل .

(٢٧) لا يذكر دانتي أسماهم لأنهم لا يستحقون ذلك .

(٢٨) ربما يشير دانتي بهذا إلى تشليستينو الخامس (Celestino V) الذى اختير لكرسى

البابوية فى ١٢٩٤ وترك مركزه بعد بضعة شهور للبابا بونيفاتشو الثامن عدو دانتي اللدود .

- (٢٩) هم مكروهون من الله ومن أعدائه ، ولا يرضى عنهم أحد في الوجود .
 (٣٠) لم يكونوا كذلك لأنهم لم يفعلوا في حياتهم خيراً ولا شراً ، والعمل هو الحياة عند دانتي .
 (٣١) أراد دانتي بهذا العذاب أن يصور ما تستحقه النفس التي تشرم بدنامتها والتي تحسد الناس جميعاً .

(٣٢) استوحى دانتي هذا المعنى من قول فرجيليو :

Virg. *Æn.* VI. 295-330, 384-410.

- (٣٣) أكيرونتي (Acheronte) هو أول أنهار الجحيم وأكبرها ، وتتألف مياهه من دموع المعذبين ، وسنعود إليه في موضع مقبل :

Inf. XIV. 94-120.

ويوجد هذا النهر في الإنيادة :

Virg. *Æn.* VI. 295.

- (٣٤) كارون (Caron) شيطان خرافي وأحد حراس الجحيم . وورد هذا الشيطان في الإنيادة :

Virg. *Æn.* VI. 298-301.

ويشبه هذا بعض ما جاء في التراث الإسلامي عن خزنة الجحيم أو الزبانية أو الملائكة أصحاب النار : القرآن : المدثر : ٣١ .

Cerulli (op. cit.) pp. 56-57.

(٣٥) يوجه كارون كلامه إلى جماعة النفوس المالكة على ضفة النهر الأخرى .

(٣٦) أى إلى أشد أنواع العذاب .

(٣٧) يوجه كارون كلامه إلى دانتي .

(٣٨) يطلب كارون إليه أن يبتعد عن الموق لأنه ليس منهم .

(٣٩) يقصد كارون أن هذا ليس طريق عبور الأحياء من الدنيا إلى الآخرة . والنفوس

الطيبة تذهب بعد الموت إلى الشاطئ بالقرب من مصب التير ، ويحملها الملاك إلى جزيرة المطهر :

Purg. II. 101...; XXV. 86.

(٤٠) فلاق هذا الزورق الخفيف في المطهر :

Purg. II. 41.

(٤١) أى إرادة الله .

(٤٢) يقرب هذا من قول فرجيليو :

Virg. *Æn.* VI. 102.

(٤٣) يتحول النهر في بعض المواضع إلى مستنقعات مغمورة . يشبه هذا قول فرجيليو :

Virg. *Æn.* VI. 320.

(٤٤) هذه اللعنات تعبير عن منتهى الألم .

(٤٥) أى من لم يخشوا الله في حياتهم .

(٤٦) لم يكن من المستطاع أن يتحركوا جميعاً في وقت واحد لكثرتهم ، فضرب كارون المتباطئين حتى يسرعوا الخطى .

Virg. *Æn.* VI. 305-312. (٤٧) يشبه هذا قول فرجيليو :

(٤٨) أضفت لفظ (كارون) لإيضاح المعنى .

Virg. *Æn.* VI. 310-312. (٤٩) يشبه هذا قول فرجيليو :

(٥٠) هذه إجابة فرجيليو عن سؤال دانتي في البيت رقم ٧٢ . واتصى الموقف أن يتأخر فرجيليو في إجابته .

(٥١) عند ما يفقد مرتكب الخطيئة الأمل في الخلاص ، يحس في نفسه بضرورة تنفيذ الحكم الذي يقضى به الله ، فيتحول خوفه من العذاب إلى رغبة في لقاء قصاصه .

(٥٢) أى أن الجحيم ليست مكان دانتي صاحب النفس الطيبة ، وسيذهب إلى طريق الخلاص فيما بعد .

(٥٣) دانتي صاحب الحس المرهف يتأثر بعوامل الرعب والفرع ، وإن مجرد ذكرى مشهد مفزع يجعله يتصبب عرقاً .

(٥٤) الضوء القرمزي اللون مصدره نيران الجحيم .

(٥٥) يتكرر سقوط دانتي فاقداً وعيه أمام مواقف الأسي . لعل دانتي يصف بهذا ما شهده أو ما جربه بنفسه في أثناء الحياة .

وَأَلْفَ إِمِيلِيُو بُوْتْرَانُو (١٨٤٥ - ١٩١٨) لِحْنًا مُوسِيقِيًّا غَنَائِيًّا عَن هَذِهِ الْأَنْشُودَةِ :

Bozzano, Emilio: *Il 3° canto dell'Inferno di Dante, musica su parole* (1874).

الأنشودة الرابعة (١)

أفاق دانتى من نومه على صوت رعد قاصف ، فأخذ يدور ببصره فيما حوله لكي يعرف أين هو . وجد دانتى نفسه على حافة وادى العذاب السحيق ، وحال الظلام دون أن يرى أعماقه . دخل الشاعران الحلقة الأولى من حلقات الجحيم ، وسمع دانتى تهديدات المعذنين التى ارتعد لها الهواء فرقاً ورعباً ، وكان ذلك هو اللبؤ ، مقر عظماء العالم القديم الذين ماتوا قبل ظهور المسيحية ، ومقر من ماتوا ولم ينالوا التعميد المسيحى ، وعذابهم أن يعيشوا تحذوهم الرغبة فى الخلاص دون أمل فى الحصول عليه . تساءل دانتى عن احتمال خروج بعض هذه النفوس من هذا اللبؤ ، فأخبره فرجيليو أن المسيح كان قد هبط هنا لإنقاذ بعض المعذّبين مثل آدم وموسى وداود وراجيل ، وأدخلهم فى زمرة السعداء . وفى أثناء المسير رأى دانتى ناراً تضىء الظلام ، وهذا استثناء فى عالم الجحيم ، وذلك لأن الشاعرين كانا مقبلين على جماعة من عظماء العالم القديم . رأى دانتى هومبروس وهوراس وأوفيدىوس الذين قابلوه بالترحاب وأعدوه واحداً منهم ، فاعتزّ بذلك . وتقدّمت هذه الجماعة حتى وصلوا إلى قاعة شماء ذات سبعة أسوار ، وهناك رأى دانتى بعض شخصيات الأساطير القديمة مثل إليكترا وهيكتور وإينياس ، وشهد بعض أبطال العالم القديم مثل قيصر ولوتشيوس بروتس وصلاح الدين . وكذلك رأى بعض فلاسفة العالم القديم وعلمائه مثل سقراط وأفلاطون وديوسقوريدس وبطليموس وجالينوس ، ورأى ابن سينا وابن رشد . وأخيراً خرج الشاعران إلى مكان أعوزه ما يبدد الظلمات .

- ١ حطم النوم العميقَ في رأسى رعدٌ ثقيلٌ^(١٢) ، حتى هاجنى الفرع ،
كشخص صحا بعنفٍ واستيقظ .
- ٣ وحينما استويت قائماً ، حرّكتُ عينيَ المرتاحةَ فيما حولي^(١٣) ،
ونظرتُ بإمعانٍ لكى أعرف المكان الذى كنتُ فيه .
- ٧ حقاً لقد وجدتُ نفسى على الحافة من وادى الهاوية الأليم ، الذى
يتلقى دوىّ صرخاتٍ لا تنهى .
- ١٠ كان مظلماً عميقاً ملبداً بالسحب ، حتى إنى حينما حدثتُ ببصرى
في أعماقه ، لم أتبين فيه شيئاً^(١٤) .
- ١٣ وبوجه شاحب^(١٥) بدأ شاعرى : « الآن فلنهيط هنا - أسفل - في
العالم الأعمى ، وسأكون أنا الأوّل ، وأنت الثانى^(١٦) » .
- ١٦ قلت وقد لاحظتُ لونَ وجهه : « كيف أمضى وأنت خائف ،
وقد اعتدتَ أن تُطمئننى عند الشك^(١٧) ؟ » .
- ١٩ أجببنى : « إن عذاب القوم الذين هم هنا فى أسفل^(١٨) ، يرسم على
وجهى ذلك الأسى^(١٩) الذى تحسبه خوفاً .
- ٢٢ دعنا نذهب ، لأن الطريق الطويل يدفعنا إلى ذلك^(٢٠) » . هكذا دخل
وجعلنى أدخل إلى الحلقة الأولى ، التى تحيط بالهاوية^(٢١) .
- ٢٥ لم يكن هنا بكاءٌ حسبما يُسمع ، ولكن كانت تنهدات^(٢٢) ،
جعلت الهواء الأبدى يرتعد منها .
- ٢٨ وصدر هذا عن ألمٍ بغير تعذيب^(٢٣) ، نالته حشود كانت كثيرةً
وكبيرةً ، من الأطفال والنساء والرجال .
- ٣١ قال أستاذى الطيب : « إنك لا تسأل : أيةُ أرواحٍ هذه التى تراها^(٢٤) ؟
الآن أريد أن تعرف ، وقبل أن توغل فى المسير ،
- ٣٤ أنهم لم يأثموا ، وإذا كانت لهم فضائل ، فهى لا تكفى ، لأنهم لم ينالوا
التعميد^(٢٥) ، الذى هو بابٌ للعقيدة التى تؤمن بها .

- ٣٧ وإذا كانوا قد عاشوا قبل المسيحية ، فإنهم لم يعبدوا الله كما ينبغي : وأنا نفسى واحدٌ من بين هؤلاء^(١٦) .
- ٤٠ بمثل هذه العيوب أصبحنا من الهالكين ، لا بخطيئةٍ أخرى ، وعذابنا الوحيد أن نعيش في شوقٍ لا يحدوه أمل^(١٧) . «
- ٤٣ أخذ بقلبي أسيٌّ مريرٌ حينما سمعته ، لأننى عرفتُ أن قوماً ذوى قدرٍ عظيمٍ ، كانوا معلقين في ذلك اللهب^(١٨) .
- ٤٦ بدأت ، وأنا راغب في الوثوق من ذلك الإيمان الذى يغلب كلَّ خطأٍ : « قلْ لى يا سيدى ، أخبرنى أستاذى ،
- ٤٩ ألم يخرج أحدٌ من هنا أبداً ، يجدارته أو بفضل غيره ، فأصبح بعدُ سعيداً ؟ » . وذلك الذى فهم كلامى الخفى^(١٩) ،
- ٥٢ أجب : « كنتُ جديداً على هذه الحال ، حينما رأيتُ قادراً^(٢٠) يأتي هنا ، متوجاً بعلامة النصر^(٢١) .
- ٥٥ وانتزع منا شبح أينا الأول^(٢٢) ، وشبح ابنه قابيل^(٢٣) ، وشبح نوح^(٢٤) ، وموسى المشرّع المطيع^(٢٥) ،
- ٥٨ وبالطريق لإبراهيم^(٢٦) ، والمملك داود^(٢٧) ، وإسرائيل^(٢٨) ، ومعه والده وأولاده ، وراحيل^(٢٩) ، التى فعل لإسرائيل من أجلها الكثير^(٣٠) ؛
- ٦١ وكثيرين غيرهم ، وجعلهم سعداء ؛ وأريد أن تعلم أنه لم تُنقذ من قبلهم أرواح بشرية .
- ٦٤ لم نتوقف عن المسير بينما كان يتكلم ، ولكننا مضينا في اختراق الغابة^(٣١) ، أعنى غابة الأرواح المزدحمة .
- ٦٧ لم يكن طريقنا قد استطال بعدُ ، منذ أن أخذنى النوم ، حينما رأيتُ نازراً ، تغلب عالماً من الظلمات^(٣٢) .
- ٧٠ وكنا لا نزال نبعد عنها قليلاً^(٣٣) ، ولكن إلى حد لا يمنع من أن أتبين نوعاً أن قوماً أمجاداً شغلوا ذلك الموضع^(٣٤) .

- ٧٣ قلت : « أنت يا مَنْ تُمجِّدُ كلَّ علمٍ وفنٍّ (٣٥) ، مَنْ هؤلاء أصحاب مثل هذا المجد ، الذى يميّزهم عن حال الآخرين ؟ » .
- ٧٦ أجبني : « إن ذكراهم المحببة التى يتردد صداها فى حياتك فى أعلى (٣٦) ، تكسبهم فى السماء الفضل الذى يميّزهم هكذا (٣٧) » .
- ٧٩ سمعتُ وقتئذٍ صوتاً يقول (٣٨) : « مجدّوا الشاعر الأعظم (٣٩) : إن شبحه يعود وكان قد ارتحل (٤٠) » .
- ٨٢ وبعد أن توقّف الصوت وسكت ، رأيت أشباح عظماءٍ أربعةٍ قادمين نحونا ، ولم يكن لهم مظهر الحزن ولا البِشْر .
- ٨٥ بدأ أستاذى الطيب يقول : « انظر إلى مَنْ حمل بيده ذلك السيف ، ويأتى أمام ثلاثة كأنه السيد (٤١) » .
- ٨٨ ذاك هوميروس أمير الشعر ؛ والآخر الذى يأتى من بعده هو هوراتيوس الساخر (٤٢) ؛ والثالث أوفيدْيوس (٤٣) والآخر لوكانوس (٤٤) .
- ٩١ ولأنّ كلاً منهم يشترك معى فى الاسم (٤٥) ، الذى نطق به الصوت الوحيد (٤٦) ، فهم يشرفونى ، وبذا يحسنون صنعا (٤٧) » .
- ٩٤ هكذا رأيتُ المدرسةَ الجميلةَ مجتمعةً : مدرسة ذلك السيد صاحب القصيدة العظمى (٤٩) ، الذى يخلّق فوق الآخرين كالنسر .
- ٩٧ وبعد أن تحدّثوا معاً قليلاً (٥٠) التفتوا إلىّ بإيماءة تحيةٍ ، فابتسم أستاذى لذلك (٥١) .
- ١٠٠ وأضفوا علىّ فوق ذلك مجدداً أعظم ، لأنهم جعلونى واحداً من زميرتهم ، فأصبحت السادس بين هؤلاء الحكماء (٥٢) .
- ١٠٣ وهكذا ذهبنا حتى ذلك النور ، ونحن نتحدّث عن أمور يحسن السكوت عنها (٥٣) ، كما أحسن الكلام هناك حيث كنا (٥٤) .
- ١٠٦ جئنا إلى أسفل قلعة نبيلةٍ ، محاطة سبع مرّات بأسوار عاليةٍ ، ومحمية من حولها بجدرانٍ جميلةٍ (٥٥) .

- ١٠٩ هذا عبرناه كأرض صلبة^(٥٦)؛ ودخلتُ سبعة أبوابٍ مع هؤلاء الحكماء :
ووصلنا إلى مرعى ذى خضرة نضرة .
- ١١٢ كان هناك قومٌ ذوو عيونٍ هادئةٍ وقورةٍ ، وفى وجوههم أماراتُ سلطانٍ
عظيمٍ : تكلموا نادراً ، وبأصواتٍ رقيقةٍ^(٥٧) .
- ١١٥ وهكذا انتحينا إلى أحد الجوانبِ ، فى مكانٍ مكشوفٍ مستشرفٍ
مضىءٍ ، يمكن أن يُسروا منه جميعهم^(٥٨) .
- ١١٨ وهناك قبالتنا فوق خضرةٍ منقوشةٍ ، تبدتْ لى النفوس العظيمة^(٥٩) ،
التي شعرتُ فى نفسى بالفخر لرؤياها^(٦٠) .
- ١٢١ رأيتُ^(٦١) إليكترا^(٦٢) : مع رفاق كثيرين ، وعرفتُ من بينهم هيكتور^(٦٣) ،
وليناياس^(٦٤) ، وقيصر المسلح^(٦٥) بعينى الصقر^(٦٦) .
- ١٢٤ ورأيتُ كامبيلاً^(٦٧) وبانتسيليلاً^(٦٨) فى الجانب الآخر ، ورأيتُ لاتينوس
الملك^(٦٩) ، الذى جلس مع ابنته لافينيا^(٧٠) .
- ١٢٧ ورأيتُ بروتس^(٧١) ، هذا الذى طرد تاركوينوس^(٧٢) ، ولوكريتيا^(٧٣) ،
وجوليا^(٧٤) ، ومارتزيا^(٧٥) ، وكورنيليا^(٧٦) ، وفى جانبٍ^(٧٧) رأيتُ صلاح
البدن وحيداً^(٧٨) .
- ١٣٠ وحيثما رفعتُ عينيَّ إلى أعلى قليلاً ، رأيتُ أستاذ الذين يعلمون^(٧٩) ،
يجلس بين أسرةٍ فلسفيةٍ^(٨٠) .
- ١٣٣ وكلهم ينظر إليه ، ويمجده الجميع : وهنا رأيتُ سقراط^(٨١)
وأفلاطون^(٨٢) ، اللذين وقفا أقرب إليه من الآخرين ؛
- ١٣٦ وديموقريطس^(٨٣) ، الذى يجعل العالمَ وليدَ الصدفة ، وديوجنيس^(٨٤) ،
وأناجزاجوراس^(٨٥) ، وطاليس^(٨٦) . ولإمبيدوقليس^(٨٧) ، وهيراقليطس^(٨٨) ،
وزينون^(٨٩) .
- ١٣٩ ورأيتُ ذلك الطبيب جامعَ الخصائص ، أعنى ديوسقوريدس^(٩٠) ،
ورأيتُ أوفريوس^(٩١) ، وتوليوس^(٩٢) ، ولينوس^(٩٣) ، وسينيكاً الخلقى^(٩٤) ؛

- ١٤٢ وإقليدس الهندسى^(٩٥) ، وبطليموس^(٩٦) ، وهيبقراطيس^(٩٧) ، وابن سينا^(٩٨) ،
 وجالينوس^(٩٩) ، وابن رشد ، الذى صنع التفسير الكبير^(١٠٠) .
- ١٤٥ ولا أستطيع أن أصورهم كلهم تماماً ، لأن الموضوع الطويل يدفنى ،
 حتى إنه كثيراً ما يقصر الكلام عن الواقع^(١٠١) .
- ١٤٨ جماعة الستة تنخفض إلى اثنين^(١٠٢) . وفي طريق آخر يقودنى الدليل
 الحكيم ، خارج منطقة السكون ، إلى الهواء المرتعد^(١٠٣) .
- ١٥١ وأبلغ^(١٠٤) مكاناً ليس به ما يضىء^(١٠٥) .

حواشى الأنشودة الرابعة

- (١) هذه أنشودة من ماتوا دون أن ينالوا التعميد أو أنشودة اللبوء .
- (٢) يقول بعض التقاد إن هذا الرعد جاء عقب البرق الذى ذكره دانتي فى آخر القصيدة السابقة . ويرى آخرون أنه كناية عن صوت المعذبين الذى سنلقاه بعد قليل .
- (٣) استراح دانتي فى أثناء النوم الذى أثقل أجنانه .
- (٤) لم يتبين دانتي شيئاً لعمق الجحيم .
- (٥) شحب لون فرجيليو لتأثره وعطفه على المعذبين .
- (٦) يسير فرجيليو ويتبعه دانتي ، وفى هذه الألفاظ تعاطف وولاء بين الشاعرين .
- (٧) يحمل الشك هنا معنى الخوف ، لأن دانتي ظن أن فرجيليو قد ساد الخوف والفرع ، وهو بهذا يحكم عليه حكمه على نفسه .
- (٨) يقصد المعذبين فى اللبوء (Limbo من لبوس - Limbus - اللاتينية) أى الحانة أو الطرف أو المنطقة الواقعة عند الحدود وهذه هى الحلقة الأولى فى الجحيم .
- (٩) شرح فرجيليو أن تغير لونه كان بسبب عذاب رفقائه فى اللبوء . ولكن سؤال دانتي رده إلى القيام بواجبه كدليل فى هذه الرحلة الطويلة .
- (١٠) يستحث فرجيليو دانتي للسير بسبب طول الرحلة .
- (١١) هذا هو اللبوء مكان من لم ينالوا التعميد المسيحى . خالف دانتي الفكرة المسيحية عن اللبوء عند القديس توماس الأكويني الذى يجعله على مقربة من الجحيم وليس جزءاً منه ومقدمة له :
D'Aq. Sum. Th. III. Sup. 9. LXIX. 5.
- (١٢) لم تكن هناك وسيلة سوى السمع لمعرفة ما بداخل الجحيم ، وذلك لتعذر الرؤية .
- (١٣) أحس هؤلاء جميعاً بألم النفس دون أن يتناغم تغذيب جسدى .
- (١٤) هذا يعنى أن دانتي كان يسير فى صمت . وربما سكت للرهبة التى استولت عليه . وأدرك فرجيليو ما مر بخاطره ، وأخذ يشرح له الأمر .
- (١٥) لم ينالوا التعميد لأنهم ماتوا قبل ظهور المسيحية ، أو ماتوا ولم يعمدوا فى العهد المسيحى .
- (١٦) هذا تعبير عن أسف فرجيليو لأنه حرم من القردوس عند دانتي .
- (١٧) عاش هؤلاء دون أمل فى الخلاص .
- وهناك بعض الشبه بين أهل اللبوء وأهل الأعراف فى التراث الإسلامى ، الذين يطمعون ويتشوقون إلى الجنة ، مثل أطفال المشركين والمعلماء الذين ضيعوا ثمرة علمهم والملائكة الذكور :
- القرآن : الأعراف : ٤٦ .
- علاء الدين بن محمد البغدادى المعروف بالخازن : تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل ، القاهرة ، ١٣١٢ هـ . ج : ٢ ص : ٩٢ .

- محمد بن محمد الحسينى الزبيدى الشهير بمرتضى : كتاب إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين ، لأبى حامد النزلى . القاهرة ، ١٣١١ هـ . ج : ٨ : ص ٥٦٥ .
- (١٨) تألم دانتى لصير هؤلاء المعذبين المعلقين فى اللبوس .
- (١٩) أى الكلام المستتر . لم يشأ دانتى أن يظهر شكه فى هبوط المسيح إلى اللبوس لإنقاذ بعض النفوس . فآلى بهذا السؤال .
- (٢٠) يقصد يسوع المسيح . وورد هذا فى « الكتاب المقدس » : 3. Pietro, III. 99. وقد رسم أندريا دى بونايتو (١٣٤٣ - ١٣٧٧) صورة لنزول المسيح إلى اللبوس وهى فى مصلى الإسپان فى كنيسة سانتا ماريا نوفيللا فى فلورنسا .
- وألف أنتونيو سالييرى (١٧٥٠ - ١٨٢٥) الحان أوراتوريو عن نزول المسيح إلى اللبوس :
- Salieri Antonio : Gesù nel Limbo, oratorio. Vienna, 1803.
- (٢١) يقصد هالة تمثل الصليب ، وهى صورة المسيح فى فن العصور الوسطى .
- (٢٢) يعنى آدم ، الأب الأول للبشر ، وجعل دانتى مكانه فى الفردوس وكذلك « الكتاب المقدس » :
- Par. XXXII. 120.
Gen. III. 22-24.
- (٢٣) قابيل (Abel) الإبن الثانى لآدم .
- (٢٤) نوح (Noé) هو صاحب الطوفان . كما ورد فى « الكتاب المقدس » وجعل دانتى مكانه فى الفردوس :
- Gen. IX. 13-17.
Par. XXVI. 82 — 142.
- (٢٥) موسى (Moisé) هو نبي إسرائيل ومكانه الفردوس : Par. XXXII. 130-132. Matt. XVII. 3-4; Gerem. XV. 1.
- (٢٦) إبراهيم (Abraam) الذى أود التضحية بابنه إسحق : Jos. I. 1, 2, 7, ecc. ويوجد رسم لإبراهيم - ومعه إقليدس - من عمل أندريا دى بونايتو (١٣٤٣ - ١٣٧٧) وهو فى كنيسة سانتا ماريا نوڤيللا فى فلورنسا .
- (٢٧) داود (David) ملك إسرائيل ومكانه الفردوس : Par. XXV. 72; XXXII. 11. Sal. I. 16; XXII. 1.; CXII. 6-7.
- (٢٨) يعقوب (Jacob) بن إسحق مكانه الفردوس : Par. XXXII. 68. Gen. XXXII. 28.
- (٢٩) راحيل زوجة يعقوب . انظر أنشودة ٢ هامش ٤٣ .
- (٣٠) لكى يتزوج يعقوب (الذى تسمى بإسرائيل) من راحيل خدم أباه عدة سنوات :
- Gen. XXIX. 20, 30.
- (٣١) كان ازدحام النفوس مثل غابة كثيفة وهذا يقارب دانتى بين الإنسان والنبات .

- (٣٢) هذا العالم - أى الجحيم - له شكل دائرى ، لأنه فى صورة مخروط .
- (٣٣) أى على مسافة قليلة من النار .
- (٣٤) يعنى اللبؤ .
- (٣٥) يريد أن يقول إن فرجيليو مجد العلم والفن بمؤلفاته .
- (٣٦) يقصد ذكرى الأجداد التى يتردد صداها فى الدنيا .
- (٣٧) الذكرى الطيبة فى الأرض تنفعهم فى السماء .
- (٣٨) لم يذكر دانتى اسم صاحب الصوت . يرى بعض النقاد أنه صوت هوميروس أمير الشعراء .
- ورسم يوجين ديلاكروا (١٧٩٨ - ١٨٦٣) صورة اللبؤ فى جحيم دانتى ، ويظهر فيها فرجيليو وهو يقدم دانتى إلى هوميروس ورفاقه ، والصورة فى قبة المكتبة بقصر الكسبورج فى الحى اللاتينى فى باريس . وكان ديلاكروا من المقدرين لعبقرية دانتى والمتأثرين بشعره .
- (٣٩) أى فرجيليو . وستطلق الأجيال التالية هذه الكلمات على دانتى نفسه .
- (٤٠) أى أنه كان قد ذهب إلى الغابة المظلمة لإنقاذ دانتى :
- Inf. I. 61 ...
- (٤١) هوميروس (Homerus) أمير الشعراء صاحب الإلياذة والأوديسة ، أكبر آثار الإغريق فى الشعر . ويمتاز شعره بالقوة والصفاء ودقة التعبير ، وقد صور الميثولوجيا القديمة ، ورسم حياة الآلهة والإنسان . ولم يعرف دانتى هوميروس مباشرة ، ولكنه عرف أشياء عنه من بعض ملخصات لاتينية وعن مؤلفات أرسطو وهوراتيوس . ويسير الشعراء الأربعة وعليهم أمارات العبقرية ويملاؤن المكان بفهم الرفيع .
- ويوجد تمثال نصفى من المرمر لهوميروس ، من القرن ٩ ق . م . وهو فى المتحف الوطنى فى نابلى . وله رسم من عمل رمبرانت (١٦٠٦ - ١٦٦٩) وهو فى متحف الفن فى لاهاى .
- (٤٢) هذا هو كوينتوس هوراتيوس (٦٥ - ٨ ق . م . Quintus Horatius) شاعر لاتينى امتاز بالشعر الهكمى والغنائى وله كتاب عن فن الشعر .
- (٤٣) پوپليوس أوڤيديوس نازو (٤٣ ق . م - ١٧ م . Publius Ovidius Naso) شاعر لاتينى امتاز بكتابته عن الميثولوجيا القديمة التى أفاد منها دانتى وعلى الأخص كتاب التحولات (Metamorphoseos) .
- (٤٤) ماركوس أنائس لوكانوس (٢٩ - ٦٥ م . Marcus Annaeus Lucanus) شاعر لاتينى كتب فارساليا (Pharsalia) التى تتناول الكفاح بين قيصر وپومپى ، واستمد منه دانتى بعض معلوماته .
- (٤٥) يقصد لقب الشاعر الأعظم .
- (٤٦) يعنى صوت هوميروس الذى نطق بذلك اللقب بالنسبة لفرجيليو .
- (٤٧) يفخر دانتى بأنه فى مستوى هؤلاء الشعراء العظام .
- (٤٨) هى مدرسة هوميروس وتسمى المدرسة الجميلة لأن الفن هو الجمال . وتقابل الأسرة الفلسفية التى اجتمعت حول أرسطو كما سيأتى بعد .
- (٤٩) أى الإلياذة .

(٥٠) أى تحدثوا عن دانتى .

(٥١) ابستم فرجيليو علامة الرضا لما نال تلميذه من رفعة القدر .

(٥٢) يلاحظ الناقد فرنشسكو دوڤيدو أن دانتى قد ذكر في المطهر أسماء بعض شعراء اللاتين على أنهم من أهل اللبوس مثل تيريتتوس وبلاتوتوس وثارو ، ولكن هذا لا يمنع أن دانتى أعد نفسه السادس بعد العظماء الذين ذكرهم آنفاً :
Purg. XXII. 97-100.

(٥٣) تكلموا عن الشعر والفن .

(٥٤) كان يؤثر دانتى أن يكون الحديث عن الشعر والفن حيث لقي جماعة الشعراء وليس في الطريق .

(٥٥) يرى بعض النقاد أن القلعة رمز للعلم يحوطها سياج العلوم مثل النثر والخطابة والهندسة والموسيقى ، والنهر رمز لاستعداد العقل لتلقى العلم . ويرى غيرهم أن القلعة رمز للفلسفة يحوطها سياج الطبيعة وما وراء الطبيعة والأخلاق والسياسة . . . ووصف القلعة وأسوارها مأخوذ من صور القلاع في العصور الوسطى . وجعلها دانتى موطن النفوس العظيمة من أبطال العالم القديم وشمرائه وفلاسفته ، وهى نوع من المطهر الدائم لهذه النفوس وإن كان موضعها في مقدمة الجحيم .
وفي التراث الإسلامى بعض الشبه بقلعة في الفردوس محاطة بثمانية أسوار :

محيى الدين بن عربى : كتاب الفتوحات المكية . القاهرة ، ١٢٩٢ هـ . ج : ٢ : ص : ٥٦٧ .

Palacios op. cit. p. 84.

٥٧٨ .

(٥٦) يعنى أنهم همروا بأرض صلبة مما يجعل السير عليها سهلاً .

(٥٧) هكذا رسم دانتى صفات عظماء الفلاسفة بهذه الكلمات القليلة . واستمد دانتى ذلك من ملاحظته لحركات الناس وأصواتهم . وكان هو نفسه قليل الكلام .

(٥٨) يقصد المجتمعين في القلعة وسيأتى ذكرهم بعد .

(٥٩) أى أبطال العالم القديم وعظماء الفلاسفة والعلم الأقدمين . وموضعهم على التوالي :
١٢١ - ١٢٩ ، ١٣٠ - ١٤٤ .

(٦٠) أحس دانتى بالفخر عندما رأى هؤلاء العظماء .

(٦١) طريقة تعداد أسماء من يراهم الشاعر مقتبسة عن الشعر القصصى القديم .

(٦٢) إليكترا (Electra) من شخصيات الأساطير اليونانية وهى ابنة أتلاص وزوجة جوفهر زعيم الآلهة عند الرومان ، وولدت داردانوس أبا أهل طروادة :

Virg. Æn. VIII. 134 ...

وقد ألف ريتشارد شتراوس (١٨٦٤ - ١٩٤٩) الحان أوبرا إليكترا :

Strauss, Richard : Electra, opera. Dresda, 1906 — 1908 (Get).*

(٦٣) هيكتور (Hector) أكبر أبناء تروياموس ملك طروادة وزوج أندروماخ وزعيم

الطرواديين عند ما حاصرها الإغريق في حرب طروادة ، وقتله أخيل بطل الإغريق ، ومجده هوميروس

Virg. Æn. II. 281.

، ووضع دانتى في اللبوس وذكره في الفردوس :

Homérus, III. II. 816; VI. 394...; XII. 727; XXII. 35-404; XXIV. 14 ..

Par. VI. 68.

ويوجد رسم لهيكتور فى كتاب جوستو دى مينابوى من القرن ١٤ وهو فى متحف كورسىنى فى روما .

(٦٤) إينياس أحد أبطال طروادة ومؤسس روما كما تقول الأساطير وسبقت الإشارة إليه فى الأنشودة ١ سطر ٧٤ حاشية ٣٧ .

(٦٥) قيصر من أعظم قواد الرومان ويعد أول أباطرتهم . سبقت الإشارة إليه فى الأنشودة ١ سطر ٧٠ حاشية ٣٢ .

(٦٦) يعنى أنه كان يمتاز بعينين واسمتين مليتين بالحويوة .

(٦٧) سبق الكلام عن كامبلا فى الأنشودة ١ سطر ١٠٧ حاشية ٥٣ .

(٦٨) بانتسليا (Pentesilea) ابنة مارس وأورتيرا ، واشتهرت بالشجاعة والجمال ، وكانت ملكة الأمازون ، وساعدت الطرواديين بعد مقتل هكتور وقتلها أخيل :

Virg. Æn. I. 490-493.

ويوجد رسم لبانتسليا فى كتاب جوستو دى مينابوى من القرن ١٤ وهو فى متحف كورسىنى فى روما .

وَألف أوتمار شيك (١٨٨٦ - ١٩٥٧) ألحان أوروبا عن بانتسليا :

Schoeck, Othmar : Penthesilia, opera. Dresda, 1927.

(٦٩) لاتينوس (Latinus) ملك لاتزيوم وأبو لافينيا :

Virg. Æn. VII. 72.

(٧٠) لافينيا (Lavinia) زوجة إينياس الثالثة ، وكان أبوها لاتينوس قد وعد بزواجها

من تورنوس ملك الرومانيين ، وبسببها وقعت الحرب بينه وبين إينياس .

وتوجد صورة صغيرة تمثل الملك لاتينوس يزوج ابنته لافينيا لإينياس وترجع إلى القرن ١٤ وهى فى

مكتبة كيدجى فى روما .

وقد وضع مونتفردى (١٥٧٦ - ١٦٤٣) مؤلفاً موسيقياً عن زواج إينياس ولافينيا :

Monteverdi, Claudio : Nozze d'Enea con Lavinia, opera. Venezia 1641 (perdute).

(٧١) لوتشيو بروتس (Lucius Brutus) الذى طرد تاركوينوس المتعطر وأقام

Virg. VI. 821-822.

الجمهورية فى روما فى أواخر القرن السادس قبل الميلاد :

(٧٢) لوتشيو تاركوينوس المتعطر (٥٣٤ - ٥١٠ ق.م Lucius Tarquinius Superbus) ،

حكم روما حكماً مستبداً واشترك لوتشيو بروتس فى التآمر عليه وطرده من روما .

(٧٣) لوكريزيا (Lucrezia) هى زوجة تاركوينوس كولانتينوس الذى اعتدى عليها

ابن تاركوينوس العظيم السالف ذكر .

وتوجد صورة صغيرة للوكريزيا وطرده الملك تاركوينوس وترجع إلى القرن ١٤ وهى فى مكتبة كيدجى

فى روما . ولها صورة من عمل ربرانت (١٦٠٦ - ١٦٦٩) وهى فى المتحف الوطنى فى واشنطن .

(٧٤) جوليا (Julia) هى ابنة يوليوس قيصر وزوجة بومبي الكبير :

Lucanus, Pharsalia I. 119-118.

(٧٥) مارزيا (Marzia) هى ابنة ماركوس فيليوس وزوجة كاتوفى الثانية :

Luc. Phars. II. 328...

(٧٦) كورنيليا (Corniglia) هى ابنة شيهوفى الأفريقى وزوجة تيريو جراكوس .

وهى رمز للألم الرومانية فى المجتمع القديم . وسيدكرها كاتشاجويدا فى الفردوس : Par. X V. 129.

(٧٧) هذا هو صلاح الدين الأيوبي (١١٣٧-١١٩٣ م. Saladin.) مؤسس الدولة الأيوبية في مصر والشام وبطل الحروب الصليبية. أثار إعجاب العالم المسيحي بشجاعته وفروسيته وتسامحه وسعة أفقه. ووضع صلاح الدين في هذا الموضوع لا معنى لعدم تقدير دانتى له، وبالعكس لقد أبدى دانتى إعجاباً به ومجده على طريقته، وبوضعه في هذا المكان في اللبوس مع حكماء العالم القديم وعظماؤه وأباطاله، الذين تمى أن يكون هو نفسه في زميرتهم في الحياة الآخرة.

ويوجد رسم لصلاح الدين في كتاب جوستودي مينابوى من القرن ١٤ وهو في متحف كورسنى في روما.

(٧٨) وقف صلاح الدين بمفرده ربما لأنه ينتمى إلى عقيدة تخالف المسيحية، أو ربما لأنه لم يكن رومانياً، ولعل دانتى أراد أن يصوره كأحد أبطال الأساطير. وهو رمز للمثل الأعلى الإسلامى عند دانتى.

(٧٩) أرسطو المعلم الأول (٣٨٤ - ٣٢٢ ق. م. Aristotle) تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر وزعيم فلاسفة اليونان، وأثر في مجرى التفكير الفلسفى والعلمى في العالم. وكتب في الأخلاق والسياسة والطبيعة. وأصبحت له شهرة في العصور الوسطى، وترجم الإمبراطور فردريك الثاني مؤلفاته إلى اللاتينية عن العربية، وتأثر به توماس الأكوينى في وضع الفلسفة المدرسية. وسماه دانتى في «الويلمة» معلم الفلاسفة وأستاذ العقل البشرى والفيلسوف المجدد، وأشار إليه وإلى مؤلفاته في أكثر من موضع من الكوميديا وسائر كتاباته. وأطلع دانتى على آثاره المترجمة إلى اللاتينية وعلى ترجمة غير جيدة لعلم الأخلاق باللهجة الفلورنسية.

(٨٠) استوحى الفنان رافايلو (١٤٨٢ - ١٥٢٠) من وصف دانتى صورة مدرسة أثينا الموجودة في الفاتيكان في روما، وهى تمثل الفلاسفة والعلماء الأقدمين وقد وقفوا في أوضاع مختلفة، وتعبّر عن عقولهم وعلومهم.

(٨١) سقراط (٤٦٩ - ٣٩٩ ق. م. Socrates) بدأ حياته نحاساً ثم اشتغل بالهندية والتدريس. كان أحكم أهل عصره وامتاز بعقله المبدع وبجبه للمعرفة. ولم يحفل بامتلاكات الدنيا، وسعى إلى استكمال العقل والروح، وبحث الماهية، وسعى إلى الاستدلال القياسى والاستقرائى، واعترف بجهله في سبيل البحث عن الحقيقة. وهاجم السفطانية التى تجعل الفرد محور الوجود، وآتهم بإفساد الشباب اليونانى وإنكار الآلهة. وحكم عليه بالإعدام وقبل الحكم ولم يهرب. ويعد الشهيد الأول للعقل. لم يؤلف كتباً ولكن بعض آرائه قد وردت في مؤلفات تلميذه أفلاطون.

(٨٢) أفلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق. م. Platone) تلميذ سقراط وأستاذ أرسطو. تسوده روح إلهية وتطلع إلى المثل الأعلى، وأسس الأكاديمية. وكتب المحاورات ومنها فيدون والجمهورية والتياوس وعرف دانتى كتابه الأخير على الأخص، عن طريق تشيرون وتوماس الأكوينى.

(٨٣) ديموقريطس (٤٦٠ - ٣٦١ ق. م. Dimocritus) فيلسوف يونانى وأول من تكلم عن نظرية الذرة. عرفه دانتى عن طريق تشيرون: Cicero, De Natura Deorum. I. 24.

(٨٤) ديوجينس (٤٠٤ - ٣٢٥ ق. م. Diogenes) فيلسوف يونانى، كان يحتقر متع الحياة. عرفه دانتى عن طريق القديس أوغسطين.

(٨٥) أناجزاجوراس (٥٠٠ - ٤٢٨ ق. م. Anaxagoras) فيلسوف يونانى آمن بعقل واحد يحكم العالم. عرفه دانتى عن طريق تشيرون:

(٨٦) طاليس (Thales) فيلسوف يوناني أسس المدرسة الأيونية في الفلسفة والرياضة . واعتقد أن الماء أصل الوجود .

(٨٧) إيمبيدوقليس (Empedocles) فيلسوف صقلى ، يرى أن الوجود يرجع إلى العناصر الأربعة . عرفه دانتى عن طريق تشيشيرون .

(٨٨) هيراقليطس (Heraclitus) فيلسوف يوناني يرى أن النار أصل الوجود . عرفه دانتى عن طريق تشيشيرون : Cic. Acad. IV. 37; Tusc. V. 36.

(٨٩) زينون (ولد في أواخر القرن ٥ ق . م . Zenon) فيلسوف يوناني له بحوث في حقيقة الحركة . وربما قصد دانتى زينون الفيلسوف اليوناني الذي ولد في أواخر القرن ٤ ق . م . وهو مؤسس المدرسة الرواقية .

(٩٠) ديوسقوريدس (عاش في القرن الأول ق . م . Dioscorides) طبيب يوناني وضع كتاباً في خصائص الأعشاب الطبية .

(٩١) أورفيوس (Orpheus) شاعر وموسيقى من شخصيات الأساطير اليونانية ، ويقال إن موسيقاه كانت تجذب الأحجار والحيوانات من ورائه . تزوج إيريديس التي ماتت ببلدغ أفعى ، فهبط إلى العالم الأسفل باحثاً عنها ، وأثرت موسيقاه في بريسيفون إلهة ذلك العالم ، فبعث إيريديس إلى الحياة واشترطت عليه ألا ينظر إليها وهي تسير وراه في العالم الأسفل ، ولكنه نسى ونظر إليها فذهبت إلى الأبد . وقتلت المانياديات من أهل تراقيا أورفيوس وطاف رأسه على الماء حتى وصل إلى جزيرة لسبوس حيث دفن . وعرف دانتى أورفيوس عن طريق أوڤيديوس : Ov. Met. XI. 1...
ويوجد رسم بالموزايكو على الأرض يمثل أورفيوس يعزف على القيثارة ومن حوله اجتمعت الحيوانات ، ويرجع هذا الرسم إلى القرن الأول الميلادي ، وهو في المتحف الوطني في باليرمو . وكذلك يوجد حفر من المرمر يمثل أورفيوس وأيريديس ، ويرجع إلى القرن ٤ ق . م . وهو في المتحف الوطني في ناپلى .

وقد وضع أكثر من موسيقى ألحان أوبرات أو ألحاناً غنائية عن أورفيوس ، ف نجد مون:قردى (١٥٧٦ - ١٦٤٣) وضع أوبرا عنه يصور هيوطه إلى أعماق الجحيم لكي يأتي بأويريديس ، وكاد ينجح في نيل بغيته بفضل سحر موسيقاه الملك الجحيم ، لولا أنه لم يسمع نصحه ونظر إلى الخلف فذهب سعيه سدى . وألف رامو (١٦٨٣ - ١٧٦٤) لحناً غنائياً عن أورفيوس . ووضع جابوك (١٧١٤ - ١٧٨٧) ألحان أوبرا أورفيوس وأويريدس ، وفيها نجح أورفيوس في العودة بمحبوبته إلى الأرض بمؤونة إله الحب . وألف برليوز (١٨٠٣ - ١٨٦٩) مؤلفاً موسيقياً غنائياً عن أورفيوس . وكذلك وضع أوفنباخ (١٨١٩ - ١٨٨٠) ألحان أوبريت عن أورفيوس في الجحيم :

Monteverdi, Claudio : Orfeo, opera. Mantova, 1607 (Vox).

Rameau J. Philippe : Orphée , cantata. Paris prima del 1772. (DGG ARC).

Gluck, Chr. Willard : Orpheus and Eurydice , opera. Vienna, 1762. (Decca).

Berlioz, Hector : La Mort d'Orphée , musica vocale. Paris, 1827.

Offenbach, Jacques : Orphée aux Enfers , operette. Paris, 1858 (Telefun ken).

(٩٢) هوماركوس توليوس تشيشرون (١٠٦-٤٣ ق. م. Marcus Tullius Cicero) كاتب وفيلسوف وسياسى رومانى ، وهو من أتباع الأكاديمية الجديدة ، آمن بالله وحرية الإرادة ، وأخذ عن فلاسفة اليونان ما وافق عقله ، وحاول التوفيق بين المذاهب المتعارضة ، وكتب فى الخطابة والتكهن بالذنب والأكاديمية والواجب والصدقة .

(٩٣) لينوس (Linus) شاعر وموسيقى من شخصيات الأساطير اليونانية وهو أستاذ أرفيوس وعرفه دانتي عن طريق فوجيليو :

(٩٤) لوسيوس أنابيس سينيكا (٤ ق. م. - ٦٥ م. Lucius Annaeus Seneca

شاعر وفيلسوف رومانى . كان معلم نيرون . وكتب فى الأخلاق والفلسفة ووضع تراجيديات . وقتله نيرون .

ورسم ديلاكروا (١٧٩٨ - ١٨٦٣) صورة لموت سينيكا بأمر نيرون وهى فى مكتبة قصر البريون فى باريس .

(٩٥) إقليدس (عاش فى القرن ٤ ق. م. Euclid) الرياضى الإسكندرى ، كتب فى الرياضة والعدسات والهندسة والموسيقى .

(٩٦) كلاوديوس بطليموس (عاش فى القرن ٢ م. Claudius Ptolemaeus) الجغرافى الفلكى الرياضى المصرى . ترجمت مؤلفاته عن الفلك والجغرافيا من العربية إلى اللاتينية . وتقوم نظريته فى الفلك على أساس الحركة الظاهرة لا الحقيقية ، وعنده أن الأرض ثابتة ومركز الكون ، وتدور الكواكب حولها ، واتخذ اليابس أدنى المواقع بحكم ثقله ، ويعلموه الماء والنار والهواء والأثير . ويوجد فى الأثير أو بعده ثمانى سماوات ، وهى سماء القمر وسماء عطارد وسماء الزهرة وسماء الشمس وسماء المريخ وسماء المشتري وسماء زحل وسماء النجوم الثابتة ، ثم أضيفت سماء الاعتدال وسماء المحرك الأول أو سماء السماوات . وأخذ دانتي بنظرية بطليموس التى ظلت سائدة فى العصور الوسطى ، حتى ظهر كوبرنيكوس وجاليليو اللذين أثبتا أن الشمس مركز تدور من حوله كواكب وأجرام منها الأرض . ويوجد نحت يمثل بطليموس وأمامه الكرة الأرضية وهو من صنع أندريا بيزانو (حوالى ١٢٩٠ - ١٣٤٨) وهو مما يأتين به برج الكاتدرائية فى فلورنسا .

(٩٧) هيبوقراطيس (٤٦٠ - ٣٥٦ ق. م. Hippocrates) الطبيب اليونانى ويعده أبا الطب واشتهر بتشخيص الأمراض ، ويعرف بأبيقراط .

(٩٨) حسين عبد الله بن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٦ م. Avicenna) الفيلسوف والطبيب الإسلامى . ولد فى بخارى وعاش فى فارس ، ومن مؤلفاته النفس والقانون فى الطب والشفاء ، واشتهر بالتعليق على أرسطو وجالينوس ، وترجمت مؤلفاته إلى اللاتينية . وتأثر دانتي ببعض آرائه عن أثر الكواكب فى حياة الناس وعن الطريق اللبنى فى السهء والفرق بين النور والبهاء ، كما ورد فى كتاب «الوحيمة» فى طبعة أكسفورد لمؤلفات دانتي سنة ١٩٢٤ :

Conv. II. 14 (27-32); II. 15 (69-77); III. 14. (38-41); IV. 21 (15-17).

وتوجد صورة صغيرة لابن سينا فى كتاب عبرى يرجع إلى القرن ١٤ أو القرن ١٥ ، والكتاب فى مكتبة جامعة بولونيا .

(٩٩) كلاوديوس جالينوس (١٣١ - ٢٠١ م. Claudius Galinus) الطبيب اليونانى عاش فى الأناضول والإسكندرية وروما . وكتب فى الطب والفلسفة وترجمت بعض كتبه من العربية إلى اللاتينية .

(١٠٠) محمد بن أحمد بن رشد (١١٢٦ - ١١٩٨ م . Averrois) الفيلسوف والطبيب الأندلسي . ويعتبر أكبر شراح أرسطو وأحيا دراسته في العصور الوسطى . وكتب التعليق على كتاب النفس لأرسطو وترجم إلى اللاتينية . تأثر به دانتي في السياسة وفي العذاب والنعيم الزوسى عن طريق ألبرتو الكبير وتوماس الأكويني .

ويوجد رسم لابن رشد في كنيسة سانتا ماريا نوفلا بغلورنسا في مصلى الأسبان في صورة علوم الأرض وقد ظهر مع أريوس وتوماس الأكويني ، وربما كانت الصورة من عمل أندريا دا فيرنيتزه في القرن ١٤ .

(١٠١) يعنى أن الكلمات لا تسعفه كثيراً فيقصر وصفه عن تناول كل مشاهداته وخواطره .

(١٠٢) أى عندما يتجه فرجيليو ودانتي إلى متابعة رحلتهما تقل الجماعة المكونة من الشعراء

السة إلى رجلين اثنين .

(١٠٣) أى أنهما خرجا من الهواء الساكن في القلعة النجيلية إلى الهواء العاصف في اللجو .

(١٠٤) يستخدم دانتي الفعل المضارع لكي يزيد الموقف حياة .

(١٠٥) أى موضع لا يصله ضوء الشمس .

الأنشودة الحامسة^(١)

هبط الشاعران إلى الحلقة الثانية ، وهى بداءة الجحيم الحقيقية عند دانتي .
ووجدنا عند مدخلها مينوس قاضى الجحيم الذى يعترف له الآثمون بما ارتكبوا ،
فيحكم بإرسالهم إلى الموضع الذى يناسبهم ، بلفقات ذنبيه حول نفسه . اعترض
مينوس على قدوم دانتي ، ولكن فرجيليو أوضح له أن هذه هى إرادة السماء .
وسمع دانتي عويل الآثمين الذين غلبوا العاطفة على العقل فى أثناء الحياة ،
وعقابهم أن تدور بهم عاصفة هوجاء ، دون أمل فى راحة أو فى أن تخفّ
عنهم حدّة الألم . وأشار فرجيليو إلى بعض المعتذرين مثل سميراميس وهيلانة
وكليوباترا وتريستانو . ثم رأى دانتي اثنين يذهبان معاً ، وقد ترفقت بهما
العاصفة ، وهما فرننشسكا دا ريمينى وپاولو مالاستا . دعاها دانتي باسم الحب
أن يقدما عليه ، فلبيا النداء فى شوق ولهفة ، كفرخى حمام ناداهما الهيام إلى
العشّ الحبيب . أبدى دانتي عطفه على هذين الآثمين ، فبادلته فرننشسكا
ذلك العطف ، وتمنت أن تكون صلاتها عند الله مقبولة من أجل سلامه .
قالت فرننشسكا إن پاولو أحبها فلم تستطع إلا أن تبادله حباً بحب ، وإن
الحب قادهما معاً إلى موت واحد . سألتها دانتي كيف أتاح لهما الحب أن
يتعرفا على رغباتهما الخبيثة ، فأجابته فرننشسكا بأنهما كانا يقرآن يوماً
وبلذة قصّة جينثرا ولانتشلوتو ، فتأثرا بهما ، وقبل پاولو فرننشسكا ، وفاجأهما
الزوج ، وقتلها معاً ، ولم يقرأ منذ ذلك اليوم شيئاً . وبينما كانت فرننشسكا
تتكلم عن حبها بأسى ولذة بكى پاولو بمرارة ولم ينطق بكلمة واحدة . فأحسّ
دانتي أنه يفقد الوعي من فرط الأسى وهوى كجسم ميت يهوى إلى الأرض .

- ١ هكذا هبطتُ - أسفل - من الحلقة الأولى إلى الثانية^(٢) ، التي تحيط بمكان أصغر وآلامٍ أعظم ، وتلهبُ حتى العويل^(٣) .
- ٤ هناك يجلس مينوس الرهيب^(٤) ، ويصرّ بأسنانه : يزن الآثام عند المدخل^(٥) ، وبلقاتٍ من ذنّبه يحكم ويقذف^(٦) .
- ٧ أعنى أنه عندما تردُّ النفس الملعونة أمامه ، تعترف بكلّ شيء ؛ ويرى قاضى الخطايا ذاك^(٧) ،
- ١٠ أى مكان في الجحيم يناسبها ؛ ويلقّ ذنّبه من حوله ، بعدد الحلقات التي يرغب أن يهبطوا إليها^(٨) .
- ١٣ دوّماً يقف أمامه سيلٌ من الهاالكين ويذهب كلُّ بدوره ليلقى حكمه ؛ يقولون ويسمعون^(٩) ، ثم يُقذفون إلى أسفل^(١٠) .
- ١٦ قال لى مينوس حيناً رآنى ، وقد توقّف عن مزاولته عمله الخطير : « أنت يا منّ تأتى إلى موئل الآلام ،
- ١٩ احترس إذْ تدخل هنا ، واحذر منّ تثق به^(١١) ، ولا يخدعك اتساع المدخل^(١٢) ! » . فقال له دليلي : « لماذا تصيح كذلك ؟
- ٢٢ لا تعطّل رحلةً خطّها له القدر : هكذا أريدُ هناك ، حيث يمكن أن يُفعلَ ما يراد ، ولا تسألنى على ذلك مزيداً^(١٣) » .
- ٢٥ الآن تبدأ أصوات الأسي تطرق أسماعى ، والآن وصلتُ إلى موضعٍ ، يحتاجنى فيه عويلٌ جارف .
- ٢٨ لقد جئتُ إلى مكان يجرس فيه كلّ ضياء^(١٤) ، ويهدر كما يفعل بحرٌّ في أثناء زوبعةٍ ، حيناً تلطمه رياح متعارضة^(١٥)
- ٣١ العاصفة الجهنمية التي لا تهدأ أبداً^(١٦) ، تقود الأرواح بعنفها : وترهقهم وهي تلور بهم وتضر بهم^(١٧) .
- ٣٤ وحيناً يصلون أمام الأنتقاض^(١٨) ، نسمع هناك الصراخ والنواح والعويل ، وهناك يلعنون القدرة الإلهية^(١٩) .

- ٣٧ فهمتُ أنه قُضِيَ بمثل هذا العذاب على مرتكبي خطايا الجسد ؛ الذين يُخضعون العقل للشهوات .
- ٤٠ وكما تحمل الزرازيرَ أجنحتها ، في سربٍ كبيرٍ متزاحمٍ ، وقت البرودة^(٢٠) ، كذلك تفعل تلك العاصفة بالأرواح الحيثة ،
- ٤٣ تقودهم هنا وهناك ، وإلى أسفل وإلى أعلى^(٢١) ؛ لا يحدوهم الأمل في طمأنينةٍ ولا راحةٍ أبداً ، ولا في أن تخف عنهم حدة الألم .
- ٤٦ وكما تضي الكراكيّ شاديةً بصوتها الباكي ، وقد جعلت من نفسها في الهواء صفناً طويلاً^(٢٢) ، هكذا رأيتُ أشباحاً تأتي وهي تُطلق .
- ٤٩ صرخاتها ، وتحملها تلك العاصفة : ولذا قلت : « أستاذي ، مَنْ هؤلاء القوم الذين يُضنيهم الهواء الأسود هكذا ؟ » .
- ٥٢ عندئذ قال لي : « الأولى بين مَنْ تريد أن تعرف أخبارهم ، كانت إمبراطورةً على لغاتٍ عديدة^(٢٣) .
- ٥٥ إنها استسلمت لشهوة الجسد ، حتى جعلت لذة الغرائز مشروعةً في قوانينها ؛ لكي تمحو ما انغمست فيه من العار^(٢٤) .
- ٥٨ هي سميراميس^(٢٥) ، التي يُقرأ عنها أنها خلفت نينو ، وكانت له زوجةً ودان لها ملكٌ يحكمه السلطان^(٢٦) .
- ٦١ والأخرى هي التي قتلت نفسها وقد تيمها الحب ، وحثتُ يمينها لرماد سيكيو^(٢٧) ؛ ومن بعدها كليوباترة أسيرة الشهوات^(٢٨) .
- ٦٤ وانظر إلى هيلانة^(٢٩) ، التي دار بسببها عهدٌ مشؤوم ، وانظر إلى أخيل العظيم^(٣٠) ، الذي قاتل في النهاية وقد ساده الحب .
- ٦٧ وانظر باريس^(٣١) ، وتريستانو^(٣٢) . ثم أراني أكثر من ألفٍ شبحٍ ؛ وذكر لي وهو يشير بأصبعه ، أسماء الذين نزعهم الحب من حياتنا .
- ٧٠ وبعد أن سمعتُ أستاذي يسمي لي النساء العتيقات والفرسان ، ملكني الأسى ، وأوشكت أن أفقد الوعي^(٣٣) .

- ٧٣ بدأت^(٣٤) : « أيها الشاعر^(٣٥) ، كم أودّ أن أتحدّث^(٣٦) إلى هذين الاثنين^(٣٧) اللذين يذهبان معاً ، ويبدوان هكذا خيفين أمام الريح^(٣٨) . »
- ٧٦ أجابني : « سترى حينما يصبحان أقرب إلينا^(٣٩) ؛ ادعهما عندئذٍ باسم الحبّ الذي يقودهما^(٤٠) ، وسيأتيان^(٤١) . »
- ٧٩ وبيننا تميل بهما الريح نحونا^(٤٢) ، رفعتُ صوتي^(٤٣) : « أيهاتان النفسان العذبتان^(٤٤) ، تعاليا خدّثانا ، إن لم يمنعكما عن ذلك أحد^(٤٥) . »
- ٨٢ وكحمامتين دعاهما الهيام^(٤٦) ، تأتيان عبرَ الهواء بأجنحةٍ مرفوعةٍ ثابتةٍ^(٤٧) إلى العشّ الحبيب ، وقد حملهما الشوق^(٤٨) ؛
- ٨٥ هكذا خرج هذان^(٤٩) من جماعة فيها ديدوني^(٥٠) ، آتيين نحونا وسط الهواء الخبيث^(٥١) ؛ إذْ كان قوياً ندائى الجياش بالعاطفة .
- ٨٨ أيها المخلوق^(٥٢) الرقيق اللطيف^(٥٣) ، الذى تسير خلال الجوّ المعتم زائراً^(٥٤) إيانا^(٥٥) ، نحن اللذين خضبنا الأرضَ بالدم -
- ٩١ لو كان ملك العالم صديقاً لنا^(٥٦) ، لضرّعنا^(٥٧) إليه من أجل سلامك^(٥٨) ، لأنك تُشفق على حظنا العاثر .
- ٩٤ إننا سنسمع وستحدّث إليك عما يلذّ لك أن تسمعه وتقله^(٥٩) ، بينما تسكت لنا الريح ، كما هي الآن^(٦٠) .
- ٩٧ المدينة التي وُلدتُ فيها تستوى على شاطئ البحر^(٦١) ، حيث يصبّ الو ، لكى ينال السلام مع نهيراته^(٦٢) .
- ١٠٠ والحبّ^(٦٣) الذى يُشعل القلبَ الرقيق سريعاً^(٦٤) ، يسمّه بالجسم الجميل^(٦٥) ، الذى انتزع مني ، بطريقة لا تزال تُحزنني^(٦٦) .
- ١٠٣ الحبّ^(٦٧) الذى لا يعنى محبوباً من مبادلة الحب^(٦٨) ، سيطر على كيافى بلذّةً ، وهو كما ترى لا يفارقني بعد^(٦٩) .
- ١٠٦ الحبّ^(٧٠) قادنا إلى موتةٍ واحدةٍ^(٧١) : وقايل ينتظر من أطفأ سراج حياتنا^(٧٢) . حُملتُ منهما هذه الكلمات إلينا^(٧٣) .

- ١٠٩ وعند سماعي حديث هاتين النفسين المهيضتين ، حنيتُ رأسي ،
ومكثتُ مطرقاً طويلاً^(٧٤) ، حتى قال لي الشاعر^(٧٥) : « فيمَ تفكر؟ » .
- ١١٢ وعندما أجبتُ ، بدأتُ^(٧٦) : « واحسرتاه ، أية خواطر عذبة ، وأية
رغبة عميقة ، أدت بهذين إلى الطريق الأليم^(٧٧) ! » .
- ١١٥ ثم اتجهتُ إليهما ، وتكلمتُ ، وبدأتُ^(٧٨) : « يافرنتشسكا إن
عذابك يستتظر مني الدمعَ حزناً وخشوعاً^(٧٩) .
- ١١٨ ولكن أخبريني : في وقت التهذبات العذبة^(٨٠) ، كيف وبأى دليل أتاح
لكما الحب^(٨١) ، أن تتعرفا على رغباتكما التي يحولها الشك^(٨٢) ؟ » .
- ١٢١ أجابتنى : « ليس من ألم أشدّ ، من تذكّر العهد السعيد وقت
البؤس^(٨٣) ، وهذا ما يعرفه أستاذك^(٨٤) .
- ١٢٤ لكن إذا كانت تحلوك رغبة عميقة ، في أن تعرف أصل حبنا^(٨٥) ،
فسأفعل كمن يبكي ويتكلم^(٨٦) .
- ١٢٧ كنا ذات يومٍ نقرأ للمتعة^(٨٧) ، عن لانتشوتو^(٨٨) ، وكيف تيممه
الحبّ : وكنا وحيدين^(٨٩) ، لا يخالجنا شك^(٩٠) .
- ١٣٠ وجعلتُ تلك القراءة عيوننا تتلاقى عدّة مرّات ، وأشجبتُ لونَ
وجهينا^(٩١) ؛ ولكن أمراً واحداً^(٩٢) كان ذلك الذي غلبنا .
- ١٣٣ حينما قرأنا أن البسمةَ المرتقبة^(٩٣) ، قد قبلها مثل ذلك العاشق ،
طبع هذا^(٩٤) - الذي لن ينفصل عني أبداً^(٩٥) -
- ١٣٦ طبع على ثغري قبلةً ، وهو يرتجف كله .^(٩٦) كان الكتاب وكاتبه هما
جالوتو^(٩٧) : ولم نقرأ فيه ذلك اليوم مزيداً^(٩٨) .
- ١٣٩ وبينما^(٩٩) كانت إحدى الروحين^(١٠٠) تنطق بهذه الكلمات ، بكتُ
الأخرى بمرارة^(١٠١) ، حتى تهالكتُ من الأسى كأني أموت^(١٠٢) ؛
- ١٤٢ وهويتُ^(١٠٣) كما يهوى جسمٌ ميت^(١٠٤) .



ه - فرنتشسكا و باولو

أنشودة ه : ٧٣ ...

حواشى الأثنوذة الخامسة

(١) الأثنوذة الخامسة هى قصيدة من ارتكبوها خطايا الجسد ، وتعرف بقصيدة فرنتشسكا دا ريميني .

(٢) هنا تبدأ الجحيم الحقيقية عند دانتي ، وما سبق يعد مقلمة لها .

(٣) كلما زاد الهبوط زاد عذاب المالكين .

(٤) مينوس (Minos) ملك جزيرة كريت فى الميتولوجيا القديمة ، واشتهر بالقوة والعدالة وصورة هوسيروس وفرجيليو كقاضى للجحيم :

Virg. Æn. VI. 432 .

Homerus, Odyssey, XI. 696 ...

ولقى النبى محمد وجبريل فى المراج المشار إليه حارس الجحيم :

Cerulli (op. cit.) pp. 156-159.

ويوجد حفر لكائن ذى وجه بشع وذنب ملفوف حول الجسد ونطاف فى اليد وجناحين ، وربما يرجع إلى القرن ١٢ ويعطى فكرة عن صورة مينوس الرهيب ، وهو فى قصر ألبانى فى روما .

ووضع ميكلائنجلو (١٤٧٥ - ١٥٦٤) صورة لمينوس فى صورة الحكم الأخير فى كنيسة سيستو بالتاتيكان فى روما ، وهو ذو شكل يبعث على الرعب ، وله نابان بارزان ، ويلف ذنبه حول جسده .

(٥) يشبه هذا قول فرجيليو :

Virg. Æn. VI. 567.

(٦) أى يرسلهم إلى مواضع عذابهم وأضعفت (بذنبه) للإيضاح .

(٧) ذكر دانتي لفظ (conoscitor) ومعناه المألوف هو العارف ، ولكن فى لغة القانون يعنى القاضى ، وهو يناسب وظيفة مينوس فى الجحيم .

(٨) أى أنه إذا أحاط نفسه بذنبه ثمانى مرات ، فمضى ذلك أن الآثم يجب أن يهبط إلى الحلقة الثامنة .

(٩) يقولون ما ارتكبهه ويسمعون الحكم عليهم . ويدل هذا التعبير الموجز على أن مينوس كان يؤدى واجبه بسرعة لكثرة الآثمين أمامه .

(١٠) أى إلى المكان الذى يناسبهم .

(١١) يحذر مينوس دانتي من الهبوط إلى الجحيم ويشككه فى دليله .

(١٢) يشبه هذا قول فرجيليو :

Virg. Æn. VI. 126.

(١٣) يعنى إرادة السماء . وسبق هذا المعنى :

Inj. III. 93-96.

- (١٤) لا يرى دانتى شيئاً بسبب الظلام ، ولكنه يسمع صوت العاصفة .
 (١٥) يشبه دانتى ما سمعه بنوه البحر الشديد ، وهو بذلك يرسم إحدى صور الطبيعة .
 (١٦) العاصفة الجهنمية رمز للحواس والشهوات التى سيطرت على هؤلاء الآثمين ، وهى تعذبهم على الدوام . ويشبه هذا ما أورده ثرجيليو :

Virg. Æn. VI. 440 ...

وهناك شبه بين هذه الملحنة وما جاء فى التراث الإسلامى :

Cerulli (op. cit.) pp. 156-159.

القرآن : الذاريات : ٤١ .

أبو إسحاق محمد بن إبراهيم الثعلبى : كتاب قصص الأنبياء المسى بالعرائس . القاهرة ، ١٣٤٥ هـ . ص : ٤٣ .

الخازن : تفسير القرآن (السابق الذكر) ج ٢ ص : ١٠٥ .

(١٧) رسم المصور أوركانيا (حوالى ١٣٠٨ - ١٣٦٨) أرواح من ارتكبو الخطيئة بسبب الحب فى صورة الجحيم فى كاتدرائية فلورنسا .

(١٨) هذه أنقاض الصخور المتخلفة من العاصفة الجهنمية .

(١٩) وذلك لفرط ما نالهم من العذاب .

(٢٠) طيران الزواجر غير منتظم . وكان دانتى شديد الولع بمراقبة الطيور .

(٢١) هذه الحركات كناية عما يساور نفس الآثم بسبب شهوة الجسد .

(٢٢) هكذا تفعل الكراكي عند ما تهاجر وقت الحريف من شمال أوروبا إلى مناطق الدفء .

(٢٣) يقصد شعب بابل .

(٢٤) وضعت سيراميس القوانين التى تجعل خطايا الجسد شرعية .

(٢٥) هناك طائفتان من الآثمين الذين غلبوا العاطفة والشهوة على العقل : الطائفة الأولى وعلى رأسها سيراميس طائفة أمعت فى حياة الفسوق ، ولم يكن يعنىها سوى التمتع بالملذات . وستأتى الطائفة الثانية بعد . وسيراميس (Semiramis) ملكة الآشوريين شخصية تحوّلها الأساطير ، ويقال إنها عاشت فى القرن ١٤ ق . م . وخلفت على العرش زوجها نينو (Nino) - ويقال إنه كان أبها أيضاً - بعد أن تأمرت عليه . وكان نينو أول ملك يتطلع إلى إقامة إمبراطورية عالمية .

وذكرها بروينيو لا تبنى صديق دانتى وأستاذه الروسى ، وأوفيدويس :

B. Latini, Trésor, I. 26.

Ov. Met. IV. 58, 88.

وتوجد صورتان لسيراميس وفيديو فى كتاب جوستو دى مينابويوى المشار إليه .

وضعر روسينى (١٧٦٢ - ١٨٦٨) ألحان أوبرا سيراميس التى تصور حياة العشق والمثمة التى عاشتها ملكة الآشوريين :

Rossini, G. : Semiramide, opera. Venezia, 1823 (Columbia).

(٢٦) يتخلط دانتى بين بابلونيا - بابل - على الفرات وبابلونيا - الفسطاط - على النيل . والمقصود أن سيراميس حكمت دولة واسعة فى حوض الدجلة والفرات . وكان سلاطين مصر المعاصرين لدانتى من دولة المماليك البحرية ، وسيأتى ذلك فى الأشرطة ٢٧ .

وقد رسم جوتو (١٢٦٦ / ٧ - ١٣٣٧) صورة لسلطان مصر وبعض رجاله ، وهي في الكنيسة العليا للقديس فرنسيسكو في أسيسى .

(٢٧) الطائفة الثاوية من ارتكبوا الخطيئة بسبب العاطفة هم جماعة الذين أخلصوا في جهنم لشخص واحد ، وعلى رأسهم ديدوني هذه . وهي مؤسسة دولة قوطاجنة وزوجة سيكيو وأقسمت بعد موته ألا تزوج ، ولكنها وقعت في حب إينياس ، وأسلمت نفسها له ، ثم هجرها إلى إيطاليا ، فتولاها اليأس وانتحرت ، كما تروى الأساطير القديمة . وتكلم عنها فرجيليو :

Virg. *Æn.* VI. 450 ...

وتوجد صورة من عمل روبنز (١٥٧٧ - ١٦٤٠) لديدو وهي تعمد السيف في صدرها ، وهي في متحف اللوفر في باريس . وكذلك رسم سيبياستيان بوردون (١٦١٦ - ١٦٧١) صورة تمثل مصرخ ديدو وهي في متحف الإريمتاج في ليننجراد .

وضع برسل (١٦٥٩ - ١٦٦٥) أغان أوبرا ديدو وإينياس التي تصور قصة العاشقين وتوضح مأساة ديدوني :

Puncell, Henry : *Aeneas and Dido*, opera. Chelsea, 1689 (HMV).

(٢٨) كليوباترة (Cleopatra) ملكة مصر في عهد البطالسة (٦٩ - ٣٠ ق . م .) يقال إنها انتقلت من حب يوليوس قيصر إلى ماركوس أنطونيوس من باب السياسة ثم انتحرت حتى لاتقع في قبضة أوكتافيوس . يشير دانتي في الفردوس إلى هربها من أكتيوم وموتها : Par. VI. 76-78 . ويوجد رسم لكليوباترة في كتاب جوستو دي مينابوي المشار إليه .

(٢٩) هيلانة (Helena) زوجة مينلاوس ملك إسبرطة . اختطفها باريس من برياموس ملك طروادة ، وكان ذلك سبباً في قيام حرب طروادة :

Virg. *Æn.* I. 650.

Hom. III. II. 160 .. ; III. 164, etc.

وهناك حفر بارز يمثل زواج هيلانة من العصر الروماني وهو بالمتحف الوطني في نابلي . وتوجد صورتان صغيرتان لخطف هيلانة وإحراق طروادة وترجمان إلى القرن ١٤ ، وهما في مكتبة كيدي في ن روما . وقد رسم تيبولو (١٦٩٦ - ١٧٧٠) صورة تمثل اختطاف هيلانة وهي في مجموعة بورليبي في ميلانو .

(٣٠) أخيل (Achilles) بطل الإغريق في حرب طروادة ، وهو رمز للقوة والجمال والنبل والوفاء . ويقول هوميروس في الإلياذة إن أخيل قد قتل بعد مقتل هيكتور أمام طروادة ، ولكن دانتي اتبع الرأي الذي كان سائداً في العصور الوسطى القائل ، بأن أخيل أحب بوليكسانا ابنة برياموس ، ووجد بالأحبار طروادة لكي يتزوجها ، ولكنه حثت بوعده ، فقام عليه باريس أخو بوليكسانا ، وقتله غدرأ في معبد أبولو :

Ov. *Met.* XIII. 448 ...

Virg. *Æn.* I. 30, 458, 468; II. 29, 197, 275; III. 87, 326; VI. 98, 168, 839; X. 581; XI. 404; XII. 352, 545, etc.

Hom. III. II. 684; XXII. 35-404, etc.

وقد ألف لولي (١٦٣٢ - ١٦٨٧) أغان أوبرا عن أخيل وبوليكسانا وهي غير مسجلة :

Lully, J. B. : *Achille et Polyxène*, opera. Paris, 1687 (P. Colasse termino L'opera dopo la morte di Lully).

(٣١) باريس (Paris) هو ابن ملك طروادة ، حكم لثينوس الإلهة بتفوقها على يوزون ومينرفا في الجمال ، فكفافته بماوته في اختطاف هيلانة وبذلك قامت حرب طروادة :

Virg. Æn. I. 27; II. 602; IV. 215; V. 730; VI. 57.

Hom. III. III. 38-75, 443 ... , etc.

ورسم روبنز (١٥٧٧ - ١٦٤٠) صورة تمثل باريس وهو يصدر حكمه ، والصورة في المتحف الوطني في لندن .

ووضع جلوك (١٧١٤ - ١٧٨٧) ألحان أوبرا باريس وهيلانة التي تصور الأساطير القديمة والبطولة والعشق في عهد طروادة :

Gluck, Chr. W. : Paris et Hélène, opera, Vienna 1770 (ex. Decca).

(٣٢) تريستانو (Tristano) أحد فرسان المائة المستديرة من قصص العصور الوسطى في فرنسا وهو ابن الملك يليادوس وابن أخى مارك ملك كورنواي ، ذهب تريستانو الفارس الشجاع إلى إيرلندا ليحمل إيزوتا (Isolt) الشقراء الجميلة ، لكي تزوج من عمه وسيد الملك مارك . وحاول تريستانو أن يكون زياً لعمه ومولاه ، ولكن الحب كان أقوى من كل شيء . وكشف الملك العلاقة بين العاشقين ، وجرح تريستانو جرحاً عميقاً ، ونقل إلى قصره ، ووصلت إيزوتا لترى حبيبها يمجد بأفاسه الأخيرة ، فلا تبكي ، ولا تنطق سوى كلمات متقطعة وتموت وبعداً وأسى فوق جثمان تريستانو .

أخذ فاجنر (١٨١٣ - ١٨٨٣) هذه المساة وكتبها شعراً ، ووضع ألحانها الرائعة التي هي شملة تطلعي بنيران الحب . يخرج فاجنر في أوبرا تريستانو وإيزوتا من عالم اللقاء والفراق ، ومن دقيا الجسد والمادة ، ومن قواعد المجتمع ، إلى العاطفة المجردة الخالدة . عند ما تموت إيزوتا فوق جثمان حبيبها تهوى إلى الأعماق وهي تذوب هناك وبعداً . وبذلك تصور هذه الموسيقى قلوب العاشقين ، وإحساننا بهذه الألحان يساعدنا على فهم مأسى الحب عند ديديفي وفرنتشسكا دا ريميني وعند دانتي :

Wagner, Richard : Tristan und Isolde, opera. Monaco, 1865 (HMV).

(٣٣) يشارك دانتي المعذبين في آلامهم ، حتى يكاد يفقد الوعي .

ويوجد رسم للأثامات بسبب شهوة الجسد في صورة الحكم الأخير التي تنسب إلى فرنتشسكو تراييني من القرن ١٤ ، وهي في الكامپوسانتو في بيزا .

(٣٤) قال إنه بدأ ، بمعنى أنه لم يتكلم مباشرة ، واحتاج إلى بعض الجهد والوقت حتى تمالك نفسه ، بعد أن شارك المعذبين آلامهم ، قبل رؤية « هذين الاثنين » .

(٣٥) ينادي دانتي فرجيليو بالشاعر ، وهي الصفة الخالدة عندهما معاً ، ولأنهما مقبلان على موقف عاطفي مؤثر .

(٣٦) أي كم تحدهم الرغبة الملحة للتحدث إلى هذين الاثنين ، وما فرنتشسكا دا ريميني (Francesca da Rimini) وباولو مالاتستا (Paolo Malatesta). أخذ دانتي مأساة هذين العاشقين عن حادثة تاريخي وقع في ريميني على ساحل الأدرياتيك في حوالي ١٢٨٥ . وبخلاصته أن أسرة دا پولنتا (Da Polenta) أمير رافنا وأسرة مالاتستا أمير ريميني جنحتا إلى السلام بعد فترة من المناقشة بينهما عن طريق المصاهرة . اعتقدت فرنتشسكا الجميلة ابنة دا پولنتا أنها ستزوج باولو مالاتستا الشاب القوي الجميل ، الذي كان متزوجاً وأنجب طفلين ولكنها خدمت ربما عن غير قصد ، وزفت إلى أخيه جانتشوتو (Gianciotto) القبيح المشوه ، والذي عرف بالعزم والصلابة . وأنجب الزوجان طفلة . ومع ذلك فقد نشأت واستمرت عاطفة حب عنيف بين فرنتشسكا وباولو . اجتمع العاشقان في غياب

الزوج الذي شغل وظيفة المدة في عدة أماكن. وذات يوم أخذ يقرأ قصة فرنسية من قصص المائدة المستديرة في العصور الوسطى ، تناوأت الملكة جينيرا (Ginevra) زوجة الملك أرتو (Artù) ، وفارسها لانتشوتو (Lancialotto) وعند ما وصلا في قرابتهما إلى القبلة بين العاشقين القديمين ، أخذها الموقف، وقيل باولو فرنتشسكا . وتكرر ذلك الموقف بينهما . فكتب أحد أقرباء جانتشوتو ينبيه بالخبر . ورجع جانتشوتو إلى ريميني ، وراقب العاشقين ، وفاجأها في عزلتها ، فأسرع باولو إلى الفرار ، ولكن ثوبه علق بالباب ، فاندفع جانتشوتو يضربه بالسيف ، واهترسته فرنتشسكا لحماية باولو ، فاخترق السيف صدرها ، ونفذ إلى ظهر باولو ، فاتا معاً . عرف دانتى هذه المساة في شبابه فأثرت في نفسه ، واعتزم أن يكتب عنها يوماً ما . وعند ما لجأ دانتى في أواخر أيامه إلى جيودونوفلودا وپولتا أمير رافنا ، أكل كتابة الكوميديا، ونال ما كتبه دانتى عن فرنتشسكا إعجاب الأمير وتقديره ، فكتب شعراً متأثراً بدانتى .

كتب دانتى هذا الجزء عن فرنتشسكا فيما لا يزيد عن ٧٠ بيتاً ، وبذلك أوجز ولم يفصل . جعل هذا الإيجاز - وهو صفة عامة عند دانتى - لكل كلمة وإشارة معناها اللطيق . ولابد لفهمه - من الوقوف بإيمان أمام ألفاظه . ويتسامل بعض النقاد عن سبب تخليد دانتى لهذين العاشقين ، ويشك بعضهم في أن دانتى ربما مر بتجربة مشابهة، وأنه أراد أن يضع لنفسه وللناس عظة وهبرة . ولكن ليست هناك أدلة تؤيد هذا الرأي ، ويستبعده أكثر النقاد .

تناول بعض أدباء إيطاليا هذا الموضوع ذاته . كتب بليكو (Pellico) مأساة فرنتشسكا دا ريميني في أوائل القرن التاسع عشر ، صور فيها الأبطال الثلاثة كإدراج للخلق والفضيلة . وعندة أن فرنتشسكا أحب باولو دون خطيئة ، وارتكب جانتشوتو القتل لأنه ظن خطأ أن هناك خطيئة قد وقعت . ووضع دانونزيو (Dannunzio) مأساة فرنتشسكا دا ريميني التي يسودها العنف والقسوة والتمتع بملذات الحياة ، تلك الصفات التي تغلب على أدبه . وكتب تش زاريو (Cesareo) مأساة فرنتشسكا دا ريميني، وصور فيها الود المتبادل بين الأخوين ، وجعل فرنتشسكا امرأة عنيفة جامحة ، ظلت تغري باولو بالتهكم والسخرية والرفق واللين ، حتى وقعت الخطيئة والمأساة .

(٣٧) اختلف عقابها عن بقية الآثمين ، فلم تفرقهما الريح، ولم تضرهما ببعض ، بل حملتهما معاً على الدوام . آثار هذا الاختلاف انتباه دانتى .

(٣٨) يعني يبدوان كريشة في مهب الريح .

(٣٩) حاول فرجيليو بهذه الكلمات أن يحمل دانتى على الصبر والانتظار .

(٤٠) أي أن الحب يقودها مع الريح ، والحب محور هذه القصيدة .

(٤١) أي أنهما لن يتوانيا عن القدوم إذا استحلتهما دانتى باسم الحب العزيز عليهما .

(٤٢) يعني أن الريح استجابت لنداء دانتى وحملتهما إليه .

(٤٣) أي أنه من فرط تأثره لم يستطع النطق بسهولة فبذل جهداً ورفع صوته حتى يتكلم .

(٤٤) ناداهما دانتى بالحالة الأليمة التي هما عليها ، وفي هذا عطف ومشاركة لهاتين النفسين

في عالم لا رحمة فيه . وما إن أحسا هذا العطف حتى أسرعا إلى دانتى في شوق ولطفة .

(٤٥) طلب إليهما أن يقتربا أكثر وأن يتكلما عن حالهما ، ولم يكد يتم قوله حتى أبدى

هذا الاعتراض الذي ولده الشك ، إذ ربما وجد عائق يمنعهما من القدوم ، والمقصود بالمائق الله .

(٤٦) شبهها دانتى بالحمام لأنه طير يعشق بإخلاص .

(٤٧) طارا بأجنحة قوية تمتدة مفتوحة حتى يصلا سريعاً إلى العش الحبيب .

ويشبه هذا قول فرجيليو :

Virg. Æn. V. 213-214.

(٤٨) يمكن أن يكون ترتيب الأبيات الثلاثة السابقة كالآتي : « حملتُما الرغبة الملحة عبر الهواء كفرنخي حمام ناداهما الهيام ، بأجنحة مرفوعة ثابتة إلى العش الحبيب » .

(٤٩) أى أنهما لم يستطيعا التأخر أمام نداء دانتى الحار .

(٥٠) ديدونى (Didone) ملكة قرطاجنة التى عشقت لإينياس بعد موت زوجها كما تروى الأسطورة . ولست ديدونى وجماعتها من الممتمنين فى حياة الإثم . وهى ارتكبت الخطيئة فى ظروف مؤثرة ، ولا تزال تسودها الأخلاق النبيلة .

توجد صورة صغيرة لإينياس وديدو فى بحيرة الأفرزو التى تؤدى إلى العالم السفلى ، وترجع إلى القرن ١٤ ، وهى فى مكتبة كيدجى فى روما .

(٥١) الهواء الحبيث الأسود المظلم الملهون .

(٥٢) يعنى أن دانتى روح وجسد حى لم يموت بعد .

(٥٣) لا تعرف فرنشسكا كيف تكافى دانتى على عطفه عليها وعلى صاحبها ، فنمتته بالصفات الطيبة اعترافاً بالجميل .

(٥٤) أى الذى تجشم الصعاب لزيارتها .

(٥٥) تأتى لزيارة من ؟ فعن الاثنى الذين جمعهما الحب والإثم والدم والموت !

(٥٦) أى الله .

(٥٧) كانت فرنشسكا تود أن تكون صلاتها مقبولة عند الله ، ولكنها تعرف ألا مكان لها

عنده .

(٥٨) كانت تود أن تصل من أجل غفران ذنوب دانتى ، وبذلك حاولت أن تقابل العطف بالعطف . يمزج دانتى هنا عالم الخطيئة بعالم الرحمة ، ويحاول أن يقرب بين الأرض والسماء .

(٥٩) أبدلت البيتين (٩٤ و ٩٥) الواحد بالآخر لمطابقة الأسلوب العربى .

(٦٠) لا تسكن الريح فى هذه المنطقة أبداً ، ولكنها تسكن قليلاً من أجل هذين الماشقين على سبيل الاستثناء ، حتى يقدر على الكلام ، لأن خطيئتهما عند دانتى تدعو إلى العطف والرحمة .

(٦١) يعنى مدينة رافنا التى تقع على مقربة من ساحل الأدرياتيك ، ولم تذكر اسم المدينة ربما لأنه لأنها ذكرى الأهل والأهل والوطن .

(٦٢) يلاقى نهر الديو ونهراته صعوبات الأرض فى مجراه الأعلى ويبحث عن السلام فى المجرى الأدنى السهل وفى البحر . وهنا يمزج دانتى بين معنى السلام عند الإنسان وفى حياة النهر .

(٦٣) لا تنطق فرنشسكا فى هذه الآونة بغير الحب . وقد ساد مذهب الحب فى مدرسة الشعر الحديث فى فلورنسا فى القرن ١٣ م . وقال دانتى فى « الحياة الجديدة » ما يعبر عن هذا المعنى ، وكذلك فعل معاصروه :

V.N. XX. 3.

Guinizelli, Canz. V. 1.

(٦٤) يسيطر الحب على القلب سريعاً ، حتى إن الحب لا يدرك كيف يحدث هذا .

(٦٥) هناك خلاف بين النقاد على نص هذا المعنى وتفسيره . يرى بعض أن دانتى أراد أن

يقول « تم شخصه هذا الجميل » .

(٦٦) هناك جدال وخلاف بين الدائتين على معنى (offendere) وتفسر بمعنى الحزن أو الإهانة أو القهر .

(٦٧) تنسى الألم لحظة ثم تعود إلى ذكرى الحب .

(٦٨) أى أن الحب لا يطلب سوى الحب ولا يعنى المحبوب من أن يحب من أحبه . ومن ذا الذى يستطيع أن يقاومه ؟ يعنى أن باولو أحبها فأحبهته . وهى تتكلم بصدق وحرارة . وإن حرارة القلوب تذيب كل الذنوب ، وبذلك تتحول الخطيئة إلى طهارة وفضيلة بنيران القلب المخلص .

(٦٩) أى أن الحب لا يزال مستولياً عليها ولا تستطيع منه خلاصاً .

(٧٠) عادت فرنسيسكا مرة ثالثة إلى الحب ، ولكنها لا تطيل الكلام عنه ، لأنه أدى إلى حدوث مأساتها .

(٧١) قادها الحب إلى موت واحد ، إلى موت الجسد ، وإلى اللعنة والعذاب . بين فرنسيسكا وباولو أخوة فى الحب والخطيئة والموت والعذاب . وفى الموت خلود الحب . ويشبه هذا ما حدث لريستانو وإيزوتا ، الذى عبر فاجنر فى موسيقاه عن خاود جهما بالموت ، كما سمت الإشارة إليه .

(٧٢) الدائرة القائية - نسبة إلى قابيل (Caina) - هى الطبقة الأولى من الحلقة التاسعة من الجحيم ، التى تعذب فيها نفوس الخونة ومن قتلوا أقاربهم ، هذا مع أن جانتشوتو ، الزوج ، لم يرتكب القتل إلا دفاعاً عن العرض . وهل كان من المنتظر أن يقف بارداً أمام شرفة المتبهك ، ألم يكن جانتشوتو جديراً بأن يلقى العطف والرحمة جزاء ما فقد ؟ فعل دانتي ذلك ، وخروج على تقاليد العصر وقواعد الأخلاق والدين لأنه آمن بالحب ، واعتقد بأنه فوق التقاليد وقواعد المجتمع وأقوى من الشرف والخطيئة واللعنة والموت . وسيكون موضع جانتشوتو مع قتله الأقارب :

Inf. XXXII. 16-6g.

ويوجد حجر محفور عليه كتابة لجانتشوتو مالاتستا ويرجع إلى ١٢٨٥ ، وهو فى متحف الفن فى بيزارو على ساحل البحر الأدرياتي .

(٧٣) كانت فرنسيسكا تتكلم وحدها ، ولكن باسمها واسم باولو .

(٧٤) هنا سادت فترة صمت وسكون . غلب دانتي الأسى فسكت وأطرق رأسه طويلاً ، وظل يفكر فى كلام فرنسيسكا العذب الأليم . وسكت فرجيليو أيضاً إلى جانبه . ورب صمت أبلغ من كلام .

(٧٥) قطع فرجيليو هذا السكون وبدأ يتكلم .

(٧٦) لم يعد دانتي المستغرق فى الفكر والأسى إلى نفسه ، إلا بعد جهد ووقت . ولما أجاب عن سؤال فرجيليو بدا كأنه يحدث نفسه .

(٧٧) تسامل دانتي عن الخواطر العذبة والرغبة العميقة التى أدت بهما إلى الجحيم .

(٧٨) بذل دانتي جهداً حتى تمالك نفسه ، وعاد إلى سؤال فرنسيسكا .

(٧٩) فى كلام دانتي عطف وإعزاز ومشاركة للمعذبين فى آلامهما ، التى تبعته على البكاء وتجعله حزيناً خاشعاً متعبداً أمام هذا الموقف الملىء بالأسى .

(٨٠) أى فى الوقت السعيد الذى كان كل منهما يفكر فيه فى حبه وصاحبه .

(٨١) أى ليس هما اللذان عرفا ما يتألمها من تلقاء نفسيهما ، ولكن الحب ذاته هو الذى كشف لكل منهما عما فى قلب الآخر من عاطفة .

(٨٢) يصعب الحب الشك والغموض ، ويشكك العاشق في مدى حب صاحبه له ، وفي الشك إذكاء الحب .

(٨٣) قالت إن ذكرى العهد السعيد وقت اليأس ، يزيد عذاب النفس . ومع هذا فإن الذكرى ذاتها تعزى القلب المكلم ، فتشعره بالسعادة وتمذهبه في وقت واحد . ويشبه هذا ما قاله بويتوس :

Boethius, *Philosophiae Consolationis*, II. IV. 4.

(٨٤) أشهدت فرنتشسكا فرجيليو على صحة هذا القول.

(٨٥) يشبه هذا قول فرجيليو :

Virg. *Aen.* II. 10-13.

(٨٦) عند ما يمتزج البكاء بالكلام يكون منتهى الألم . والكونت أوجولينو فيما بعد يتكلم ويبيكي . وورد هذا المعنى عند فرجيليو :

Inf. XXXIII. 9.

Virg. *Aen.* VI. 1.

لم تسرع فرنتشسكا إلى إجابة سؤال دافنى ، وتأخرت بكلامها السابق في الاعتراف له ، كمن يريد أن يحتفظ بسر عزيز لديه ، ثم فاض لسانها بما ضمته جوانحها ، وكن يمنع عبراته لحظة ، ثم لا تلبث أن تفيض على الرغم منه .

(٨٧) تمهلت فرنتشسكا ووقفت عند كل كلمة ، لأنها استمادت ذكرياتها العذبة الأليمة . كانت تقرأ مع باولو للتسلية والمتعة قصة حب قديمة ، تجاربت مع ما في نفسيهما من العواطف .

(٨٨) عين الملك أرتو ، في قصص المائنة المستديرة ، لانتشلتو فارساً لزوجه الملكة جينثرا . نشأ الحب بين الملكة وفارسها ، وسألته مرة كيف ومتى أحبها . قال إنه أحبها منذ أن أصبح فارساً لها ، وإنه استمد منها الحب عندما ودعته في رفق وعذوبة ، وبذلك غمرته بالسعادة وجعلته غنياً وسط الفقر . ولكن جينثرا على الرغم من حبها إياه كان يلد لها أن تعذبه وتقله ، حتى ظن لانتشلتو أنها لم تعد تحبه . وعندئذ تدخل جالوتو صديقيهما ، ودافع عن لانتشلتو، وشرح كيف أنه يحبها أكثر من نفسه ، وأنه كئز لا يمكن العثور على مثيله ، وسألها أن تكون رحيمة به ، وأن تظهر له الحب الذي تخفيه وأن تحتفظ به أبداً . وعدت جينثرا أن تفعل ذلك ، وأفصح عن رقيتها في أن يكون أحدهما خالصاً للآخر :

Malory, Th.: *The Death of King Arthur*. Oxford, 1955.

وقد ألّف برسل (١٦٥٩ - ١٦٦٥) ألحان أوپرا عن الملك أرتو :

Purcell, Henry : *King Arthur*, opera. London, 1691 (Oiseaux-Lyre).

(٨٩) كانا بعمدين عن أعين الرقباء ، وهذا دليل على شعورهما بالخطيئة .

(٩٠) لم يخامرهما أى شك في أن يكشف أمرهما .

(٩١) جعلتهما تلك القراءة يتبادلان النظرات ، فزاد نبضهما ، وكشف أحدهما الحب في وجه الآخر ! وإن تلاق عيونهما عدة مرات معناه أنهما قاروا هذا الشهور بعض الوقت . ورأت فرنتشسكا في نفسها صورة جينثرا ، ورأى باولو في نفسه صورة لانتشلتو .

(٩٢) انتهت مقاومتهما وغلبها الحب . حاولت فرنتشسكا أن تشرح أصل ذلك الحب ، ولكنها لم تكده تبدأ الكلام حتى أشرفت على النهاية .

(٩٣) البيسة كناية عن الفم . لا يذكر دانتى الفم أو الشفتين ، ولكنه يذكر الابتسامة . ويعبر عن مادة الشفتين بالبيسة غير المادية ، وهذا شعور رقيق . قصدت فرنتشسكا أن مقاومتها قد هزمت عند ما قرأ أن جينثرا ولانتشلتوتو قد تعانقا في قبلة طويلة في ضوء القمر الساطع .

(٩٤) اكتفت بالإشارة إلى باولو بلفظ هذا دون أن تذكر اسمه ، لأن من يعرفها لا يد أن يعرفه ، وهما شيء واحد ، هو هي وهي هو ، وهذا منتهى الحب .

(٩٥) هما متلازمان في الحياة والموت واللذة والعذاب .

(٩٦) عندما قرأ عن قبلة جينثرا ولانتشلتوتو غمرتهما نشوة الحب ، وسقط الكتاب من أيديهما ، وأقرب وجههما ، واختلطت أنفاسهما ، والتقت شفتاهما المرتمشتان في قبلة حارة عميقة خالدة .

(٩٧) أي أن القصة ومؤلفها لعبا دور جاليوتو (Galotto) وسيط الحب بين جينثرا ولانتشلتوتو .

(٩٨) لم يقرأ ذلك اليوم شيئاً لا لأنهما لم يرتكبا من الإثم سوى هذه القبلة ، ولكن فرنتشسكا لم تقو على الكلام أكثر مما فعلت . اعترفت بخطيئتها ولكن مع احترام شخصها . أخبرت فرنتشسكا دانتى بكل شيء ، بكلماتها القصيرة ، وتركت ظلاً من الإيجاز والإبهام على ما اختلج بين جوانحه . وكثيراً ما تعجز اللغة عن التعبير عما يدور في حنايا القلوب . عبرت فرنتشسكا عن الفاجعة بسطر واحد . ولم تذكر كيف قتلا . اختلط في ذلك الحب باللذة والإثم والنار والخلود . ويشبه مقتلها ما صوره شكسبير في مأساة عطيل . يسأل عطيل ديمونة قبل أن يقتلها هل قامت بالصلاة ، ويطلب إليها ألا يفوتها إثم دون أن تستغفر السماء من أجله ، ولها أن تعتبر نفسها في فراش الموت ! استولت الدهشة والرعب على ديمونة البريئة ، وحاولت أن تعرف ماذا قصد عطيل بذلك الكلام الرهيب . لم ترتكب ديمونة إثمًا ، ولكن عطيلاً صدق وشاية ياجو بها ، فأخذته الذيرة وقتلها ، ثم عرف الحقيقة الأليمة بعد موتها . وهناك خلاف بين المأساتين لأن فرنتشسكا ارتكبت الإثم واعترزت بجهلها ولم تنصل منه ، بعكس ديمونة التي لم ترتكب إثمًا :

Shakspeare, Othello, V. 2.

ورسم ديلاكروا (١٧٩٨ - ١٨٦٣) صورة لبابولو وفرنتشسكا وهما مسمكان بالكتاب الذي يروى قصة جينثرا وبينما كان جانتشوتو يرقبهما خلصة من وراء ستار . والصورة موجودة في مجموعة خاصة في زهدنخ .

(٩٩) أي طول ذلك الوقت .

(١٠٠) أي فرنتشسكا .

(١٠١) أي باولو . . بينما كانت فرنتشسكا تتكلم كان باولو يبكي . كلامها بكاه وبكائه كلام ، وهما يعبران عن شيء واحد . أحس الرجل القوى الشجاع بالمسؤولية ، وقدر التضحية التي بذلتها من أجله المرأة ، فلم يقو على الكلام . أما المرأة الخجولة البوديمة فقد أصبحت جريئة شجاعة وتكلمت باسمها واسم عاشقها وافتخرت بما فعلت . وظهر باولو أمامنا وهو لا يفعل شيئاً سوى أن يصعد الزفرات . وكان باولو بذلك روحاً مليئاً بالحياة الزاخرة . ولا ندري أيهما كان أشد تأثيراً في النفس ، كلام فرنتشسكا العذب الأليم ، أم بكاه باولو الصامت بغير كلام ؟ عنسا نطقت فرنتشسكا بكلماتها الأولى أحس دانتى بالأسى ، وعندما تابعت كلامها اتلأت عيناه بالدمع ، وعند ما بكى باولو ، لم يحتمل دانتى هذا الأسى العنيف ، ففقد الوعي .

(١٠٢) أي أن دانتى أحس أنه يموت .

(١٠٣) فقد دانتى الوعى وهوى إلى الأرض كجثة لا حراك بها . وهذا منتهى المشاركة في آلام هذين العاشقين . ويقال إن دانتى كان معرضاً لنوبات يفقد فيها الوعى ويسقط على الأرض . يشبه هذا قول أوفيدىوس :

(١٠٤) هكذا رسم دانتى شخصية فرنتشسكا دا ريمبى . وهذا الفصل هو أشهر أجزاء الكوميديا . ظهرت شخصية فرنتشسكا بعد تدرج طويل في أشعار التروبادور حيث كانت المرأة انمكاساً لصورة الرجل ، ثم أصبحت في الشعر الفنائى في أواخر العصور الوسطى رمزاً للفضائل . وظهرت شخصية فرنتشسكا وليدة لتجارب الحب العديدة التي مر بها دانتى . ويصحح أن دانتى وضع فرنتشسكا في الجحيم ، ولكنها جسيم مخففة ، بالنسبة للإثم في حق الزوج ، لأنه أدرك أنه يصعب حل الإنسان مقاومة العاطفة ، وأبدى نحوها العطف والرعاية والأسى ، حتى فقد الوعى . وفرنتشسكا على الرغم من الخطيئة شخصية نبيلة رقيقة وديمة صادقة معترفة بالجميل ، تكاد تكون تقية صالحة ، لا تحسد أحداً ولا تحقد على إنسان ، ولا تسخط على العذاب الذى تلاقه ، ولا تتلمس المآذير للخطيئة التي ارتكبتها . وهي امرأة حية حقيقية . وهي سابقة على تلك الشخصيات الإنسانية الحديثة التي خلقها شكسبير وجوته . وهي مثل أعلى للإنسان الحى الحديث الواقعى بتجربه وشرة . وخلالها صور دانتى الإنسان الرقيق الضعيف ، الذى يخضع للقدر ، ويستسلم للخطيئة . عاشت فرنتشسكا في عالم لم يفهما . إنها كالزهرة الرقيقة تؤثر فيها نسائم الهواء الرقيقة . هي ضحية أكثر منها آثمة . إنها شهيدة حب . هكذا حلم دانتى أبا الهول ، وكسر القيود السابقة ، وخرج على تقاليد العصور الوسطى ، وتغلغل في صميم الحياة الواقعة ، وصور الإنسان الحديث .

ويوجد رسم يقال إنه يمثل فرنتشسكا في صورة ترجع إلى القرن ١٤ ، وهي في كنيسة سانتا ماريا في پورتو فوروى في رافنا .

وعلى باب الجحيم الذى صنمه رودان نماذج من الحفر البارز تمثل عذاب الآثمين ، ومن بينهم فرنتشسكا وپاولو وهما في حالة من الوجد والهيام .

وضع بعض الموسيقيين أحياناً موسيقية استوحوها من قصة فرنتشسكا والكوميديا ، فوضع روسينى (١٧٩٢-١٨٦٨) قطعة موسيقية عنها . وألف ليست (١٨١١-١٨٨٦) سيمفونية دانتى التي تصور عالم الجحيم ودنيا المطهر والتطلع إلى الفردوس . ووضع سوناتا دانتى التي تصور حب هذين العاشقين وبذاهما . وألف تشايكوسكى (١٨٤٠-١٨٩٣) افتتاحية سمفوزة عن فرنتشسكا دا راييمبى تجاوب في أنغامها عصف الرياح وأنين العاشقين اللذين يدوبان وبعداً وهياماً . وكذلك وضع تزاندوناي (١٨٨٣-١٩٤٤) ألحان أوبرا فرنتشسكا دا راييمبى على أساس كتاب دانوتنزيو عنها . كما ألف راحمانيوف (١٨٧٣-١٩٤٣) أوبرا عنها . وهناك كثير ون غيرهم قد استلهموا هذا الموضوع لوضع ألحانهم الموسيقية في إيطاليا والخارج ، وسيأتى ذكر هذا في قائمة المراجع .

الأنشودة السادسة (١)

أفاق دانتي من غشيته أمام عذاب فرنتشسكا وپاولو ، فوجد نفسه في الحلقة الثالثة ، حيث المطر والبرد يهطل فوق المعتذرين الذين ارتكبوا خطيئة الشره والنهم . رأى دانتي تشير بيروس الوحش ذا الرؤوس الثلاثة — رمز الشره والنهم — وهو يعوى فوق رؤوس المعتذرين ويمزقهم ويلتهمهم . وعندما رأى الوحش دانتي كشر عن أنيابه ، ولكن فرجيليو ملاً أفواهه الفاغرة بحفنة من أديم الأرض . وفي أثناء مرور الشاعرين فوق الأشباح المغمورة في مياه المطر ، نهض شبح تشاكو المواطن الفلورنسي الذي اشتهر بالشره والنهم . أبدى دانتي عطفه عليه وسأله عن مصير أهل فلورنسا . فأجابه بأن الدماء ستسيل في فلورنسا وأن حزب (البيض) سيطردها ، ويحل مكانه حزب (السود) وأخبره أن العادلين قلائل في فلورنسا ، وأن الغطرسة والحسد والبشع هي أسباب ما أصاب فلورنسا من الويلات . استفسر دانتي عن بعض أبطال فلورنسا مثل فاريناتا وتيجياريو وموسكا ، وسأله أن يعمل على رؤيتهم ، وهل هم في السماء أم في الجحيم . أجابه تشاكو بأنه قد هوت بهم إلى أعماق الجحيم خطايا أخرى ارتكبوها ، وسأله أن يحمل إلى الأحياء ذكراه عند عودته إلى العالم الحبيب ، ثم سقط مغموراً في الوحل . عرف دانتي من فرجيليو أن عذاب هؤلاء الآثمين سوف يزيد بعد الحكم الأخير ، لأنهم سيقربون نوعاً من الكمال ، باتحاد نفوسهم بأجسامهم ، لأنه كلما زاد الكمال زاد الإحساس باللذة والألم ، كما يقول أرسطو . ثم هبط الشاعران إلى الحلقة الرابعة ، التي يجرسها بلوتوس الشيطان ، عدو الإنسان اللدود .

- ١ بينما عاد إلى الوعي الذي كنتُ قد فقدته بإشفاقى على الصنّوين (٢) ،
والذى بلسبيلٍ بالحزنِ خاطرى (٣) ،
- ٤ إذا بي أرى من حولي عذاباً جديداً ومعذبين جدّداً ، أنى أتحرّك وأتجه ،
وأينما أنظر (٤) .
- ٧ أنا فى الحلقة الثالثة ، حلقة المطر الأبدى ، اللعين ، البارد الثقيل (٥) ؛
الذى لا يتجدّد عنفه أبداً ولا يتغير نوعه (٦) .
- ١٠ برّدٌ كبير ، ومياهٌ مسودّةٌ ، وثلجٌ يهطل خلال الهواء المظلم ؛ فتبعثُ
كريبه الروائح الأرضُ التى تتلقى هذا كله (٧) .
- ١٣ وتشير بيروس (٨) الوحش الكاسر العجيب ، يعوى ككلبٍ ذى أفواهٍ
ثلاثة (٩) ، على رؤوس القوم الذين غمروا هنا (١٠) .
- ١٦ إنه ذو عينين حمراوين (١١) ، ولحية كثة سوداء (١٢) ، وبطنٍ كبير (١٣) ، ويدين
تسلّحتا بالمخالب (١٤) ؛ وهو يمزق الأرواح ، ويسلخها ويشطرها أرباعاً (١٥) .
- ١٩ يطلق المطر عواءهم كالكلاب : ويتدرّعون بجنبٍ عن جنبٍ ؛
ويتقلب الآثمون التعساء كثيراً (١٦) !
- ٢٢ وحينما رأنا تشير بيروس ، الوحش الضخم (١٧) فغمّر أفواهه وكشر لنا عن
أنيابه ؛ ولم يدع عضواً منه فى سكون (١٨) .
- ٢٥ فمدّ دليلى راحتيه ، وأخذ تراباً من أديم الأرض وقذف به ، ثمّ تلى
القبضتين ، فى الحلوق الجشعة (١٩) .
- ٢٨ ومثل ذلك الكلب الذى يتشهى وهو ينبج ، ويهدأ عندما ينهش الطعام ،
لأنه لا يجيد ولا يقاتل إلا لافتراسه (٢٠) ،
- ٣١ كذلك فعلتُ تلك الوجوه البشعة ، وجوه الشيطان تشير بيروس ،
الذى أرعدت فوق الأرواح ، حتى رغبتُ أن يُصيبها الصم (٢١) .
- ٣٤ ومررنا فوق أشباحٍ ترزح تحت مطرٍ ثقيل ، ونحطّونا فوق رسومها
الحاوية ، التى تبدو أجساد بشر (٢٢) .

- ٣٧ استلقتُ كلها على الأرض سوى شبحٍ واحدٍ^(٢٣) ، نهض سريعاً ليجلس^(٢٤) ، حيناً رأنا نمرّ من أمامه .
- ٤٠ وقال لى : « أنت يا أيها المقود خلال هذه الجحيم ، تعرفُ علىّ إن استطعت : إنك وُلدت قبل أن أموت^(٢٥) » .
- ٤٣ قلت له : « إن العذاب الذى تعانیه ، ربما يمحو صورتك من ذاكرتى ، حتى لكأنى لم أرك من قبل قطّ^(٢٦) .
- ٤٦ ولكن أخبرنى مَنْ أنت الذى وُضعتَ فى مثل هذا المكان الأليم ، وفى مثل هذا العذاب الذى إن وُجد ما يفوقه ، فليس أشدّ منه تنفيراً » .
- ٤٩ قال لى : « إن مدينتك التى هى مليئة بالحسد^(٢٧) ، حتى فاض به الإناء ، قد احتوتنى فى الحياة الواعدة^(٢٨) .
- ٥٢ وأنتم يا مواطنىّ ستميتونى تشاكوا : وإنى أنوء بخطيئة النهم اللعين ، كما ترى ، تحت وابل المطر^(٢٩) .
- ٥٥ ولستُ رحدى بالنفس البائسة^(٣٠) ، فهؤلاء كلهم ينالون ذات الجزاء لنفس الإثم » . ولم ينطق بعد ذلك حرفاً^(٣١) .
- ٥٨ فأجبتة : « ياتشاكوا ، إن عذابك يثقل على نفسى كثيراً ، حتى ليدعونى إلى البكاء^(٣٢) ؛ ولكن أخبرنى ، إذا كنت تعرف ، إلى أين
- ٦١ يصير^(٣٣) سكان هذه المدينة^(٣٤) المنقسمة^(٣٥) ؛ وهل بها إنسانٌ عادل^(٣٦) ؟ وخبرنى عن السبب الذى أصبحتُ به نهياً لكل هذا الخلاف^(٣٧) » .
- ٦٤ قال لى^(٣٨) : « بعد صراعٍ طويلٍ سيسفكون الدماء^(٣٩) ، وسيطرده حزبُ الرّيف غريمه ، بنخسارة كبيرة^(٤٠) .
- ٦٧ ولا بدّ بعد ذلك أن يسقط هذا الحزب^(٤١) خلال دورات الشمس ثلاثٍ^(٤٢) ، ويعلو الآخر^(٤٣) بقوة مَنْ يداورهما^(٤٤) ،
- ٧٠ وسيحمل جباهه عاليةً زماناً طويلاً^(٤٥) ، موقعاً الآخر تحت فادح الأعباء ، مهما أبدى لذلك من بكاءٍ أو أحسن من عار^(٤٦) .

- ٧٣ العادلان اثنان^(٤٧) ، ولكن لا يستمع لهما هناك^(٤٨) : والغطوسة والحسد والجنس ، هي الشرارات الثلاث التي أشعلت القلوب^(٤٩) .
- ٧٦ وهنا اختتم كلامه الباكي^(٥٠) . قلت له : « لا زلتُ أُرغبُ أن تعلمني ، وتمنحني من الكلام مزيداً^(٥١) . »
- ٧٩ فاريناتا^(٥٢) ، وتيجايو^(٥٣) ، وقد كانا ذَوَى فضلٍ عظيمٍ ، وجاكوبه روستيكوتشي^(٥٤) ، وهزرى^(٥٥) ، وموسكا^(٥٦) ، والآخرون الذين وضعوا عقولهم لفعل الخير^(٥٧) ؛
- ٨٢ خبّرني أين هم ، واعمل على أن أراهم ؛ فإن رغبةً شديدةً تدفعني إلى أن أعلم ، أتسعدهم السماء أم تُهلكهم الجحيم^(٥٨) ؟ » .
- ٨٥ أجابني : « إنهم بين أشدّ النفوس سواداً^(٥٩) : وإن خطايا أخرى في أسفل سمويهم إلى القاع^(٦٠) : فإذا أمعنت في الهبوط استطعت أن تراهم ؛
- ٨٨ ولكن حينما تُصبح في العالم الحبيب ، أرجو أن تحمل اسمي إلى ذاكرة الأحياء^(٦١) : ولن أزيدك حديثاً ولن أضيف جواباً . »
- ٩١ واعتري الحولُ عينيه بعد استقامة النظر^(٦٢) : وحدجني قليلاً^(٦٣) ، ثم خفض رأسه : وسقط به بين سائر العميان^(٦٤) .
- ٩٤ قال لي دليلى : « إنه لن ينهض حتى يُنفخ في صور الملائكة^(٦٥) ، حينما تأتي القوة المعادية^(٦٦) : »
- ٩٧ وسيسعى كلٌّ منهم إلى قبره الحزين ، وسيستردّ جسده وصورته ، ويسمع ما يدوي إلى الأبد^(٦٧) . »
- ١٠٠ هكذا عبرنا خلال الخليط الكريه من الأشباح والمطر ، بنحطى^(٦٨) بطيئةً ، ونحن نتحدث قليلاً عن الحياة المقبلة .
- ١٠٣ لهذا قلت : « أستاذي ، هل سيزيد هذا العذاب بعد الحكم الأخير ، أو ينقص ، أو سيظلّ قاسياً هكذا^(٦٩) ؟ » .
- ١٠٦ قال لي : « ارجع إلى علمك^(٧٠) الذي يرى أنه كلما أصبح الكائن أكثر كمالاً ، زاد إحساسه باللذة وكذلك بالألم^(٧١) . »

- ١٠٩ ومع أن هؤلاء القوم الملعونين ، لا يبلغون الكمال الحقيقي أبداً ، فإنهم يتوقعون أن يكونوا بعدُ أقرب إليه منهم الآن « (٧٢) .
- ١١٢ ودرنا حول ذلك الطريق (٧٣) ، ونحن نتكلم كثيراً ، مما لا أعيد قوله ؛ ووصلنا إلى موضع يبدأ الهبوط عنده (٧٤) :
- ١١٥ وهناك وجدنا بلوتوس (٧٥) ، العدو الكبير (٧٦) .

حواشى الأنشودة السادسة

- (١) تسمى هذه الأنشودة باسم أنشودة الشرحين أو أذبودة تشاكو فلورنسى . وهى تقابل الأنشودة ٦ من المطهر التى يلحن فيها دانتي إيطاليا ، كما تقابل الأنشودة ٦ من الفردوس حيث يستعرض جستنيان تاريخ الإمبراطورية الرومانية . ويسرد دانتي هنا بعض تاريخ فلورنسا . هناك صلة بين هذه الأذبودة والثلاث التى تعبر عن حلم دانتي الوطنى العالمى .
- (٢) يقصد فرنتشسكا وپاولو .
- (٣) كان دانتي لا يزال تحت تأثير الأسمى الذى أحسه من أجلهما حتى فقد الوعى .
- (٤) وصل الشاعران إلى الحلقة الثالثة حيث يلتق الشرحون النهمون عذابهما . يعبر دانتي بالحركة والنظر عن كثرة المعذبين .
- (٥) يعنى أن الثلج يتساقط كالمطر .
- (٦) لا يتغير عنف العذاب فى الجحيم لأنه أبدى .
- (٧) أى الرائحة الكريمة .
- (٨) تشير بيروس (Cerberus) كلب خرافى فى الميتولوجيا القديمة ، جعله فرجيليو حارس الجحيم كله ، وهو هنا حارس هذه الحلقة ، وذكره فرجيليو وأفيديوس :
- Virg. Æn: VI. 417-423.
Ov. Met. VI. 448.
- ويوجد حجر من المرمر يمثل الوحش تشير بيروس برؤوسه الثلاثة ، ويرجع إلى العصر الرومانى ، وهو فى متاحف الكابيتول فى روما .
- (٩) أفواه أو حلقو ثلاثة كناية عن الشره الشديد .
- (١٠) أى أنهم غمروا فى المطر والوحل .
- (١١) العين الحمراء علامة الوحشية والغضب .
- (١٢) اللحية السوداء الكثيفة رمز الشره والنهم . ويتخذ دانتي لفظ اللحية للتقريب بين الإنسان والحيوان .
- (١٣) البطن الكبير رمز لمن لا يشبع أبداً .
- (١٤) المخالب رمز الافتراس .
- (١٥) أى يقسمهم أربعة أقسام حتى يسهل ابتلاعهم .
- (١٦) يعنى أن المطر يؤلم جوانبهم وقد غمروا فى الوحل ، فيديرون الجانب المنمور لى يخففوا الألم عن الجانب الآخر الذى تمرض بالمطر الثقيل ، وهم بذلك يتقلبون سريعاً من شدة الألم .
- (١٧) فى الأصل (الدودة) الكبيرة بمعنى حيوان أو وحش ضخم مخيف . وكذلك يسمى دانتي لوتشيفيرو - الشيطان - فى آخر الجحيم :

(١٨) هذا تصوير لغضب الوحش الرهيب . وهو نموذج للصور الرهيبة التي رسمها دانتي في الجحيم .

ورسم بعض أعلام الفن في عصر النهضة مثل ليوناردو دافنشي (١٤٥٢ - ١٥١٩) بعض صور لحياوات خيالية رهيبة ، بعضها مستمد من جحيم دانتي ، مثل الصورة المرسومة بالطلاشير والرصاص والخبر في المكتبة الملكية في قصر وندسور بإنجلترا .

(١٩) لا يملك في الوحش سوى التراب . وكذلك حال الشرحين النهمين . وردت صورة مشابهة في الإنيادة :
Virg. Æn. VI. 420.

(٢٠) هذه صورة حية للكلب . ويشبه هذا قول فرجيليو :
Virg. Æn. VI. 421.

(٢١) كان عواء تشير بيروس كصوت الرعد ، حتى آثر المعذبون أن يصيهم الصم .

(٢٢) كان للأشباح صورة الإنسان .

(٢٣) هذا شيخ تشاكو (Ciaccio) المواطن الفلورنسي في القرن ١٣ م . وهو يمثل الرجل الشره النهم .

(٢٤) نهض جالساً ، لأنه لا يستطيع الوقوف لشدة هطول الثلج والمطر .

(٢٥) مات تشاكو حوالي ١٢٨٦ ، بعد أن تجاوز دانتي سن العشرين .

(٢٦) العذاب المرتسم على وجه تشاكو غير ملاحظه فلم يستطع دانتي أن يعرفه . وهذا دليل على الأسى العظيم الذي كان يعانيه . يدل هذا على قوة ملاحظة دانتي للوجوه . وهو بذلك يعطى صورة مصححة لبعض مواقف الإنسان . عندما يفسح دانتي عن خفايا النفس البشرية ، يخرج على تقاليد العصور الوسطى ، ويمهد لعصر النهضة والعصر الحديث .

(٢٧) يقصد فلورنسا المليئة بالحسد والتنافس على الوظائف والمصالح ، بين الأفراد بعضهم وبعض ، وبين الطبقة الوسطى والتبلاء ، وبين أصحاب المهن الصغرى والمهن الكبرى .

ويوجد رسم عام صغير لمدينة فلورنسا ويرجع إلى حوالي ١٣٣٥ ، وما يبدو به معمدان سان جوفاني والبارجلو والقصر القديم ، وهو في المكتبة الأورنتزية في فلورنسا .

(٢٨) الحياة الوادعة يعنى الحياة على الأرض ، وذلك بالقياس إلى الحياة في الجحيم .

(٢٩) يتكلم والعذاب يرضيه .

(٣٠) يذكر تشاكو أنه ليس وحده الذي يلاقى هذا العذاب ، وفي ذلك بعض العزاء .

(٣١) أضناه العذاب فسكت .

(٣٢) هنا يتأثر دانتي ويشارك تشاكو ألمه ويشعر أنه على وشك البكاء . ليست الجحيم مكان

العطف والرحمة ، ولكن هكذا جعلها دانتي ، ومزج فيها بين الرحمة والعذاب .

(٣٣) يسأل دانتي عن المستقبل لأن أرواح الموق تعرف ذلك . سيكرر دانتي مثل هذا

السؤال فيما بعد :
Inf. X. 95-99.

(٣٤) يقصد فلورنسا .

(٣٥) أى التي قسمتها الأحزاب السياسية ، ويقصد دانتي بالسؤال الأول معرفة مصير

شعب فلورنسا .

(٣٦) في السؤال الثاني يحاول أن يعرف هل خلعت فلورنسا من العاديين .

(٣٧) في السؤال الثالث يريد أن يعرف سبب هذا الصراع الحزبي العنيف . يقول الأصل « لماذا هاجمها كل هذا الخلاف » وأظن أن هذا التصرف لا يغير المعنى .

(٣٨) تسجل هذه الأبيات تاريخ فلورنسا السياسي بين ١٣٠٠ و ١٣٠٣ م .

(٣٩) حدث الكفاح بين فرعين من حزب الجلف البابوي في فلورنسا . الفرع الأول ويعرف بالبييض والثاني بالسود ، وحزب الريف هم البييض لأنهم يرجعون إلى وادي سيبي في ريف فلورنسا . سالت السماء بين الجانين في أعياد الربيع ١٣٠٠ وأصاب فلورنسا دمار شديد ، فاضطرت الحكومة الفلورنسية ومن أعضائها دائتي إلى نفي زعماء الجانين تطويلاً للأمن والسلام .

(٤٠) في يونيو ١٣٠١ دبر السود مؤامرة لطرد البييض من الحكم ، ولكن كشف أمرهم ونفى بعض زعمائهم وعلى رأسهم كورسو دوناتي ، وبذلك لحق السود أضرار كبيرة .

(٤١) أي حزب البييض من آل تشيركي .

(٤٢) يعنى قبل انقضاء ثلاث سنوات .

(٤٣) يعنى حزب السود من آل دوناتي .

(٤٤) أي البابا بونيفاتشو الثامن ، الذي اتصل بالجزبين ، وداورها بعض الوقت ، ثم رأى أن من مصلحته إعلاء شأن السود ، فأرسل شارل دي فالوا الأمير الفرنسي لكي يوطد السلام في فلورنسا . ونجح شارل دي فالوا في توطيد السلام البابوي ، وطرد حزب البييض من الحكم ووضع مكانه حزب السود ، ونفى كثيرين من أنصار حزب البييض ، ومن بينهم دائتي في يناير ١٣٠٢ .

(٤٥) بقى حزب السود في الحكم زناً طويلاً ، وصادر أملاك حزب البييض ، وحال السود دون تجمعهم خارج فلورنسا لاحتكامها . ولم يشر دائتي إلى تفصيلات هذه الحوادث .

(٤٦) أي أن بكاء حزب البييض وإحساس رجاله بالعار لم يمنع حزب السود من ارتكاب أعمال العنف والاضطهاد والتشكيل بهم . وهذه إجابة دائتي عن سؤاله الأول .

(٤٧) لا يتفق النقاد على تحديد العادلين الاثنتين . ربما قصد دائتي نفسه وصديقه جويدو كائالكاتتي . وربما كان المقصود أن العادلين قلائل جداً في فلورنسا .

(٤٨) وعلى الرغم من قلة العادلين في فلورنسا فلم يستمع إليهم أحد ، وبذلك سارت الأمور سيراً سيئاً .

(٤٩) أثارته هذه الرذائل الأحقاد في قلوب أهل فلورنسا .

(٥٠) يعنى أنه يتكلم بصوت حزين كالبكاء .

(٥١) دائتي شديد الرغبة في المعرفة دائماً ، ويمد المزيد من الكلام لزيادة المعرفة ، بمثابة منحة أو هدية .

(٥٢) فاريناتا دل أوبرق (Farinata degli Uberti) أحد زعماء الجهلين في فلورنسا في

القرن ١٣ . ويمثل الشجاعة والقوة الوطنية . وسيأتي موضعه بعد : Inf. X. 22-121.

(٥٣) تيجيابو أدوبراندى دل أديماري (Tegghiaio Aldobrandi degli Adimari) فارس

فلورنسى شجاع ، يلقا. دائتي بعد : Inf. XVI. 40-41.

(٥٤) جاكوبو روستيكوتشي (Jacopo Rusticucci) فارس فلورنسى شجاع يأتي بعد :

Inf. XVI. 43-45.

(٥٥) لا يتفق النقاد على تحديد شخصية هنرى هذا . ربما كان أريجو (هنرى) دى فيفانتى (Arrigo dei Fifanti) الذى اشترك فى قتل بونديليونى فى ١٢١٥ ولا يذكره دانتي بعد .
(٥٦) موسكا دى لامبرتى (Mosca dei Lamberti) مواطن فلورنسى يأتى بعد :

Inf. XXVIII. 106.

(٥٧) امتاز هؤلاء الرجال جميعاً بالشجاعة والوطنية واستخدموا عقولهم فى خدمة فلورنسا .
(٥٨) كان دانتي متلهفاً على رؤية هؤلاء الأبطال الذين أثروا فى نفسه بطولتهم ووطنيتهم .
(٥٩) خالف هذا أمل دانتي ، فكان يجب أن يوجد هؤلاء الأبطال فى غير الجحيم .
(٦٠) أى أن خطيتهم لن تكون النهم أو الشره ، كما هو الحال دنا .
(٦١) يذكر تشاكو العالم العذب الحبيب ، ولا تزال الدنيا عزيزة لديه ، ويرجو أن تبقى ذكراه فيها .

(٦٢) هذا هو عقاب المعذبين . يصيبهم الحول لأنهم لا يرون الأشياء على حقيقتها . ويحدث هذا عند ما تخفض رؤوسهم ، وهم لا يزالون راغبين فى التحدث إلى أحد الأحياء مثل دانتي .
(٦٣) هذه نظرة أسمى ووداع قبل أن يهبط تشاكو بين رفاقه .

(٦٤) هم لا يرون شيئاً لأن رؤوسهم مغمورة فى الوحل . وكان نهوض تشاكو وهو جالس استثناء مؤقتاً حتى يستطيع التحدث إلى دانتي .

(٦٥) لن يهضوا إلا يوم القيامة على أصوات أبواق الملائكة . صور ميكلانجلو الملائكة تنفخ فى الأبواق فى صورة الحكم الأخير فى كنيسة سستو بالمثاليكان فى روما . وتعتبر عيونهم المتألفة وأوداجهم المتفخخة وحركاتهم الطبيعية عن المعنى المطلوب .

(٢٦) القوة أو السلطة المعادية تسمى المسيح . ورد هذا المعنى فى « الكتاب المقدس » :

Matt. XXV. 31...

(٦٧) أى سيمسح المعذبون الحكم بعذابهم الأبدى ، يوم القيامة .
(٦٨) يعنى الخليط الكريه من الأشباح والمطر والوحل .
(٦٩) يستفسر دانتي عن عذاب الآخرة . وبذلك يرغب دائماً فى المزيد من المعرفة .
(٧٠) هذه إشارة إلى آراء القديس توماس الأكوينى المأخوذة عن فلسفة أرسطو القائلة بأن النفس تكلل باتحادها بالجسد فتصبح أقوى على الإحساس بالذلة والألم :

D'Aq. Sum. C. Gent. IV. 79.

(٧١) أى سيزيد ألمهم تبعاً لاقترابهم من الكمال .

(٧٢) لن يكون كالم حقيقياً فى الواقع .

(٧٣) أى حول الحلقة الثالثة .

(٧٤) أى موضع الهبوط من الحلقة الثالثة إلى الحلقة الرابعة .

(٧٥) بلوتوس (Plutus) إله الثروة فى الميتولوجيا اليونانية :

Virg. Æn. VII. 327.

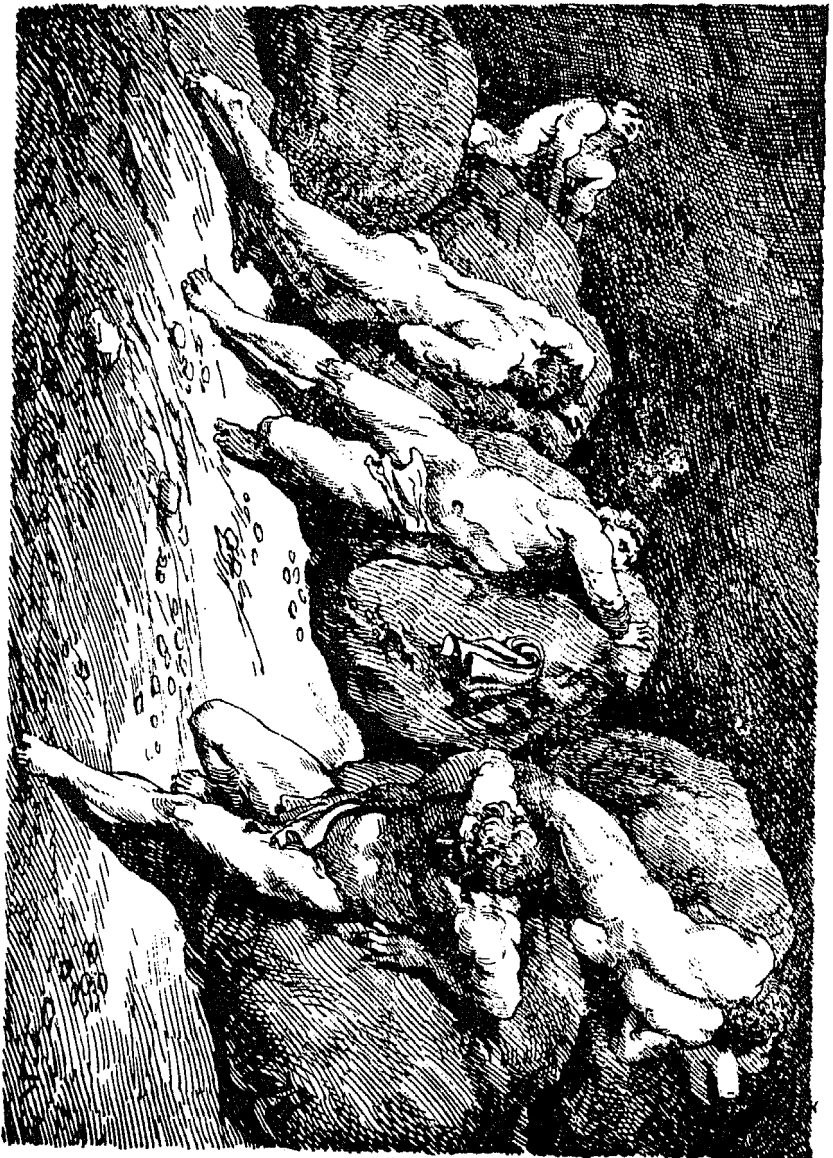
(٧٦) بلوتوس عدو الإنسان الكبير لأنه يثير فى النفس حب المال .

الأنشودة السابعة^(١)

أخذ بلوتوس بصرخ بألفاظ غير مفهومة لكي يبعد الشاعرين عن الجحيم ، ولكن فرجيليو أسكته وأفهمه أن هذه هي إرادة السماء ، وبذلك تقدّم الشاعران إلى الحلقة الرابعة . رأى دانتى جماعة البخلاء إلى اليسار وجماعة المسرفين إلى اليمين ، وهم يسرون في نصف دائرة وفي اتجاهين متعارضين ، ويدفعون بصدورهم أثقالاً من الصخر ، ويتصايحون عند التقائهم ، ويعير كل الفريقين صاحبه بمثالبه ، ثم يتراجعون بأثقالهم حتى موضع التقائهم التالى ، وهكذا على الدوام . وتحدثت الشاعران عن القساوسة البخلاء ، وكان من المعتذر على دانتى أن يتبين واحداً منهم ، لأن البخل قد سوّد وجوههم وغير سخيم ، ويقول فرجيليو : إن ذهب الدنيا كله لا يستطيع أن يريح نفساً واحدة من العناء الذى تلاقيه فى سبيله . ويشرح فكرته عن الحظّ الذى جعل الله له قوةً يغير بها أحوال الأمم والأفراد ، مما هو فوق متناول البشر ، وبهذا يتحوّل متاع الدنيا من قوم إلى قوم ومن أسرة لأسرة ، وتسيطر أمة وتخضع أخرى . ثم هبط الشاعران إلى الحلقة الخامسة حيث مستنقع استيكس ، ورأى دانتى فيه من سادهم فى الدنيا سرعة الغضب ، وهم يتضاربون بالرؤوس والصدور والأقدام ، وبأسنانهم مزقوا بعضهم بعضاً . وعرف دانتى أن تحتم الكسالى الذين يتهدون ويرسلون فقاقيع الهواء إلى سطح الماء ، وتتحشّج فى حناجرهم الكلمات . ودار الشاعران حول المستنقع الكريه ، وشهدا المعذّبين يبتلعون الوحل والدنس ، ووصلوا فى النهاية إلى أسفل برج شاهق .

- ١ بدأ بلوتوس بصوته الأَجَشَّ : « پاپي ساتان ، پاپي ساتان أَلْبِي (١٧) ! » .
وذلك الحكيم الرقيق (٣) ، الذي عرف كل شيء .
- ٤ قال لكي يهدئ من رُوعى : « لا يؤذِينَنَّكَ خوفك ؛ فهما يكن له من قوّةٍ ، فلن يمنعك من هبوط هذه الصخرة (٤) » .
- ٧ ثم اتجه إلى ذلك الوجه المنتفخ . وقال (٥) : « صَهْ أيها الذئب اللعين (٦) : لك الويل بما يمكنه صدرك من غضب (٧) .
- ١٠ إن ذهابنا إلى الأعماق ليس دون سبب : هكذا أريد في العلياء (٨) ، حيث انتقم ميكائيل من جماعة المتغترسين (٩) » .
- ١٣ وكما تسقط الأشعة التي ينفخها الريح وهي متشابكة ، حينما تتحطم ساريتها ، كذلك سقط على الأرض الوحش المفترس (١٠) .
- ١٦ وهكذا هبطنا إلى الهوّة (١١) الرابعة ، ونحن نتقدّم على الشاطئ الأليم ، الذي يطوى آثام العالم كله (١٢) .
- ١٩ إيه يا عدالة الله ! مَنْ ذَا الذي يحيط بكلّ هذا العذاب والألم الحديد الذي شهدته (١٣) ؟ ولماذا تمرقنا خطيئتنا هكذا (١٤) ؟
- ٢٢ وكما يفعل الموج هناك عند كاريدى ، وهو يتكسر مع الموج الذي يرتطم به (١٥) ، هكذا ينبغي أن يرقص القوم هنا رقصة التقابل (١٦) .
- ٢٥ رأيتُ هنا قوماً أكثر من كلّ موضعٍ آخر ؛ ومن هذا الجانب وذاك (١٧) ، وبصرخاتٍ مدويةٍ أخذوا يدفعون أثقالاً بقوّة صدورهم (١٨) .
- ٢٨ وتصادموا في تقاليلهم ، وهناك دار كل منهم ، متجها إلى الوراء ، وهم يتصايحون : « لماذا تحرّص ؟ » و « لماذا تبتدد (١٩) ؟ » .
- ٣١ وهكذا رجعوا داخل الدائرة المظلمة ، من كلا الجانبين إلى النقطة المقابلة (٢٠) ، وهم يصيحون دواماً بهذا الكلام المشين (٢١) ؛
- ٣٤ وحينما بلغها كل منهم (٢٢) ، استدار في نصف دائرته ، إلى اللقاء التالي (٢٣) . قلت وقد أحسستُ قلبي كأنما أصيب .

- ٣٧ بطعنة : « أرنى الآن أستاذى أى قوم هؤلاء ! وحليقو الرأس على يسارنا هل كانوا جميعاً قساوسة ! » .
- ٤٠ قال لى : « هؤلاء جميعاً انحرفت عقولهم كثيراً فى الحياة الأولى ، حتى لم ينفقوا شيئاً عن تقدير سليم (٢٤) .
- ٤٣ بهذا تنبج أصواتهم فى وضوح (٢٥) ، حينما يأتون إلى نقطتين فى الدائرة - حيث تفصلهم آثامهم المتعارضة .
- ٤٦ أولئك كانوا قساوسة ، وهم من ليس على رؤوسهم غطاء من شعير ؛ بابوات كانوا وكانوا وكرادلة ، وقد تجلى البخل فيهم إلى غايته القصوى (٢٦) »
- ٤٩ قلتُ : « أستاذى ، بين مثل هؤلاء ، لا بد أنى سأعرف جيداً بعض من تلوتوا بهذه الشرور (٢٧) . »
- ٥٢ قال لى : « إنك تجمع أفكاراً باطلة : فالحياة الخالية من المعرفة التى جعلتهم أذنياء (٢٨) ، تنكر الآن وجوههم على كل معرفة (٢٩) .
- ٥٥ وسيأتون أبداً إلى نقطتى الصدام ، وسيخرج أولئك من القبر مقلّة قبضاتهم (٣٠) ، وهؤلاء وهم حليقو الرؤوس (٣١) .
- ٥٨ لقد أقدّم سوء البدل وسوء الحفظ العالم الجميل (٣٢) ، وألقى بهم فى هذا الصراع : ولست أتمنّى كلاماً لكنى أصوره (٣٣) .
- ٦١ تستطيع الآن يا بنى أن ترى الوهم القصير الأمد (٣٤) ، فى الخير الذى بعزى إلى الحظ (٣٥) ، ويقتتل النوع البشرى فى سبيله ؛
- ٦٤ فإن كل ما تحت القمر من ذهب (٣٦) ، وما كان من قبل موجوداً ، لا يستطيع أن يريح واحدة من هذه النفوس المتعبة (٣٧) . »
- ٦٧ قلتُ له : « أستاذى ، خبرنى الآن أيضاً : هذا الحظ الذى تحدثنى عنه ، ما هو ، ذاك الذى يجمع خيرات الأرض هكذا بين يرانته (٣٨) ؟ » .
- ٧٠ قال لى : « أيتها المخلوقات الحمقاوات ، ما أعظم الجهل الذى يشينكم (٣٩) ! الآن أريد أن تهضم حكى عليه (٤٠) .



- ٧٣ إن مَنْ تسمو على كلِّ شَيْءٍ حكمته^(٤١) ، خلق السماوات وأمدّها بما يهديها^(٤٢) ، حتى يشع كل جزء نوره على كلِّ جزء ،
- ٧٦ موزعاً الضياءَ بالتساوى : كذلك في المباحج الدنيوية^(٤٣) فرض^(٤٤) سلطاناً عاماً ودليلاً^(٤٥) ،
- ٧٩ شأنه أن يحوّل في وقته المتاعَ الباطل ، من قومٍ إلى قومٍ ومن أسرةٍ إلى أخرى^(٤٦) ، على رغم ما تبدّله في الدفاعِ حكمة البشر^(٤٧) .
- ٨٢ لذا يسيطر شعبٌ ويخضع آخر ، تبعاً لما يحكم به ذلك الذي يختفى اختفاءً الأفعى في العشب^(٤٨) .
- ٨٥ ليس لعلمكم قوّة على مناهضته : إنه يدبر ، ويقضى ، ويسهر على ملكه ، كما يفعل في ملكهم سائر الأرباب^(٤٩)
- ٨٨ وليس لتقلباته هدنة^(٥٠) : وتجعله الضرورة سريعَ التصرف^(٥١) ، وهكذا يأتي كثيراً مَنْ يغير الأحوال^(٥٢)
- ٩١ هو ذاك الذي يُلعن كثيراً^(٥٣) ، حتى ممّنٌ وجب أن يكيلوا له الثناء ، وهم يلعنونه بكلماتٍ بذئثة دون صواب^(٥٤) .
- ٩٤ ولكنه في النعيم ، ولا يسمع شيئاً : يحرك فبلكه^(٥٥) مبهجاً مع سائر الكائنات الأولى^(٥٦) ، وينعم بالسعادة .
- ٩٧ فلنتزل الآن إلى أسيّ أشد^(٥٧) ؛ لقد هبط كلُّ نجمٍ كان من قبل طالعاً ، حينما تحركتُ للسير^(٥٨) ، وليس لنا أن نبقى طويلاً .
- ١٠٠ لقد اجتزنا الحلقة إلى الشاطئ الآخر ، فوق النبع الذي يغلى ، ويصتّ خلال جُرْفٍ كان هو صانعه^(٥٩)
- ١٠٣ كانت المياه سوداء أكثر منها حمراء داكنة ، وفي رفقة الأمواج المغبرة ، دخلنا إلى أسفل في طريقٍ عجيب .
- ١٠٦ يذهب هذا الجدل الحزين^(٦٠) إلى مستنقعٍ يُدعى استيكس^(٦١) ، حينما يهبط إلى سفح الشاطئ اللعينين الأغبرين^(٦٢) .

- ١٠٩ وأنا الذى وقفتُ لكى أمعن النظر ، رأيت قوماً غمرهم الطين فى ذلك
المستنقع ، كلهم عرايا^(٦٣) ذوو وجوهٍ غاضبة^(٦٤)
- ١١٢ تضارب هؤلاء لا باليد وحدها ، ولكن بالرأس والصدر والقدمين ،
وبأسنانهم مزقوا أنفسهم إرباً إرباً^(٦٥) .
- ١١٥ قال أستاذى الطيب : « يا بنى ، إنك ترى الآن نفوسَ مَنْ غلبهم
الغضب ، وأريد كذلك أن تعرف فى ثقةٍ
- ١١٨ أن قوماً تحت الماء يتهدون^(٦٦) ، ويملأون بالفقايع هذا الماء عند السطح ،
كما تنبؤك عينك ، أينما اتجهت .
- ١٢١ يقولون وهم لاصقون بالوحل : ” كنا بائسين فى الهواء الحبيب^(٦٧) ، الذى
تُسعده الشمس ، وقد حملنا فى جوفنا دخانَ الكسل^(٦٨) .
- ١٢٤ ونحن نحزن الآن فى هذا المستنقع الأسود . يتحسرج هذا اللحن فى
حناجرهم ، إذ لا يستطيعون قوله بألفاظٍ كاملة^(٦٩) .
- ١٢٧ وهكذا سرنا فى قوسٍ كبيرٍ حول المستنقع الكريه ، بين الشاطئ
الجاف ونفاية الماء ، بعيون متجهة إلى مَنْ يبلعون الدنس :
- ١٣٠ وجئنا أخيراً إلى أسفل برج .

حواشي الأنشودة السابعة

- (١) هذه أنشودة البغلاء والمبذرين وسريعي الغضب والكسالى . وتقع بين قصيدة تشاكو وقصيدة فيليبو أرجنتى . وتتناول الثروة والحظ .
- (٢) هذه الألفاظ غير مفهومة . حاول بعض النقاد تفسيرها على أسس لغات مختلفة ويرى عيود أبورايد أنها مأخوذة من العربية ومعناها (باب الشيطان ، تابعا النزول) .
- وربما نطق بلوثوس بهذه الألفاظ عند ما رأى أحد الأحياء في الجحيم ، مبدياً غضبه ودهشته ، وربما أراد تخويف دائنى أو قصد الاستغاثة بملك الجحيم لوتشيفيرو .
- (٣) يقصد فرجيليو .
- (٤) الصخرة هى الحاجز بين الحلقة الثالثة والحلقة الرابعة .
- يشبه هذا نوعا ما ورد فى التراث الإسلامى حيث تقسم الجحيم أو جهنم إلى طبقات أو دركات واحدة تحت أخرى ، وهناك اختلاف فى أسمائها ، ومن ذلك مثلا : جهنم للمحمدين والنهى للنصارى والحطمة لليهود والسير للصابئة وسقر للمجوس والجحيم للمركى العرب والهاوية للمناقين . ومن الأمثلة على ما ورد فى هذه الناحية :
- القرآن : الحجر : ٤٤ .
- الخازن : تفسير القرآن (السابق الذكر) ج : ٣ : ص : ٩٧ .
- Cerulli (op. cit.) pp. 188-193.
- (٥) الوجه المتفتخ بسبب الغضب . وأورد دائنى لفظ الشفة كناية عن الفم .
- (٦) ينعته باللذئ لصوته المزجج .
- (٧) أى أن الغضب فى ذاته هو خير عذاب يناسبه .
- (٨) أى أن هذه هى إرادة الله . وسبق مثل هذا المعنى أمام كارون ومينوس :
- Inf. III. 95; V. 23.
- (٩) تغلب ميكائيل على جماعة الملائكة الثائرين على الله وطرد لوتشيفيرو من الفردوس ، كما ورد فى « الكتاب المقدس » :
- Apoc. XII. 7-9.
- ويوجد رسم للملاك ميكائيل ممسكاً بسيف فى صورة تنسب إلى فرنشسكو ترايفى من القرن ١٤ ، وهى فى الكامپوسانتو فى بيزا .
- (١٠) يقارن دائنى بين أشعة السفينة وصاريزها المحطم وبين الوحش الساقط على الأرض ويعطى هذا التشبيه القوة للمعنى الذى أراده .
- (١١) هذه هى الحلقة الرابعة .
- (١٢) يعنى الذى يحوى آثام البشر والملائكة الذين خرجوا على طاعة الله .
- (١٣) يعنى من غير العدالة الإلهية يستطيع أن يجمع بين أنواع العذاب المائل .
- (١٤) هذا كناية عن شدة العذاب .

(١٥) تصل أمواج البحر الأيوني إلى مضيق مسينا حيث تصطدم بأمواج البحر التيراني على مقربة من صخرة كاريدى . وورد هذا في الإنيادة والأوديسة :

Virg. Æn. III. 420.

Hom. Od. XII.

(١٦) هذا رقص دائري يتقابل فيه الراقصون من ناحيتين متواجهتين ، ثم يتراجعون ويمدون إلى التلاق في حركات دائرية متكررة ، وهذا هو عذاب الآميين في هذه الحلقة .

(١٧) انقسم المذبذبون قسمين ، جماعة البخلاء ويتدفعون من يسار الشاعرين إلى وسط الحلقة ، وجماعة المبادرين ويتدفعون من يمينهما إلى الوسط ، حيث تتلاق الجماعتان .

(١٨) الأحمال الثقيلة رمز للثروة والنهب الذي كان عندهم كل شيء في الحياة ، والأثقال هنا كمثل من الأحجار الضخمة .

(١٩) يعنى كل فريق على الآخر ما ارتكبه من البخل أو التبذير .

(٢٠) يعنى في وسط الحلقة .

(٢١) يكرر كل فريق اتهامه وتقريمه للفريق الآخر .

(٢٢) أى في وسط الحلقة .

(٢٣) لا يكاد كل فريق يصل إلى وسط الدائرة حتى يتجه إلى الخلف ، لكي يدور ويعود مرة أخرى إلى التلاق ، وهكذا دواليك .

(٢٤) انعرفت عقولهم جميعاً وأصابهم غشاوة ، فقدفوا الاتزان وحسن التصرف في أموالهم واكتنز المال فريق وأسرف فيه فريق آخر .

(٢٥) كانت أصواتهم أقرب إلى نباح الكلاب منها إلى الكلام . وهذا تقريب بين الإنسان والحيوان .

(٢٦) كان هؤلاء مثالا في البخل ، مع أنهم من رجال الدين . وهكذا بدأ دأبى في مهاجمة رجال الدين الذين خرجوا على قواعد الدين .

(٢٧) أى خطايا البخل والتبذير معاً .

(٢٨) الحياة الخالية من المعرفة هي حياة الحرص على المال ، التي جعلتهم أدنياء .

(٢٩) سودت هذه الحياة وجوههم حتى لم يعد من المستطاع التعرف عليهم .

(٣٠) أى سيخرج البخلاء وأيديهم مقفلة على شعر المبادرين الذي لا يساوى شيئاً .

(٣١) سيخرج المبادرون من القبر يوم القيامة ، وقد نزع شعر رؤوسهم ، كناية عن إفتقارهم المال دون حساب ، فهم بدلوا كل شيء حتى شعرهم ، وفي الوقت نفسه يدل هذا على أن تبذيرهم لا يساوى أكثر من شعر للرأس .

(٣٢) أى أفتقم البخل والتبذير عالم السماء .

(٣٣) أى لا يوجد كلام جميل يناسب هذا العذاب .

(٣٤) هذا الخداع أو السخرية أو الوهم القصير الأمد الذي لا يلبث أن يزول سريعاً .

(٣٥) يعنى الخير الذي يرتبط بالخط ولا يتم بدونه .

(٣٦) أى النهب الموجود فوق الأرض .

- (٣٧) لا يكفل الذهب الموجود في العالم الراحة والسلام لأحد ، على الرغم من تهاك الناس عليه .
- (٣٨) يبدو دائى باعتبارها يمثل البشر أنه اعتقد أن الحظ هو كل شيء في الحياة .
- ويوجد حفر على حجر يمثل عجلة الحظ وفي وسطها حفر صغير يمثل رجلا ، ويرجع إلى ١٢٠٢ ، وهو في كاتدرائية ترنتون في شمال إيطاليا .
- (٣٩) عندما يعتقد الناس أن الخير نتيجة للحظ وحده يظهرن جهلا عظيما ، ولذا ينعت فرجيليو الناس بالحمقى .
- (٤٠) يعنى فهم أو وعى الحكم على الحظ .
- (٤١) أى الله .
- (٤٢) يقصد الملائكة .
- (٤٣) مباحج الدنيا أى الثروة والمجد والقوة والجمال .
- (٤٤) يعنى الله .
- (٤٥) يقصد الحظ . والحظ عند دائى خلاصة لعناصر ميتولوجية ومسيحية . تصور القديما الحظ كامرأة أو إلهة عمياء فوق عجلة يجرها جوادان فقدا البصر . وأشار الكتاب المقدس وفلاسفة العصور الوسطى إلى الله والحظ الذى يغير أحوال البشر . ويرى دائى أن الحظ ضرورة ولكنها ليست تعسفية بل مستمدة من إرادة الله . عمل دائى بذلك على التوفيق بين آراء القديما وأفكار العصر الوسيط . وسيكون هذا من أسس التفكير في عصر النهضة .
- (٤٦) لا تبقى حال الناس ولا الأمم واحدة .
- (٤٧) يعنى أنه لا شيء يغلب الحظ .
- (٤٨) أى أن الحظ يخفى كالأفمى فلا يشعر به أحد . وورد هذا المعنى عند فرجيليو :
Virg. Ec. III. 93.
- (٤٩) أى سائر الملائكة الذين يحركون السماوات .
- (٥٠) يشبه هذا قول بويتويوس فيلسوف العصور الوسطى :
Boet. Phil. Cons. II. 1.
- (٥١) يشبه هذا قول هوراتيوس ، مع الفارق :
Horatius, Odes, I. 35.
- (٥٢) يعنى يغير أحوال البشر والأمم .
- (٥٣) يعنى أن لعنات الناس انصبت على الحظ عند ما جافاهم .
- (٥٤) لا يجوز أن يلام الحظ لأنه خاضع لله ، فضلا عن أن للإنسان إرادة حرة عليها أن تعمل حتى تتغلب على صعوبات الحظ .
- (٥٥) أى يحكم الأرض .
- (٥٦) يقصد الملائكة .
- (٥٧) هذه هى الحلقة الخالصة ، حيث يشتد عذاب الآثمين . ويوجد هنا سر يعو القنضب ثم الكسالى الخاملون ثم الحاسدون .
- (٥٨) كانت الكواكب صاعدة في مساء اليوم الأول للرحلة ، وقد تجاوز الوقت الآن منتصف

الليل وأخذت الكواكب في الميوط .

(٥٩) أى أن مياه النبع هى التى صنعت الجرف بجريانها .

(٦٠) هو مستنقع استيكس ويسمى بالنهر الحزين لأنه يحيط بمدينة ديس أو مدينة الشيطان .

(٦١) ويرد هذا المستنقع فى التراث القديم عند ثرجيليو وهوميروس :

Virg. *Æn.* VI. 323.

Hom. III. II. 755; XIV. 271.

(٦٢) أى الحاجز بين الحلقة الرابعة والخامسة .

(٦٣) هؤلاء هم سريعو الغضب فى الحياة .

(٦٤) عليهم سياء الغضب كما كانوا فى الدنيا .

(٦٥) يتناسب هذا العذاب مع ما فعلوه فى الحياة .

ورسم جوتو (١٢٦٦ / ٧ - ١٣٣٧) صورة للغضب مثلا فى امرأة تكشف عن صدرها وتولول ، وهى فى مصلى اسكروثني فى كاتدرائية يادوا . وكذلك رسم فرنشسكو تراييني من القرن ١٤ (فى رأى بعض النقاد) صورة للغضب مثلا فى رجل غاضب تلذغه الأفاعى ، وهى فى الكامپوسانتو فى بيزا .

(٦٦) هؤلاء هم الكسالى الحاملون ، وهم بعكس سريعى الغضب .

(٦٧) أى فى الحياة الدنيا .

(٦٨) هذا كناية عن الكسل .

(٦٩) لم ينطقوا بكلمات واضحة لأنهم مغمورون تحت الماء الدنس .

ويشبه هذا بعض ما جاء فى التراث الإسلامى فى عذاب السكارى يشرب العطين والأقذار :
السمرقندى : قرة العيون (السابق الذكر) . ص : ١٦ .

Cerulli (op. cit.) pp. 164-165.

الأنشودة الثامنة (١)

تساءل دانتى عن الإشارات التي تبودلت بين البرج العالى ومدينة ديس ، ثم رأى قارباً مندفعاً نحوه بقوة كأنه سهم أطلق من قوس ، يقوده فليجياس الشيطان حارس الحلقة الخامسة ، الذى حاول البطش بدانتى ، وقد حسبه أحد الهالكين ولكن فرجيليو أوقفه عند حده . ونزل الشاعران فى القارب وسار بهما فوق مستنقع استيكس ، ثم ظهر شبح فيليبو أرجنتى المواطن الفلورنسى ، وكان من ألد أعداء دانتى ، وُعرف بالغطرسة وسرعة الغضب . أظهر دانتى نحوه القسوة ، فحاول أرجنتى أن يقلب القارب بدانتى ، ولكن فرجيليو حال دون ذلك ، وقبّل دانتى وهدأ من روعه ، وقال إن كثيرين يحسبون أنفسهم فى الدنيا ملوكاً عظاماً ، وسوف يغمرون فى الجحيم كالحنازير فى الوحل . وانهاك بقية المعذبين على أرجنتى فزادوه عذاباً ، وبذلك أرضى دانتى رغبته فى الانتقام من عدوه وسمع دانتى أصوات المعتذبين فى مدينة ديس ورأى أبراجها العالية ، ووصل الشاعران إلى خندق الماء الذى يمحيطها . وأخيراً وصل بهما فليجياس إلى باب المدينة . رأى دانتى أكثر من ألف شيطان من الملائكة الذين طردهم الله من الفردوس لخروجهم على طاعته . وقد حاولوا منع دانتى من دخول مدينة ديس . عمل فرجيليو على التفاهم معهم دون جدوى ، وأخذ يُسرّى عن دانتى ويبعث الثقة فى نفسه الواهنة ، وأفاده بأنه لا بدّ سيظفر فى هذه التجربة ، وبأن ملاكاً سيهبط من السماء ويفتح لهما أبواب مدينة ديس .

- ١ أقول بعد^(٢) ، إننا قبل أن نصير عند قدم البرج العالى بمسافةٍ طويلةٍ ،
اتجهتْ عيوننا إلى قمته في أعلى ،
- ٤ بشعلتين صغيرتين رأيناها موضوعتين هناك^(٣) ، وبأخرى أرسلتْ إشارتها
من بعيد^(٤) ، حتى لم تكد تلمحها العين .
- ٧ واتجهتْ إلى بحر كلِّ علم^(٥) : وقلتْ : « هذه ، ماذا تقول ؟ وبماذا
تجيب تلك النار الأخرى ؟ ومن الذين يصنعونها ؟ » .
- ١٠ قال لى : « يمكنك أن تتبين فوق الأمواج الغبراء ذاك الذى ينتظر^(٦) ،
إذا لم يُخفه عنك ضباب المستنقع » .
- ١٣ لم يتدفَّ أبداً قوسٌ بسهمٍ ، جرى فى الهواء بسرعةٍ فائقةٍ ، كما
رأيتُ قاربا صغيراً ،
- ١٦ يأتي نحونا فى تلك اللحظة فوق الماء ، بقيادة ملاحٍ واحدٍ ، يصبح
قائلا^(٧) : « قد وصلت الآن أيتها النفس الخبيثة^(٨) ! » .
- ١٩ قال سيدى : « يا فليجياس ، يا فليجياس^(٩) ، عبثاً تصرخ هذه المرّة^(١٠) :
فلن تحوزنا إلا ونحن نعبر المستنقع » .
- ٢٢ وكمَنْ يُصغى إلى خدعة كبرى حيكْتْ له^(١١) ، فياستى منها ويحزن . ،
هكذا أصبح فليجياس فى غضبه المكظوم^(١٢) .
- ٢٥ نزل دليلى إلى القارب ثم جعلنى أدخل إلى جانبه ، ولم يبدُ
القارب مثقلاً إلا بعد أن أصبحتُ داخله^(١٣) .
- ٢٨ وما إن صرتُ ودليلى داخل السفينة حتى سار القارب القديم وقد زاد عمقه
فى الماء ، أكثر مما اعتاد إذ يحمل غيرى^(١٤)
- ٣١ وبينما كنا نجرى فوق المستنقع الميت^(١٥) ، ظهر أمامى هالكٌ ملىءٌ بالوحل ،
وقال لى^(١٦) : « مَنْ أنت يا مَنْ تجيء قبل الأوان^(١٧) ؟ » .
- ٣٤ قلت له : « إذا كنتُ قد أتيتُ فلن أبقي ؛ ولكن مَنْ أنت يا مَنْ صرت
قبيح المنظر هكذا^(١٨) ؟ » . أجاب : « إنك ترى أنى نفسٌ تبكى » .

- ٣٧ قلتُ له : « فاستبق في البكاء والحزن أيها الروح اللعين ؛ فإني أعرف أنك لا زلت في الدنس مغموراً^(١٩) . »
- ٤٠ عندئذٍ مدتُ إلى القارب كلتا يديه^(٢٠) ؛ ولذلك دفعه أستاذي اليقظ قائلاً : « ابتعد هناك مع سائر الكلاب^(٢١) ! » .
- ٤٣ ثم أحاط بذراعيه عنقٍ وقبَّل وجهي^(٢٢) قائلاً : « أيها النفس الغاضبة ، ألا بوركتِ تلك التي حملتك جنينا^(٢٣) ! »
- ٤٦ كان ذلك في الدنيا رجلاً متغطرساً لا يزين ذكره عملٌ طيبٌ ؛ وهكذا يبقى شبحه هنا مُحتدِم الغضب^(٢٤) .
- ٤٩ كم أناس يحسبون أنفسهم اليوم ، هناك في أعلى^(٢٥) ، ملوكاً عظاماً ، وسيصرون هنا كالحنازير في الوحل^(٢٦) ، تاركين وراءهم الاحتقار الشنيع^(٢٧) ! . »
- ٥٢ قلتُ : « كم تحدفوني يا أستاذي الرغبة في أن أراه غاطساً في هذا الدنس ، قبل أن نخرج من هذه البحيرة^(٢٨) . »
- ٥٥ قال لي : « ستكون راضياً قبل أن يتاج لك رؤية الشاطئ ، ويجدر أن تتمتع بمثل هذه الرغبة^(٢٩) . »
- ٥٨ وبعد ذلك بقليل رأيتُ أهلَ الوحل ، يُصلون ذلك الهالك شديداً العذاب ، حتى لا زلت أحمد الله على ذلك وأشكره^(٣٠) .
- ٦١ صاحوا جميعاً : « إلى فيليبو أرجنتي ! » . وتلك الروح الفلورنسية السريعة الغضب ، أنحتْ على نفسها بالأسنان نهشاً^(٣١) .
- ٦٤ وهنا تركناه إذ أني لن أتحدث عنه مزيداً ؛ ولكن عويلاً طرق أسماعي ، فجعلني أمدتُ النظر إلى الأمام في انتباه^(٣٢) .
- ٦٧ قال لي أستاذي الطيب : « الآن تقرب يا بني المدينة التي تحمل اسم ديس^(٣٣) ، بأهلها المكشيين^(٣٤) وبجشدها الكبير^(٣٥) . »
- ٧٠ قلتُ : « أستاذي ، إني أتبين بوضوح معابدها هناك في الوادي ، محمرة اللون ، كأنها خارجةٌ من النار^(٣٦) . »

- ٧٣ قال لى : « النار الأبدية التى تستعر فى داخلها تجعلها بادية الحمره ، كما ترى فى هذه الجحيم السفلى (٣٧) . »
- ٧٦ ثم وصلنا إلى الخنادق العميقة (٣٨) ، التى تحيط بتلك المدينة البائسة : لقد بدت لى كأن أسوارها من حديد (٣٩) .
- ٧٩ وبعد أن قمنا أولاً بدورة كبيرة (٤٠) ، جئنا إلى مكانٍ صاح الملاح عنده بنا عالياً : « اخرجنا ، هوذا المدخل » .
- ٨٢ رأيتُ أكثر من ألف شيطانٍ على الأبواب يهطلون من السماء (٤١) ، وصاحوا فى غضب : « من ذا الذى يسير فى مملكة
- ٨٥ الموتى ، دون أن يعرف الموت (٤٢) ؟ » . فأبدى أستاذى الحكيم إشارةً برغبته فى التحدث إليهم سرّاً .
- ٨٨ عندئذٍ كظموا قليلاً من شدة الغضب وقالوا (٤٣) : « تعال أنت وحدك (٤٤) ، وليذهب ذاك الذى دخل هذه المملكة بمثل هذه الجرأة (٤٥) . »
- ٩١ فلأبعد وحده فى طريقه المجنون (٤٦) : وليحاول إذا استطاع ؛ فإنك ستبقى هنا ، يا من صحبته خلال هذا العالم المظلم .
- ٩٤ ولتفكر أيها القارئ كيف فقدت شجاعتي ، عند سماعي تلك الكلمات الملعونة ، إذ ظننتُ أنى لن أرجع هناك أبداً (٤٧) .
- ٩٧ قلتُ : « يا دليل العزيز ، الذى منحنى الأمان أكثر من مراتٍ سبع (٤٨) ، وأنقذنى من هول المخاطر التى اعترضت سبيلى ، لا تدعنى واهناً هكذا ؛ وإذا كان ممنوعاً علينا أن نتقدم إلى الأمام ، فلنخرج معاً على آثارنا بخطى سراع (٤٩) » .
- ١٠٣ قال لى ذلك السيد الذى قادنى إلى هنا : « لا تخف (٥٠) ، فلن يستطيع أحد أن يعترض سبيلنا : إنها لكذلك من منحتنا إياه (٥١) . »
- ١٠٦ ولكن انتظرنى هنا ، وسرّ عن روحك الواهنة ، وغذّها بالأمل الطيب (٥٢) ، فلن أتركك فى العالم الأسفل (٥٣) . »

- ١٠٩ هكذا (٥٤) يذهب الأب الحبيب (٥٥) ويتركني هنا وحيداً ، وأبقى يساورني الشك ، إذ تضاربت في رأسي لا ونعم (٥٦) .
- ١١٢ لم أستطع أن أسمع ما عرضه عليهم ، ولكنه لم يبق معهم هناك طويلاً ، وإذا هم يسارعون جميعاً متزاحمين إلى الداخل (٥٧) .
- ١١٥ لقد أغلق الأبواب أعداؤنا هؤلاء في وجه مولاي (٥٨) ، الذي ظلّ خارجاً واتجه نحوي بخطوات متهادية (٥٩) .
- ١١٨ وأطرقت عيناه إلى الأرض وخلاجبينه من كل ثقة (٦٠) ، وقال وهو يتهدد : « مَنْ ذا يمنعني من دخول بيوت العذاب (٦١) » .
- ١٢١ ثم قال لي : « لا يساورك القلق لما يُشيرني ، فسأظفر في هذه التجربة ، مهما أعدتوا في الداخل من وسائل الدفاع (٦٢) .
- ١٢٤ وليس عنادهم هذا بجديد ؛ فقد أظهره من قبل عند بابٍ أقلّ خفاء (٦٣) ، ولا يزال إلى الآن دون إغلاق ،
- ١٢٧ وقد رأيت في أعلاه عنوان المنون (٦٤) : وسيهبط من هذا الجانب منه (٦٥) إلى الهاوية عابراً الحلقات دون رفيق ،
- ١٣٠ مَنْ ستُفتح له أبواب المدينة (٦٦) .

حواشى الأنشودة الثامنة

- (١) هذه أنشودة الغاضبين والحاملين ، وهى استمرار لما بدأ فى آخر الأنشودة السابعة . وتسمى بقصيدة فيليبو أرجنتى .
- (٢) يعنى أنه يستمر فى الكلام عما بدأه من قبل . وربما كان المقصود أنه يستأنف الكتابة لأنه يقال إن دانتي كتب الأنشودات السبع الأولى فى فلورنسا ربما باللاتينية .
- (٣) الشعلتان الصغيرتان هما إشارتان أرسلهما البرج العالى إلى مدينة ديس لاقتراب الشاعرين .
- (٤) النار الثالثة البعيدة تفيد أن مدينة ديس قد تلقت إشارة البرج . وهذه صورة مأخوذة من قواعد الحرب التى كانت متبعة فى عهد دانتي .
- (٥) فرجيليو هو بحر كل علم .
- (٦) أى فليجياس الشيطان .
- (٧) تأثر دانتي هنا بقول فرجيليو :

Virg. Æn. VI. 618-620.

- (٨) أى أنه متحفز لتعذيب دانتي وقد حسبه أحد الآثمين .
- (٩) فليجياس (Flegias) من شخصيات الميتولوجيا اليونانية وابن مارس وملك أوركويونيس فى بيوتيا ، أحرق معبد دلف للانتقام من أبولو الذى أغرى ابنته كورونيس ، فغضب الإله عليه وأرسله إلى العالم السفلى . وهو هنا شيطان الحلقة الخامسة وحارسها :

Virg. Æn. 618-626.

- (١٠) هكذا يسكنه فرجيليو .
- (١١) يعنى خاب رجاء فليجياس فى أن يكون دانتي من الهالكين .
- (١٢) يعنى أن فليجياس كتم غضبه فى نفسه . ووردت صورة مشابهة عند فرجيليو :

Virg. Æn. IX. 63 . . .

- (١٣) أصبح القارب مثقلا عندما نزل فيه دانتي بجسمه الحى .
- (١٤) هذا لأنه كان ينقل نفوس الآثمين بغير أجسام .
- (١٥) المستنقع الميت الآسن هو مستنقع استيكس .
- (١٦) هذا هوفيليبو أرجنتى دى أديمارى (Filippo Argenti degli Adimari) وهو مواطن فلورنسى معاصر لدانتي ، وكان من حزب السود أعداء دانتي . أفادت أسرة أديمارى من نفي دانتي ووضعت يدها على أملاكه ، وعارضت فى عودته إلى وطنه . ولهذا لم يعطف دانتي على هذا المواطن الغلورنسى .
- (١٧) أى أن دانتي كان حيا ولم يمخ وقت ذهابه إلى العالم الآخر .
- (١٨) كان يشع المنظر بسبب الوصل الذى كساه كله .
- (١٩) لا يعرف دانتي شخصه ولكنه يعرف أنه أحد الهالكين .

- (٢٠) فعل فليجيّاس ذلك محاولاً أن يقلب القارب في الماء لكي يستبقى دائتي معه في الوحل .
- (٢١) هكذا يحمي فرجيليو دائتي من الخطر و يدفع أرجنتي عن القارب .
- وقد رسم ديلاكروا (١٧٩٨ - ١٨٦٣) صورة ترمز لقارب فليجيّاس وقد وقف فيه دائتي وفرجيليو وظهر به ومن حوله في الماء بمض المعذبين ، وبدأ أرجنتي يعض مؤخره . والصورة في متحف اللوفر في باريس .
- (٢٢) يبدو فرجيليو بمثابة الأب المطوف على دائتي .
- (٢٣) أبدى فرجيليو إعجاباً بدائتي لأنه لم يرض عن أرجنتي المتكبر الغضوب .
- (٢٤) يعني أنه يبقى هنا غاضباً كما كان في أثناء الحياة .
- (٢٥) أي في الدنيا .
- (٢٦) يعني أنه مهما تمتع هؤلاء المتغطرسون بالسلطان والثروة فسيصبحون هنا كالتنازير في الوحل .
- (٢٧) لن يتركوا عملاً طيباً يزين ذكراهم ، وستكسبهم غطرستهم الاحتقار الشنيع .
- (٢٨) يدل هذا على مدى كراهية دائتي لأرجنتي ورغبته في الانتقام منه .
- (٢٩) يؤكد فرجيليو لدائتي أن رغبته ستحقق سريعاً .
- (٣٠) ابتهج دائتي عندما رأى أصحاب الوحل ينهالون جميعاً على أرجنتي ، ويشكر الله ويمجده لأنه حقق العدالة . يبين هذا حب الانتقام في شخصية دائتي الأدبية .
- (٣١) أخذ أرجنتي يعض نفسه بالأسنان تعبيراً عن غضبه .
- (٣٢) كان هذا صوت المعذبين في مدينة ديس آتياً من بعيد .
- (٣٣) يطلق دائتي لفظ ديس على الشيطان وعلى لوتشيفيرو إمبراطور عالم العذاب . ويعني هنا مدينة ديس ، وهي الجحيم الدنيا .
- (٣٤) السكان المكتئبون الذين ارتكبوا خطايا أعظم .
- (٣٥) هذه إشارة إلى جماعة الشياطين الذين سيلاقيهم دائتي عند مدخل مدينة ديس .
- (٣٦) هذه نيران مشتعلة داخل مدينة ديس يرى دائتي أثرها فوق الأبراج والأسوار العالية . وتوجد صورة مشابهة في التراث الإسلامي :
- Cerulli (op. cit.) pp. 156-159.
- (٣٧) تنقسم الجحيم قسمين ، الجحيم العليا من الحلقة الثانية إلى الخامسة ، ويعذب فيها أصحاب الخطايا الخفيفة نسبياً في نظر دائتي ، ثم الجحيم الدنيا وهي مدينة ديس من الحلقة السادسة إلى التاسعة ، ويعذب فيها مرتكبوا الخطايا الكبيرة .
- (٣٨) تحمي مياه استيكس مدينة ديس في خندق عميق يحيط بها . ويوجد رسم لخندق أو فجوة جهنمية يوجه الشياطين خطاطيفهم إلى المعذبين فيها ، وهي في صورة الجحيم ، المنسوبة إلى فرنشسكو تراييني من القرن ١٤ ، وهي في الكامبوساتو في فيزا .
- (٣٩) تأثر دائتي في هذا بفرجيليو :

Virg. Æn. VI. 548-558.

- (٤١) أى أن الملائكة الذين خرجوا على طاعة الله مع لوتشيفير وهبطوا من السماء كالمنظر .
- (٤٢) عرف هؤلاء مثل فليجياس أن دانتي إنسان حى من ثقل القارب وغوصه فى الماء .
- (٤٣) وضع دانتي الشياطين لحراسة كل حلقة . وعند اقتراب الشاعرين من الحلقة السادسة وجد هذا الحشد من الشياطين .
- (٤٤) أى أنهم دعوا ثرجيليو إليهم .
- (٤٥) يعنى أنهم طلبوا ابتعاد دانتي عن الجحيم .
- (٤٦) أى فى الطريق الصعب . وسبقت الإشارة إليه :
- Inf. II. 35.
- (٤٧) أى أنه فقد الأمل فى العودة إلى الدنيا .
- (٤٨) يدل رقم سبعة على عدة مرات غير محدودة . وورد هذا التعمير فى «الكتاب المقدس» :
- Prov. XXIV. 16.
- (٤٩) أى فانرجع سريعاً من حيث أتينا .
- (٥٠) هكذا يعمل ثرجيليو على تهدئة روع دانتي .
- (٥١) أى أن هذه الرحلة تمت بإرادة الله .
- (٥٢) يعمل ثرجيليو على تقوية عزيمة دانتي بالأمل .
- (٥٣) هذه كلمات ثرجيليو التى تفيض بالمطف على دانتي .
- (٥٤) أى عند ما قال ثرجيليو ذلك ذهب عنه وتركه وحيداً .
- (٥٥) يذكر دانتي لفظ الأبوة بالحب والإعزاز .
- (٥٦) هكذا يستولى الخوف والشك على دانتي .
- (٥٧) يعنى هرولوا جميعاً إلى داخل مدينة ديس .
- (٥٨) أى الشياطين أعداء الإنسان . ويشبه هذا ما جاء فى «الكتاب المقدس» :
- Epis. V. 8.
- (٥٩) رجح ثرجيليو بخطوات بطيئة بمد أن أخفق فى التغلب على مقاومة الشياطين .
- (٦٠) كان هذا من نتيجة الإخفاق .
- (٦١) يخاطب ثرجيليو نفسه بهذه الكلمات . ويشبه هذا قول ثرجيليو :
- Virg. Æn. VI. 569.
- (٦٢) ثرجيليو يعلمن دانتي ويبعث الثقة فى نفسه .
- (٦٣) هبط المسيح إلى اللعوب لإنتقاذ بعض المعذبين كما سبق ذكره ، وتقول أساطير العصور الوسطى إن الشياطين أغلقوا الباب فى وجهه :
- Inf. IV. 53.
- (٦٤) أى باب الجحيم وسبق ذكره :
- Inf. III. 1-11.
- (٦٥) أى عن طريق ذلك الباب .
- (٦٦) أى سهبط ملاك يفتح لها مدينة ديس .

الأنشودة التاسعة^(١)

شحب لون دانتي عندما وجد فرجيليو قد تغير لونه لما أخفق في دخول مدينة ديس وتنبه فرجيليو إلى ذلك فأخفى ما ساوره وأخذ يبعث الثقة في دانتي . ولكن فرجيليو عاد إلى التردد بين الشك والثقة فزادت مخاوف دانتي . وأراد دانتي من ناحيته أن يجد سيلا للاطمئنان فسأل فرجيليو إذا كان قد زار أعماق الجحيم من قبل ، فأجابه بالإيجاب . رأى دانتي فوق البرج العالى ثلاث جنيات جهنميات تجمعن بين صفات الطير والنساء ، وقد تعلقت بهن الأفاعي ، وأخذن يمزقن صدورهن بالأظفار ويلطمن أنفسهن بالأ. كف وحاولن استدعاء ميدوزا لكي تحوّل دانتي إلى حجر حال رؤيته إياها ، ولكن فرجيليو أداره إلى الورا وأغمض عينيه وأنقذه من الخطر . وسمع دانتي دوى تكسر رهيب اهتز له شاطئ المستنقع ، وكان ذلك أشبه بريح عاتية تحطم الأشجار وتدفع الوحوش والرعاة إلى الفرار . وهبط من السماء رسول ، فهربت الشياطين كما تهرب الضفادع أمام الأفعى وتلتصق بقاع المستنقع . فتح رسول السماء باب مدينة ديس بضربة من صولجانه ، وعنت الشياطين على صلفهم ثم عاد من حيث أتى ، وقد بدت عليه سياء رجل تشغله مسائل أخرى . زالت مخاوف دانتي ودخل الشاعران مدينة ديس بسلام . ورأى دانتي أمامه سهلا فسيحاً مليئاً بالقبور ، يشبه الأرض عند مدينتى أريلس وهولا . وكانت تلك قبور المعذبين من الهراطقة ، وقد وُضعوا في توابيت توهجت بألسنة اللهب ، وهم يرسلون صرخات الألم . ومضى الشاعران إلى الأمام بين قبور المعذبين وأسوار مدينة ديس .

- ١ ذلك اللون الذى رسمه الخورُّ علىَّ من الخارج ، عندما رأيتُ دليلي يعود أدراجه ، طوى بداخله سريعاً لونه الطارئ^(٣) .
- ٤ وتوقف منتبهاً كمنَّ يتسمع ، إذ لمَّ تسعفه عيناه بالرؤية بعيداً ، فى الهواء الأسود والضباب الكثيف^(٣) .
- ٧ وبدأ قائلاً : « علينا - حسبُ - أن نكسب المعركة^(٤) ، وإلا^(٥) إنها لكذلك منَّ أسدتْ إلينا العون^(٦) : أوآه ! كم يبدو متأخراً مجيء غيرى هنا^(٧) ! » .
- ١٠ ورأيتُ فى وضوح كيف وارى ما بدأ به بالآخر ، الذى أتى من بعد ، وكان كلاماً مخالفاً للأوّل^(٨) ؛
- ١٣ ولكن حديثه على رغم ذلك قد بعث فى نفسى الخوف ، لأنى فهمت من الكلام المقطع معنىً ، ربما كان أسوأ مما ذهب إليه قصده^(٩) .
- ١٦ « ألتَمَّ يهبط أحدٌ أبدأ من الحلقة الأولى^(١٠) إلى أعماق هذه الهوة البائسة ، وليس له من عذاب سوى الأمل المفقود^(١١) ؟ » .
- ١٩ ألقيتُ عليه هذا السؤال فأجاب بقوله : « نادراً ما يحدث أن يقوم أحدنا^(١٢) بهذه الرحلة التى أذهب فيها .
- ٢٢ وفى الحقّ أتى كنتُ من قبل مرةً هنا فى أسفل عندما ناشدتنى ذلك إزيكتو تلك القاسية^(١٣) ، التى استدعتْ الأشباح إلى أجسادها .
- ٢٥ وكنتُ قد تجردتُ من جسدى منذ قليل ، عندما جعلتنى أنفذُ داخل ذلك السور^(١٤) ، لكى أخرج روحاً من حلقة يهوذا^(١٥) .
- ٢٨ ذلك هو أسفل مكانٍ وأشدّه إظلاماً ، وأبعده عن السماء التى تحيط بكلِّ شئٍ : إني أحسن معرفة الطريق ولذا فلستطمئنّ نفسك^(١٦) .
- ٣١ وهذا المستنقع الذى ينفث تلك الروائح الخبيثة ، يلتفّ حول مدينة العذاب ، التى لا نستطيع الآن دخولها دون غضب^(١٧) . » .
- ٣٤ وقال غير هذا ، ولكنى لأعنيه فى ذاكرتى ، لأن عيني جذبت كل انتباهي^(١٨) ، نحو البرج العالى ذى القمة المحمّرة^(١٩) ،

- ٣٧ حيث انتصبت في مكان منه فجأة ثلاث جنيات جهنميات مخضبات بالدم^(٢٠) ، لمن أعضاء النساء وشكلهن ،
- ٤٠ وتمنطقن بهيدرات^(٢١) شديدة الخضرة ؛ وكان لمن مكان الشعر أفاع صغاراً وأخرى ذوات قرون ، أطبقت على وجوهن المرعبة .
- ٤٣ وذلك^(٢٢) الذي عرف جيداً وصائف ملكة البكاء الأبدى^(٢٣) ، قال لي :
« انظر الجنيات القاسيات^(٢٤) ؛
- ٤٦ فهذه ميجيرا^(٢٥) في الجانب الأيسر ؛ وتلك إلبكتو^(٢٦) التي تبيكى إلى اليمين ؛ وفي الوسط تيزيفوني^(٢٧) . » . وعندئذ لزم الصمت .
- ٤٩ مزقت كل منهن صدرها بالأظافر ؛ ولطنن أنفسهن بالأكف^(٢٨) وصرخن صراخاً مدوياً ، فالتصقت بالشاعر وقد تملكني الخوف^(٢٩) .
- ٥٢ قلن وهن ينظرن جميعاً إلى أسفل : « تعالي ميدوزا^(٣٠) : إنا سنحوله الآن إلى حجر هكذا ؛ لقد أخطأنا إذ لم ننتقم من تيزيوس على هجومه^(٣١) . »
- ٥٥ « استدر إلى الوراء وأغلق العينين إغلاقاً ؛ لأن جورجون إذا ظهرت ورأتها عيناك^(٣٢) ، فلن يكون هناك رجوع إلى أعلى أبداً^(٣٣) . »
- ٥٨ هكذا قال أستاذي وأدارني بنفسه إلى الوراء ولم يثق بيدي وحدهما ، بل بيديه أيضاً أغلق عيني^(٣٤) .
- ٦١ وأنتم يا ذوى العقول السليمة ، تأملوا ما يخفى ، وراء حجاب هذه الآيات الغريبة ، من مذهب واعتقاد^(٣٥) .
- ٦٤ وكان قد جاء فوق الأمواج المضطربة^(٣٦) ، دوى تكسر مليء بالفزع^(٣٧) ، جعل كلا الشاطئين يرتجفان^(٣٨) .
- ٦٧ لم يختلف هذا عن ربح عاتية تولدت عن حرارة متضادة^(٣٩) ، تعصف بالغمابة دون توقف ،
- ٧٠ تحطم الفروع وتطرحها أرضاً وتحملها بعيداً ، وتمضي شائعة تحلوزوبعة من الغبار ، وتدفع الوحوش والرعاة إلى الهرب^(٤٠) .

- ٧٣ فكَّ فرجيليو إيسار عينيَّ وقال: «الآن وَجَّهَ زمامَ البصر^(٤١) إلى ذلك الزبد القديم ، هناك حيث ذلك الضباب أكتف ما يكون» .
- ٧٦ وكالضفادع أمام عدوها الأفعى ، إذ تفرق كلها غاطسةً في الماء حتى تلتصق جميعاً بالقاع^(٤٢) ،
- ٧٩ هكذا رأيت أكثر من ألف نفس هالكة تهرب أمام من^(٤٣) عبر مستنقع استيكس ، يقدمين لم يُصبهما بلل^(٤٤) .
- ٨٢ أزاح دليلي ذلك الهواء الكثيف^(٤٥) عن وجهه ، بحركات كثيرة من يده اليسرى إلى الأمام، وبدأ أن ذلك الجهد وحده قد ألحق به الضجر^(٤٦) .
- ٨٥ وتبينت^(٤٧) أنه كان رسولاً من السماء، فاتجهتُ إلى أستاذي؛ فأشار إلى أن أزم الصمت وأنحى أمامه^(٤٨) .
- ٨٨ آه، كم بدا لي مليئاً بالازدراء^(٤٩)! لقد وصل إلى الباب^(٥٠)، وفتحه بضربة من صولحانه^(٥١) إذ لم يعترضه عائق .
- ٩١ وبدأ عند المدخل الرهيب قائلاً «أيها المطرودون من السماء ، أيها القوم الأذنياء، كيف يسكن نفوسكم مثل هذا الصلف^(٥٢) ؟
- ٩٤ ولم تعارضون تلك الإرادة^(٥٣) ، التي لا يفوتها تحقيق غايتها أبداً ، وكثيراً ما زادتم عذاباً^(٥٤)؟
- ٩٧ وماذا يُفيد مقاومتكم أحكام القدر^(٥٥) ؟ إن شيطانكم تشير بيروس ، لو أحسنم التذكر ، لا يزال من أجل ذلك مقطوع الذقن والخلق^(٥٦) .
- ١٠٠ ثم عاد في الطريق الموحل ، دون أن يوجه إلينا كلمة^(٥٧) ، ولكن بدت عليه سياء رجلٍ تستحشّه مسألةٌ أخرى وتشغله^(٥٨) ،
- ١٠٣ عن أمر من هو قائمٌ أمامه^(٥٩)؛ ثم حررنا أقدامنا^(٦٠) صوب المدينة^(٦١) ، مطمئين إلى هذه الكلمات المقدسة^(٦٢) .
- ١٠٦ ودخلنا هناك دون عراك^(٦٣)؛ وأنا الذي كانت تساورني رغبةٌ ملحّةٌ في أن أرى حالَ من تضمهم مثل تلك القلعة^(٦٤) ،

- ١٠٩ أُسْرِحَ عَيْنِي فِيهَا حَوْلِي لَمَّا صرْتُ فِيهَا (٦٥) ، وَأَرَى عَلَى كِلْتَا الْيَدَيْنِ (٦٦) سهلاً فسيحاً ، مليئاً بالألم والعذاب الشديد .
- ١١٢ وكما تجعل القبور الأرض كلها غير مستوية (٦٧) ، عند مدينة أرييس (٦٨) حيث تركد مياه الرون ، وكما عند يولا (٦٩) قرب خليج كارنارو ،
- ١١٥ الذي يُغْلِقُ بَابَ إِيطَالِيَا (٧٠) ويغمر أطرافها بالماء (٧١) ، كذلك فعلت القبورُ هنا في كلِّ جانبٍ ، غير أن الصورة كانت هنا أدهى وأمر (٧٢) ؛
- ١١٨ إذ انتشرت بين القبور السنة من اللهب ، اشتعلت بها جميعاً حتى لا تتطلب مهنةً حديدًا أشدَّ وهجاً (٧٣) .
- ١٢١ كلَّ أغطية القبور كانت مرفوعةً ، وقد خرجت منها صرخاتٌ قاسيةٌ ، حتى بدا جليلاً أنها صادرةٌ عن معدّين بائسين (٧٤) .
- ١٢٤ قلتُ : « أستاذي ، مَنْ هؤلاء القوم الذين دُفِنُوا فِي تِلْكَ التَّوَابِيْتِ (٧٥) ، وَيُسْمَعُونَ بِتَنْهَلَاتِهِمُ الْأَلِيْمَةَ (٧٦) ؟ » .
- ١٢٧ أجابني قائلاً : « هنا الهراطقة مع أتباعهم من كلِّ نحلةٍ ، والقبور مليئةٌ بهم أكثر ١٤ تعتقد (٧٧) . »
- ١٣٠ هنا كلُّ قرينٍ مع قرينه مدفونٌ ، ويزيد سعي النار ويخفّ داخل القبور (٧٨) . وبعد أن استدار دليلي إلى اليمين ،
- ١٣٣ مررنا بين المعدّين والأسوار العالية .

حواشى الأنشودة التاسعة

- (١) هذه أنشودة رسول السماء الذى هبط لكى يفتح مدينة ديس للشاعرين .
 (٢) شحب لون فرجيليو عند ما أخفق فى التغلب على الشياطين .
 (٣) استخدم فرجيليو حاسة السمع عند ما لم يساعده الظلام على الرؤية .
 (٤) يدل هذا على تصميم فرجيليو على الظفر ، وثقته فى نفسه .
 (٥) يعاود فرجيليو الشك فى هذا الموقف .
 (٦) يشير إلى المعونة التى قسّمها بياتريتشى من قبل :

Inf. II. 52 . . .

- (٧) يدل هذا على قلق فرجيليو لتأخر وصول العون المنتظر .
 (٨) يشير دانتي إلى كلام فرجيليو عن ثقته فى نفسه ثم كلامه عن الشك والقلق بعد ذلك .
 (٩) أى ربما فسر دانتي كلام فرجيليو بما لم يقصد إليه .
 (١٠) أى من المعذبين فى اللهب .
 (١١) أراد دانتي أن يطمئن نفسه بهذا السؤال ، وحاول أن يعرف هل سبق لفرجيليو معرفة هذا الطريق . وجعل دانتي سؤاله غير مباشر ، حتى لا يجرح فرجيليو إذا لم يكن يعرفه .
 (١٢) أى من أهل اللهب .
 (١٣) إريكتو (Erichtho) ساحرة من تساليا ، كانت لها القدرة على إرجاع الأرواح إلى أجسادها :

Luc. Phars. VI. 507 . . .

- (١٤) أى اجتاز أسوار مدينة ديس .
 (١٥) حلقة يهذأ هى الحلقة التاسعة فى أسفل الجحيم . وربما كانت الروح التى أنقذها فرجيليو - كما يرى بعض النقاد - روح بالاميديس - أحد أبطال حرب طروادة :

Virg. Æn. II. 81 . . .

- (١٦) هكذا أعاد فرجيليو الثقة إلى دانتي .
 (١٧) ذلك لاعتراض الشياطين طريقهما .
 (١٨) أى أنه رأى بعينه أولاً ثم انتبه بكليته إلى أعلى البرج .
 (١٩) قمة البرج متوهجة بسبب شعلتى النار فى أعلاه .
 (٢٠) هؤلاء إلهات أو شيطانات جهنميات من الأساطير اليونانية (Furies) ومهمتهن لانتقام من الآثمين :
 (٢١) هيدرات (Hydras) تعنى حيات متعددة الرؤوس كما ورد فى الميتولوجيا القديمة :

Virg. Æn. VII. 658.

ويوجد رسم الهيدرا كحيوان من ذوات الأربع له رؤوس زواحف متعددة وذنب طويل في آخره حمة كما للعقرب ، وذلك في صورة ترجع إلى القرن ١٤ ، وهي في كنيسة سانتا ماريا في پومپوزا .
(٢٢) أى فرجيليو .

(٢٣) هى پروزرپينا (Proserpina) ابنة جوڤيتر في الميثولوجيا القديمة . خطفها بلوتوس الشيطان بينما كانت تجمع الأزهار في صقلية ، وأصبحت ملكة الجحيم ويطلق اسمها على القمر :
Virg. Æn. IV. 698; VI. 142, 402, 487.
Ov. Met. V. 385 ...

وصنع برنينى (١٥٩٨ - ١٦٨٠) تمثالا يرمز لاختطاف پروزرپينا وهو في متحف بورجيزى في روما . وكذلك فعل جيراردون (١٦٢٨ - ١٧١٥) وتمثاله في حديقة قصر فرساي في ضاحية باريس .
وقد وضع مونتفردى (١٥٧٦ - ١٦٤٣) ألحان أوبرا عن پروزرپينا وكذلك ونعل لولى
(١٦٣٢ - ١٦٨٧) :

Monteverdi, Claudio : Proserpina Rapita, opera. Venezia, 1630.

Lully, J. B. : Proserpine, opéra. Paris, 1680.

(٢٤) إيرينيس (Erinyes) هو اللفظ اليونانى للشيطانات أو الجنيات .

(٢٥) ميغيرا (Megera) بمعنى العدة اللدودة .

(٢٦) أليكتو (Alecto) بمعنى بغير راحة .

(٢٧) تيزيفونى (Tisiphone) بمعنى التى تعاقب القتلة . هؤلاء الشيطانات كن يقمن

بخدمة پروزرپينا ملكة الجحيم :

Virg. Æn. VI. 570-605.

Ov. Met. IV. 451, 481.

Statius, Thebaides, I. 103-115.

(٢٨) هذه علامة اليأس والأسى .

(٢٩) كلمة الشك في النص الإيطالى تعنى الخوف . ودانتى يمتحن دائماً بفرجيليو .

(٣٠) ميدوزا (Medusa) شخصية خرافية في الميثولوجيا القديمة كانت فتاة جميلة وحول

پوسيدون شعرها إلى أفاع . وتعرف بـجورجون :
Virg. Æn. II. 616; VI. 289; VIII. 438.

رسم ليوناردو دا فنشى (١٤٥٢ - ١٥١٩) صورة ميدوزا ، وقد غطت الأفاص رأسها وفغرت فمها وجعلت عيناها وارتمت على وجهها علام القسوة والوحشية . والصورة في متحف أوفيزى في فلورنسا . وكذلك رسم كارفادجو (١٥٨٢ - ١٦١٠) صورة لرأس ميدوزا وقد استلقت بأفاحيها إلى الورا ، وهي في متحف بيتى في فلورنسا . وصنع تيلينى (١٥٠٠ - ١٥٧٢) تمثالا لپرسوس وهو يقتل ميدوزا ، وحمل رأسها في يده ، وبقيت أشلائها عند قدميه . وتمثال من البرونز وموجود في اللودجا دى لانتزى في فلورنسا .

وتوجد صورتان عربيتان صغيرتان متقابلتان تمثالان برشاوش (برسوس) ممكاً برأس النول المقتول

(ميدوزا) . والرسم تحت رقم ٥٢٢٣ مخدوطات عربية ، في مكتبة المتحف البريطانى في لندن

(٣١) يعنى أنهم آسفات لعدم تحويل تيزيوس ملك أثينا عند ما دخل الجحيم ، ولو فعلن ذلك لما اجترأ آدمى بعده على القدوم حيا إلى الجحيم . وتقول الأساطير إن تيزيوس هبط إلى الجحيم ليأخذ پروزروپينا ، ولكنه أخفق وبقى هناك حتى أنقذه هرقل : Virg. Æn. VI. 392 ...

الف لولي (١٦٣٢ - ١٦٧٨) الحان أو براغن تيزيوس :

Lully, J. B. : Thésée, opéra. Paris, 1675 (ex. Telefunken).

(٣٢) جورجون (Gorgon) أى كائن مكون من جسم امرأة ورأسها منطى بالأفاسى . وفى الميتولوجيا القديمة ثلاث جورجونات ، وهن ميدوزا - السالفة الذكر - واستينو (Stheno) وأريال (Euryale) والمقصود هنا ميدوزا .

(٣٣) كان فرجيليو حريصاً على ألا يرى دانتى ميدوزا حتى لا يتحول إلى حجر .

(٣٤) فعل فرجيليو ذلك زيادة فى المحافظة على دانتى .

(٣٥) يشير دانتى إلى الأبيات التى تتكلم عن أسطورة ميدوزا والشيطانات . اختلف النقاد فى فهم دانتى لهذه الأسطورة ، يرى بعض أن ميدوزا عنده رمز المرأة الشهوانية التى تسيطر على الرجل ، أو أنها رمز لكراهية المرأة للرجل ويرى آخرون أن دانتى كان على وشك أن يدخل بين جماعة الهراطقة ، وأن ميدوزا تبحث الشك فى الإنسان المؤمن وتميل به عن العقيدة السليمة ، ولذلك منعه فرجيليو من أن ينظر إليها حتى يبقى صحيح العقيدة . يمثل فرجيليو الدليل أو العقل الإنسانى ، وكان لا بد إلى جانبه من معونة السماء ، التى تتمثل فى ملاك يهبط من السماء ، حتى ينجو دانتى من الضلال .

(٣٦) اضطربت الأمواج لما جاء فوقها .

(٣٧) هذا وصف مستمد من ملاحظة دانتى للعواصف والأقواء .

(٣٨) أعلن هذا الدوى عن قدوم رسول السماء الذى لا تقف أمامه قوة .

(٣٩) يقصد التقاء تيارين من الهواء تختلف درجة حرارتهما ، وكلما زاد التفاوت بينهما

اشتد عصف الريح .

(٤٠) هكذا أعطى دانتى صورة صادقة لثورة الرياح العاصفة .

رسم ليوناردو دا فنشى صورة للعاصفة بهذه التفاصيل - مستمدة أيضاً من ملاحظة مظاهر الطبيعة - وهى موجودة فى المكتبة الملكية بقصر وندسور فى إنجلترا .

(٤١) أى انظر بكل ما فيك من قوة على الإبصار .

(٤٢) تحتسى الضفادع بقاع المستنقع هرباً من الأفعى .

(٤٣) هذا هو الملاك الذى هبط كرَسُول من السماء لكى يفتح مدينة ديس وقد أغلقها الشياطين

فى وجه الشاعرين . وهو رمز لقوة عليا بخارقة .

(٤٤) يوازن دانتى بين اختفاء المعذبين أمام رسول السماء وبين اختفاء الضفادع أمام الأفعى .

(٤٥) أى الضباب الكثيف .

(٤٦) أى الضيق الذى سببه الضباب الكثيف .

- (٤٧) تبين مما رآه عند قدومه أنه رسول من السماء .
 (٤٨) أشار إليه أن ينحني احتراماً لرسول السماء .
 (٤٩) يزدري الآثمين والشياطين .
 (٥٠) أي باب مدينة ديس .
 (٥١) الصولجان رمز القوة التي منحها له الله .
 (٥٢) هكذا يمتنهم رسول السماء وينعتهم بصفاتهم .
 (٥٣) أي إرادة الله .
 (٥٤) زادت في عذابهم وعلى الأخص عند هبوط المسيح إلى اللبوس .
 (٥٥) أي لا جدوى في معاندة القدر .
 (٥٦) هذه إشارة إلى هبوط هرقل إلى الجحيم وتغلبه على تشيربيروس حيث قيده بالسلاسل وجرح ذقنه وحلقه :

Virg. Æn. VI. 392 ...

- (٥٧) عاد رسول السماء تَوَّجاً من حيث أتى بعد أداء واجبه ، كما كانت بياتريتشى راغبة في العودة سريعاً إلى السماء عند ما نزلت إلى اللبوس لإنقاذ دانتى :

Inf. II. 71:

- (٥٨) هذه مظاهر من يؤدي عملاً عاجلاً لإنقاذ قوم من الخطر ، وأمامه مسائل أخرى عليا القيام بها . هكذا يرسم دانتى بعض تفاصيل للنفس الإنسانية .
 (٥٩) يعنى دانتى .
 (٦٠) هذا هو تمبير دانتى ، والمقصود السير .
 (٦١) في الأصل أرض ، يعنى مدينة . ويتكرر هذا الاستعمال في مواضع كثيرة .
 (٦٢) هكذا زالت مخاوف دانتى وعادت إليه الطمأنينة .
 (٦٣) يعنى دون عقبة .

وضع دانتى المراقبة في بداية مدينة ديس وبالقرب من أسوارها ، وهم منفصلون عن بقية الآثمين قبلهم ، كما يبعدون عن الممذيين في أعماق الجحيم . أي أن دانتى يعاملهم معاملة خاصة في مكان خاص مناسب ، كما عامل أهل اللبوس ، وبذلك احترام دانتى حرية الفكر عند المراقبة ، وإن خالفهم في العقيدة . وهنا تبدأ الحلقة السادسة .

- (٦٤) يعنى مدينة ديس .
 (٦٥) سرح عينيه فيما حوله لتلهفه على رؤية المراقبة . وهذه بعض صور الإنسان .
 (٦٦) أي رأى أمامه سهلاً فسيحاً .
 (٦٧) أبدلت البيت ١١٢ بالبيت ١١٥ مراعاة للأسلوب العربي .
 (٦٨) أرييس (Arles) مدينة في مقاطعة البروفنس في فرنسا ، وبها مقابر رومانية ومسيحية ونشأت حولها أساطير في العصور الوسطى . ويرى بعض المؤرخين احتمال زيارة دانتى لفرنسا بناء

على هذه الإشارة وغيرها .

(٦٩) بولا (Pola) ميناء على خليج كوارنيرو (Quarnero) في إستريا ، وبها مقابر رومانية .

وتوجد مقبرة من مدينة بولا كأثر منها ودو في المتحف المدني في البندقية .

(٧٠) يغلثق يعنى يحدد .

(٧١) استنل هذا القول الوطنيون الإيطاليون في القرن ١٩ الذين كانوا يطالبون النمسا بضم

إستريا إلى إيطاليا .

(٧٢) زاد عدم استواء الأرض هنا بسبب العذاب الذى لقيه الآثمون .

(٧٣) يعنى أن الحديد لا يقتضى زيادة من صنعة الحداد وفنه ليصبح متوهجاً مثل تلك القبور .

وهذه صورة مقتبسة من حياة الصناع في فلورنسا .

(٧٤) هذا تعبير عن مدى الأسى والعذاب الذى لقيه المراطقة .

(٧٥) جعل دانتى في كل تابوت أحد زعماء المراطقة ومعه أتباعه .

(٧٦) في الأصل (الذين يجعلون أنفسهم مسموعين بتنهاتهم الأليمة) والمعنى واحد .

(٧٧) هذا كناية عن كثرة المراطقة الذين كانوا يمارسون عقائدهم سرّاً .

(٧٨) تتفاوت قوة النار تبعاً لقرب المذهب أو بعده عن العقيدة المسيحية .

الأنشودة العاشرة (١١)

سار الشاعران بين أسوار مدينة ديس وقبور المعذبين ، وعرف دانتى أنه أمام مقبرة الهراطقة من أتباع أبيقور . وسمع فجأة صوتاً يناديه بالتسكاني الصادق الأمين ، فتولاه الخوف . ولكن فرجيليو أوضح له أنه أمام فاريناتا وأنه سيراه كله من وسطه حتى رأسه . سأل فاريناتا دانتى عن أصله ، ولما عرف أنه من الجلف وقع بينهما فصلٌ من التراشق العنيف ، يستند إلى ذكريات الصراع الحزبي في فلورنسا بين الجلف والجليلين ، تناول نفي كلا الحزبين من فلورنسا وعودة الجلف دون الجبلين إلى فلورنسا لأنهم عرفوا فن الرجوع إلى الوطن . ثم قطع هذا الموقف العنيف ظهور كافالكانتى الجلفى الذى خرج من القبر باحثاً عن ابنه جويدو صديق دانتى ، ولكنه لم يجده ، واعتقد أنه مات ، عندما تباطأ دانتى فى إجابته ، فاختنى داخل قبره . وعاد الموقف العنيف بين دانتى وفاريناتا . ثم تحول الموقف بينهما إلى الهدوء واللين . قال فاريناتا إنه وإن كان قد حارب الجلف الفلورنسيين إلا أنه دافع عن فلورنسا وحده عندما أراد الجبلين إزالة معالمها من الوجود . دعا دانتى لسلالة فاريناتا بالسلام ، وسأله عن رؤية الموتى للمستقبل . قال فاريناتا إن الموتى يرون الماضى والمستقبل دون الحاضر . وعندئذ أدرك دانتى خطأه فى حق كافالكانتى ، وسأل فاريناتا أن يخبره أن ابنه لا يزال حياً ، وأنه كان قد أبطأ فى إجابته لأنه كان يفكر فى اللغز الذى فهمه الآن . تحرك الشاعران للمسير وأخذ دانتى يفكر فى حياة المنى التى تنبأ له بها فاريناتا ولكن فرجيليو ذكر له أن بياتريتشى سوف تشرح له كل شيء . وتقدم الشاعران إلى الحلقة السابعة .

١. لآن يسير أستاذى وأنا من وراء منكبّيه، فى طريقٍ خفى^(٢٢) بين أسوار المدينة وقبور المعذبين^(٢٣) .
٤. بدأتُ : « أيها الفضل الأعلى^(٤) يا مَنْ تدور بى خلال الحلقات السيئات كما يروق لك^(٥) ، حدثنى وأشبع رغباتى .
٧. هل يمكن رؤية القوم الذين اضطجعوا فى القبور ؟ وما قد رُفعتْ كلّيّ أغطيّتها ، ولا يحرسها أحد^(٦) » .
١٠. أجابنى : « إنها ستغلق جميعاً إذا عادوا هنا من وادى يوسافاط^(٧) ، بأجسادهم التى تركوها هناك فى أعلى^(٨) .
١٣. فى هذا الجانب توجد مقبرة أبيقور^(٩) ، ومعه كلّ مريديه^(١٠) الذين يجعلون النفس تموت مع الجسد .
١٦. ولكنك ستنال وشيكاً هنا بالداخل : ما يرضيك عما وجّهتْ إلىّ من سؤالٍ^(١١) ، وعن الرغبة التى لم تُفصح عنها بعد^(١٢) » .
١٩. قلتُ : « أيها الدليل الطيب : إني لا أغلق عنك قلبي إلا قصداً فى انكلام ، وإنك قد وجّهتني إلى ذلك ليس الآن فحسب^(١٣) » .
٢٢. « أيها التسكافى^(١٤) الذى تسير حياً فى مدينة النيران : متكلماً بهذا الإخلاص^(١٥) . لعله يروقك أن تقف فى هذا المكان^(١٦) .
٢٥. إن كلامك^(١٧) يئمّ على أنك مولودٌ فى ذلك الوطن النبيل^(١٨) ، الذى ربما كنتُ شديد القسوة عليه^(١٩) » .
٢٨. صدر هذا الصوت فجأةً عن أحد القبور : عندئذٍ ازددتُ اقتراباً من دليلى ، وقد عرانى الوجل^(٢٠) .
٣١. قال لى^(٢١) : « استدرّ : ماذا تفعل ؟ انظر هاك فاريناتا^(٢٢) منتصب القامة : إنك ستراه كله من وسطه إلى أعلاه^(٢٣) » .
٣٤. وكنت قد صوّبتُ عيني إلى وجهه^(٢٤) ؛ ووقف هو منتصب الصدر مرفوع الجبهة ، كمنّ يشعر نحو الجحيم بازدياءٍ شديد^(٢٥) .

- ٣٧ ودَفَعْتَنِي إِلَيْهِ بَيْنَ الْقُبُورِ (٢٦) ، يدا دليلى الجريثستان المتحفرتان (٢٧) ، وهو يقول : « فَكَلَّمْتَكُنْ كَلِمَاتِكُ موزونة (٢٨) » .
- ٤٠ ولَمَّا وَقَفْتُ عِنْدَ دَعَامَةِ قَبْرِهِ ، نَظَرْتُ إِلَى قَلِيلًا ثُمَّ سَأَلَنِي بِلَهْجَةٍ تَمَّ عَلَى الزَّرَايَةِ (٢٩) : « مَنْ كَانَوَأَجْدَادُكَ (٣٠) » .
- ٤٣ ولم أُخْفِ عَنْهُ ذَلِكَ ، إِذْ كُنْتُ رَاغِبًا فِي طَاعَتِهِ ، بَلْ أَفْصَحْتُ لَهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ (٣١) ؛ عِنْدئذٍ رَفَعَ حَاجِبِيهِ إِلَى أَعْلَى قَلِيلًا (٣٢) ،
- ٤٦ ثُمَّ قَالَ : « إِنَّهُمْ كَانُوا خُصُومًا أَلْدَاءَ لِي وَأَجْدَادِي وَحَزْبِي ، حَتَّى لَقَدْ شَتَّتْ شَمْلَهُمْ مَرَّتَيْنِ (٣٣) » .
- ٤٩ فَأَجَبْتُهُ قَائِلًا (٣٤) : « إِذَا كَانُوا قَدْ طَرَدُوا . فَلِئَنَّهُمْ رَجَعُوا مِنْ كُلِّ صَوْبٍ (٣٥) فِي كِلْتَا الْمَرَّتَيْنِ (٣٦) ؛ لَكِنْ ذَوِيكَ لَمْ يَحْسِنُوا تَعْلَمُ ذَلِكَ الْفَنَ (٣٧) » .
- ٥٢ عِنْدئذٍ بَرَزَ شَبِيحٌ إِلَى جَانِبِهِ (٣٨) أَمَامَ عَيْنِي ، مَكْشُوفًا إِلَى الذَّقَنِ (٣٩) ، وَأَعْتَقَدُ أَنَّهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَقَفَ .
- ٥٥ نَظَرْتُ حَوَالِيَّ كَأَنَّمَا تَدْفَعُهُ الرِّغْبَةُ فِي أَنْ يَرَى هَلْ يَصْحَبُنِي غَيْرِي مِنَ الْبَشَرِ (٤٠) ؛ وَلَكِنْ لَمَّا زَالَ عِنْدَهُ كُلُّ شَكٍّ (٤١) ،
- ٥٨ قَالَ وَهُوَ يَبْكِي (٤٢) : « إِذَا كُنْتَ تَسْزُورُ هَذَا الْمَحْبِسَ الْأَعْمَى بِفَضْلِ عِبْقَرِيَّتِكَ السَّامِيَةِ ، فَأَيْنَ ابْنِي (٤٣) ؟ وَمَاذَا هُوَ لَيْسَ مَعَكَ (٤٤) ؟ »
- ٦١ قُلْتُ لَهُ : « أَنَا لَا أَجِيءُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي : إِنَّ مَنْ يَنْتَظِرُ هُنَاكَ (٤٥) يَقُودُنِي إِلَى هُنَا ، وَرَبَّمَا كَانَ ابْنُكَ جَوِيدُو يَحْتَقِرُهُ (٤٦) » .
- ٦٤ وَفِي كَلِمَاتِهِ وَأَسْلُوبِ عِزَابِهِ ، كُنْتُ قَدْ قَرَأْتُ اسْمَهُ وَشَخْصَهُ (٤٧) ، وَلِلذَلِكَ كَانَتْ إِجَابَتِي إِيَّاهُ جَدًّا وَافِيَةً (٤٨) .
- ٦٧ فَهَضُّهُ تَوًّا مُنْتَصِبِ الْقَامَةِ ، وَهُوَ يَصْرُخُ قَائِلًا (٤٩) : « كَيْفَ تَقُولُ ؟ كَانُ (٥٠) ؟ أَلَا يَعِيشُ بَعْدُ ؟ أَلَا يَرُدُّ عَلَى عَيْنِيهِ النُّورَ الْحَبِيبَ (٥١) ؟ » .
- ٧٠ وَلَمَّا أَدْرَكَ بَعْضَ الْإِبْطَاءِ الَّذِي يَدْرَمُنِي قَبْلَ أَنْ أُجِيبَ سَأْأَلَهُ . هَبَّ سَرِيعًا ، وَلَمْ يَظْهَرْ بَعْدُ فِي الْخَارِجِ (٥٢) .

- ٧٣ ولكن ذلك الشيخ الآخر العظيم، الذي وقفتُ تلبيةً لدعائه ، لم يغير ملاحظته ، ولم يحرك عنقه (٥٣) ، ولم يشن عطفه (٥٤) ؛
- ٧٦ وقال مكتملاً حديثه الأوّل (٥٥) : « إذا كان قومي لم يحذقوا ذلك الفن (٥٦) ، فإن ذلك يؤلّي أكثر من هذا الفراش المضطرم (٥٧) .
- ٧٩ ولكن لن يضيء خمسين مرةً وجه السيدة التي تحكّم هنا (٥٨) ، حتى تعرف كم هو ثقيل ذلك الفن (٥٩) .
- ٨٢ وأنت يا مَنْ عسى أن ترجع إلى العالم الحبيب (٦٠) ، أخبرني : لِمَ كان ذلك الشعب شديد القسوة على عشيرتي في كل قوانينه (٦١) ؟ » .
- ٨٥ عندئذٍ أجبتُه : « الدمار والهلاك الذي خضّب مياه أربيا بالدم (٦٢) ، جعل مثل هذه الصلوات تتجاوب في أرجاء مبعدنا (٦٣) » .
- ٨٨ وبعد أن هزّ رأسه وهو يتنهّد ، قال (٦٤) : « لم أكن في ذلك وحدي ، ولم يكن قطعاً دون سببٍ نهوضي مع الآخرين (٦٥) .
- ٩١ ولكنني كنتُ وحدي هناك ، حينما اتفق الجميع على محق فيورنتزا (٦٦) ، وكنتُ وحدي الذي أدافع عنها بوجهٍ صريحٍ (٦٧) » .
- ٩٤ فرجوتُه قائلاً (٦٨) : « آه ! لكي تنعم سلاتك بالسلام (٦٩) ، حلّ لي تلك العقدة التي تُبَلبل فكري (٧٠) .
- ٩٧ وإذا كنتُ أحسن السمع (٧١) ، فيبدو أنكم ترون مقدّماً ما يأتي به الزمن ، أما الحاضر فلکم فيه طريقةٌ أخرى (٧٢) » .
- ١٠٠ قال : « إننا نرى الأشياء البعيدة عنا ، كما يفعل مريضُ البصر (٧٣) ، وهذا هو الضوء الذي لا يزال يمنحنا إياه الدليل الأعلى (٧٤) .
- ١٠٣ وحينما تقرب منا أو تصير معنا يذهب كلٌّ نظرنا سدى (٧٥) ؛ وإذا لم يحمل أحدٌ إلينا خبراً ، فلن نعرف شيئاً عن حالكم الإنسانية (٧٦) .
- ١٠٦ ولذلك تستطيع أن تدرك أن معرفتنا ستموت تماماً ، منذ تلك اللحظة التي يوصد فيها باب المستقبل (٧٧) » .

- ١٠٩ عندئذ قلت كنادم على ما وقعت فيه من خطأ^(٧٨) : « أخبر إذاً ذلك الهابط^(٧٩) ، أن ابنه لا يزال في عداد الأحياء .
- ١١٢ وإذا كنت قد سكت قبل عن جوابه^(٨٠) ، فعرّفه أني فعلت ذلك لأنني كنت أفكر في الخطأ الذي حررتني من قيده^(٨١) .
- ١١٥ وكان أستاذي قد ناداني فرجوت توتاً ذلك الشيخ أن يخبرني عمّن كانوا معه^(٨٢) .
- ١١٨ فقال لي : « إني أرقد هنا مع أكثر من ألف : وهناك في الداخل فردريك الثاني^(٨٣) ، والكردينال^(٨٤) ؛ أما عن الآخرين فلا أتكلم^(٨٥) .
- ١٢١ عندئذ اختنفتي^(٨٦) : فوجهت خطواتي نحو الشاعر العتيق ، متأملاً في ذلك الكلام الذي بدا لي معادياً^(٨٧) .
- ١٢٤ وتحرك دليلي إلى الأمام ، ثم قال لي ونحن نسير على ذلك النحو : « لم أنت مضطرب هكذا ؟ » . فأجبت وأرضيت سؤاله^(٨٨) .
- ٢٧ « فلستحفظ ذاكرتك ما سمعت ضد شخصك^(٨٩) . هكذا أمرني ذلك الحكيم . ثم رفع أصبعه قائلاً^(٩٠) : « والآن انتبه هنا جيداً :
- ١٣٠ حينما تصبح أمام الضوء الحبيب ، لتلك^(٩١) التي ترى عينها الجميلة كل شيء^(٩٢) ، ستعرف منها رحلة حياتك^(٩٣) .
- ١٣٣ بعدئذ وجه خطاه إلى اليسار : وتركتنا السور^(٩٤) ، واتجهنا إلى الوسط^(٩٥) ، في ممر يؤدي إلى واد ،
- ١٣٦ تصاعدت رائحته الكريهة هناك إلى أعلى^(٩٦) .

حواشى الأنشودة العاشرة

(١) هذه أنشودة المراقبة أو أنشودة فاريناتا دلى أوبرى ، وهى من أكثر قصائده الكوميديا اتصالا بالحياة الفلورنسية .

(٢) يسير دانتي وراء أستاذه لأن الطريق خفى ضيق . ويشبه هذا قول فرجيليو :

Virg. Æn. IV. 405.

(٣) أى أنهما سارا بين أسوار مدينة ديس وقبور المعذبين على مقربة منها . استمد دانتي صورة مدينة ديس بأسوارها وأبراجها وقبورها وقبراتها وشياطينها من فرجيليو :

Virg. Æn. VI. 548 ...

وهناك بعض أوجه شبه بين صورة مدينة ديس عند دانتي وبين ما جاء فى التراث الإسلامى :

Cerulli (op. cit.) pp. 188-191.

عبد الوهاب الشعرانى : مختصر تذكرة القرطبي . القاهرة ، ١٣٠٨ هـ : ص : ٧٠ .

(٤) يقصد فرجيليو .

(٥) يرى بعض النقاد أن دانتي أراد أن يحدثه فرجيليو كما يروق له .

(٦) يعنى أن هذه فرصة مناسبة لرؤية من بداخل هذه القبور .

ويوجد حفر بارز يمثل الحجم ويبدو فيه المعذبون وهم يتصاحبون ويتضاربون ويلطمون صدورهم وخدودهم وتلدغهم الأفاعى ، وهو من صنع مدرسة الحفر والنحت فى سيينا ، ويرجع إلى أوائل القرن ١٤ وهو فى كاتدرائية أورفييتو .

(٧) وادى يسافاط (Josaphat) قريب من أورشليم ، حيث يجرى الحكم الأخير كما ورد فى « الكتاب المقدس » :

Joel, III. 2, 12.

ألف سميث (١٧١٢ - ١٧٩٥) صديق هيندل ألحان أوراتوريو عن يسافاط :

Smith, J. Chr. : Jehoshaphat, oratorio.

(٨) أى الدنيا .

(٩) أبيقور (٣٤٢ - ٢٧٠ ق . م .) (Epicurus) فيلسوف يونانى مؤسس المذهب الأبيقورى الذى يعتبر أن النفس تموت مع الجسد ، وبذلك يدعو إلى التمتع باللذات قبل فوات الوقت ، وامتد ملهبه فى العصور الوسطى ، على رغم روح العصر .

(١٠) نسب هذا المذهب إلى الجليلين أعداء البابا . ووجد من الجلف من أخذ به . وبلغ فى نسبة هذا المذهب إلى بعض الناس من باب الخصومة السياسية .

(١١) يطمئن فرجيليو دانتي بأنه سيرف كل شيء سريماً .

(١٢) يعنى أن دانتي لم يفصح بعد عن رغبته فى رؤية فاريناتا دلى أوبرى ولكن فرجيليو يعرف ما يدور بنفسه ، وكان دانتي قد استنسر عن بعض مواطنى فلورنسا من قبل ، ومن بينهم فاريناتا :

Inf. VI. 79 ...

(١٣) يشير دانتي إلى أن فرجيليو سبق أن حمله على السكوت . وهذه كلمات تلميذ لأستاذه يتبادلان التقدير والإعزاز :

Inf. III. 76-81; IX. 86-87.

(١٤) سمع دانتى هذا الصوت ينبعث فجأة من القبر أمامه ، وكان ذلك صوت فاريناتا .
 (١٥) أحس فاريناتا أن دانتى يتكلم بإخلاص ، والإخلاص غريب على الجحيم ، فداداه بهذا التعبير .

(١٦) سمع فاريناتا مواطناً فلورنسياً يتكلم بصدق وإخلاص ، ففرح واهتزت نفسه ، وخرج من القبر يسأله فى رفق ولين أن يقف قليلاً فى ذلك المكان ، لكن يحادثه .

(١٧) دلت ألفاظ دانتى ولغته وطريقة كلامه على أنه مواطن فلورنسى ، ولذا ناداه فاريناتا بالتسكافى .

(١٨) يقصد فلورنسا . ونطق فاريناتا باسم الوطن النبيل بكل إعزاز بالوطن وبالمواطن الصادق . وهكذا نسي فاريناتا لحظة الحزبية الجامحة ، ولم يعرف إلا الوطن والمواطن .

(١٩) هذا اعتراف بالإساءة فى حق الوطن ، وإعلان للأشرف على ما فعل . أعاده ذلك القول إلى ذكرى الصراع المذبذب العنيف فى فلورنسا . وقوله «ربما» يعنى أنه أراد التخفيف من أثر القسوة التى ارتكبها فى حق فلورنسا . وهذا كلام رقيق مؤثر يبدو فى ثناياه الأسى والندم .

(٢٠) دوى صوت فاريناتا فجأة ، ولم ير دانتى صاحب الصوت ، فاضطرب وفزع واقترب من فرجيليو يطلب الأمان . وما أضغف الإنسان عند ما يخاف .

(٢١) أى قال فرجيليو .

(٢٢) فاريناتا دلى أوبرتى (Farinata degli Uberti) من أسرة جرمانية الأصل كان لها نصيب كبير فى حكم فلورنسا منذ القرن ١٢ ، وقامت بكفاح عنيف ضد ثورة الشعب الفلورنسى على حكم النبلاء . ولد فاريناتا فى فلورنسا فى أوائل القرن ١٢ ونشأ فى أثناء انشاق فلورنسا إلى حزبي الحلف والجبليين فى ١٢١٥ . وأصبح زعيم الجبليين ، ونجح فى طرد الحلف من فلورنسا فى ١٢٤٨ . ولكن الحلف استعادوا مركزهم وطردوا الجبليين فى ١٢٥٨ ، فلاجأوا إلى سبيتا ونظموا قواتهم وانصرفوا على قوات فلورنسا بمساعدة مانفريد فى موقعة مونتأپرتى فى ١٢٦٠ . وأراد الجبليين المنتصرون أن يهدموا فلورنسا ، حتى لا يقوم الحلف الفلورنسيين قائمة بعد ذلك . ولكن وقف فاريناتا مدافعاً عن فلورنسا ، وأثر مصلحة الوطن على مصالحة الشخصية والحزبية . وعاد إلى فلورنسا حيث مات فى ١٢٦٤ قبل ميلاد دانتى بستة واحدة . وأتهم بأنه من أتباع أبيقور ولذلك وضمه دانتى فى منطقة المراقبة فى بداعة مدينة ديس . وربما قصد دانتى بوضمه هنا أنه كان جبيلينياً منشقاً على فلورنسا الجلفية .

(٢٣) يدل ظهور فاريناتا المفاجيء . على أنه شخص عظيم ، ونحس بعظمته قبل رؤيته . ويدل لفظ «كله» على القوة والعظمة . استعان دانتى هنا بالمادة والشكل لتعريف صورة القوة والعظمة .

(٢٤) أى تركزت عيناه عليه ، وعبرتا عما فى نفسه من الدهشة والإعجاب . ولم يستطع دانتى إلا أن ينظر إلى فاريناتا بكل عييته .

(٢٥) مع أنه لم يظهر من فاريناتا سوى الصدر والرأس فإنه وقف منتصباً شامخاً غاية فى القوة والعظمة ، وبدا أنه يحتقر الجحيم من حوله . توفرت فى فاريناتا قوة الروح التى جعلته يعمل على الجحيم كله . ولا يعنىنا الآن فاريناتا المرطيق ولكن يعنىنا الإنسان البطل . ويساعد الجحيم ذاته على إبراز قوة فاريناتا وعظمته .

(٢٦) عندما حملت دانتى فى وجه فاريناتا أخذته عظمته ووقف صامتاً لا يتكلم . ولكن السكوت لا يطول ، إذ تدخل فرجيليو ودفع دانتى إلى ما بين القبور لكى يصبح أقدر على سماع حديث فاريناتا .

(٢٧) عبر فرجيليو بيديه الجريئتين عن رغبته في أن يتحدث دانتى إلى فاريناتا . وتكلم اليده وتعتبر كالعين واللسان . مهد دانتى السبيل في مجال الشعر لرجال التصوير والنحت في عصر النهضة للكشف عن قيمة أعضاء الإنسان وما تبديه من المعاني .

(٢٨) هناك تفاوت حول تفسير كلمة (conte) . المعنى المألوف هو معدودة عدداً أو محسوبة حساباً . ولكن بعض النقاد يضمون لها تفسيرات على صلة بالمعنى الأصل مثل : صريحة ، واضحة ، قصيرة ، موجزة ، مزينة ، مناسبة ، كريمة ، رقيقة ، دقيقة ، نبيلة .

(٢٩) عبر فاريناتا بعينيه وكلامه عن معنى الاحتقار ، وذلك لأنه ساور الشك في أن يكون هذا المواطن الفلورنسى من أعدائه . مجرد الشك جعله ينظر إليه ويحادثه بلهجة تنم عن الاحتقار . (٣٠) عندما أراد فاريناتا أن يعرف شخص دانتى لم يسأله عن ذاته بل سأله عن أجداده . كان الأصل عند فاريناتا أهم من الشخص ذاته . سادت فكرة الأصل والنسب عند التبلد ، وذلك على عكس الفكرة الحديثة التي تعنى بقيمة الفرد بغض النظر عن أصله .

(٣١) أى أنه حدثه عن أسرته وأجداده من حزب الجلف الأعداء الألداء لآل أوبرتي الجبلين . (٣٢) عند ما أدرك فاريناتا أن دانتى من الأعداء - وكان قد أخذ يشك في هذا - غضب وقطب جبينه ورفع حاجبيه وتذكر الماضي الأليم .

(٣٢) قال فاريناتا إن أجداد دانتى كانوا أعداء أعداء له ولأسرته وحزبه ، ومع هذا فقد هزمهم مرتين في (١٢٤٨ و ١٢٦٠) . تكلم فاريناتا وهو فخور بالنصر ، وهو لا يعرف الحرب بغير النصر . وبدت كلماته كضربات سيف قاطع . وإن فاريناتا هنا أشبه بتمثال صارم عنيف ، بدأت الحياة تدب في أوصاله .

وتوجد صورة صغيرة تمثل طرد الجلف من فلورنسا ، وترجع إلى القرن ١٤ ، وهي في مكتبة كيديجي في روما .

(٣٤) أجاب دانتى بكلمات جافة ماثلة .

(٣٥) أى عادوا من كل أنحاء تسكانا .

(٣٦) عقب الهزيمة الأولى عاد الجلف إلى فلورنسا ، عند ما استدعاهم الشعب الذي ثار على حكم الجبلين في ١٢٥٨ ، ثم عادوا عقب الهزيمة الثانية بعد انتصارهم على الجبلين في موقعة بنيشتو في ١٢٦٥ .

(٣٧) أى أن آل أوبرتي لم يعرفوا فن الرجوع إلى الوطن وعند ما صدر العفو العام عن الجبلين استثنيت حوالي ٦٠ أسرة ، كان من بينها آل أوبرتي .

هكذا كان رد دانتى على فاريناتا جافاً قاسياً ، وبذلك بادله عنفاً يعنف . وهو في ذلك يطبع أستاذه في أن تكون كلماته مزينة ومناسبة للمقام . قال إن الجلف أعفوا أثر الهزيمة على حين لم يتعلم الجبلين فن الرجوع إلى الوطن . وهكذا ألقي دانتى إلى فاريناتا بسهم عنيف ، ولم يستطع فاريناتا سوى أن يقسم هذا السهم المستقر بين جوانحه . وكان دانتى كمن يبسم ابتسامة ساخرة بهذه الكلمات القاسية المليئة بالسخرية . ومع ذلك فإن دانتى يحترم فاريناتا ويناديه بضمير الجمع ، على حين ينادى فاريناتا دانتى بضمير المفرد . وقد تكون القسوة والسخرية دليل التقدير والإعزاز .

(٣٨) هذا شيخ كافالكانتي دي كافالكانتي الذي استفسر دانتى عنه ضمن أبطال فلورنسا ، وإن لم يذكر اسمه على وجه التحديد :

(٣٩) أى لم يظهر منه سوى الوجه .

(٤٠) أضفت لفظ (البشر) للإيضاح .

(٤١) الشك أو خيبة الظن . نظر كافالكانتى حوله لأنه كان يريد أن يرى ابنه مع دانتى .

(٤٢) عند ما لم يجد ابنه مع دانتى زال شكه في احتمال رؤيته ، فتكلم وهو يبكي . وفرنتشكا
تبكى وتكلم ، وأوجولينو يتكلم ويبكى :

. V. 126; XXXIII. 9.

(٤٣) كافالكانتى دى كافالكانتى (Cavalcante dei Cavalcanti) من أتباع أبيقور مثل
فاريناتا ، ولكنه خالفه في السياسة فكان من الحلف ، وأصبح عمدة جوييو في ١٢٥٧ . وبعد موقعة
مونتأرتو نكل الجلبين المتصرون بالحلف ومن بينهم كافالكانتى . وهو أبو جويدو كافالكانتى
(Guido Cavalcanti) الذى تزوج بياتريتشى ابنة فاريناتا ، وكان زواجاً سياسياً للتقريب بين الحلف
والجلبين . واشترك جويدو في الكوميون الفلورنسى ، وأصبح من حزب البيض عند انشقاق الحلف
إلى بيض وسود . وكان من أصدقاء دانتى . وامتاز بالثقافة والاطلاع ، وهو من شعراء مدرسة الشعر
الحديث في فلورنسا . اشترك دانتى في قرار نفيه إلى سارتزانا لمدة سنتين في ١٣٠٠ تخفيفاً من حدة
النزاع الحزبي في فلورنسا . ومرض في المنفى ، ورجع إلى وطنه ومات بعد قليل . وهنا يسأل كافالكانتى
دانتى عن ابنه جويدو وكان يتوقع أن يراه .

(٤٤) أى أنه إذا كان دانتى يزور الحميم بفضل عبقريته فلماذا لم يأت معه ابنه جويدو وهو
عبرى مثله ولم يتكلم كافالكانتى عن السياسة الحزبية ، بل تكلم كأب يبحث عن ابنه .

ويوجد حفر لخاتم كافالكانتى دى كافالكانتى ، وهو في المتحف الوطنى في فلورنسا .

(٤٥) يقصد فرجيليو .

(٤٦) هناك خلاف في تفسير التنافر بين جويدو وفرجيليو . ربما لم يقدر جويدو فرجيليو
لأن جويدو أحب الفلسفة ولم يحفل بالشعر القديم ، أو لأن فرجيليو يمثل أحياناً سلطة الإمبراطور
عند دانتى ، على حين كان جويدو من حزب الحلف . هكذا أراد دانتى أن يجعل الموقف بين جويدو
وفرجيليو .

(٤٧) استدل دانتى من كلماته وطريقة عذابه على شخصيته .

(٤٨) ظن دانتى على غير حقيقة أن إجابته كانت واقية .

(٤٩) نهض على قدميه وهو يصرخ لفرط الألم عند ما اعتقد أن ابنه جويدو قد مات .

(٥٠) عند ما قال دانتى إن جويدو ربما كان يحترم فرجيليو بصيغة الماضي ، وكان يتكلم
قبل بصيغة المضارع ، اعتقد أن ابنه قد مات ، فأرسل تلك الأسئلة المتلاحقة في حزن وألم . وهى
تعبّر في صدق وبساطة عن إحساس الأب وشعوره عند فقد ابنه . وهذه صورة تكشف عن بعض
نواح في النفس الإنسانية .

(٥١) أتى كافالكانتى بهذا السؤال لأن عيون الموق - وقد اعتقد أن ابنه قد مات - تتطلع
إلى الضوء وتتعلق بأهداب الأمل حتى آخر لحظة من الحياة .

(٥٢) هبط كافالكانتى في القبر بغير كلام ، عندما اعتقد أن ابنه قد مات . وأى شيء
أقوى تمييزاً من الألم أكثر من سقوطه في القبر دون كلام كجم ميت لا حراك به ! عبر دانتى
بذلك الشموخ الأبوى عن بعض دقائق القلب الإنساني .

استمد دانتى شخصية كافالكانتى الأب من ذكرى صلته بابنه جويدو . ولم يصور شخصية

جويلو ذاته ، ربما لأن نفسه لم تطاوعه على ذلك ، وقد كان مشتركاً في قرار نفيه . واستمد دانتى شخصية كافالكانتى من ظروف حياته هو . فقد شعر دانتى منذ صغره بالحاجة إلى عطف الأم والأب وخبر بنفسه معنى الأبوة وأدرك أثر الحرمان من أبنائه في حياة المتني والتشريد . صور دانتى شخصية كافالكانتى كإنسان هادئ رقيق وديع ، وكأب بار عطوف ، لا تمه السياسة ولا الحزبية ولا الوطن ، ولكن يعنيه مصير ابنه الحبيب . وهو يعبر في حركاته وأقواله عن الأبوة البارة الرحيمة . وهو واضح صريح متلهف على رؤية ابنه . ويمتاز فيه الرجاء والأمل باليأس والأسى والزفريات .

(٥٣) أى أنه لم يحرك رأسه .

(٥٤) في تلك الفترة ظل فاريناتا واقعاً في مكانه كالمتمثال لا يتحرك ، وحل الرغم من صلة المصاهرة بينه وبين كافالكانتى ، فلم تعن فاريناتا دموع الأب المتلهف على رؤية ابنه ، واستمر يفكر في قول دانتى السابق وفي حياة المتني وفي الصراع الحزبي . لم يفهم فاريناتا الجليلي سوى سخريه دانتى الجلى عند ما عرض بالجليلين ذاكراً أنهم لم يعرفوا ن الرجوع إلى الوطن . كان هذا من مقومات شخصية فاريناتا الوطني الصارم العنيف ، الذي لا يفكر في غير وطنه ، ولا تشغله عنه المشاغل الأسرية .

(٥٥) عاد فاريناتا سرعاً إلى متابعة الحديث الأول الذي توقف بعض الوقت .

(٥٦) أى أن الجليلين أسأوا تعلم فن الرجوع إلى الوطن .

(٥٧) كان عجز الجليلين عن الرجوع إلى الوطن جميعاً عند فاريناتا أشد من هذا الجحيم . وجحيم النفس عنده يتضائل إلى جانبها جحيم الجسد وجحيم الآخرة . خلق دانتى بذلك من فاريناتا أثراً على الله وخارجاً على تقاليد المصور الوسطى . أنطق دانتى فاريناتا كيطل غاضب ناثر ، لا يتحول عن ميدهه ووطنه . يشبه فاريناتا موسى الذي خلقه ميكلائنجلو في تمثاله الرائع في كنيسة سان بيتر و إن فينكيولي في روما ويشك أن ينهض ناثراً على شعبه لما ارتكبه من الخطايا . وهناك كإياز و ناثر آخر على الله في الجحيم ، سيأتي بعد :

Inf. XIV. 43-75.

(٥٨) السيدة التي تحكم هنا هي پروزرينا (Proserpina) ملكة الجحيم . والمقصود بذلك القمر ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك . أى أنه لن يظهر البدر ٥٠ مرة ، أى خلال ٤ سنوات وشهرين ، من أبريل ١٣٠٠ زمن هذه المقابلة في الجحيم كما جعلها دانتى ، إلى يونيو ١٣٠٤ ، عند ما حاول دانتى الرجوع إلى فلورنسا بالقوة مع الخارجيين الفلورنسيين من حزب البيض ، ولكنه أخفق .

(٥٩) أى سوف يعرف دانتى كم هو صعب ثقيل فن الرجوع إلى الوطن . لم يسكت فاريناتا عن سخريه دانتى به وبقرهه ، وبإداله سهماً بهمهم . وعاد الموقف بينهما إلى المنف السابق . وهذا هو أوج المقابلة وخاتمة ذلك الشعور العنيف المتلفق بين فاريناتا ودانتى ، الذي ظلت خلاله صورة الوطن ماثلة على الدوام .

(٦٠) ينعت وطنه بالعالم الذب الحبيب .

(٦١) يقصد شعب فلورنسا . ولا يذكره بالاسم بسبب العداوة .

هكذا انتهت ثورة فاريناتا واعتدل وتحول إلى الهدوء . يسأل فاريناتا دانتى لماذا كانت قوانين فلورنسا شديدة القسوة على آل أوبريقي ، فاستنوا من قانون العفو العام عن الجليلين بعد موقعة بينيتسو وهلمت قصورهم ودكت بيوتهم وحولت أماكنها إلى ميادين عامة ومنها ميدان السنيوريا في فلورنسا .

(٦٢) أمثلات مياه مهر أربيا (Arbia) بقرب سيبينا بالنساء ، في موقعة موتأبرقي التي انتصر فيها الجليلين على الخلف .

(٦٣) أى جعلت هذه اللماة شعور أهل فلورنسا عدايا نحو آل أوبري ، فكانت صلواتهم في الكتائب ضدهم ، وبذلك صدرت قوانين فلورنسا قاسية عليهم .

(٦٤) عند ما تذكر فاريناتا ضحايا فلورنسا في موقعة مونتايرتي تحول إلى الهدوء واللين وتهد وهز رأسه أسى وألماً .

(٦٥) أى أنه لم يجارب وحده ولكنه اشترك في الحرب مع أعضاء حزبه من الجلبين .

(٦٦) يقول دانتي فيورنتزا (Firenze) وهذا هو اسم فلورنسا وقتئذ ويطلق الإيطاليون عليها لفظ فيرنيزه (Firenze) (انظر أشودة ٢٤ حاشية ٦٧). يقصد أنه كان وحده - صاحب الرأي المخالف عند ما اتفق الجلبين على هدمها وتحولها إلى أنقاض . استمد دانتي هذا المعنى من القصور والأبراج والبيوت التي هُدمت في فلورنسا في أثناء الصراع الحزبي العنيف .

(٦٧) دافع فاريناتا عن فلورنسا بوجه مفتوح أو صريح أى بجمارة وهزم وتصميم . يقصد أنه عند ما انتصر الجلبين على الخلف في مونتايرتي في ١٢٦٠ أمر فاريناتا الجند الجلبين بالكف عن قتل الجند الفلورنسي . وفكر الجلبين المحتمون في إيمبولي في هدم فلورنسا ، ولكن فاريناتا عارض ذلك بشدة ، وقال لزعماء الجلبين وطلى رأسهم الكونت جوردانو إنه قاتل لاسترجاع وطنه لا ليفقده ، وإنه سيدافع عنه ضد كل من تسول له نفسه هلمه أو تحطيمه ، وإنه سيفعل ذلك بعزم وتصميم أكثر مما فعل في حرب فلورنسا من قبل . قال فاريناتا ذلك وهو يقبض على سيفه ، وبذلك أنقذ فلورنسا من اللسار . وهكذا أعطى فاريناتا للناس درساً رائعاً في الوطنية .

(٦٨) يرجوه دانتي أن يتكلم .

(٦٩) هكذا تحدث دانتي إلى فاريناتا بكلمات رقيقة ودعا له بالسلام جزاء وطنيته الصادقة .

(٧٠) سأله أن يفسر له مشكلة غمضت عليه .

(٧١) يعنى إذا كان قد أحسن الفهم .

(٧٢) يقصد أن كاثالكانتي قد تنبأ بحوادث المستقبل وتنبأ فاريناتا ببنى دانتي ، على حين

لم يعرف كاثالكانتي هل كان ابنه حياً أو ميتاً .

(٧٣) أى مثل مدينى البصر ، الذين يرون البعيد خيراً من القريب ، وهذا نوع من مرض العميون . والمقصود أنهم يرون المستقبل . تأثر دانتي في هذا برأى توماس الأكويني في أن النفس تعرف الماضي وتدرک المستقبل ولكنها تجهل الحسوس . وتأثر أيضاً في هذا بذكريات اللاتين ومعتقدات العامة التي احتوت نفس الفكرة . ولذلك جعل دانتي هؤلاء المعذبين القدرة على رؤية المستقبل دون الحاضر .

(٧٤) يقصد الله .

(٧٥) إذا اقتربت منهم الأشياء أو أصبحت معهم يبقى عقلهم فارغاً ولا يرون شيئاً .

(٧٦) يعنى أنه لا بد أن يحمل أخباركم إلينا أحد الأحياء وإلا تبقى مجهولة .

(٧٧) أى أن المستقبل سينتهى عندهم يوم القيامة ، ويحل مكانه الخلود . ولذلك ستفقد

هذه النفوس المعذبة القدرة على رؤية المستقبل ، والتي تتمتع بها الآن .

(٧٨) يعنى أن دانتي تبين أنه ارتكب خطأ غير مقصود عند ما لم يجب فوراً عن سؤال كاثالكانتي

عن ابنه ، فأحس بالندم . وأراد أن يعرف فاريناتا كاثالكانتي بأن ابنه جويو لا يزال حياً يرزق .

(٧٩) أى كاثالكانتي الهابط في قبره .

(٨٠) كان كأنه أخرس لانشغاله بلفز الموتى .

- (٨١) يعبر دانتي عن أسفه للألم الذي سببه لكافالكانتي دون قصد .
(٨٢) أي معه في القبر .

(٨٣) الإمبراطور فردريك الثاني هو هينشتاوفن (١١٩٤ - ١٢٥٠ Federico Secondo Hohenstaufen) الذي يسمى بأول رجل في العصر الحديث . عاش في جنوب إيطاليا وعرف بالعلم والثقافة وسعة الأفق . وضعه دانتي هنا لأنه كان من أحرار الفكر ، ونسبت إليه المرطقة .
وتوجد صورة صغيرة تمثل فردريك الثاني وترجع إلى القرن ١٤ ، وهي في مكتبة كيديجي في روما .
ويوجد رأس من المرمر يمثل الإمبراطور فردريك ، وربما كان جزءاً من تمثال كامل له على ظهر جواد ، وهو في متحف بارليتتا في باري في جنوبي إيطاليا .

- (٨٤) الكردينال أوتافيانودلي أوبالديني (عاش في القرن ١٣ م Ottaviano degli Ubaldini) وهو من أسرة جيلينية سيطرت على الموصل ورومانيا التسكانية وأصبح أسقف بولونيا فكاردينالا .
(٨٥) يسكت فاريناتا عن الآخرين ، إذ لا يوجد متسع من الوقت للكلام ،
(٨٦) عبر دانتي عن اختفاء فاريناتا بكلمة واحدة ، ولم يشأ أن يصف هبوطه حتى لا يس شخصه العظيم .
(٨٧) يقصد كلام فاريناتا عن المنى .

هكذا رسم دانتي صورة فاريناتا دلي أوبرقي الإنسان البطل الذي تسيره قوته الجبارة . جعل دانتي من فاريناتا رجلاً لا يكاد يحس أن له قوة يفخر بها على أحد . هو يعرف أنه يجب حزنه ووطنه بكل قلبه ، وهو يضحي بالمصلحة الحزبية في سبيل الوطن . والقوة عند فاريناتا متميزة بالأفكار والأهداف النبيلة التي يسعى إلى تحقيقها . إنها القوة التي تجعل الجسم الضئيل والإنسان الخجل يبدو كالعلاق . وهذه صورة أخرى رسمها دانتي للإنسان الحديث . وضعه دانتي إلى جانب شخصية كافالكانتي دي كافالكانتي الذي يمثل الأبوة البارة الرحيمة . وقد أظهره دانتي وسط الراشق الذي حدث بين فاريناتا وبينه . وكان ظهور كافالكانتي المفاجئ أمراً قطع ذلك الموقف العنيف بين دانتي وفاريناتا لكي يجعله أكثر عمقاً بعد قليل . وكان فاريناتا جيلينيا ، بينما كان كافالكانتي جلفياً . وكانت تلك مقارفة في الأهواء والعواطف والأهداف . كانت شخصية كافالكانتي المادئة الرقيقة أشبه بلحن هادئ رقيق ، يسير إلى جانب فاريناتا الثائر العنيف تارة ، والشاعر بالأمي والأسف طوراً ، والهابط الساكت في قبه تارة أخرى . وأظهرت كل من الصورتين الصورة الأخرى . وتعد هذه القصيدة من أشهر قصائد الكوميديا .

وتوجد صورة من عمل أندريا دل كاستانيو (١٤٢٣ - ١٤٥٧) لفاريناتا دلي أوبرقي وتمثله واقفاً ومغطى بالدروع ومسكاً بسيف مرتكز على الأرض ، وهي في الدير السابق لسانتا أبولونيا في فلورنسا .

ويوجد تمثال من المرمر لفاريناتا دلي أوبرقي خارج متحف الأوفيتزي في فلورنسا وفي مواجهة نهر الأرنو ، يمثله واقفاً وقد تمتطى بالدروع ويده على مقبض سيفه ، وبدت على وجهه علامات القوة والعزم والتصميم ، وهو من صنع فرنتشسكو بوتزي في ١٨٤٤ .

(٨٨) أي تحدث إليه عن مخاوفه وقلقه عند سماعه التنبؤ بحياة المنى التي سيتعرض لها عما قليل .

(٨٩) أي التنبؤ بالمنى . وسبق أن سمع دانتي بمثله من تشاكو :

Inf. VI. 64-755.

(٩٠) رفع فرجيليو أصبعه للدلالة على أمر هام سيتكلم عنه .

(٩١) أى بياتريتشى التى ستقود دانتي فى الفردوس ، وستجمله يسأل كاتشاجويدا عن مستقبل حياته :

Par. XVII. 7-30.

(٩٢) ترى العين الجميلة الحساسة كل شىء وتقرأ ما لا يقرأه سائر الناس .

(٩٣) أى أن دانتي بفضل بياتريتشى سيهدأ ويستقر ويعرف كل شىء .

(٩٤) أى سور مدينة ديس .

(٩٥) يعنى صوب وسط الحلقة .

(٩٦) هذه هى الرائحة الكريهة التى انبعثت من الحلقة السابعة حتى الحلقة السادسة حيث كان دانتي وثرجيليو .

الأنشودة الحادية عشرة^(١)

وصل الشاعران إلى حاجز من الصخور يفصل بين الحلقتين السادسة والسابعة ، وأحسا برائحة كريهة تنبعث من أعماق الجحيم ، فاضطرا إلى الاحتماء خلف غطاء قبر كبير احتوى طائفةً من الهراطقة ، وعلى رأسهم البابا أناستاسيوس الثاني . انتظر الشاعران بعض الوقت حتى يعتادا هذه الرائحة الكريهة ، وفي أثناء ذلك وحتى لا يضيع الوقت هباء ، أخذ فرجيليو يشرح لدانتي ما تحويه أعماق الجحيم ، وتكلم عن مرتكبي خطيئة العنف ، وكيف أنهم يوجهونه إلى الله وإلى الإنسان ، إلى ذاته وإلى ما ملكت يده . وهناك القتلة وقطاع الطرق ومن يجرمون أنفسهم من الدنيا ، وهناك من يرتكبون خطيئة الخيانة مثل المنافقين والمتملقين والمزيفين والمرتشين . تساءل دانتي لماذا يوجد الجشعون ومن غلبوا العاطفة على العقل وغيرهم من الآثمين خارج مدينة ديس ، فشرح له فرجيليو الأمر بقول أرسطو في كتابه عن علم الأخلاق ، وقال له إن الخطايا تتفاوت في خطورتها ، فالعنف والخيانة أشد من سائر الخطايا ، ولذلك فإن مكانهما في أعماق الجحيم . وأشار إلى أقوال أرسطو بشأن الطبيعة التي تأخذ مجراها عن العقل الإلهي وفنه ، وكيف أن الفن يتبع الطبيعة ، حتى ليكاد يصبح لله حفيداً . وقال فرجيليو إن المرابي يسئ إلى الخير الإلهي لأنه يخرج على الطبيعة وعلى الفن ، عندما يبني أماله على غيرها ، ويستثمر أمواله بطريقة غير طبيعية . ولما أخذ الفجر في الاقتراب تابع الشاعران سيرهما لبلوغ الحلقة السابعة .

- ١ على حافة شاطئ مرتفع^(٢) كَوَدَّتَهُ صخورٌ ضخمةٌ محطمةٌ في شكل دائرة^(٣) ، أشرفنا على^(٤) حشدٍ يلقي عذاباً أقسى^(٥) .
- ٤ هنا ، ومن أجل ما تُطلقه الهوةُ السحيقة من روائحٍ نكراءٍ كريهةٍ ، انسحبنا خلف غطاء قبرٍ
- ٧ كبيرٍ^(٦) ، حيث رأيتُ نقشا يقول : «أنا أحوى البايا أناستاسيوس^(٧) ، الذى حاد به فوطينوس^(٨) عن الصراط القويم .»
- ١٠ « يجب أن يتأخر هبوطنا^(٩) ، حتى يعتاد إحساسنا أولاً كربه الروائح قليلاً ، وبعدئذ لن نغيرها التفاتاً^(١٠) .»
- ١٣ هكذا تكلم أستاذى ؛ فقلتُ له : « ألا فلستجدُ بعض العيوض ، حتى لا يضيع الوقت هباءً » . قال : « إنك ترى أنى في هذا أفكر^(١١) » .
- ١٦ ثم بدأ قائلاً : « يا بنى ، في داخل هذه الصخور ثلاث حلقاتٍ صغيرةٍ ، واحدة بعد أخرى ، كتلك التى تركها^(١٢) .»
- ١٩ وكلها زاخرةٌ بأرواحٍ لعينةٍ ؛ ولكن لكى يكفيك بعدئذٍ مجرد النظر^(١٣) ، اعرف كيف ولماذا احتشدتُ معاً^(١٤) .
- ٢٢ إن كلَّ شرٍّ يثير الكراهية فى السماء^(١٥) ، غايته الضرر^(١٦) ؛ وكلَّ هدف هذه طبيعته ، يُحزّن الآخرين سواءً بالعنف أم الغدر .
- ٢٥ ولكن لما كان الغدر شرّاً يختص به الإنسان^(١٧) ، فإن إساءته إلى الله تزداد ؛ ولذا يستقرّ الغادرون فى أسفل ، ويدهمهم عذابٌ أشدّ^(١٨) .
- ٢٨ الحلقة الأولى كلها^(١٩) المرتكبي العنف ؛ ولكن بما كان العنف يترتكب نحو ثلاث جهات^(٢٠) ، فقد قُسِّمَتِ وأُنشئت فى ثلاث دوائر^(٢١) .
- ٣١ وقد يعنف الإنسان مع الله^(٢٢) ، أو مع نفسه^(٢٣) ، أو مع الأقربين^(٢٤) ، أعنى مع ذواتهم أو ما ملكتُ أيديهم ، كما ستسمع ذلك بصريح الكلام .
- ٣٤ وبالعنف ، قد يصبّ الإنسان على جاره الموت الزؤام ، والجراح الأليمة ، ويُسحق على أملاكه بالسلب والنهب والدمار والتهيران^(٢٥) .

- ٣٧ ولذا فإن القتلةَ وكلَّ من يجرح بسوء طويّةٍ ، والناهين وقطاع الطرق ، تعذبهم جميعاً الدائرة الأولى ، في جماعاتٍ منفصلة (٢٦) .
- ٤٠ ويستطيع المرء أن يوجّهه إلى نفسه (٢٧) وإلى ما يملك يداً عنيفةً ، ولذا ينبغي أن يعرض بنان الندم ، دون جدوى ، في الدائرة الثانية .
- ٤٣ وكلُّ من يجرم نفسه من دنياكم (٢٧) ، يقامر بثروته ويفقدها ، ويبكى هناك (٢٩) ، حيث ينبغي أن يكون سعيداً (٣٠) .
- ٤٦ وقد يرتكب الإنسان العنف على الله ، بإنكاره في القلب ولعنه على اللسان (٣١) ، وبالزراية بغيره في الطبيعة (٣٢) .
- ٤٩ ولذا تدمغُ صُغرى الدوائر بميسمها (٣٣) كلاً من سدوم (٣٤) وكاهور (٣٥) ، وكلٌّ من يتحدّث عن الله وهو يزدرية بقلبه .
- ٥٢ وقد يسدد الإنسان الغدر (٣٦) الذي يلدغ كلَّ ضمير (٣٧) ، إلى من يثق فيه ، وإلى من لا يوليه ثقته .
- ٥٥ وهذه الصورة الأخيرة (٣٨) تبدو أنها تقطع ، فحسبُ ، رباطَ الحبّ الذي تصنعه الطبيعة (٣٩) ؛ ولذلك يأوى إلى وكره في الدائرة الثانية (٤٠) :
- ٥٨ النفاق (٤١) ، والملق (٤٢) ، والسحر ، والزيف (٤٣) ، والسرقة (٤٤) ، والرشوة (٤٥) ، والقوادون والمختلسون ، ومثل هذا اللدنس (٤٦) .
- ٦١ وفي صورة الغدر (٤٧) الأخرى (٤٨) ، ينسى الإنسان ذلك الحبّ الذي تصنعه الطبيعة ، وما يُضاف إليه بعد (٤٩) ، وهو ما يخلق الثقة الأكيدة (٥٠) .
- ٦٤ ولذا فإن كلَّ خائن يلتقى عذابه إلى الأبد ، في الحلقة الصغرى (٥١) ، حيث مركز العالم الذي يستوى عليه ديس (٥٢) .
- ٦٧ قلت : « أستاذي ، إن تبيانك يسير بكلّ وضوح ، ويحدّد جيداً (٥٣) هذه الهاوية (٥٤) ، والخلق الذين تملكهم (٥٥) .
- ٧٠ ولكن أخبرني : أصحاب المستنقع الموحل هؤلاء (٥٦) ، والذين تقودهم الريح (٥٧) ، ومن يضر بهم المطر (٥٨) ، ومن يتلاقون بمثل هذه الألسنة الحادة (٥٩) ،

- ٧٣ لِمَ لا يعاقبون داخل المدينة الحمراء^(٦٠) ، ما دام الله قد غضب عليهم ؟
وإذا لم يحل بهم غضبه ، فليِمَ هم على هذه الحال ؟ .
- ٧٦ قال لى : « لماذا يحيد عقلك بعيداً عن مألوف صوابه ؟ أم هل اتجه
عقلك وجهةً أخرى^(٦١) ؟
- ٧٩ ألا تذكر تلك الكلمات التى يتناول فيها كتابك عن الأخلاق^(٦٢) ،
الاتجاهات الثلاثة ، التى لا تريدها السماء :
- ٨٢ الجشع ، والحقد ، والبهيمية المجنونة ؟ وكيف أن الجشع تقلّ إساءته
إلى الله ، ويستحقّ لوماً أهون^(٦٣) ؟
- ٨٥ إذا أحسنت النظر فى هذا الحكم ، واستعدت إلى الذاكرة من هؤلاء
الذين يقاسون هناك فى الخارج^(٦٤) مرارة الندم ،
- ٨٨ فسترى جليلاً لماذا أبعثوا عن هؤلاء الأذنياء^(٦٥) ، ولماذا يصبّ عليهم
الانتقام الإلهي^(٦٦) عذاباً أيسر .
- ٩١ قلتُ : « أيها الشمس^(٦٧) التى تبرئ كلّ نظر سقيم^(٦٨) ، إنك تغمرنى
بالرضا بما تُقدّمه من حلولٍ ، وإن كان الشكّ لا يقلّ إمتاعاً عن
المعرفة^(٦٩) .
- ٩٤ عدتُ بعدُ إلى الوراة قليلاً^(٧٠) ، هناك حيث تقول إن الربا يُسبىء إلى
الخير الإلهي ، وحلّ هذه العقدة^(٧١) .
- ٩٧ قال لى : « تذكر الفلسفة لمن يفهمها حقاً ، ليس فى موضعٍ واحدٍ
منها فحسب^(٧٢) - كيف تأخذ الطبيعة مجراها ،
- ١٠٠ صادرةً عن العقل الإلهي وفنه ؛ وإذا أنت أمعنت النظر فى كتابك عن
الطبيعة^(٧٣) ، فستجد - بعد وقات غير كثيرة^(٧٤) -
- ١٠٣ أن فنك يتبع الطبيعة^(٧٥) ، بقدر ما يستطيع ، كما يتبع المريدُ أستاذَه ،
حتى ليكاد فنك يكون لله حفيداً .
- ١٠٦ ومن هذين الاثني^(٧٦) - إذا استعدت إلى الذاكرة بدء الخليقة -
يجب على البشر أن يستعملوا حياته ويواصلوا تقدّمه .

- ١٠٩ ولما كان المرابي يسلك غيرَ هذا الطريق (٧٧) ، فإنه يحتقر الطبيعة في ذاتها ، وفيما يتبعها (٧٨) ، إذ أنه يضع آماله في غيرهما .
- ١١٢ ولكن اتبعني الآن ، فإن الرحلة تروق لي ؛ وما هوَ ذا برج الخوت (٧٩) يصعد في الأفق ، ويستقر الدبّ الأكبر كله فوق ربح كاروس (٨٠) ،
- ١١٥ فهناك المهبوط على الشاطئ بعيداً (٨١) . »

حواشى الأنشودة الحادية عشرة

- (١) تسمى أنشودة التقسيم الخلقى للبحيم ، لأن فرجيليو سيشرح ذلك لدانتي .
- (٢) هذا هو الحاجز بين الحلقة السادسة والسابعة .
- (٣) هذا لأن الجحيم محروطة التركيب .
- (٤) أى كانا فى موضع مرتفع يشهدان منه العذاب .
- (٥) تحوى هذه الهاوية آثمين يلقون هولاً من العذاب .
- (٦) يضم هذا القبر جماعة من الهراطقة وعلى رأسهم البابا أناستاسيوس .
- (٧) البابا أناستاسيوس الثانى (٤٩٦ - ٤٩٨ م . Anastasius II.) أتهم بتأثره بفوطيونس التسالى الذى اعتقد بالطبيعة الواحدة للمسيح ، مما أثار عليه رجال الكاثوليكية . ويظن بمض النقاد أن دانتي خلط بين البابا أناستاسيوس الثانى وبين الإمبراطور البيزنطى أناستاسيوس الأول (٤٩١ - ٥١٨ م .) الذى كان من أتباع فوطيونس التسالى .
وتوجد صورة له فى مكتبة الفاتيكان .
- (٨) فوطيونس التسالى (عاش فى القرن ٥ م . Photinus) قال بالإرادة الواحدة للمسيح وهو غير فوطين أسقف سيرميو الذى مات حوالى ٣٧٦ م وعرف أيضاً بالهرطقة .
- (٩) أشار فرجيليو بضرورة الانتظار قليلاً .
- (١٠) بعد أن يعتادا الروائح الكريهة يسهل عليهما الهبوط .
- (١١) كان كل من الشاعرين عارفاً بقيمة الوقت حريصاً على عدم إضاعته سدى .
- (١٢) يعنى أنه فى باطن الحاجز الصخرى المرتفع ثلاث حلقات هى الجزء الأدنى من الجحيم وهى متدرجة وتضيق واحدة بعد أخرى وتشبه فى ذلك الحلقات الست التى مر بها الشاعران حتى الآن
- (١٣) أى أن دانتي بعد أن يكسب المعرفة سيكتفيه مجرد النظر لكى يفهم ما يراه .
- (١٤) يعنى المعذبين الذين ضاق عليهم الخناق ، وسيوضع كل فريق منهم فى حيز ضيق لكى يزيد عذابهم .
- (١٥) يشبه هذا قول تشيشيرون :
Cic. De Officiis, I. 13.
- (١٦) يعنى تؤدى إلى عدم العدالة .
- (١٧) الغدر من صفات الإنسان بعامه .
- (١٨) وضع دانتي الحوثة والغادرين فى الحلقتين ٨ و ٩ أسفل حلقات الجحيم .
- (١٩) الحلقة الأولى من الحلقات الصغيرة الثلاث ، تعنى الحلقة السابعة .
- (٢٠) أى يرتكب العنف بثلاث صور .

(٢١) أى قسمت الحلقة السابعة ثلاث دوائر أصغر ، تشمل الأولى جزءاً من الأنشودة ١٢ (Inf. XII. 46-199.) وتشمل الثانية الأنشودة ١٣ وتشمل الثالثة الأنشودات من ١٤ إلى ١٧ .
(٢٢) هذه أشد خطايا العنف .

رسم ميكلا نجلو صورة رائثة للعنف في رسم رجل غاضب ، وهى في متحف أوفيتزى في فلورنسا .

(٢٣) يعنى يقتل الإنسان نفسه. وكان المنتحر في وقت دانتى يعامل كمن ارتكب القتل، فتصادر أملاكه . وهذه حظيئة تلى السابقة .

(٢٤) هذه هى الخطيئة الثالثة من خطايا العنف . وستأتى هذه الأنواع الثلاثة في الحلقة الثامنة بالترتيب من الأخر إلى الأشد كلما زاد المهبوط .

(٢٥) هذا تفصيل في أنواع العنف التى يمكن أن يرتكبها الإنسان ضد الإنسان .

(٢٦) يمدبون في جماعات منفصلة تبعاً لأنواع خطاياهم .

(٢٧) يمكن للإنسان أن يؤذى نفسه في حياته ومستقبله ويمكنه أن ينتحر ، وبهذا يكون ملو نفسه .

(٢٨) أى يحرم نفسه من الحياة أو ينتحر .

(٢٩) أى يبكي دون مبرر .

(٣٠) يعنى أن الحياة بما فيها من خيرات ونعم كان ينبغى أن تكون سبباً للسعادة وللوصول إلى الفردوس ، ولكن الإنسان كثيراً ما يجحد فضل الدنيا ويسىء إلى الخيرات والنعم ويرتكب الخطايا ؛ فتحق العنة والعذاب .

(٣١) كان عقاب من يلعن الله في وقت دانتى أن يقطع لسانه .

(٣٢) هذه كلها صور من اجترأ البشر على الله .

(٣٣) أى تطيع بالنار من أنكروا الله .

(٣٤) سدوم (Sodom) مدينة قديمة على البحر الميت أهلكتها نار السماء لارتكاب أهلها الموبقات وخروجهم على الطبيعة ، كما ورد ذكرها في « الكتاب المقدس » :

Gen. :XVIII - XIX.

(٣٥) كاهور (Cahors) مدينة صغيرة في جنوبي فرنسا اشتهرت بالمرابين في العصور لوسطى .

(٣٦) الصدر أشد الخطايا عند دانتى .

(٣٧) يحس الضمير بوخر الحياة لأنها أشد الخطايا .

(٣٨) أى خيانة من لا يمنع الإنسان ثقته .

(٣٩) أى تقتل روابط الحب الطبيعية التى تجعل الإنسان يحب جاره .

(٤٠) أى في الحلقة الثامنة .

(٤١) يقصد المنافقين ويأتى دانتى بالاسم لتقوية المعنى .

(٤٢) يعنى المتعلقين .

(٤٣) يقصد المزيفين .

(٤٤) يعنى اللصوص .

(٤٥) يقصد المرتشين .

(٤٦) مكان هؤلاء جميعاً فى الحلقة الثامنة التى تشمل من الأنشودة ١٨ إلى الأنشودة ٣١ .
أى أنها تشمل ١٣ أنشودة من مجموع أنشودات الجحيم التى تبلغ ٣٤ أنشودة .

(٤٧) أضفت لفظ (القدر) لإيضاح المعنى .

(٤٨) أى خيانة الأصدقاء ، ويقصد بذلك الثقة التى تقوم من جانب واحد .

(٤٩) أى الحب الذى هو وليد ظروف الحياة .

(٥٠) يعنى أن المزيد من الحب يخلق الثقة الكاملة المتبادلة بين الأصدقاء ، وهنا تصبح الحياة أشد .

(٥١) أصغر الحلقات هى الحلقة التاسعة لأنها آخر حلقة فى الجحيم المخروطية الشكل .

(٥٢) وهناك مكان لوتشيفيرو .

(٥٣) أى أن وصف فرجيليو يحدد تماماً ما تحتويه الجحيم الدنيا .

(٥٤) يعنى أسفل الجحيم .

(٥٥) أى من تضمهم هذه الهاوية .

(٥٦) يعنى المعدنين فى مستنقع استيكس فى الحلقة السادسة :

Inf. VII; VIII.

(٥٧) أى الذين غلبوا العاطفة على العقل فى الحلقة الثانية :

Inf. V.

(٥٨) أى الذين امتازوا بالشره فى الحلقة الثالثة :

Inf. VI.

(٥٩) يعنى البخلاء والمبذرين فى الحلقة الرابعة :

Inf. VII.

(٦٠) يعنى المدينة المشتعلة بالنيران .

(٦١) يراجع فرجيليو دانتى فى أسئلته ، ويقصد بهذا أن الخطايا غير متساوية ويتفاوت عقابها تبعاً لخطورتها .

(٦٢) يقصد كتاب أرسطو عن علم الأخلاق (ترجمه أحمد لطفى السيد عن الفرنسية إلى

العربية) :

Arist. Et. VII. ١.

(٦٣) يوافق هذا رأى أرسطو فى علم الأخلاق :

Arist. ibid.

(٦٤) يعنى خارج مدينة ديس .

(٦٥) أى أنهم لم يدخلوا مدينة ديس .

(٦٦) الانتقام الإلهى بمعنى العدالة الإلهية .

(٦٧) يقصد فرجيليو .

(٦٨) المقصود يامن ترفع عن النظر غشاوة الجهل .

(٦٩) المعرفة والشك لثمة عند دانتي .

(٧٠) أى عندما قال فرجيليو إن الربا يسيء إلى الفضل الإلهي .

(٧١) ظن دانتي أن المرابي يسيء إلى جاره فقط ولذلك سأل فرجيليو أن يشرح له هذه

المقدمة .

(٧٢) يشير أرسطو في مؤلفاته إلى العلاقة بين الفن والطبيعة ويتأثر دانتي برأيه في أن الطبيعة

تستمد حركتها من العقل الإلهي .

(٧٣) درس دانتي بعناية كتاب أرسطو عن الطبيعة .

(٧٤) أى في بداية كتاب علم الطبيعة :

Arist. Fisica, II. 2.

(٧٥) ويشبه هذا ما جاء في « الكتاب المقدس » :

Gen. III. 19.

(٧٦) يعنى العقل الإلهي والفن .

(٧٧) أى أن المرابي يضع عنايته في استثمار المال الذى أقرضه للناس وبذلك يسيء إلى الطبيعة

لأنه لا يطلب الفوائد الطبيعية ، ويسيء إلى الطبيعة فيما يتبناها أى في الفن ، لأنه لا يعمل ولا يجتهد . وهكذا يهاجم دانتي الربا والمرابين الذين انتشروا في عهده . وكان أبوه من المشتغلين بالربا .

(٧٨) يسيء إلى الطبيعة في الفن الذى هو تابع لها .

(٧٩) كان برج الحوت قد أخذ في الظهور في الأفاق قبل الفجر بثلاث ساعات ، وكان سابقاً

مباشرة على برج الحمل الذى وجدت في اتجاهه الشمس عندئذ .

ويوجد حفر من الحجر يمثل برج الحوت ، ويرجع إلى القرنين ١٤ ، وهو في كنيسة سان ماركو في

البندقية .

(٨٠) كاروس (Carus) ريح تهب من الشمال الغربي على إيطاليا . وبذلك يصف

دانتي اقتراب الشفق في الصباح التالي ، أى أن الساعة كانت حوالى الثالثة من صباح السبت ٩

أبريل ١٣٠٠ ، وورد هذا في كتاب برويتولانتى :

B. Latini, Trésor, I. 107.

(٨١) أى الشاطي* الذى سبق ذكره في أول الأفسودة .

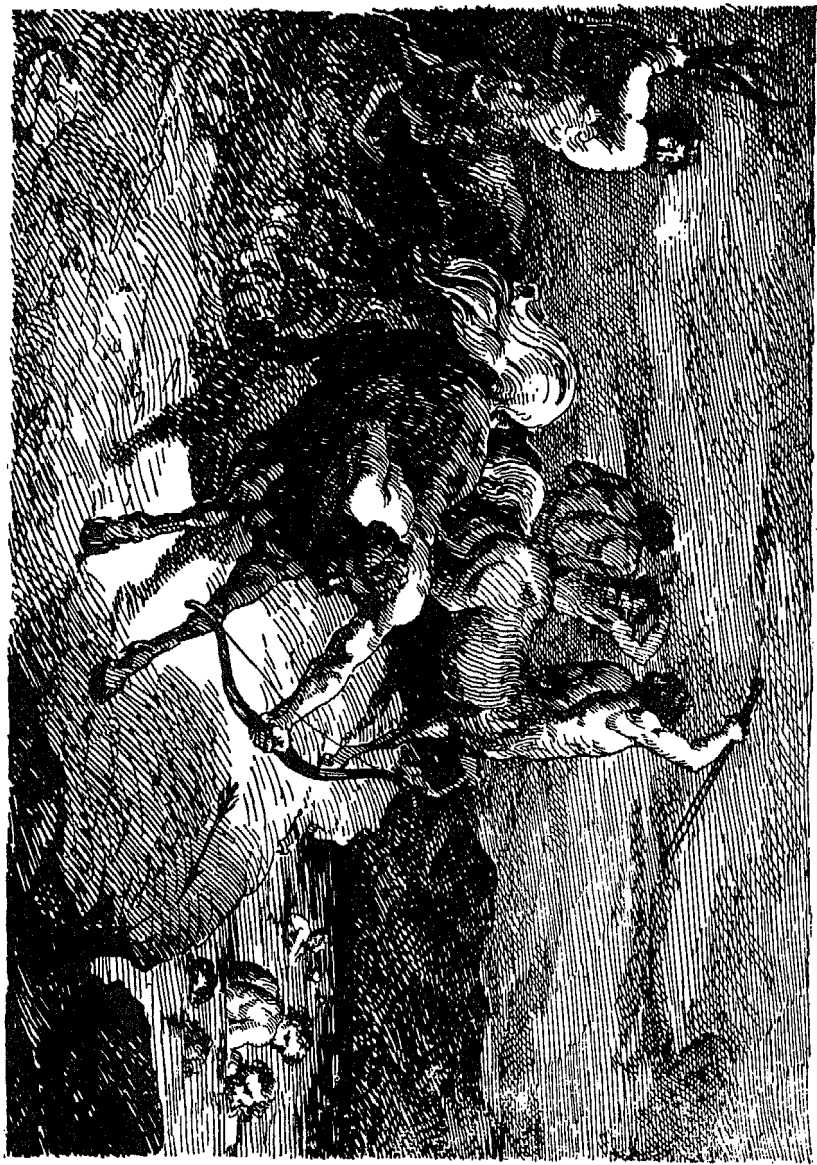
الأنشودة الثانية عشرة^(١)

وصل الشاعران إلى مكان وعر لكي يهبطا منه إلى الحلقة السابعة ، ووجدا المينوطاوروس عند مدخله يعترض سبيلهما ، فأثار فرجيليو غضبه ، وبذلك أبعده لحظة عن الطريق ، وهبط الشاعران فوق حطام الصخور إلى الحلقة السابعة ، وذكر فرجيليو سابق هبوطه إلى هذا المكان ، عندما لم تكن صخوره على ذلك النحو . وظهر أمامهما نهر تغلى فيه الدماء ، ويعذب فيه مرتكبو خطيئة العنف . ورأى دانتي سيلا من القناتس مسلحاً بالسهم ، وصاح أحدهم يستوقف الشاعرين مهدداً إياهما بإطلاق سهمه ، فقال فرجيليو إنهما سيتحدثان إلى كيرون كبير القناتس . وكانت هذه تدور حول نهر الدماء بالألوف ، وتضرب بسهامها من يعلمون المعذبين خارج الدم أكثر مما تستحقه خطيئته . لاحظ كيرون أثر خطوات دانتي على الصخور وتحركها عند سيره ، ولفت رفاقه إلى هذه الظاهرة ، فأوضح له فرجيليو أن دانتي إنسان حتى ، وأنه يأتي هنا للضرورة لا للمتعة ، وأنه ليس لصاً آثماً . أمر كيرون القنطروس نيسوس أن يكون دليلهما في عبور نهر الدماء . ورأى دانتي الطغاة الذين غرقوا في الدم حتى عيونهم ، وشهد القتلة الذين غطسوا حتى حناجرهم ، وبالتدرج ظهر من نهر الدم بعض المعذبين حتى صلورهم لخفة آثامهم . وعبر نيسوس بالشاعرين نهر الدم في أقل مواضعه عمقاً ، ثم عاد من حيث أتى إلى رفاقه من القناتس .

- ١ كان أليياً^(٢) المكانُ الذي أتينا إليه ، لنهبط من الشاطيء^(٣) ، وَمَنْ كان هناك أيضاً جعله على صورة يرتد عنها كل طرف^(٤) .
- ٤ ومثل ذلك الحطام من الصخر الذي ارتطم بجانب الأديج ، من ناحية تيرنتو^(٥) ، سواء بفعل زلزال أم لهبوط باطن الأرض^(٦) ،
- ٧ وعندما تحرك الحطام من قمة الجبل إلى السهل ، تهشم الصخر حتى يشق بعض الطريق^(٧) ، لمن كان في أعلى^(٨) ؛
- ١٠ هكذا كان الهبوط في ذلك المنحدر الوعر ؛ وعلى حافة الصخر المحطم^(٩) ، استلقى عارُ كريت^(١٠) ،
- ١٣ الذي حملته البقرة الزائفة في بطنها^(١١) ، ولما رأنا عض نفسه كمن يقهره الغضب في أعماقه^(١٢)
- ١٦ وصاح دليلى الحكيم في وجهه^(١٣) : « ربما تظن هنا دوق أثينا^(١٤) ، الذي أذاقك الموت فوق — في الدنيا .
- ١٩ امضِ أيها الوحش ، فإن هذا لا يأتي بتدبير من أختك^(١٥) ، ولكنه يمضى ليشهد عقابكم .
- ٢٢ ومثل ذلك الثور الذي يحطم قيده ، في اللحظة التي يتلقى فيها الضربة القاتلة ، فلا يقوى على المسير ، بل يقفز هنا وهناك^(١٦) ،
- ٢٥ رأيت المينوطاوروس هكذا يفعل^(١٧) ؛ وصاح ذلك المتيقظ قائلاً^(١٨) : « فلتسارع إلى المعبر ؛ إذ يحسن أن تهبط وهو في سورة الغضب^(١٩) .
- ٢٨ هكذا هبطنا فوق حطام تلك الصخور ، التي تحركت كثيراً تحت قدمي ، لما تنوء به من حمل جديد^(٢٠) .
- ٣١ سرتُ متأملاً ، فقال لي : « ربما تفكر في هذا الحطام يحرسه ذلك الغضب الوحشي » ، الذي أخذتُ الآن سورته .
- ٣٤ والآن أريد أن تعلم أنني عندما نزلت في المرة السابقة هنا في الجحيم السفلى^(٢١) ، لم تكن هذه الصخرة قد سقطت بعد ؛

- ٣٧ ولكن - إذا أحسنت التذكر - فمن المؤكد أنه قبيل أن يأتي ذاك^(٢٢)
- ٤٠ الذى انتزع من ديس^(٢٣) الفريسة الكبرى^(٢٤) فى الحلقة العليا^(٢٥) ، اهتز الوادى العميق الكريه بعنف فى كل أرجائه^(٢٦) ، حتى ظننتُ أن العالم قد أحسَّ الحب^(٢٧) : وهناك من يعتقد أن الدنيا
- ٤٣ كثيراً ما انقلبت به إلى القوضى والاضطراب^(٢٨) ؛ وفى تلك اللحظة سقطتُ على هذا النحو تلك الصخرة القديمة هنا وفى غير هذا المكان^(٢٩) .
- ٤٦ ولكن ثبتَّ عينيك فى الوادى ، فهنا يقترب نهر الدم^(٣٠) ، الذى يغلى فيه كلٌّ من يضرَّ الآخرين بالعنف .
- ٤٩ يا للجشع الأعمى^(٣١) ، ويا للغضب المجنون ، الذى يهزنا هكذا فى الحياة القصيرة^(٣٢) ، ثم يقذف بنا فى الحياة الأبدية على هذا النحو المرير !
- ٥٢ رأيتُ هوةً واسعةً منحنيةً على شكل قوسٍ^(٣٣) ، كتلك التى تحتضن كلَّ السهل ، طبقاً لما قاله رفيق^(٣٤) .
- ٥٥ وبينها وبين سفح الشاطيء^(٣٥) جرى سيلٌ من القناطس صفّاً^(٣٦) واحداً ، وقد تسلحتُ بسهامٍ ، كما اعتادت فى الدنيا أن تخرج إلى الصيد^(٣٧) .
- ٥٨ وقفتُ جميعاً حيناً رأيتنا نهبط ، وانفصل ثلاثةٌ من حشدها^(٣٨) ، بأقواسٍ وأسهمٍ مختارةٍ من قبل ؛
- ٦١ وصاح واحدٌ منها عن بُعد : « إلى أىّ عذاب تأتبان أيها الهابطان على الشاطيء ؟ تكلمنا حيث أنتما^(٣٩) ، وإلا شدّدتُ القوس^(٤٠) » .
- ٦٤ قال أستاذى : « سنوجّه الجوابَ إلى كيرون^(٤١) هناك عن كتبٍ ؛ فلقد أضرتُ بك دائماً رغبتك المتعجّلة هكذا » .
- ٦٧ ثم ربّبتُ علىَّ وقال^(٤٢) : « هوَ ذَا نيسّوس^(٤٣) ، الذى مات من أجل ديانيرا الجميلة ، وجعل من نفسه أداة الانتقام لنفسه .
- ٧٠ وذاك ، فى الوسط ، الذى يتطلع إلى صدره^(٤٤) ، هو كيرون الكبير ، الذى ربّيتُ أخيل^(٤٥) ؛ وذاك الآخر هو فولوس^(٤٦) ، الذى أُنعم هكذا بالغضب^(٤٧) .

- ٧٣ لأنها تسير ألفاً ألفاً^(٤٨) حول بحيرة الدماء ، وترى بسهامها كل نفس تبرز من الدم ، فوق ما تقتضيه خطيئتها^(٤٩) .
- ٧٦ واقتربنا من تلك الوحوش المتحفزة ؛ فتناول كيرون سهماً ، أزاح بمؤخرته لحيته وراء فكيه^(٥٠) .
- ٧٩ ولا كشف عن فمه الواسع ، قال لرفاقه : « هل انتبهتم إلى أن من بالخلف^(٥١) ، يحرك كل ما يمسه^(٥٢) ؟ »
- ٨٢ وما اعتادت أقدام الموتى أن تفعل ذلك . فأجاب دليلي الطيب ، الذي كان قد بلغ مستوى صدره^(٥٣) ، حيث تلتقي الطبيعتان^(٥٤) :
- ٨٥ « حقاً إنه حتىٌ ووحيدٌ هكذا^(٥٥) ، ويجب على أن أريه الوادى المظلم : فالضرورة تحلوه إليه لا المتعة .
- ٨٨ لقد انقطعت عن نشيدها العلوى من عهدت^(٥٦) إلى هذا العمل الجديد^(٥٧) : إنه ليس لصاً ولست أنا بالنفس السارقة .
- ٩١ ولكن باسم ذلك المقام السامى الذى أحرّك من أجله خطواتى فى طريقٍ موحشٍ كهذا ، أعطنا من أتباعك واحداً قريباً منا ،
- ٩٤ كى يرينا أين مكان العبور ، ويحمل هذا الإنسان على ظهره ، فإنه ليس روحاً يذهب فى الهواء^(٥٨) .
- ٩٧ فاتجه كيرون صوب اليمين وقال لنيسوس : « ارجع وكن لهما خير دليل ، وإذا اعترضكم حشد آخر^(٥٩) فأبعده .
- ١٠٠ الآن مضينا إلى الأمام مع الدليل الأمين ، على شاطئ الغليان القافى^(٦٠) ، حيث أطلق من يغتمون فيه صرخاتٍ عالية .
- ١٠٣ ورأيت قوماً غاطسين^(٦١) حتى الرموش^(٦٢) ؛ وقال القنطروس الكبير : « أولئك هم الطغاة الذين أراقوا الدماء وأعملوا السلب والنهب^(٦٣) .
- ١٠٦ إنهم ييكون هنا ما اقترفوه من جرائم دون رحمة ، هنا الإسكندر^(٦٤) وديونيسيوس الوحشى^(٦٥) ، الذى أذاق صقلية سنواتٍ من العذاب الأليم .



- ١٠٩ وذلك الجبين ذو الشعر الحالك السواد هو أتزولينو^(٦٦)، وذلك الآخر الذى هو أشقر ، هو أوبيتزو دا إستى^(٦٧) ، الذى قتله فى الحقيقة
- ١١٢ هناك على الدنيا الابن الأثيم^(٦٨) . حيثئذ اتجهتُ إلى الشاعر، فقال : « ليكن هذا الآن دليلك الأول ، وأنا الثانى^(٦٩) » .
- ١١٥ وبعد هذا بقليل ، وقف القنطروس على قومٍ ، بدا أنهم خرجوا حتى حناجرهم ، من جدول ذلك الحميم الآنى^(٧٠) .
- ١١٨ وأرانا شبحاً منعزلاً إلى جانب^(٧١) وهو يقول : « لقد طعن هذا الشبح^(٧٢) فى معبد لله ، قلباً لا يزال ممجّداً على التاميز^(٧٣) » .
- ١٢١ ثم رأيتُ قوماً أخرجوا من النهر الرأس وكذلك الصدر كله^(٧٤) ، وعرفتُ من بينهم كثيرين^(٧٥) .
- ١٢٤ وهكذا انخفض ذلك الدم رويداً رويداً ، حتى لم يعد بغطى سوى الأقدام ، وهناك عبرنا ذلك المستنقع .
- ١٢٧ وقال القنطروس : « وكما ترى هذا الجانب من جدول الحميم الآنى يأخذ دائماً فى النقصان^(٧٦) ، أريد أن تعلم
- ١٣٠ أن الجانب الآخر يهبط قاعه شيئاً فشيئاً^(٧٧) ، حتى يبلغ موضعاً من الحتم أن يبكى فيه الطغيان .
- ١٣٣ هناك تعذب العدالة الإلهية أثيلاً ذاك^(٧٨) الذى كان نعمةً فى الأرض ، وتعذب بيروس^(٧٩) ، وسيكستوس^(٨٠) ، وتستدر إلى الأبد
- ١٣٦ دموعاً تُسيلها شدة الغليان^(٨١) ، من أعين^(٨٢) رينيردا كورنتيو^(٨٣) ، ورينير پاتزو^(٨٤) ، اللذين أثارا حرباً مريرةً فى مجاهل الطرق .
- ١٣٩ ثم استدار إلى الورا ، واستأنف اجتياز المستنقع .

حواشى الأنشودة الثانية عشرة

- (١) هذه أنشودة من ارتكبوها العنف ضد الناس ، وتسمى أنشودة القناطس .
- (٢) أى كان المكان وعراً مثل جبال الألب .
- (٣) يعنى الحاجز بين الخلفتين السادسة والسابعة .
- (٤) يقصد المينوطوروس حارس الحلقة السابعة .
- (٥) اختلف الباحثون فى تحديد هذا المكان الذى يقصده دانتي ، وربما كان منحدرأ جبليا يسمى سالفينى دى ماركو (Salvini di Marco) على شاطئ الأديج (Adige) الأيسر وبالقرب من روفيريتو بين فيرونا وترنتو فى شمالى إيطاليا . وهكذا يذكر دانتي بعض المناطق التى تردد عليها فى إيطاليا ، ويستعين بها فى تصوير الجحيم .
- (٦) اختل أساس الجبل لحركة القشرة الأرضية أو لتسرب مياه النهر إلى باطن الأرض .
- (٧) أى تفسح طريقاً ما ، ومع أنه كان مليئاً بالصخور فإنه طريق على كل حال .
- (٨) يعنى فى أعلى الجبل .
- (٩) كان هذه الصخرة وبقرب حافتها فجوة فى ذلك الشاطئ المرتفع .
- (١٠) تقول الميتولوجيا القديمة إن پاسيفى (Pasiphae) زوجة مينوس (Minos) ملك كريت عشقت ثوراً فأنجبت منه المينوطوروس (Minotaurus) وهو نصف إنسان ونصف ثور ، وجمع بين صفات الإنسان والحيوان . وعندما انتصر مينوس على الأثينيين فرض عليهم أن يوصلوا كل عام سبعة شبان وسبع فتيات لكى يفرسهم ذلك الوحش . وكانت هذه الضريبة هى العار الذى جلبته كريت على أثينا . وأخيراً قتل تيزيوس دوق أثينا ذلك الوحش بمساعدة أريادنى أينة مينوس وپاسيفى وأخت المينوطوروس
- (١١) كانت پاسيفى قد اختبأت داخل بقرة من الخشب عند اجتماعها بمشيقها الثور :
Virg. Ec. VI. 46; Æn. VI. 25, 447.
- (١٢) هذه صورة من يغلبه الغضب فيعض نفسه .
- (١٣) هكذا يدفع فرجيليو الأخطار عن دانتي .
- (١٤) دوق أثينا هو تيزيوس (Theseus) الذى قتل الوحش وخلص أثينا من العار .
Virg. Æn. 122, 393, 618.
- ويوجد تمثال لأريانا ويرجع إلى القرن ٣ ق . م . وهو فى متحف التايتكان . كما يوجد تمثال لتيزيوس وهو يقتل المينوطوروس وهو فى قصر ألبانى فى روما .
- وقد وضع لولى (١٦٣٢ - ١٦٨٧) ألحان أوبرا تيزيوس وسجلت مقتطفات منها ، وكذلك وضع هيندل (١٦٨٥ - ١٧٥٩) ألحان أوبرا عنها وهى غير مسجلة :
- Lully, J.B. Thésée , opéra. Paris, 1675. (ex. Téléfunken).
- Haendel, G.F, Teseo, opera. London 1713,
- (١٥) أخت الوحش هى أريادنى (Ariadne) التى أحبها تيزيوس وبيارشادها وصل

إلى مكان الوحش وقتله . ونحس في قول فرجيليو روح التَّهْكَمِ والسخرية . وأورد أوكويدوس هذه الأسطورة :

Ov. Met. VIII. 150-161, 166 ...

وكذلك يوجد رسم لتيزيوس بعد قتله للمينوطاوس ومن حوله بعض النساء والرجال والأطفال وقد بدت عليهم علامتُ الشكر والبهجة ، وأصله من رسوم مدينة بومبي المتندسة ، وهو في المتحف الوطني في ناپلي .

وقد وضع مونتفردى (١٥٧٦ - ١٦٤٣) وهيندل (١٦٨٥ - ١٧٥٩) وماسينييه (١٨٤٢ - ١٩١٢) وريتشارد شتراوس (١٨٦٤ - ١٩٤٩) ألحان أوبرات عن أريانا :

Monteverdi Claudio : Lamento d'Arianna Montova, 1608. (Discophiles Français).

Haendel, G.F. Arianna, opera. London, 1733.

Massenet, J. : Arianne, opéra. Paris 1906.

Strauss, R. : Ariadne auf Naxos , opera. Stüttgart, 1912. (Ang).

(١٦) هكذا يلاحظ دائتي حركات الثور ويستخلمها في الكوميديا . ويشبه هذا قول

Virg. Æn. II. 223.

فرجيليو :

(١٧) فعل المينوطاوس ذلك لأن ذكرى القتل الذي أصابه أثار غضبه .

ويوجد تماثال للمينوطاوس يجسد رجل ورأس ثور ، وهو في متحف الاثنيكان .

(١٨) أي فرجيليو .

(١٩) يدعو فرجيليو دائتي إلى أن ينتهز فرصة غضب الميناطوروس فيسارع إلى الهبوط .

(٢٠) الحمل الجديد يعنى أن هذه الصخور لم تعد أن يسير عليها الأحياء كدائتي .

Inf. IX. 22-27.

(٢١) يشير فرجيليو إلى هبوطه السابق :

(٢٢) أي المسيح .

(٢٣) ديس هنا يعنى الشيطان (لوتشيفيرو) .

(٢٤) أي سبق أن أنقذ بعض الشخصيات .

Inf. IV. 52-63.

(٢٥) يعنى في المعبود :

(٢٦) هذه إشارة إلى الزلزال الذي أصاب العالم عند موت المسيح عند المسيحيين :

Matt. XXVI. 51.

(٢٧) أي أنه ظن أن العالم قد اهتز كأنه أحس بالحب .

(٢٨) هذه إشارة إلى رأى إيمپودقليس الذي يقول بأن العالم يقوم على تعارض عناصره ،

وإذا حل الحب ، أي التوافق ، فقد العالم توازنه .

Inf. XXI. 106 ..

(٢٩) هذه إشارة إلى ما سيلقيه دائتي في الحلقة الثامنة :

Inf. XIV. 130-135.

(٣٠) هذا هو نهر الدم (Fiegetonte) الذي سيأتى ذكره :

(٣١) يعنى الجشع بصيرة الإنسان فيدفعه للاعتداء على الناس .

(٣٢) يدفع الغضب الإنسان إلى جرح كرامة الآخرين والإساءة إليهم في الحياة الدنيا .

(٣٣) هذه هي الدائرة الأولى في الحلقة السابعة .

ويوجد حفر يمثل دوائر معقدة تقترب من فكرة الحلقات في جحيم دائتي، ويرجع إلى القرن ١٣ ،

وهو في كنيسة القديس بطرس في پوتريمولي .

(٣٤) أى تبعاً لما شرحه فرجيليو لدائتي من قبل .

(٣٥) هذا دليل على ارتفاع الشاطيء أو الحاجز .

(٣٦) قناتس جمع قنطروس (Centaurus) وهي كائنات خرافية نصفها رجل ونصفها

حصان . وهي رمز للعنف والغضب :

Virg. Georgics. II. 465; Æn. VI. 286.
Ov. Met. XII. 210 .

ورسم جونو (١٢٦٦/٧ - ١٣٣٧) صورة للقنطروس في الكنيسة العليا للقديس فرنسيسكو في أسيسى .

(٣٧) استمد دائتي صورة الخروج إلى الصيد من الحياة الاجتماعية في عصره .

(٣٨) هم نيسوس وكيرون وفولوس ويرمزون للغضب ولذة الجسد والعداوة والعنف ، مما يحمل

الإنسان على ارتكاب العنف . وهم أبناء أكسيون ملك لاپيثي وسحابة في صورة هيرا .

(٣٩) أى دون تقدم .

(٤٠) يعنى وإلا قتلها بالسهم .

ويوجد تمثال صبير يمثل قنطروسا يمسك قوساً لكي يطلق السهم ، ويرجع إلى القرن ١٤ ، وهو في كنيسة سان ماركو في البندقية .

(٤١) كيرون (Chiron) هو القنطروس الكبير الذي علم أبطال اليونان واشتهر ببراعته

في الصيد وبمعرفة الطب والموسيقى وبالقدرة على التنبؤ وهو أعقل القناتس وأعدلها :

Virg. Geor. III. 550.

Hom. Ill. IV. 219; XI. 830 ...

(٤٢) لمس فرجيليو دائتي بيده لكي يستريح انتباهه .

(٤٣) نيسوس (Nessus) القنطروس الذي حاول أن يخطف ديانيرا (Dejanira) زوجة

هرقل ، فضربه بسهمه ضربة قاتلة ، وطلب نيسوس وهو يجود بأنفاسه أن تأخذ ديانيرا بعض دمه .

وعندما خشيت ديانيرا أن يقع هرقل في حب امرأة أخرى ، وضعت عليه قميصاً مغموساً في دم نيسوس ،

فشعر هرقل بالآلام هائلة لأن دم نيسوس كان ساماً ، وأحرق نفسه لكي يتخلص من العذاب . وبذلك

انتقم نيسوس بنفسه للقتل الذي أصابه ، كما تقول الميثولوجيا القديمة : Ov. Met. IX. 101 ...

ويوجد تمثال من المرمر لهرقل يقتل القنطروس نيسوس من عمل جوفاني بولونيا المعروف بجامبولونيا

(١٥٢٩ - ١٦٠٨) وهو في اللودجا دي لانزى في فلورنسا .

وقد وضع لولي (١٦٣٢ - ١٦٨٧) متتابعة موسيقية عن هرقل الماشق . وألف هيندل (١٦٨٥ -

١٧٥٩) أورا توريدون عن هرقل. (Contrepoint). Paris, 1662. Lully, J.B. Hercule Amoureux, suite.

Haendel, G.F.: Heraklès, oratorio. London, 1744.

(٤٤) أى الذى أحنى رأسه .

(٤٥) أخيل بطل اليونان في حرب طرواده ، وسبقت الإشارة إليه :

Inf. V. 65.

(٤٦) فولوس (Pholus) القنطروس الثالث ، الذى قتله أحد رجال هرقل :

Virg. Georg. II. 456; Æn. VIII. 294.

(٤٧) أفعم قلبه بالغضب لما ناله من القتل .
 (٤٨) أى فى عدد لا حصر له .
 (٤٩) تغمر كل نفس فى الدم حسب خطورة ما ارتكبه بسبب الغضب . وعندما تحاول
 أى نفس أن تخفف العذاب الذى تلاقيه فى نهر الدم وتخرج أكثر مما ينبئ لها ، يضرها القناتس
 بالمهام حتى تغمر فى الدم .
 وفى التراث الإسلاى صور تحوى بعض الشبه بعقاب الغاصبين عند دانتي ، وذلك بالنسبة
 لعذاب من عاشوا على أموال الربا :

الهندي : كنز العمال (السابق الذكر) ج : ٧ ص : ٢٧٨ - ٢٨٠ رقم : ٣٠٨٢ - ٣٠٨٥ .

- (٥٠) فعل ذلك حتى لا تموقه لحيته الكثة عن الكلام .
 (٥١) يعنى دانتي الذى يسير وراء فرجيليو .
 (٥٢) أى أنهم أدركوا أن المتخلف إنسان حتى قادم نحوم .
 (٥٣) أى أن دانتي بلغ بطوله صدر الجحش . وهذا دليل على ضخامة حجمه .
 (٥٤) أى عند التقاء الجزء الحيوانى بالجزء الإنسانى .
 (٥٥) يعنى لا يصحبه أحد سوى فرجيليو .
 (٥٦) أى بياتريتشى التى تركت أناشيد السماء السعيدة وهبطت لإنقاذ دانتي .
 (٥٧) العمل الجديد يعنى الذى يخالف المؤلف .
 (٥٨) أى أن فرجيليو يطلب أن يحمل دانتي واحد من القناتس .
 (٥٩) أى حشد آخر من القناتس .
 (٦٠) أى شاطىء نهر فليجيتونى ، نهر للدم .
 (٦١) فى الأصل تحت أو أسفل وقلت (غاطسين) وهذا هو المقصود .
 (٦٢) يعنى حتى عيونهم ، لأنهم ارتكبوا العنف ضد الأشخاص وضد ممتلكاتهم .
 (٦٣) فى الأصل نهبوا الممتلكات ، والمعنى واحد .
 (٦٤) لا يتفق النقاد على تحديد شخص الإسكندر هنا . ربما كان المقصود إسكندر
 فبرى طاغية تساليا الذى عاش فى القرن ٤ ق . م . واشتهر بالقسوة وإراقة الدماء . وربما كان
 إسكندر الأكبر المقدونى ، الذى أراق الدماء فى حروبه وفتوحاته : Cic. De Officiis, II. 7.
 (٦٥) ربما كان هذا هو ديونيسيوس الكبير (٤٣١ - ٣٧٦ ق.م Dionysius) طاغية
 سيراكوزا الذى أراق الدماء وسام شعب صقلية العذاب .
 (٦٦) أتزولينو دا رومانو (١١٩٢ - ١٢٥٩ . Azzolino da Romano) زعيم
 الجبلين فى شمال إيطاليا ، حيث بسط حكمه الطغيان وأخضع عدة مدن فى لمبارديا وإميليا والفتتو ،
 وساعده فردريك الثانى فى مشروعاته . وعارض البابوية لأسباب سياسية فأعلن إسكندر الرابع
 عليه حرباً صليبية وثارت عليه المدن التى أخضعها ، فهزم ووقع فى الأسر ومات فى السجن ويشير
 إليه دانتي فى الفردوس : Par. IX. 28-31.
 (٦٧) أوبيتزو دا إيسى (١٢٦٤ - ١٢٩٣ . Obizzo da Este) مركز فرارا
 الذى اشتهر بالبطش وإراقة الدماء .
 (٦٨) قتله ابنه ، ويسميه دانتي الابن الأثيم ، أو ابن زوجته .

(٦٩) هذه هي المرة الأولى التي يصبح فيها دليل دانتي روحاً غير فرجيليو ، إذ يحل مكانه نيسوس القنطروس .

(٧٠) هؤلاء هم القتلة ، وخطيئتهم عند دانتي أقل من الطغاة لأن ضحاياهم أقل ، ولذلك يغمرون في الدم حتى الحناجر .

(٧١) كان ذلك المعذب منزلاً بمفرده لأن بقية الآثمين ابتعدوا عنه ، وذلك لفظاعة الجرم الذي ارتكبه .

(٧٢) أضفت (الشيخ) لإيضاح المعنى .

(٧٣) المقصود بهذا الشيخ جويدو دي مونتفورتى (Guido di Monteforte) ابن سيمون دي مونتفورتى إيرل لستر ، وكان جويدو رسول شارل الأول ملك أنجو في تسكانا . وكان إدوارد ، الذي أصبح فيما بعد ملك إنجلترا ، قد قتل سيمون أبا جويدو ، فأراد الانتقام ، وقتل هنرى بن ريتشارد ملك إنجلترا ، في كينيسة فيتربو في ١٢٧٢ ، وكان القتيل ابن أخى القاتل . وما يقال إن قلب هنرى قد وضع داخل ناوس ذهبي فوق عمود فوق جسر لندن على التاميز .

ويرى بعض الدانتيين أن قول (si cola) يعنى يقطر (الدم) ، وإن كان بوقى الشارح القديم يرى أنه مأخوذ من المعنى اللاتينى الذى يفيد الاحترام والتوقير والتعجيد .

وتوجد صورة صغيرة للندن ونهر التاميز ، وترجع إلى القرن ١٥ ، وهي في المتحف البريطانى في لندن . وكذلك توجد صورة صغيرة تمثل جويدو دي مونتفورتى يقتل هنرى الإنجليزى ، وترجع إلى القرن ١٤ ، وهي في مكتبة كيدجى في روما .

(٧٤) كلما نقص العنف وإراقة الدماء زاد ظهور المعذبين من نهر الدماء .

(٧٥) لا يذكر دانتي اسم واحد من هؤلاء ، ولكنه ربما يشير بذلك إلى الصراع الحزبى العنيف في فلورنسا .

(٧٦) أى من الناحية التى جاءوا منها .

(٧٧) أى في الناحية المقابلة في هذه الحلقة .

(٧٨) أتिला (٤٣٣ - ٤٥٣ م . Atila) ملك الهون الذى قام بإغارات مدمرة على آسيا وأوروبا ، ويسمى نقمة الله أو لعنته .

ورسم رافاييلو صورة لأتिला وهو يتراجع إلى بلاده ، وهي في الناتيكان في روما .

(٧٩) فيروس (Phyrrhus) بن أخيل ، الذى اشترك في حرب طروادة وقتل الملك بريام وابنه بوليستس . وربما كان المقصود ملك أفيروس (٣١٨ - ٢٧٢ ق.م.) الذى اشتهر بسفك الدماء :

Virg. Æn. II. 469, 491, 526.

(٨٠) سكستوس پومپيوس (Sextus Pompeius) بن پومپي الكبير ، هزمه قيصر في ٤٥ ق.م. وبعد وفاة قيصر سيطر على صقلية ، ثم هزمه أسطول أغسطس وقتل في ٣٥ ق.م. ويشير دانتي إليه في الفردوس :

Luc. Phars. VI. 420-423.

Par. VI. 71-72.

(٨١) تستنزف العدالة الإلهية دموعهم على الدوام .

- (٨٢) لا يذكر دانتى لفظ العين ، ولكنى أضفت (من أعين) لإيضاح المعنى .
- (٨٣) رينير دا كورنيتو (Rinier da Corneto) قاطع طريق معاصر لدانتى آثار الرعب فى منطقة ماريمما وحتى أبواب روما .
- (٨٤) رينير باتزو (Rinier Pazzo) قاطع طريق آخر معاصر لدانتى آثار الرعب فى وادى الأرنو وحتى مدينة أريتزو .

الأنشودة الثالثة عشرة^(١)

وصل الشاعران إلى الدائرة الثانية من الحلقة السابعة ، وكانت غابة بريّة جافة الأشجار ، وبها أعشاش الهريوسات التي كانت لها وجوه النساء وأجسام الطيور . سمع دانتي في كلّ جانب نواحاً لم يعرف مصدره فتولاه الرعب والاضطراب . أشار عليه فرجيليو أن يقطع غصناً حتى يعرف السر ، ففعل ، فصاح جذع الشجرة متألماً وقد سالت منه الدماء ، فزاد رعب دانتي واضطرابه . اعتذر فرجيليو للنفس الجريحة التي سكنت تلك الشجرة . كانت هذه روح ببيرو دِلاّ ثينيا الذي خفّ ألمه عندما علم أن دانتي سيجدّد ذكره عند عودته إلى الدنيا . قال إنه كان موضع ثقة الإمبراطور فردريك الثاني ، ثم أثار الحقد عليه النفوس ، ففقد مركزه ، وارتكب جريمة الانتحار ، وبذلك أصبح غير عادل مع نفسه العادلة . سأله فرجيليو كيف تتحد نفس المتحر بهذه الأشجار ، فأفاده بأن مينوس حارس الجحيم يرسلها إلى هذه الغابة حيث تنبت شجرة جافة قاسية ، ثم تهجمها الهريوسات وتتغذى منها . وفجأة سمع الشاعران أصوات الصيد والوحوش قادمة نحوهما . ورأيا روحين تهربان من كلاب متحفزة تطاردهما ، وكانتا روحى مواطن من سينا وآخر من يادوا ، وقد أسرفا في أموالهما وأموال غيرهما . بلّأت إحداهما إلى بعض العشب الكثيف محتمية به ، فزقّتها الكلاب إرباً ، فصاحت روح مواطن فلورنسى سكن فيها وقالت إنه لولا وجود بقية من تمثال مارس راعي فلورنسا القديم ، لما استطاع الفلورنسيون أن يعيدوا بناء مدينتهم بعد غارة أتيليا ، وتنبأ لفلورنسا بالصراع الداخلى الدائم .

- ١ لم يكن نيسٿوس قد وصل هناك بعدُ ، حينما دخلنا في غابة (٢) ،
لم يدل عليها طريق (٣) .
- ٤ لا أوراق خضراء بها ، بل داكنة اللون ، ولا غصون ملساء ، بل ملتوية
كثيرة العُتد ؛ ولا فاكهة بها ، ولكن أشواك ذات سموم (٤) .
- ٧ وليس لتلك الوحوش المفترسة ، التي تكره المناطق المزروعة بين تشيتشينا
وكورنيٿو ، أجمات في مثل هذه الكثافة والخشونة (٥) .
- ١٠ هنا تبني أعشاشها الهربوسات القبيحة (٦) ، التي طردت أهل طروادة
من استروفاديس (٧) ، بنبؤة حزينة عن محنة المستقبل .
- ١٣ لإنهن ذوات أجنحة كبيرة ، ولهن رقاب أناسي ووجوه بشرية ، وأقدام ذات
مخالب ، وبطون كبيرة يكسوها الزغب (٨) ؛ ويطلقن نواحاً ، فوق
الأشجار الغريبة (٩) .
- ١٦ بدأ أستاذي الطبيب قائلاً : « اعلم قبل أن تتقدم إلى الأمام ، أنك
في الدائرة الثانية ، وستبقى بها
- ١٩ حتى تبلع الرمل الرهيب (١٠) : ولذا فانظر جيداً ، وسترى أشياء يمكن
أن تنزع من نفسك الثقة في كلامي (١١) . »
- ٢٢ وسمعت من كل جانب نواحاً ينطلق ، ولم أر إنساناً يُصدره ؛ ولذا
توقفت عن المسير وقد تولّيت الاضطراب (١٢) .
- ٢٥ إخال أنه ظنّ أنّي اعتقدت (١٣) ، أن هذه الأصوات الكثيرة قد
صدرت ، من بين تلك الجذوع ، عن قوم أخفوا أنفسهم عنا (١٤) .
- ٢٨ ولذا قال أستاذي : « إذا قطعت من إحدى هذه الأشجار غصناً
صغيراً ، فستصبح كل أفكارك دون أساس (١٥) . »
- ٣١ عندئذ مددت يدي إلى الأمام قليلاً ، وانتزعتُ غصناً صغيراً من فرع
كبير ، فصاح جذعه : « لماذا تقطعني (١٦) ؟ » .
- ٣٤ ولما اسودت بعدئذ لونه بالدم ، عاد إلى صياحه (١٧) : « لماذا تمزقني ؟
أليس في قلبك من الرحمة أثارة (١٨) ؟ »

- ٣٧ لقد كنا رجالاً ، وأصبحنا الآن أشجاراً : وينبغي حقاً أن تكون أرحم
يداً ، ولو كنا نفوس أفاعٍ (١٩) .
- ٤٠ وكفصن أخضر يحترق أحد طرفيه ، ويقطر الآخر ماءً (٢٠) ،
ويصرصر من أثر الهواء الذي يخرج منه (٢١) ،
- ٤٣ كذلك خرج من الفصن المقطوع الدم والكلام معاً (٢٢) ؛ عندئذ
تركتُ الفصن يسقط (٢٣) ، وظللتُ كرجلٍ يساوره الخوف (٢٤) .
- ٤٦ وأجابه حكيمي قائلاً (٢٥) : « أيتها النفس الجريئة ، لو أنه استطاع من
قبل أن يصدق ما رآه في شعري وحده (٢٦) ،
- ٤٩ لما مدّ إليك يداً ؛ ولكن الشيء الذي لم يُصدقهُ ، جعلني أدفعه
إلى عملٍ يثقلُ على نفسي ويصعب (٢٧) .
- ٥٢ ولكن خبره من كنتُ ، حتى يصحح بعض ما فعل ، فيجدد ذكراك
فوقُ ، في الأرض (٢٨) ، حيث من حقه أن يرجع (٢٩) .
- ٥٥ قال الجذع (٣٠) : « إنك تغرّبي هكذا بمعسول الكلام ، فلا أستطيع
صمتاً (٣١) ، وعسى ألا يكون ثقيلاً عليك ، إذا أطلتُ في الحديث
قليلاً .
- ٥٨ أنا ذاك الذي استحوذ على مفتاحي قلب فرديريك (٣٢) ، وأنا الذي أدارها
فاتحاً مغلقاً برفقٍ ولين (٣٣) ،
- ٦١ إلى أن كدتُ أبعد عن سرّه كل إنسان : وحملتُ الأمانة للمنصب
الحجيد ، حتى فقدتُ في ذلك الكرى ونبضات القلب (٣٤) .
- ٦٤ والعاهرة (٣٥) التي لم تُحوّل أبداً عينها للداعرتين عن منزل قيصر ،
والتي هي هلاكٌ للجميع وإثمٌ لكل بلاط ،
- ٦٧ أشعلتُ على كل النفوس ، وسعّر المشتعلون حقداً قلب أغسطس
هكذا (٣٦) ، حتى تحوّلت أمجادى السعيدة إلى أتراحٍ حزينة (٣٧) .
- ٧٠ ونفسي التي أحسّت بالزراية ، وهي معتقدة أنها تهرب من الزراية
بالموت (٣٨) ، جعلتني غير عادلٍ مع نفسي العادلة (٣٩) .

- ٧٣ وأقسم لك بالجنود الجديدة من هذه الشجرة^(٤٠)، أنى لم أنكث أبداً بعهد سيدى ، الذى كان جديراً بكلّ تشریف^(٤١) .
- ٧٦ وإذا رجع أحدكما إلى الأرض فليُرض ذكرى التى لا تزال صريعة طعنة ، سددها إليها الحسد^(٤٢) .
- ٧٩ تمهّل الشاعر قليلاً ثم قال لى^(٤٣) : « ما دام قد سكت ، فلا تُضيع وقتاً ؛ ولكن تكلم ، واسأله إذا راقك المزيد » .
- ٨٢ حينئذ قلتُ له : « زده أنت سؤالاً عما تعتقد أنه يُرضينى ؛ فإنى لا أستطيع ، لأن فرط الأسى يُضينى^(٤٤) ! » .
- ٨٥ وعلى ذلك استأنف قائلاً^(٤٥) : « فليؤدّ لك هذا الرجل طوعاً ما تمناه حديثك ، أيتها الروح الحبيسة ، ولعله يرضيك بعد^(٤٦) ،
- ٨٨ أن تُخبرينا كيف تتحد النفس بهذه العقد ؛ وأخبرينا إذا استطعت^(٤٧) ، هل تتحرر أبداً لإحدى النفوس من مثل هذه الأعضاء ! » .
- ٩١ عندئذ زفر الجذع بقوة^(٤٨) ، فتحول ذلك الزفير^(٤٩) إلى هذا الصوت : « ستلقى الجواب بكلامٍ وجيز .
- ٩٤ عندما تغادر الروح القاسيةُ الجسد^(٥٠) : الذى انتزعت منه نفسها^(٥١) ، يرسلها مينوس^(٥٢) إلى الحوة السابعة .
- ٩٧ وتسقط فى الغابة^(٥٣) ، وليس لها مكانٌ مختارٌ ؛ ولكن حيث يقذف بها الحظّ ، وهناك تنبت مثل حبة حنطة^(٥٤) .
- ١٠٠ وتنبعث ساقاً وتصير نباتاً برياً^(٥٥) : وحين تغدّى الهربوسات بعدُ على أوراقها ، تؤلفها^(٥٦) ، وتجد منفذاً للألم^(٥٧) .
- ١٠٣ وسنذهب كالأخريات بحثاً عن أجسادنا^(٥٨) ، ولكن لن تلبسه إحدانا حقاً ، إذ ليس عدلاً أن ينال الإنسان ما خلعه بنفسه^(٥٩) .
- ١٠٦ وسنجرّها هاهنا ، وستعلق أجسادنا فى الغابة الحزينة ، كلٌّ منها فى الشجرة البريّة التى يسكنها شبحه المعدّب^(٦٠) .

- ١٠٩ كنا لا نزال منصتين^(٦١) إلى الجذع على ظن أنه أراد أن يقول لنا غير ذلك ، حيث فاجأنا دوىً شديد^(٦٢) ،
- ١١٢ كمنَّ يُحسَّ بالخزير وركب الصيد^(٦٣) مُقبلاً على مكان وقوفه ، ويسمع الوحوش وتكسر الأغصان^(٦٤) .
- ١١٥ وإذا هناك اثنان^(٦٥) على الجانب الأيسر ، عاريان مُمزقان يُمعنان هرباً ، حتى حطما في الغابة كل غصن .
- ١١٨ صاح المتقدم^(٦٦) : « عجل الآن ! عجل أيها الموت^(٦٧) ! » . وصاح الآخر الذي بدا متأخراً عنه كثيراً^(٦٨) : « لم تكن ساقك يالانو
- ١٢١ سريعتين هكذا في معارك توپو^(٦٩) ! » . وربما لأنه أعوزه النفس ، جعل من نفسه ومن الدغل مجموعةً واحدة^(٧٠) .
- ١٢٤ ومن خلفهما كانت الغابة ملاءى بكلاب سوداء متحفزة سريعة العدو ، ككلاب سلوقية انطلقت من سلسلها^(٧١) .
- ١٢٧ وأنشبت أسنانها في ذاك الذي كان مُخفياً^(٧٢) ، ومزقته إرباً إرباً ، ثم حملت تلك الأشلاء المعذبة^(٧٣) .
- ١٣٠ حينئذ أخذنى دليلي من يدي^(٧٤) ، وقادنى إلى الدغل الذى كان يبكى دون طائل ، من خلال جراحه الدامية^(٧٥) .
- ١٣٣ قال الدغل^(٧٦) : « أنت يا جاكومو دا سانت أندريا ، ماذا أفدت إذ جعلتنى دريئة لك ؟ وأى ذنب لى أن كانت حياتك آثمة^(٧٧) ؟ » .
- ١٣٦ فلما وقف عنده أستاذى قال : « من ذا كنت ، أيها الذى يتدفق من جراحه العديدة^(٧٨) الكلامُ الأليم مع الدم^(٧٩) ؟ »
- ١٣٩ أجابنا : « أيها النفسان اللتان جئتما لتشهدا العذاب المزرى ، الذى جرّدى هكذا من أوراقى ،
- ١٤٢ هيا إلى جمعها عند أسفل الدغل الحزين . لقد كنت من المدينة^(٨٠) التى استبدلت المعمدان^(٨١) براعيها الأول^(٨٢) ، ولذا فإنه

١٤٥ سيجعلها بفيه على الدوام شقية^(٨٣) ؛ ولولا أن بعض ملامح منه لا تزال باقية^(٨٤) فوق جسر الأرنؤ^(٨٥) ،

١٤٨ لكان أولئك المواطنين^(٨٦) ، الذين أعادوا بناءها بعدُ ، فوق ما خلفه أتيلامن رمادٍ ، قد أتوا عملاً غير ذى جدوى^(٨٧) .

١٥١ ولقد جعلتُ من بيتي مِسْنَقَةً لى^(٨٨) .

حواشي الأنشودة الثالثة عشرة

- (١) تسمى أنشودة المنتحرين أو أنشودة بيبرو دلا فينيا .
- (٢) أى أنه في الوقت الذى كان فيه نيسوس يسير في اتجاه رفاقه كان الشاعران يسيران في اتجاه الدائرة الثانية من الحلقة السابعة .
- (٣) لم يكن في الأرض أى دليل على طريق يؤدي إلى غابة المنتحرين .
- (٤) لم تكن هذه غابة خضراء ، بل كانت غابة موحشة معقدة الأشجار ذات أشواك سامة .
- (٥) أى أن الحيوانات المفترسة في تسكانا لم تكن تمش في غابات من هذا النوع . يشير دانتي بهذا إلى بعض أجزاء إيطاليا في منطقة ماريمبا التسكانية . وتشيتشينا (Cecina) نهر في إقليم فولتيرا ، وكورنيتو (Corneto) مدينة صغيرة في تسكانا ، وكان بها غابات كثيفة امتلأت بالوحوش وانتشرت فيها الملاريا في عهد دانتي .
- (٦) هرپوسات جمع هرپوسة (Harpies) حيوانات خرافية في الميثولوجيا القديمة لها جسم الطيور ورأس النساء . ويوجد نحت روماني يمثل الهروسة على قاعدة عمود ، وهو في كاتدرائية كريمونا في لومبارديا . وكذلك يوجد نحت آخر يمثلها ويرجع إلى القرن ١٢ ، وهو في كاتدرائية بورجو سان دونينو .
- (٧) عندما قدم إينياس ورفاقه إلى جزر استروفاديس (Strophades) في بحر إيجه هاجمت الهرپوسات طعامهم ، وتنبأت إحداهن وهي تشيلايينو (Celaeno) بأنه ستحل بهم مجاعة رهيبة :
- (٨) استمد دانتي هذه الأوصاف من فرجيلو :
Virg. Æn. III. 216.
- (٩) كانت الأشجار غريبة على دانتي ، لأنه لم يعرف حقيقتها بعد .
- (١٠) أى حتى الدائرة الثالثة من الحلقة السابعة التي تحددها الرمال الملتبئة :
Inf. XIV.
- (١١) يعنى أن الكلام عن الأشياء التي سيرها لا يكفي ، ومن الصعب تصديقه ، ولا بد من رؤيتها .
- (١٢) استولى على دانتي الاضطراب لأنه سمع نواحاً لم يعرف مصدره .
- (١٣) كان تكرار حروف بعض الكلمات والألفاظ أمراً شائعاً في عصر دانتي .
- (١٤) اعتقد دانتي أن بعض النفوس قد اختفت بين جذوع الأشجار .
- (١٥) يعنى أنه إذا قطع غصناً فسزول عنه الأفكار التي تواردت عليه بشأن هذه الأصوات المجهولة .

(١٦) هذا كلام رقيق يعبر عن نفس متألدة تشكو القسوة التي أصابها وتسأل العطف والرحمة . ويشبه هذا قول فرجيليو :
Virg. Æn. III. 22 ...

(١٧) هذا هو بيبرو دلا فينيا (١١٩٠ - ١٢٤٩ . Pier della Vigna) ولد في كاپوا ودرس القانون في بولونيا ، ودخل في خدمة الإمبراطور فردريك الثاني ونال ثقته ، وشغل عدة وظائف ، واشتغل بالقضاء وقام بوضع قوانين الدولة وتنظيمها ، وكتب رسائل لاتينية وشعراً باللهجة العامية . وساعد فردريك في كفاحه ضد البابا . وبعد سنوات طويلة فقد ثقة الإمبراطور ، ولا

يعرف السبب تماماً . يقال إن هذا التغير حدث لأن بييرو بدأ يميل إلى البابا أو بسبب وقوعه في حب الإمبراطورة . عزله فردريك وحبه وأفقدته النظر ، فانتحر بييرو في سجنه في فيزا أو في سان مينياتو .

(١٨) هكذا يستثير بييرو دلا فثينا الرحمة في قلب دانتى . يسأله أليس في قلبه ذرة من الرحمة ؟ ويسأل من ؟ يسأل دانتى الذى يفيض قلبه بالمطف والرحمة ! وورد هذا المعنى في الإنيادة :

(١٩) يكفى ما نال هؤلاء في الدنيا وما يتالم الآن في الجحيم . يطلب بييرو الرحمة في عالم لا رحمة فيه .

(٢٠) يقطر طرفه الآخر ماء كأنه يبكي بفعل النار في الطرف الأول .

(٢١) هذا وصف دقيق للفنن المحترق مستمد من الملاحظة .

(٢٢) خروج الكلام مع الدم دليل على الألم المائل الذى كان يمانيه بييرو .

(٢٣) تألم دانتى للكلام الذى يترزق اللعنة معه ، فسقط فرع الشجرة من يده ، ووقف خائفاً مهوتاً لا يقوى على النطق .

(٢٤) يشبه هذا قول فرجيليو :

Virg. Æn. III. 29.

(٢٥) أى فرجيليو .

(٢٦) يشير فرجيليو إلى ما ورد في الإنيادة عن إينياس وبوليدورس : ... Virg. Æn. III. 22

ورد في تراث الشرق والإسلام صور عن العلاقة بين النبات والحيوان ، مثل أشجار النساء في جزر الواق واق في بحر الصين :

سراج الدين أبو جفص عمر بن الوردى : خريدة المعجائب وقريدة الغرائب . القاهرة ، ١٣١٦ ص ٨٢ .

ألف ليلة وليلة ، طبع القاهرة . قصة حسن الصائغ البصرى . ليلة : ٧٥٨ .

حسين فوزى : حديث السندباد القديم . القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ٩٨ ، ٢٢٨ .

(٢٧) أى أن عدم تصديق دانتى لما ورد في شعر فرجيليو حمله على أن يقطع الفنن عما يأسف له فرجيليو ذاته .

(٢٨) تجديد الذكرى في الدنيا تعويض جزئى عما أصابه ، ويدل هذا على أن الموتى عند دانتى يتطلعون إلى الدنيا دائماً .

(٢٩) من حق دانتى أن يرجع إلى الدنيا لأنه لا يزال إنساناً حياً .

(٣٠) أى بييرو دلا فثينا .

(٣١) ما إن انتهى فرجيليو من الكلام حتى سكن ألم الجذع لذكرى العالم الحبيب ولم يستطع أن يلزم الصمت أمام هذا الإغراء . تكلم الجذع دون أن يعرف شخص دانتى يل ويود ألا يكون كلامه ثقيلاً عليه . هذا كلام رقيق يصدر عن إحساس مرهف يشبه ما نطقت به فرنتشسكا

دار يمينى من الكلام العذب الرقيق المزوج بالأسى :

(٣٢) هو الإمبراطور فردريك الثانى الذى حكم ناپلى وصقلية ، وسبقت الإشارة إليه :

Inf. X. 119.

(٣٣) أى أنه سيطر على قلب فردريك ، حتى لم يكن يقبل شيئاً أو يرفضه إلا باستشارة بييرو دلا فثينا ورأيه .

- (٣٤) يعنى أنه عمل بكل إخلاص ، وضحى فى ذلك بالنوم والجهد .
- (٣٥) يقصد الحقد والحسد الذى يشبهه دائتى بالمرأة اللداعة فى بلاط الملوك .
- (٣٦) أى فردريك .
- (٣٧) أى أنه فقد بالحقد أمارات التشريف وأصابته أحزان مفرجة .
- (٣٨) اعتقد بييرو دلا فينيا أن الموت يغسل الإهانة التى لحقته . ويقال إنه انتحرف فى سببته بأن ضرب رأسه فى الحائط فات .
- (٣٩) يعنى أنه ارتكب بانتحاره عملا غير عادل ضد شخصه العادل ، الذى لم يرتكب إنما يستحق من أجله الإهانة التى لحقته .
- (٤٠) أى أن نفسه تحولت إلى هذه الشجرة منذ زمن غير بعيد .
- (٤١) يشئى دائتى هنا على فردريك ، ولو أنه وضعه مع المراطقة .
- (٤٢) يرجو أن يدحض أحدهما فى الدنيا الأهمة الكاذبة التى انصبت عليه .
- (٤٣) أمام هذا الأسى والصدق والبراءة سكت فرجيليو لحظة ، وسكت معه دائتى وأخذا يستعرضان ما قاله .
- (٤٤) استولى الأسى على دائتى فلم يستطع متابعة الكلام .
- (٤٥) أى عاد فرجيليو إلى الكلام .
- (٤٦) يخاطب فرجيليو روح بييرو دلا فينيا بالحال التى هى عليها .
- (٤٧) أى أنه لا يريدنا أن تغفل ما فوق الطاقة ، إذ يكفى ما هى عليه من العذاب . هذا كلام رقيق عطوف فى عالم لا رحمة فيه .
- (٤٨) هذا تنهد العذاب وزفرة الأسى أرسلها الجذع بقوة .
- (٤٩) تحول هواء التنهد إلى كلمات مزوجة بالأسى والألم . لم يتكلم بييرو دلا فينيا سريعا ، لأن الأسى أوقفه قليلا .
- (٥٠) الروح قاسية لأنها قتلت صاحبها .
- (٥١) هذا تعبير عن القسوة التى ارتكبتها المنتحرف ضد نفسه .
- (٥٢) مينوس حارس الجحيم وقاضيه وسبق ذكره : Inf. V. 4 ...
- (٥٣) أى هذه الغابة فى الدائرة الثانية من الحلقة السابعة .
- (٥٤) ينبت هذا الحب من الخنطة (spelta) فى الأرض الحصبة وغير الحصبة .
- (٥٥) يعنى أن نفس المنتحرف تتحول إلى شجرة برية تحس الألم وللعذاب . وهذا ربط بين الإنسان والنبات .
- (٥٦) تتغذى الهرپوسات على أوراق الشجرة وتمزقها وتؤلفها .
- (٥٧) عندما تمزق الأوراق تخرج آهاتها ، ويفيض الدم من الأغصان ، وهذا هو مخرج الألم . وعقاب المنتحرف عند دائتى هو أن تلاقى روحه هذا التمزيق المستمر كأنه الانتحار المتكرر ، لاعتداء الهرپوسات الدائم .
- (٥٨) أى أنهم سينهبون مثل سائر الآثمين للبحث عن أجسامهم فى وادى يوصافط يوم للقيامة عند المسحجين .
- (٥٩) يعنى أن الأشياء التى لا يمكن للإنسان أن يعطياها لا يجوز له أن ينزعها . ويجب

عليه أن يحتفظ بها إلى الوقت الذي يريد من أعطاه إياها ، أى الله . وإذا نزعها الإنسان عامداً ، فلا يجوز أن يجوزها مرة أخرى .

(٦٠) شبه معذب لأنه ارتكب الانتحار . سكت بيرو ولا فينيا عند ذلك كما سكت فاريناتا
 دلأ أوبرق عنلما تلحدث عن بعض صفات الموتق :

رسم داتق فى شخصية بييرو ولا فينيا صورة إنسانية حية . وهو يمثل الرجل المثقف الواسع الإدراك الذى تمتع بالمنصب الرفيع . وقد عاون الإمبراطور فردريك الثانى فى كفاحه ضد البابوية ، ثم أثار الخاقدون عليه قلب الإمبراطور ففقد الإمارات التشرىف وسجن وفقد البصر . وهو الرجل الحى الذى أحس بالإهانة ، فلا يطبق صبراً ويؤثر الانتحار . وهو مرهف الحس رقيق المشاعر يجذبه كلام داتق الرقيق ، ويقترب فى إرهاف الحس - مع اختلاف الموقف - من فرنشسكا دا ريمى . وهناك تجاوب بين داتق وبييرو ولا فينيا ، ويتشابهان فى معارضة البابوية : وفى التكنيل هما . وهو حريص على أن تلحظ تهمة وينال الذكرى الحسنة فى الأرض . وهذه صورة أخرى حية ناطقة مرهفة الحس ، تعبر عن نفسها بصدق وصراحة ، رسمها داتق فى تلك الغابة الموحشة .
 ويوجد تمثال نصفى يقال إنه لبييرو ولا فينيا وهو فى متحف كاپوا فى شمال نابلى .

(٦١) سكت بييرو ولا فينيا عن الكلام ، وسادت فترة صمت فى هذه الغابة الرهيبية ، وأنصت كل من الشاعرين إلى الجذع ظناً منهما بأنه سيتابع الكلام .

(٦٢) قطع هذا السكون دوى مفاجىء . ويشبه هذا قول فرجيليو :
 Virg. Æn. VI. 559 .

(٦٣) يعنى أنه يسمع صوت الصيادين وأدواتهم وكلامهم فى أثناء السير .

(٦٤) يشبه هذا قول هوميروس :
 Hom. Ill. XII. 45-47 .

(٦٥) الأول هو لانو دى سيينا (Lano di Siena) الذى أسرف فى ماله ومال غيره ، وقتل فى معركة توبو (Topo) بين جند سيينا وأريتزو فى ١٢٨٨ . والثانى هو جاكومو دا سانت أندريا (Giacomo da Sant' Andrea) وهو مواطن من بادوا اشتهر بالإسراف فى ماله فمال الناس وكان من أتباع فردريك الثانى . ويقال إن أرتيلينو دا رومانو قد قتله فى ١٢٣٩ .

وضع داتق المسرفين فى الملم ومال الناس مع المنتحرين ، لأنهم يتشابهون فى الإضرار بأنفسهم .
 وسبق أن عذب المبذرين بطريقة أخرى :

(٦٦) أى لانو دى سيينا .

(٦٧) يقصد موت الروح ، أى الموت الثانى .

(٦٨) أى جاكومو دا سانت أندريا .

(٦٩) تقع توبو على مقربة من أريتزو . أى أنه لم يكن سريعاً إلى الحرب فى معركة توبو كما هو الآن .

(٧٠) أى أنه اختفى داخل الأعشاب المتشايكة .

(٧١) تجرى هذه الكلاب المتحفزة وراء هؤلاء الآثمين وتطاردهم بمنف وقسوة وهى بالنسبة لهم كالمربسات للمنتحرين .

(٧٢) المقصود جاكومو .

وفى التراث الإسلامى صورة تحوى بعض الشبه لما أورده داتق فى عقاب من ينجس رجلا وعنده آخر ومن يتعظم على الناس ومن يمزق نفسه فتمزقه كلاب النار يوم القيامة :

القرآن : النزعات : ٢ .

أبو حامد الغزالي : كتاب إحياء علوم الدين . القاهرة ، ١٣٥٢ هـ . ج ٣ ص ٢٥٦ .
(٧٣) يصور دانتى هنا منظراً رائعاً يبدأ بسكوت بييرو دلا فينيا وسكوت دانتى وفرجيليو معه لحظة ، ثم يسمع صوت وضوء فجأة . ثم يبدو آثمان عاريان يهربان وقد تولاهما الرعب ، واحد يسبق والثانى يتأخر لأن الرعب قد أعجزه عن الجرى ، ويحتسى بين مجموعة من الأعشاب البرية ، ثم تظهر كلاب متحفزة تطارد هذين الآثمانين ، وتنهش ذلك المختنق بين الأغصان وتقطعه إرباً وتحمله أشلاءه بعيداً . يحدث هذا بالتتابع فى ملح البصر ، ويبدأ نقطة ثم يستعرض المنظر ويتسع حتى نهايته . هذا وصف دقيق مستمد من حياة الصيد ومن دراسة معنى الخوف والرعب فى الإنسان .
رسم دانتى هذا كله بريشة صادقة ، وكشف عن بعض مظاهر النفس البشرية .

(٧٤) هذا لون من ألوان العطف الذى أبداه فرجيليو نحو دانتى دائماً .

(٧٥) عندما نهشت الكلاب ذلك المختنق بين الأعشاب نهشت أعشاباً أخرى ومزقتها ، وكانت روح واحد من الذين ارتكبوا جريمة الانتحار فسالت السماء .

(٧٦) هذا صوت مواطن فلورنس لا تعرف شخصيته . يرى بعض النقاد أنه ربما كان لوقو دلى آللى (Lotto degli Ali) القاضى الفلورنسى الذى انتحرت تكفيراً عن حكم خاطئ أصدره . ولا بد أن هذا الأثم كان قد مات منذ زمن قليل لأنه لم ينبت شجرة كبيرة مثل بييرو دلا فينيا الذى مات فى ١٢٤٩ .
(٧٧) يقول صاحب الصوت إنه يكفيه ما فيه من عذاب ، ولا داعى لتزريقه على ذلك النحو .

(٧٨) الجراح العديدة بسبب التمزيق .

(٧٩) يتدفق الكلام الأليم مع الدم ، وهذا تعبير عن منتهى الأسى والألم .

(٨٠) أى من فلورنسا .

(٨١) هو يوحنا المعمدان الذى أصبح حامي فلورنسا فى العهد المسيحى .

(٨٢) كان مارس إله الحرب راعي فلورنسا فى العهد الوثنى .

(٨٣) يعنى أن مارس سيجعل فلورنسا ضحية للحروب والصراع الداخلى دائماً .

(٨٤) هذه إشارة إلى تمثال الإله مارس فى فلورنسا . ويقال إن فلورنسا عندما تحولت إلى المسيحية وضمت تمثال مارس فوق برج على مقربة من نهر الأرنو . وعندما أغار الهون على فلورنسا ألقوا بالتمثال فى نهر الأرنو ، ثم أخرج من النهر فى عهد شارلمان ووضع عند رأس الجسر القديم ، وظل هناك حتى ١٣٣٣ حيث تحطم فى أثناء الصراع الداخلى فى فلورنسا ، وبُنيت منه قطعة من الجسر .
وتوجد صورة صغيرة لتمثال مارس عند الجسر القديم ، ويبدو فيها مارس على جواد يعدو فوق عمود عال ، وترجع إلى القرن ١٤ ، وهى فى مكتبة كيدجى فى روما .

(٨٥) هذا هو الجسر القديم (Ponte Vecchio) المشهور فى فلورنسا ويرجع بشكله المعروف إلى القرن ١٤ وقد سلم فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وإن كانت القنابل قد أصابت زاوية مبانيه عند طرفه الجنوبي الغربى ، كما رأيت فى ١٩٤٩ ، وقد جرى إصلاح ما أهدم .

(٨٦) أى أنه لو لم يبق من تمثال مارس شيء لما استطاع الفلورنسيون أن يعيدوا بناء مدينتهم فى عهد شارلمان فى ٨٠١ .

(٨٧) أغار أتيليا على إيطاليا فى ٤٥٠ ، وألحق الدمار بفلورنسا .

(٨٨) يعنى أن ذلك المواطن الفلورنسى قد انتحرت فى مسكته .

الأنشودة الرابعة عشرة^(١)

تأثر دانتي بكلام الفلورنسى المجهول في القصيدة السابقة ، ودفعه حبه لوطنه إلى أن يجمع الأوراق المتناثرة ويعيدها إلى الروح التي لزمت الصمت .
ووصل الشاعران إلى الدائرة الثالثة في الحلقة السابعة : وكانت سهلا من الرمال الجرداء التي تشبه رمال ليبيا وقد وطئها كاتون من قبل : وأحاطت هذه الرمال بغابة المنتحرين . رأى دانتي قطعانا كثيرة من المعذبين : سيكون في يؤس شديد ، وقد اتخذوا أوضاعا مختلفة فوق الرمال : تبعاً لحطيئة العنف التي اقترفوها على الله أو الفن أو الطبيعة : وتساقطت عليهم ألسنة اللهب من السماء دون انقطاع . رأى دانتي كاپانيو الذي احتقر الآلهة في الأرض كما احتقرهم في الجحيم ، وقد اعتقد أن قوة الله قوة غاشمة مثل قوته هو . عتقه فرجيليو وندّد بخطيئته ، وأوضح له أن عقابه هو الغضب وما يصدر عنه من الاحتقار في حد ذاته ، الذي هو بمثابة حلية تزين صدره بما يناسبه . سار الشاءان في طريق ضيق بين غابة المنتحرين وسهل الرمال : ورأيا جدولا أحمر اللون ، هو نهر فيليجيتونتي . وأخذ فرجيليو يشرح لدانتي مصدر أنهار الجحيم ، متأثراً في ذلك بالميتولوجيا اليونانية : التي تقول إنه كان في كريت تمثال ضخيم مصنوع من الرأس إلى القدم : من الذهب والفضة والنحاس والحديد والفخار على التوالي ، وتخرج منه دموع الآثمين ، ثم تنحدر إلى حلقات الجحيم ، وبذلك تكون أنهاره ، كما أشار إلى نهر لتي في المطهر : حيث تزول خطايا الآثمين . ثم سار الشاعران في طريق ضيق بين النهر والرمال الملتهبة : حيث لا تسقط شواظ اللهب من السماء .

- ١ إني وقد كنتُ مدفوعاً بجبى لموطن ميلادى، جمعتُ الأوراق المتناثرة^(١٢)،
وأعدتها إلى منْ أصبح الآن خائر القوى^(١٣) .
- ٤ وعندئذ جثنا إلى الحد الذى تفصل عنده الدائرة الثانية عن الثالثة ، حيث
يلو للعلاة فنْ رهيب^(١٤) .
- ٧ ولكى أحسن وصف الأشياء الجديدة^(١٥) ، أقول إننا وصلنا إلى سهلٍ ،
تطرد أرضه كل نبات^(١٦) .
- ١٠ الغابة الأليمة من حوله إكليلٌ* ، كالتخندق المشؤوم من حولها^(١٧) ،
وهنا أوقفنا خُطانا على حافة السهل^(١٨) .
- ١٣ كان الفضاء رملاً قاحلاً كثيفاً ، لا تختلف طبيعته^(١٩) عن ذاك الذى
سبق أن وطئه كاتون بقدميه^(٢٠) .
- ١٦ أيها الانتقام الإلهي^(٢١) ، كمْ ذا ينبغي أن يرهيك كل منْ يقرأ ما كان
قد أضحى مرثياً لعينى^(٢٢) !
- ١٩ رأيتُ قطعاناً كثيرةً من نفوس عارية^(٢٣) : تبكى جميعاً فى بؤسٍ
شديد^(٢٤) ، وقد بدتْ خاضعةً لقوانين مغايرة^(٢٥) .
- ٢٢ اطرح بعضٌ فوق الأرض مستلقياً على ظهره^(٢٦) ، وجلس بعضٌ
متلاصقين تماماً^(٢٧) ، وآخرون ساروا على اللوام^(٢٨) .
- ٢٥ وهؤلاء الذين ساروا دائرين كانوا أكثر عدداً ، وأولئك الذين استلقوا
للعذاب كانوا أقلّ ، ولكن الألم زاد ألسنهم انطلافاً^(٢٩) .
- ٢٨ وفوق كل الرمل الضخم أمطرتْ، فى تساقطٍ بطيءٍ ، نُدْفٌ كبيرةٌ من
النار^(٣٠) ، كما يسقط الثلج على المرتفعات دون رياح .
- ٣١ وكما رأى الإسكندر^(٣١) : فى تلك المناطق الدافئة من الهند، ألسنة اللهب
تسقط وهى مہاسكةٌ على جيشه حتى الأرض^(٣٢) ،
- ٣٤ ولذا عسى بأن تلوس فيالقه الأرض ، لأن البخار^(٣٣) كان أيسر انطفاء
إذا أصبح معزولاً^(٣٤) ،

- ٢٧ هكنا سقط الوهج الأبدى^(٢٥) الذى أشعل الرمل ، كما يقع الحجر تحت الزناد ، لمضاعفة الأم^(٢٦) .
- ٤٠ كان رقص الأبدى البائسة دون انقطاع أبداً^(٢٧) ، وهى تبعد الاحراق المتجدد عن نفسها هنا وهناك^(٢٨) .
- ٤٣ بدأتُ : « أستاذى ! يا مَنْ تغلب كلَّ شئٍ^(٢٩) ، سوى الشياطين العنيدة ، التى خرجتْ فى مواجهتنا عند مدخل الباب^(٣٠) !
- ٤٦ مَنْ ذلك العظيم^(٣١) الذى ييلو غير عابئٍ بالحريق ، وينطرح ثاقب العطف بازدياءٍ ، حتى يلبا كأن هطل النار^(٣٢) لا يُنضجه^(٣٣) ! » .
- ٤٩ وذلك نفسه الذى أدرك أنى أسائل عنه دليلى ، صاح قائلاً : « هكنا كنتُ حياً ، وهكنا فى الممات أكون^(٣٤) .
- ٥٢ ولو أن جويتير يُتعب حدّاده^(٣٥) ، الذى أخذته وهو غاضبٌ ، الصاعقة القاتلة ، التى ضربتُ بها فى اليوم الأخير^(٣٦) ،
- ٥٥ أو إذا كان يُتعب الآخرين واحداً تلو واحد^(٣٧) ، فى جبل النار^(٣٨) ، بالمصهر الأسود نادياً « النجدة النجدة ، يا قولكناو الطيب ! » ،
- ٥٨ كما فعل فى موقعة فليجرا^(٣٩) ؛ وإذا كان يصوب السهام إلى بكلِّ ما له من قوةٍ ، فلن يستطيع أن ينال منى انتقاماً سعيداً^(٤٠) .
- ٦١ عندئذ قال دليلى بجدّةٍ شديدةٍ ، لم أسمعها بمثل هذا العنف^(٤١) :
« يا كآباتيو ! لما بك من صلف لا تنطقى »
- ٦٤ جنوته: يزداد عقابك ويشد^(٤٢) ؛ وما من عذابٍ سوى غضبك ذاته ، يمكن أن يكون ألماً جديراً بحقك^(٤٣) .
- ٦٧ ثم استدار نحوى بغمٍّ أعذب قائلاً : « كان هذا أحد الملوك السبعة الذين حاصروا طيبة ؛ وكان ، ويبدو أنه لا يزال
- ٧٠ يزدرى الله ، ويظهر أنه لا يأبه له كثيراً ؛ ولكن ازدياءه - كما قلتُ له^(٤٤) - حليةٌ تزين صلوه حقاً بما يناسبه^(٤٥) .

- ٧٣ والآن سرّ من وراثي ، واحذر بعدُ أن تضع قدميك فوق الرمل الملتهب ؛ ولكن أبقهما دائماً ملتصقتين بالغابة^(٤٦) .
- ٧٦ وفي صمت وصلنا هناك . حيث ينبع من الغابة^(٤٧) جدولٌ صغيرٌ^(٤٨) ، لا تزال حمرته تُرعدني .
- ٧٩ وكما يخرج من بوليكا مي جدولٌ^(٤٩) : تقسمه الحطّات بعدُ فيما بينهنّ ؛ كذلك هبط هذا الجدول وسط الرمال .
- ٨٢ وكان قاعه وكلا شاطئيه ، والحاشيتان على جانبيه . قد تحوّلت إلى حجرٍ ؛ فتبينتُ أنّ هنا مكان العبور^(٥٠) .
- ٨٥ قال : « بين كلّ ما أريتك إياه منذ دخلنا ذلك الباب : الذي لا يمتنع مدخله على أحدٍ^(٥١) .
- ٨٨ لم تستجل عينك ما يلفت النظر . مثل الجدول المائل ، الذي تخمد عليه كلّ ألسنة اللهب^(٥٢) » .
- ٩١ كانت هذه كلمات دليلي ؛ ولذا رجوته أن يزيدني من الغذاء الذي أذكي^(٥٣) شهيتي إليه^(٥٤) .
- ٩٤ عندئذ قال : « في وسط البحر^(٥٥) تستوى بلادٌ خربةٌ تدعى كريت ، وقد كان العالم طاهراً في ظلّ ملكها^(٥٦) .
- ٩٧ وهناك جبلٌ يدعى إيدا ، كان من قبل سعيداً بالماء وأوراق الشجر^(٥٧) ، وهو الآن قفرٌ مثل غابر الأثر .
- ١٠٠ كانت ريا قد اختارته لابنها مهدياً أميناً ، ولكي تحسن إخفاءه ، كانت تلوى بالصراخ عند بكائه^(٥٨) .
- ١٠٣ وفي داخل الجبل ينتصب قائماً عجوزٌ ضخّمٌ^(٥٩) ، وهو يدير كتفيه لدمياط ، وينظر إلى روما كأنها مرآته^(٦٠) .
- ١٠٦ رأسه مصوغٌ من خالص الذهب^(٦١) ؛ والصدر والذراعان من نقيّ الفضة^(٦٢) ، ثم هو إلى الركبة من نحاسٍ^(٦٣) ،

- ١٠٩ ومن هنا إلى أسفل كله من حديدٍ دون خبث^(٦٤) ، سوى أن يُمنى قدميه من فخَّارٍ^(٦٥) ، وهو يعتمد عليها أكثر من الأخرى^(٦٦) .
- ١١٢ وكلُّ أجزاءه - ما عدا الذهب - يقسمها شقٌّ تقطر منه دموع^(٦٧) ، تحفر - وهي متجمعة^{٦٨} - ذلك الصخر .
- ١١٥ وينحدر مجراها في هذا الوادي من صخرة إلى أخرى: وتكون أكبر وتي^(٦٨) ، واستيكس^(٦٩) ، وفليجيتوتى^(٧٠)؛ ثم تهبط في تلك القناة الضيقة^(٧١) ،
- ١١٨ إلى حيث لا هبوط بعد^(٧٢) : وتصنع كوتشيتوس^(٧٣) ؛ وسوف ترى أى مستنقع هو ، ولذا لن أتكلم عنه هنا .
- ١٢١ قلتُ له : « إذا كان هذا الجدل ينبع من دُنيانا على هذا النحو^(٧٤) ، فليمَّ يبدو لنا على هذا الجانب وحده ؟ » .
- ١٢٤ قال لى : « أنت تعلم أن هذا المكان مستديرٌ ؛ ومع أنك سرتَ طويلاً إلى اليسار فحسبُ ، هابطاً إلى القاع^(٧٥) ،
- ١٢٧ فإنك لم تقطع بعدُ كل الدائرة : ولذا إذا ظهر لنا شيءٌ جديدٌ ، فينبغى ألا يجلب على وجهك أمارات العجب^(٧٦) » .
- ١٣٠ قلتُ ثانياً : « أستاذى ، أين يوجد فليجيتوتى ولبتي ؟ فإنك تسكت عن أحدهما ، والآخر تقول إن هذا المطر يصنعه^(٧٧) » .
- ١٣٣ أجاب : « فى الحقّ أنك تروقى فى كلّ ما تسأل ، ولكن غليان الماء الأحمر كان ينبغى أن يحلّ جيداً واحداً مما تسأل^(٧٨) .
- ١٣٦ أما لبتي فسوف تراه ، ولكن خارج هذه الهاوية^(٧٩) ، هناك حيث تذهب النفوس لكى تغتسل ، عندما تُمضى الحطّبة بالندم » .
- ١٣٩ ثم قال : « الآن حان وقت رحيلنا عن الغابة ؛ فاحرص على أن تسير من ورأى : إن الضفتين^(٨٠) اللتين لا تشتعلان تُفسحان
- ١٤٢ طريقاً ، وعليهما تخمد كلّ نار » .

حواشى الأثوذة الرابعة عشرة

- (١) هذه أثوذة من لغتوا وأا افة أثوذة كاپاتيو .
- (٢) هذه عودة إلى الأثوذة السابقة عتما مرقت للكلاب الأعشاب الجافة التى احتسى بها جاكوردا سانت أندريا :
Inf. XIII. 142 ...
- (٣) هكذا يعبر داتى عن حنيه إلى الوطن . وفى هذا إشارة إلى ما سبق مع التمهيد للتصيدة الحالية .
- (٤) وصل للشاعران حيث وأيا صورة رعية من صور العذاة الإلمية .
- (٥) أى العذاب الجديد الذى لم ير داتى له مثيلا .
- (٦) يعنى أن السهل رمل قاحل لا ينمو فيه نبات .
- (٧) يحيط مستنقع المم بفاية المتحرقين ، كما يحيط بالناية هذا السهل الرمل القاحل .
- (٨) يعنى حافة السهل .
- (٩) يشبه هذا الرمل صحراء ليبيا القاحلة .
- (١٠) هو ماركوس پورتشيوس كاتو (٩٥-٤٦ ق.م. Marcus Porcius Cato) سياسى روماني ومن أنصار الجمهورية ومن تلاميذ المدرسة الرواقية . عارض كلا من قيصر وپوپي ، ولكن عتما قلمت الحرب بينهما انضم إلى الأخير . وهرب بعد معركة فارصاليا إلى أفريقيا ولحق بقوات پوپي بعد سير شاق فوق رمال ليبيا المحرقة . وهزم قيصر هذه القوات ، ولم يقبل كاتو الهزيمة كما لم يرص بالانحياز إلى قيصر قاتر الانتحار . وسيجمله داتى حارساً للطريق إلى جبل المطهر :
Luc. Phars. X. 411 ...
- Purg. I. 31.
- (١١) يذكر داتى الانتقام الإلمى ، ويناسب هذا رغبته فى الانتقام الأدبى من أعدائه .
- (١٢) يعنى أن علامم الرجبة قد أوتست فى عنى داتى ، مما ينبغى أن يجعل كل من يراه يشعر رجبة الجحيم .
- (١٣) تقوس الجحيم جليها عارية ، لكنى تظهر الآثام على حقيقتها . وهذا تمهيد لرجال الفن فى عصر النهضة اللذين سيعتقون بدراسة الجسم البشرى وتشرحه للوصول إلى دقة التعبير عن المعانى الإنسانية مع إبراز مفاثن الجسم . ويستجلى هذا عند رجال التصوير والنحت وعلى الأخص عند ميكلائيجلو . وهذا كله خروج على تقاليد للصور الوسطى .
- (١٤) هذه تقوس من ارتكبوا العنث فى الحياة للدنيا .
- (١٥) يعنى أن عقابهم كان مخالفاً لما سبق ، ومتفاوت تيماً لنوع الإثم .
- (١٦) هذه إشارة إلى كاپاتيو الذى سيأتى بعد قليل .
- (١٧) فعلوا ذلك لكنى يتعرضوا لأقل قدر من النيران الهابطة عليهم ، وهم المرابون اللذين ارتكبوا العنث ضد الطبيعة وللقن .
- (١٨) هؤلاء هم من ارتكبوا اللواط وخالفوا الطبيعة .

- (١٩) يعنى أن العذاب الذى لا قوزاد إطلاقاً أَسْتَجِم بلعمة الجحيم كالمترابفة فى الدنيا .
- (٢٠) يشبه هذا سقوط النار فوق قوم لوط كما ورد فى «الكتاب المقسم» : Gen. XIX. 24 .
وهناك شبه بين هذه الصورة وبعض ما ورد فى التراث الإسلامى بالنسبة لقوم لوط :
- القرآن : الأعراف : ٨٣ ، هود : ٨٢ .
الهندى : كنز العمال (السابق الذكر) ج : ٧ : ص : ٢٤٦ : رقم : ٢٨٠٠ .
الحازن : تفسير القرآن (السابق للذكر) ج : ٣ : ص : ٢٤٩ .
- (٢١) وصل الإسكندر الأكبر فى توضحه حتى الهند . ويقال إنه كتب إلى أرسطو عن عجائب الهند ، وذكر أن الثلج سقط على جنوده ثم كرات النار .
وتوجد صورة صغيرة له ترجع إلى القرن ١١ ، وهى فى كنيسة سان جورجوس دى جريشى فى البندقية وكذلك يوجد له نحت يمثلته جالساً على محفة وعلى جانبيه جريفونان خرافيان ، ويرجع إلى القرن ١٢ ، وهو فى كنيسة سان ماركو فى البندقية .
- (٢٢) يعنى أن ألسنة النار بقيت مہاسكة حتى بلغت الأرض وهذا دليل على شتها .
- (٢٣) أى البخار الناتج عن الاحتراق .
- (٢٤) تنطق النار إذا امتنع عنها الهواء . فعل جنود الإسكندر ذلك قبل أن تسقط نيران أخرى .
- (٢٥) أى نيران الجحيم .
- (٢٦) اشتعلت الرمال بالنار كاشتعال الزناد ، وبذلك تصاعف عناب الآمين .
- (٢٧) يعنى تحركت أكتفهم على الدوام بمركبة تشبه القرص غير المستطلم لكى تطوف النيران .
- (٢٨) يعنى النيران التى تسقط دون توقف .
- (٢٩) فى الأصل الأشياء بالجحيم .
- (٣٠) يقصد الشياطين الذين حاولوا منع الشعاعين من دخول مدينة ديس كما سبق :
- Inf. VIII. 82...
- ولا يخاف هذا القول من سخريه رفيقه وجهها دانتى إلى فرجيليو ، وهو بذلك يرد رداً خفيفاً على ملاحظات فرجيليو عليه فى أكثر من موضع من الجحيم :
- Inf. III. 76-81; XI. 75-78.
- (٣١) كاپانيوس (Capaneus) بن هيونوس أحد الملوك السبعة الذين حاصروا طيبة فى الميثولوجيا القديمة ، واشتهر بقسوته وقوته الجسدية واحتقاره الآلهة . صعد أسوار طيبة وأخذ يبلن الآلهة فأرسل عليه جوبيتر صاعقة قتله . أورد أخباره استاتزيوس :
- Stat. Theb. X. 845-906, 907-911, 918 ...
- (٣٢) فى الأصل المطر .
- (٣٣) يعنى لا يخضعه هلال النار .
- (٣٤) أى أنه كما كان يحترق الآلهة فى الدنيا ، فإنه يحترق فى الجحيم .
- (٣٥) حداد الإله جوبيتر هو ابنه فولكانو ، كما ورد فى الميثولوجيا القديمة .
وتوجد صورة لفولكانو الحداد من عمل جورجيو فازارى (١٥١١ - ١٥٧٤) وهى فى القصر القديم فى فلورنسا .

- (٣٦) عندما قذف جوبيتر كاپانيو بصاعقة لم يسقط ، ومات واقفاً .
- (٣٧) يعنى بقية العمال الذين عملوا مع فولكانو فى صناعة الصواعق .
- (٣٨) مونجيبيلو (Mongibello) لفظ مأخوذ من التسمية العربية لبركان إتنا ، وهو المقصود هنا ، وأطلقوا عليه جبل النار .
- (٣٩) فليجرا (Phlegra) وادى فى تساليا أهلك فيه جوبيتر المردة الذين حاولوا صعود جبل أوليميس ، فى الميتولوجيا القديمة .
- وقد رسم جوليو رومانو (١٤٩٢ - أو ١٤٩٩ - ١٥٤٦) صورة ترمز لجوبيتر وهو يفتك بالمردة وهى فى قصر الشاى فى ماتنوا . وكذلك رسم پيرينو دل فاجا (١٥٠٠ - ١٥٤٧) صورة تمثل جوبيتر يفتك بالمردة ، وهى فى قصر دوريا فى جنوا .
- (٤٠) اعتقد كاپانيو أن الانتقام عند الله لذة وتسليه وليس لتحقيق العدالة ، وهو بذلك يتصور فى الله القوة الناشئة المادية التى توفرت لديه هو .
- (٤١) انتهى صبر فرجيليو فخرج على مألوفه وخاطب كاپانيو بمنصف شديد .
- (٤٢) يعنى أن هذه النظرة الغاشمة وهذا الغضب العاجز المستمر هو فى ذاته العقاب المناسب لطغيته .
- (٤٣) يمثل كاپانيو القوة الغاشمة والنظرة الجوفاء والكبرياء الفارغ . وقوته قوة خارجية لا تعابليها قوة الروح . وهو يتصور الله على صورته . وعندما هزمه جوبيتر اعتقد أن قوته المادية قد فاقت قوته هو ، ولم يعتقد أن قوة الله فوق القوة المادية . كان يحتقر الله فى الدنيا وظل يحتقره فى الجحيم . وقوته الوحشية الخارقة تجعله لا يشعر بنيران الجحيم . وهو ناثر على الله ، ولا يعترف بالهزيمة . هذه صورة رسمها دانتي للقوة الغاشمة الوحشية التى لا تؤيدها قوة الروح . وهذه صورة من صور البشر . وكاپانيو على عكس فاريناتا دلى أوبرى الذى يمثل قوة الروح التى تستند إلى الهدف النبيل ، كما سبق ذكره :
- Inf. X.
- (٤٤) قال له ذلك منذ قليل .
- (٤٥) الاحتقار فى ذاته هو العقاب الذى يناسبه .
- (٤٦) هكذا يحصر فرجيليو على أن يجنب دانتي المخاطر .
- (٤٧) يعنى غاية المتحريق .
- (٤٨) هذا هو استمرار لنهر الدم - فليجيتونى - الذى دار حول الدائرة الأولى والدائرة الثانية ثم وصل إلى الدائرة الثالثة فى الحلقة السابعة .
- (٤٩) يقارن دانتي هذا الجدول بالنهر ذى المياه الساخنة الحمراء اللون الذى يخرج من نبع بوليكامى (Bulicame) على مقربة من فيربو ويقال إن الماهرات كنى يستخذمن مياهه للثقافة .
- (٥٠) هنا هو مكان العبور الوحيد بين الرمال المحترقة ونهر السماء .
- (٥١) أى باب الجحيم السالف الذكر :
- Inf. III. ١ ...
- (٥٢) تطق الأبحرة المتصاعدة من نهر الدم النيران المتساقطة من السماء .
- (٥٣) فى قراءة أخرى لنص الكوميديا أعطى أو منح الغذاء .
- (٥٤) المقصود بهذا غذاء المعرفة التى لا يشبع منها دانتي .
- (٥٥) أى البحر الأبيض المتوسط .

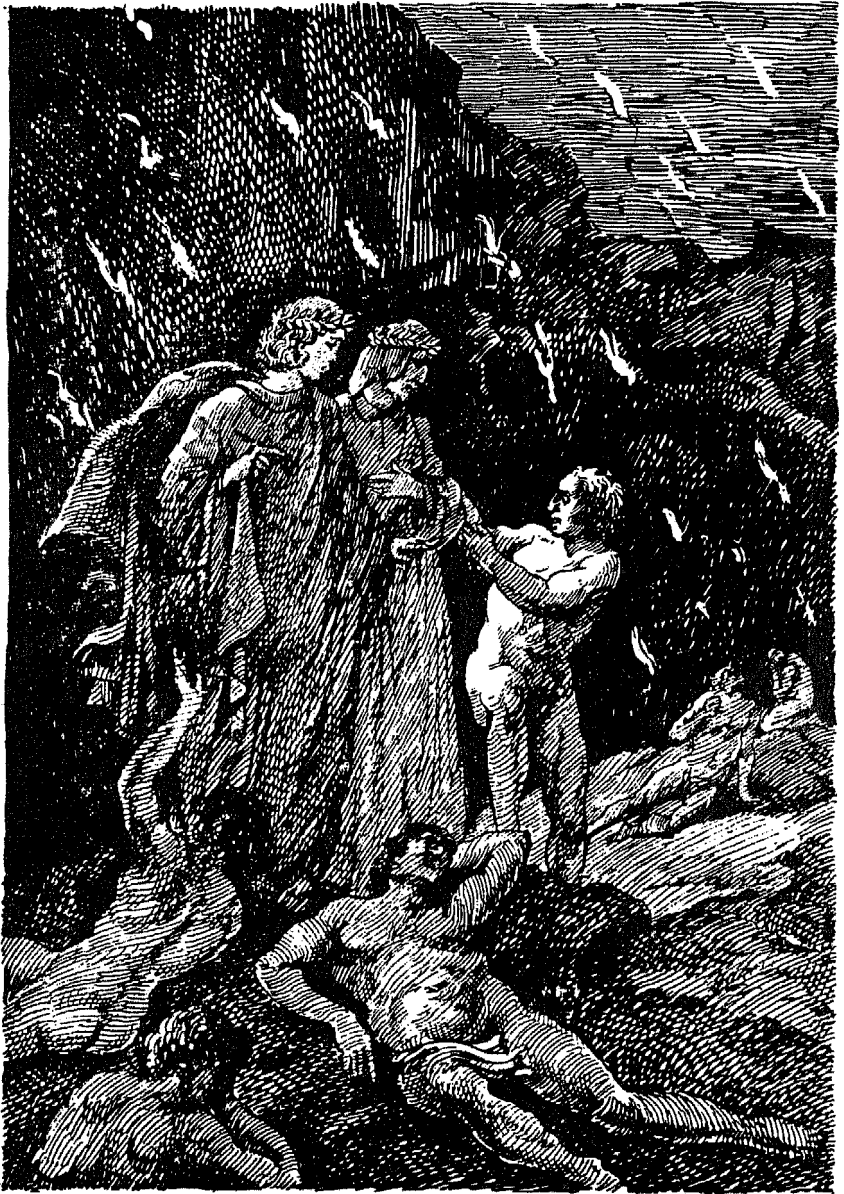
- (٥٦) يقصد العصر الذهبي لجزيرة كريت في عهد ملكها ساتورن ، كما تقول الميتولوجيا القديمة :
Virg. Æn. III. 104; VIII. 319-329.
- (٥٧) إيدا (Ida) جبل مرتفع وسط جزيرة كريت مقر زيوس وتكثر به الينابيع :
Hom. Ill. VIII. 47; XII. 19; XV. 151.
- (٥٨) في الميتولوجيا أن ريا (Rhea) زوجة ساتورن أخفت ابنها جوبيتر في جبل إيدا لكي تنقذه من بطش أبيه ، الذي سبق أن افترس بعض أبنائه وكانت تخفي صوت بكائه بإحداث أصوات عالية يصدرها بعض أتباعها :
Ov. Fasti, IV. 197-214.
- (٥٩) يقصد تمثالا كبيرا صنع من المعادن الأربعة التي تدل على العصور التي مرت بها البشرية، وكما ورد في «الكتاب المقدس» في رؤيا نبوختنصر ملك بابل :
Dan. II. 31-33.
- ووردت هذه الصورة عند أفوديوس :
Ov. Met. I. 89 ...
- (٦٠) وقف التمثال في البحر الأبيض المتوسط مركز الحضارة في العالم، وينظر مولياً ظهره إلى الشرق مهد الحضارة القديمة، ويرمز له بمدينة دسباط دون غيرها من المدن لأن شهرتها وصلت أوروبا في أثناء الحروب الصليبية القريبة إلى عهد دانتى، ويتجه التمثال صوب روما مهد الحضارة الجديدة .
- (٦١) الذهب رمز العصر الذهبي الأول قبل أن يرتكب الإنسان الخطيئة .
- (٦٢) الفضة رمز العصر الثاني .
- (٦٣) النحاس رمز العصر الثالث .
- (٦٤) الحديد رمز العصر الرابع .
- (٦٥) الصلصال رمز السلطة الدينية .
- (٦٦) القدم اليسرى وهي من الحديد رمز سلطة الإمبراطور .
- (٦٧) الدموع رمز الخطيئة .
- (٦٨) نهر أكيرونتي سبق ذكره :
Inf. III. 71.
- (٦٩) نهر أو مستنقع استيكس ورد من قبل :
Inf. VII. 106.
- (٧٠) نهر فليجيتونتي أو نهر النماء سبق ذكره :
Inf. XII. 47.
- (٧١) سيأتى ذكر هذا الممر الضيق :
Inf. XX. III. 46.
- (٧٢) يعنى أدنى موضع في الجحيم حيث مركز العالم عند دانتى ، وهناك لا يمكن الهبوط بعد .
- (٧٣) سيأتى نهر كوتشيتوس بعد :
Inf. XXXII. 22 ...
- (٧٤) لم يدرك دانتى أن هذا المجرى هو نفس فليجيتونتي ولذلك سأل فرجيليو عن ذلك .
- (٧٥) يعنى أنهما سارا حتى الآن إلى اليسار ، ولا داعى للعجب عند رؤية أشياء جديدة .
- (٧٦) هذا لأنه سيعرف كل شيء فيما بعد .
- (٧٧) يقصد مطر الدموع .
- (٧٨) يعنى أن الدم الذى يغلى في نهر الدماء كان يكنى لأن يوضح لدانتى أنه نهر فليجيتونتي .
- (٧٩) نهر ليبي في الفردوس الأرضى في المطهر :
Purg. XXVIII. 121 ...
- (٨٠) أى طريق ضيق بين النهر والرمال ، حيث لا تسقط ألسته اللهب من السماء .

(١) الأنشودة الخامسة عشرة

سار الشاعران فوق ضفة نهر فليجيتونى ، التى كان يحميا البخار المتصاعد من شواطئ اللهب الهائلة من السماء ، وعندما ابتعدا عن غابة المتحجرين ، رأى دانتى حشداً من المعدّين أخذوا يحدّون النظر فيهما . وعرف دانتى أحدهم ، ولم يمنع تشويه وجهه من أثر النيران أن يناديه باسمه ، السيد برويتو لاتينى ، وجرى بينهما موقف ودّ وصداقة متبادلة ، وعبر لاتينى عن رغبته فى السير والتحدّث إلى دانتى بعض الوقت ، فرحب دانتى بذلك ، كما أبدى استعداداه للبقاء معه فى الجحيم ، إذا زاق ذلك لفرجيليو . قال برويتو إنه لا بد له أن يتحدث وهو يسير حتى لا يشتدّ عذابه بالنار ، وظلّ دانتى سائلاً منحنى الرأس ، لأنه كان فوق الضفة المرتفعة ، وحتى يصبح أقرب إلى برويتو . وتحدّثا عن الماضى والمستقبل ، وتنبأ لاتينى لدانتى بالمجد العظيم ، وأخبره أن شعب فلورنسا الحبيث الحقود الناكر للجميل سوف يناصبه العداة للجميل صنعه ، لأنه ليس من المناسب أن يثمر حلو التين بين حامض الغُبيراء ، وسأله أن يكون حريصاً على التخلص من مساوئ ذلك الشعب . اعترف دانتى بفضل برويتو لاتينى عليه ، وقال إنه سيحتمل كلّ تقلبات الحظّ وتصاريق القدر . وذكر لدانتى أسماء بعض رفاقه فى العذاب ، من القساوسة وأصحاب الشهرة الملوطين ، وتغنى لو أنه بقى مع دانتى وقتاً أطول ، ولكنه رأى جماعة من المعدّين تثير غباراً فوق الرمال ، فترك دانتى بعد أن أوصاه خيراً بكتابه ، الكتر ، الذى يحفظ ذكره فى الدنيا ، وجرى بأقصى سرعة لكى يلحق بجماعته .

- ١ الآن تحملنا إحدى الضفتين الصلدين^(٢) ، ودخانُ الجلول يسط فوقُ ظلاً ، لكي يحمي الماء والشاطئين من النار^(٣) .
- ٤ وكالفلايتين ، بين قيسانت^(٤) وبيروجس^(٥) ، إذْ ينجشون الفيضان الذي يتدافع نحوهم ، فيقيمون سدّاً يصدّ عنهم مياه البحر^(٦) ؛
- ٧ وكأهل بادوا^(٧) ، على طول نهر بيريتتا^(٨) ، في الدفاع عما لهم من قرى وقلاع ، قبل أن تشعر كيارنتانا^(٩) بالدفء^(١٠) ؛
- ١٠ على هذه الصورة أقيم ذاك الشاطان^(١١) ، خلا أن الصانع - كائناً من كان^(١٢) - لم يشيدهما بمثل تلك الضخامة والارتفاع^(١٣) .
- ١٣ وكنا قد ابتعدنا عن الغاية كثيراً^(١٤) ، حتى لم أكن لأتبين أين كانت ، إذا ما اتجهتُ إلى الورا ،
- ١٦ حينما لقينا حشداً من النفوس ، قدموا على طول الشاطي^(١٥) ، ونظر كلٌّ منهم إلينا ، كما جرت العادة في المساء ،
- ١٩ أن ينظر الناس بعضهم بعضاً تحت القدر الحديد^(١٦) ، وحدّوا نحونا بأبصارهم هكذا ، كما يحدثُ حائكٌ عجوز في سمّ الخياط^(١٧) .
- ٢٢ وحينما وقع علىّ نظر تلك الأسرة^(١٨) ، تعرّف علىّ واحدٌ منها^(١٩) ، وأمسكني من طرف الرداء^(٢٠) ، وصاح : « أيّ عجب^(٢١) ! » .
- ٢٥ ولما مدّ ذراعه إلىّ ، حدقتُ بعينيّ في وجهه الذي أنصجتُه النار ، حتى لم تمنع سحنته المحترقة
- ٢٨ ذاكرتي أن تعرفه^(٢٢) ؛ وبينما كنتُ أحنى يدي إلى وجهه^(٢٣) أجبتُه : « أنت هنا أيها السيد برويتتو^(٢٤) ؟ » .
- ٣١ قال لي : « أيّ بئىّ^(٢٥) عسى ألا يسوعك أن يعود برويتتو معك إلى الورا قليلا ، ويترك الحشد يسير^(٢٦) » .
- ٣٤ قاتُ له : « أرجو هذا من كلّ قلبي^(٢٧) ؛ وإن أردت أن أبقى معك ، فسأفعل ذلك ، إذا راق لمن أذهب معه^(٢٨) » .

- ٣٧ قال : « يا بنى ، إن كل من يتوقف من هذا الحشد لحظة ، يستلقى بعدئذ مائة عام ، دون أن يروِّح عن نفسه عندما تُصلبه النار (٣٩) ،
- ٤٠ ولذلك سِرَّ قَدْماً : سأُتبع طرف ثوبك (٣٠) ، وسألتق بعد ذلك بِرُفقتى التى تسير باكيةً عذابها الأبدى .
- ٤٣ لم أجرؤ على الهبوط من الطريق حتى أسير فى مستواه (٣١) ؛ ولكنى بقيتُ منحني الرأس كرجل يتقدَّم فى خشوع (٣٢) .
- ٤٦ وبدأ قائلاً : « أئى حظُّ أو قدر (٣٣) ، يسوقك هنا فى أسفل ، قبل اليوم الأخير (٣٤) ؟ ومن هذا الذى يدلك على الطريق ؟ » .
- ٤٩ وأجبتة : « هناك فى الحياة الهادئة فوقنا فى العالم الأعلى ، ضللتُ فى وادٍ قبل أن تكتمل منى السن (٣٥) .
- ٥٢ ووليتته ظهري صباح أمس فحسب (٣٦) : وظهر لى هذا الدليل (٣٧) ، حينما كنتُ أترجع فيه ، وهو يقودنى فى هذا الطريق إلى المستقر (٣٨) .
- ٥٥ قال لى : « إذا أنت اتبعتَ نجمك ، فلن يفوتك بلوغ المرفأ المحيد (٣٩) ، إن صحَّ ما تنبأتُ به فى الحياة الجميلة (٤٠) ؛
- ٥٨ ولو لم أكن متُّ قبل الأوان (٤١) ، ورأيت السماء رفيقةً بك هكذا ، لكنك منحتك العون فى عمك (٤٢) .
- ٦١ ولكن ذلك الشعب الخبيث الناكر للجميل (٤٣) ، الذى هبط قديماً من فيزولى (٤٤) ، ولم يزل محتفظاً بطبيعة الصخر والجبل (٤٥) ،
- ٦٤ سيصير عدواً لك بجميل صنُعتك (٤٦) : ولهذا سببٌ ، إذ ليس من المناسب أن يُثمر حلوُّ التين بين حامض الغبراء (٤٧) .
- ٦٧ سمعةٌ قديمة فى الأرض تصمهم بالعمى (٤٨) ؛ وهم شعبٌ بخيلٌ حسودٌ متنطرسٌ : فاحرص على أن تُبرئى نفسك من عاداتهم (٤٩) .
- ٧٠ ويحفظ لك حظك رفيع الشرف ، حتى يساور النهم عليك هذا الحزب وذاك (٥٠) ؛ ولكن العشب لن يكون فى متناول العنز (٥١) .



٨ - برونيو لاتي وشواظ المهب

أنشودة ١٥ : ٢٢ ...

- ٧٣ فليجعل وحوش فيزولى من أنفسهم حصيداً يابساً^(٥٢) ، ولكنهم لن يمساو النبات بأذى^(٥٣) ، إذا كان بعضه لا يزال ينبت فى حبسهم ،
- ٧٦ الذى تنبث فيه البذرة المقدسة لأوثك الرومان الذين ظلوا هناك ، حينما بُنى وكرُّ لهذا الحقد الشديد^(٥٤) .
- ٧٩ أجبته : « لو كانت رغبتى تحققت تماماً ، لما كنت أبعدت عن طبيعة البشر بعد^(٥٥) ؛
- ٨٢ إذ بقيت راسخةً فى ذهنى ، وهو ما يجزئى الآن^(٥٦) ، صورتك الأبوية العزيزة الطيبة ، عندما كنت تعلمنى فى الدنيا من ساعة
- ٨٥ لأخرى ، كيف يخلد المرء نفسه^(٥٧) : وطالما أحياء ، ينبغي أن يفصح لسانى : كمّ ذا أعترفُ لك بالجميل^(٥٨) .
- ٨٨ وذلك الذى تقصّه عن مصيرى^(٥٩) ، أنا أسجله وأحفظ به ، لكى تفسره لى ، مع غيره من قول^(٦٠) ، سيدةٌ سوف تعرفه إذا وصلت إليها^(٦١) .
- ٩١ وأريد حقاً أن يكون هذا واضحاً لك ، ولكيلا يؤتبنى ضميرى ، فإنى على أهبة للقاء الحظّ كما يريد بى .
- ٩٤ وليس جديداً على أذنى مثل هذه النبؤة : ولذلك فليستدرّ الحظّ عجلته كما يروق له^(٦٢) ، وليعمل الرينى فأسه^(٦٣) .
- ٩٧ عندئذ استدار أستاذى إلى الوراء صوب اليمين ، ونظر إلى^(٦٤) ، ثم قال « منّ يُحسن إنصافاً يحسن فهماً^(٦٥) » .
- ١٠٠ وأنا ، على رغم ذلك ، أوصل السير متحدثاً مع السيد يرويتو ، وأسأل منّ هم أشهر رفاقه وأعلام قدرأ^(٦٦) .
- ١٠٣ قال لى : « من الخير أن تعرف منهم بعضاً ، أما الآخرون فالسكوت عنهم أفضل ، لأن الوقت سيقصر عن هذا الكلام الكثير^(٦٧) .
- ١٠٦ واعلم فى كلمة ، أن جميعهم كانوا قساوسةً ، وأدباء عظاماً ، وذوى شهرةٍ واسعةٍ ، ووصمتهم فى الدنيا خطيئةً واحدة^(٦٨) .

- ١٠٩ پریشان یذهب^(٦٩) مع ذلك الحشد البائس ، وكذلك فرنتشسكو
داكوسو^(٧٠)؛ وإذا رغبت أن ترى مثل هذا القدر، فإنك مستطيع أن
١١٢ ترى من^(٧١) نقله خادمُ سدنة الله^(٧٢)، من الأرنو إلى باكيليو^(٧٣)،
حيث ترك أعصابه المرهقة^(٧٤) .
- ١١٥ كم أودَّ أن أزيد من القول ، بيدَ أني لا أستطيع أن أُطيل السير
والحديث^(٧٥) ، فإنني أرى هناك دخاناً جديداً ينبعث من الرمال^(٧٦) .
- ١١٨ ويأتى قومٌ ينبغي ألا أكون معهم^(٧٧) : فأوصيك بكتابي الكنز ، الذى
أحيا فيه بعدُ ، ولست أسأل مزيداً^(٧٨) .
- ١٢١ ثم قفل راجعاً ، وبدا أنه من أولئك الذين يتسابقون على العلم الأخضر
فى ريف فيرونا^(٧٩) ، وظهر من بينهم أنه من يظفر ،
١٢٤ وليس ذلك الذى يخسر^(٨٠) .

حواشي الأنشودة الخامسة عشرة

- (١) هذه أنشودة من ارتكبوا العنف ضد الطبيعة أو قصيدة الملوطين ، وتسمى أيضاً أنشودة برونيثولانتى .
- (٢) هذا هو ما أشار به فرجيليو فى الأنشودة السابقة :
Inf. XIV. 139-142.
- (٣) سبقت هذه الظاهرة فى الأنشودة السابقة :
Inf. XIV. 90.
- (٤) فيسانت (Wissant) مدينة صغيرة فى غربى الفلاندر وعلى مقربة من كاليه .
- (٥) بروجس (Bruges) مدينة تقع فى شرقى الفلاندر . وكانت هذه المنطقة أقرب إلى ساحل بحر الشمال فى عهد دانتي .
- وتوجد صورتان صغيرتان ترجمان لى القرن ١٥ ، واحدة تمثل بروجس والأخرى تمثل ما بين فيسانت وبروجس ، وهما فى المكتبة العامة فى برسلاو فى ولندا .
- (٦) يوازن دانتي بين نهر فليجيتونى وذلك السد فى بلاد الفلاندر .
- (٧) كذلك أقام أهل بادوا حاجزاً يحميهم من فيضان نهر برينتا .
- (٨) نهر برينتا (Brenta) فى شمال إيطاليا يمر بهادوا ويصب فى الأدرياتيك .
- (٩) كيارنتانا (Chiarentana) منطقة اختلف الباحثون فى تحديدها . قال بعضهم إنها تقع فى الألب الإيطالية ، وقال آخرون إنها منطقة دوقية كارينتريا فى إلبريا ، وكانت تمتد حتى تشمل منبع برينتا وبادوا إلى ١٣٢٢ .
- (١٠) يعنى قبل أن يأق دفع الربيع ويذوب الثلج فيفيض نهر برينتا على بادوا . وقد عاش دانتي بعض الوقت فى بادوا وشهد ذلك السد .
- (١١) يوازن دانتي أيضاً بين شاطىء فليجيتونى وذلك السد .
- (١٢) يعنى الله .
- (١٣) أى أن شاطىء فليجيتونى كانا أقل ارتفاعاً من سد الفلاندر ومن حاجز برينتا . وفى هذا نوع من السخرية بعمل الإنسان .
- (١٤) أى غابة المنتحرين .
- (١٥) كان هؤلاء من ارتكبوا العنف ضد الطبيعة كما سبقت الإشارة إليهم :
Inf. XI. 48-50; XIV. 24-25.
- (١٦) أى نظروا بتدقيق لضئف الضوء وقت المساء ، وفى ظهور الهلال الجديد بعض الأمل فى الرؤية . استمد دانتي هذه الصورة من البشر فى حضن الطبيعة . وتوجد صورة مشابهة عند فرجيليو :
Virg. Æn. VI. 268 ...
- (١٧) هذه صورة خياط عجوز ضعيف النظر يريد أن يدخل الحيط فى ثقب الإبرة فيكسر حاجبيه ويدقق النظر حتى يستطيع ذلك . وهذه صورة مستمدة من حياة الإنسان فى صناعته . هكذا يعطى دانتي هذا التصوير البارع الذى يدل على دقة الملاحظة ، وكل لفظ فيه عبارة عن صورة .

- (١٨) يستخدم دانتى لفظ الأسرة للدلالة على جماعة الملوطين الذين لم يحفلوا بالروابط الأسرية . وفي هذا سخرية هؤلاء المعنين .
- (١٩) يأتي دانتى في الأصل بالفعل المبني المجهول . ولا يكاد المعنى يتغير بهذا التصرف .
- (٢٠) كان دانتى يسير فوق شاطئ نهر فليجيتوتى وكان المعنوبون يسرون فوق الرمال المحترقة التي انخفضت عن مستوى الشاطئ بما يقرب من قمة الإنسان ، ولذلك لم يستطع هذا المذهب أن يلفت نظر دانتى إلا بإسماكه من طرف ثوبه في أسفل .
- (٢١) تعجب المذهب وبعث لأنه كشف أن دانتى إنسان حتى .
- (٢٢) لم يمنع تشويه وجه هذا المذهب من أن يتعرف دانتى عليه .
- (٢٣) يعنى أن دانتى انحنى حتى اقتربت يده من وجه هذا المذهب . وفي قراءة أخرى لنص الكويديا أن دانتى خفض وجهه لا يده حتى اقترب من وجه المذهب الذي يسير على الرمال . وليس هناك فرق يذكر بين التمييزين في الدلالة على المعنى المقصود .
- (٢٤) برونيو لاتيني (Brunetto Latini ١٢١٠ - ١٢٩٤) مواطن فلورنسى اشتهر في مجال الأدب والثقافة وفي ميدان السياسة والوظائف . قام بعدة سفارات إلى الخارج ، وعلى الأخص زيارته لألفونسو العاشر ملك قشتالة . وكان من حزب الخلف . وضع كتاب الكنز (Le Trésor) وهو دائرة معارف باللغة الفرنسية . وكتب الكنز الصغير (Il Tesoretto) شعراً بالهجة السكانية ، ويحترق تمهيداً للكويديا . وكان لاتنى صديقاً لدانتى وفتح له أبواب المعرفة وغرس في نفسه حب الوطن وتخليد الأذى . ومات وكان دانتى لا يتجاوز الثلاثين .
- (٢٥) يخاطبه بلطف البتة ، التي كان يلذ لدانتى سماعها . وهذه كناية عن صلتهما القوية في الدنيا .
- (٢٦) يسأله في وقت هل من المستطاع أن يرافقه في سيره قليلا ، وفي هذا حنين المواطن إلى المواطن والصديق إلى الصديق . وما إن رأى برونيو دانتى حتى أراد أن يصاحبه لكي يستعيد ذكرياته العزيزة بعض الوقت . ويذكر اسمه مع أن دانتى عرفه منذ قليل ، لكي يسمه رفيق هذا الاسم العزيز لديه . وهذه عاطفة مرهقة لا يدركها إلا الإنسان المرهف الحس .
- (٢٧) قابل دانتى عاطفة برونيو بالمثل واستجاب لحنيه وإعزازه .
- (٢٨) لا يرجو دانتى بكل قوته أن يبقى مع برونيو قليلا فحسب ، بل هو مستعد أن يبقى معه في الجحيم على الدوام ، إذا لم يعترض فرجيليو على ذلك . وهذا موقف إنساني مليء بالمعاطفة .
- (٢٩) عقاب من ارتكبوا العنف ضد الطبيعة هو أن يدوروا على الدوام . ومن يتوقف منهم لحظة يبقى مائة عام في مكان واحد دون أن يستطيع تخفيف شيء من أثر التياران التي تعرقه فوق الرمال .
- (٣٠) ولذلك فهو مضطر إلى متابعة المسير ، فيسأل دانتى أن يعض في سيره بيئياً هو يتبعه من أسفل محاذياً لطرف ثوبه . ويوضح هذا إلى أي حد كان برونيو حريصاً على صحة دانتى أي وقت مستطاع .
- (٣١) كان دانتى يؤثر أن يهبط لكي يسير إلى جانب برونيو ، ولكن كان هذا ممنوعاً عليه .
- (٣٢) خفض دانتى رأسه لكي يكون أقرب إلى برونيو . وهذان هما الرجلان اللذان جمع بينهما للوطن والأدب والسياسة .

- (٢٣) يشبه هنا قول فرجيليو :
 (٢٤) أى وهو لا يزال على قيد الحياة .
 (٢٥) يقصد بلوغه منتصف العمر ، أى سن الخامسة والثلاثين ، عند ما دخل داتى
 Inf. I. 1. :
 Inf. I. 37. :
 (٢٦) أى صبح ٨ أبريل ١٣٠٠ :
 (٢٧) أضفت (الدليل) للإيضاح ، والمقصود فرجيليو ، الذى لا يذكر داتى اسمه
 للائمين .
 (٢٨) يقصد الفردوس ، ويعد داتى أن هناك مقوم .
 (٢٩) أى إلى الخلود . ويتفق هذا مع قول داتى فى الفردوس عن نجمة :
 Par. XXII. 112-113.
 وكان برونتيو يترك ملاحح العبقرية على داتى منذ شبابه .
 (٤٠) يعنى الحياة الدنيا .
 (٤١) أى إذا كان قد عاش حتى يرى داتى وقد وضع الكويديا .
 (٤٢) أى أنه كان يرجو أن يعيش لكي يفرح بعمل داتى ويعاونه فيه .
 ويوجد عمود المقلمة فى ضريح برونتيو لائق فى كنيسة سانتا ماريا مادجورى فى فلورنسا .
 (٤٣) يعنى شعب فلورنسا .
 (٤٤) استولى الرومان على فيزول (Fiesole) وأنشأوا فى مواجهتها فلورنسا . ويقال إن
 هذا حدث فى عهد يوليوس قيصر ونشأ شعب فلورنسا من بقايا شعب فيزول ومن بقايا الجيش
 الرومانى .
 (٤٥) أى احتفظ شعب فلورنسا بصفات الصلاة والخشوة .
 (٤٦) هذه إشارة إلى ما سيناله داتى على يد شعب فلورنسا بسبب أعماله الطيبة . سبق
 أن تبنياً تشاكو وقاريناتا بنو داتى :
 Inf. VI. 64-69; X. 79-81.
 (٤٧) يوازن برونتيو بين داتى ولتين الحلو وبين شعب فلورنسا وأشجار الفيراه الحامضة
 اللتان .
 (٤٨) تقول قصة قديمة إن يريزا خدمت فلورنسا بإرسالها إليها عمودين ثالثين من الرخام
 كهدية من أجل مساعدتها فى أثناء حملة جزر البليار ، وقبلت فلورنسا الهدية دون أن تعطن
 إلى التلف ، ولهذا أطلقت على شعبها صفة العمى .
 (٤٩) هكذا يحرم برونتيو على أن ينجب داتى أخطاء شعب فلورنسا .
 (٥٠) أى أن كلا من حزب البيض وحزب السود سيحرص على الإيقاع بلداتى .
 (٥١) يعنى أن داتى لن يكون فى متناول أعدائه . وكان هذا من الأخطاء السابقة .
 (٥٢) أى فليترق أهل فلورنسا بعضهم بعضاً .
 (٥٣) النبات رمز لداتى وسط الحصيد الجاف اليابس .
 (٥٤) هذه إشارة إلى وجود الدم الرومانى فى فلورنسا . ويقصد فلورنسا بوكر الحقد .
 (٥٥) أى ليق على قيد الحياة .
 (٥٦) أى يؤله الآن هذا العناب الذى يلاقيه برونتيو فوق الرمال المحترقة .

(٥٧) لم يكن برونيو معلماً محترفاً ولكنه كان مرشداً لدانتي وصديقاً له أفاده بثقافته الواسعة .

(٥٨) دانتي معترف بالجميل .

(٥٩) أى ما تنبأ به منذ هنية .

(٦٠) أى تنبؤ فاريناتا بنفى دانتي مثلاً .

(٦١) يعنى بياتريشى . وسبق أن قال له فرجيليو إنه سيرف من بياتريشى مصيره وقصة حياته :
Inf. X. 132.

(٦٢) أى أن دانتي سيحتمل كل تقلبات الحظ وتصاريق القدر .

(٦٣) أى أنه سيحتمل ما يصدر عن إرادة الإنسان . وكان هذا القول من الأمثلة الشائعة في فلورنسا في عهد دانتي .

(٦٤) كان فرجيليو يسير متقدماً على دانتي ، وكان برونيو يسير على الرمال وعلى يمين دانتي .

(٦٥) بهذا يطرى فرجيليو دانتي ويبدى ارتياحه لإنصاته وحسن فهمه .

(٦٦) كان دانتي لا يزال حريصاً على المزيد من المعرفة .

(٦٧) كان الوقت ضيقاً لا يتسع لحديث طويل ، وهذا تهديد لافتراقهما .

(٦٨) أى أنهم ارتكبوا اللواط أو العنف ضد الطبيعة ، على رغم شهرتهم وكونهم من رجال الأدب ورجال الدين . لم يعف دانتي صديقه برونيو من العذاب في الجحيم لأنه أشهر بهذه الصفة .

(٦٩) پريشان دا تشزاريا (Priscian da Cesarea) أستاذ اللاتينية في القسطنطينية في أوائل القرن ٦ . وضع مؤلفاً كبيراً في قواعد اللغة اللاتينية نال شهرة واسعة في أثناء العصور الوسطى .

(٧٠) فرنتشسكو داكورسو (Francesco d'Accorso ١٢٢٥ - ١٢٩٢) من أصل فلورنسى وولد في بولونيا وأصبح أستاذاً للقانون في جامعتها وعلم القانون في أكسفورد بعض الوقت ، وجمع في إنجلترا ثروة طيبة ، ورجع إلى بولونيا . واشتهر بمؤلفاته القانونية وبمارسته الربا .

(٧١) هو أندريا دى موتزى (Andrea dei Mozzi) مواطن فلورنسى عاش في القرن ١٣ وأصبح من رجال الدين .

(٧٢) أى البابا ، ومن ألقابه خادم خدام الله ، والمقصود بونيفاتشو الثامن .

(٧٣) يعنى أن بونيفاتشو الثامن نقل أندريا دى موتزى من فلورنسا على نهر الأرنو إلى أسقفية فيتشينزا على نهر باكيليونى (Bacchiglione) في ١٢٩٦ .

(٧٤) أعصابه مرهقة بسبب الخطيئة التي ارتكبها ، وترك أعصابه المرهقة يعنى مات .

(٧٥) كان برونيو يود أن يطيل الحديث والسير مع دانتي ، ولكن كان لابد من افتراقهما ، وفي هذا تكرر لمعنى الود القديم بينهما .

(٧٦) أثار هذا للدخان الجديد جماعة أخرى من المعذنين في أثناء سيرهم .

(٧٧) هذه جماعة أخرى من ارتكبوا العنف ضد الطبيعة ، وهم ينتسبون طوائف حسب طبقاتهم ودينتهم . كانت هذه جماعة من شغلوا المناصب السياسية .

(٧٨) يوصيه خيراً بكتابه الكتيز الذى يخلد ذكره في الدنيا .

(٧٩) كان يقوم هذا السباق في أرض فضاء على مقربة من ضاحية سانتا لوتشيا بالقرب من فيرونا . وكان الفائز فيه ينال علماً أخضر . يعنى أن برونيو لاتيى جرى بأخر سرعة مثل من اشتركوا في ذلك السباق ، جرى وهو الرجل المسن العالم المثقف الذى شغل مناصب هامة . وهذا جزء من العقاب الذى رأى دانتى أنه يستحقه .

(٨٠) كان آخر من يصل إلى نهاية السباق ينال ديكاً علامة الهزيمة . وهذه صورة مستمدة من الحياة الاجتماعية التى عرفها دانتى .

الأنشودة السادسة عشرة^(١)

سمع الشاعران في سيرهما دوى المياه الساقطة إلى الحلقة الثامنة ، ورأيا أشباح
معذنين ثلاثة ، انفصل أصحابها عن جماعتهم ، ودعوا داتى إلى الوقوف قليلا ،
عندما تبينوا أنه مواطن فلورنسى مثلهم . طلب فرجيليو إلى داتى التريث لأن
هؤلاء جديرون بحسن المعاملة . قدم الثلاثة على داتى وجعلوا من أنفسهم
حلقة تدور على الدوام ، وتحدثوا في دوراتهم : وكان هذا هو عقابهم . كانوا
جويلو جوربا وتيجايو ألدوبراندى وجاكوبو روستيكوتشى ، وهم فرسان
فلورنسيون شجعان اشتهروا بالبطولة والوطنية . وكانت خطيبتهم اللواتى ، مثل
برونيتو لاتينى ، في القصيدة السابقة . قال داتى إنه مواطن من مدينتهم ،
وإنه أنصت لأخبارهم دائما وردد أسماءهم وأعمالهم المحيطة بكل إعزاز . سأله
روستيكوتشى ألا تزال فلورنسا موثلا للشجاعة والكياسة كالعادة . وأجابه داتى
بأن محدثى النعمة والأرباح العاجلة قد أشاعت الغطرسة والإفراط في فلورنسا .
سأل الثلاثة داتى أن يذكروهم في الدنيا عند عودته إليها ، ثم هرولوا إلى جماعتهم ،
وفي الحرب بدت سيقانهم السريعة كأنها أجنحة . تابع الشاعران المسير واقتربا
من مسقط مياه كان له دوى شديد ، مثل دوى نهر أكوا كويتا ، وكان ذلك
الدوى قميئا بأن يصيب أسماعهما بالصمم . خلع داتى جبلا كان ملتغا به
حول وسطه ، وناوله لفرجيليو ، الذى أتى به في الهاوية وتوقع داتى أنه سيرى
شيئا غير مألوف . وأقسم داتى بأبيات الكوميديا أنه رأى كائنا عجيبا يصعد
ساجبا في الهواء المظلم الكثيف ، ويقرب منهما ، مثل ملاح يأتى إلى الشاطئ ،
ويخلص رواسى سفينة تشبث بحجر تحت الماء ، وهو يمد ذراعيه إلى أعلى
ويضم قلميه .

- ١ لقد كنت في مكان يُسمع عنده، هدير المياه التي اساقطت في الدائرة الأخرى^(١٢) ، مثل اللوى الذي يصنعه النحل^(١٣) ،
- ٤ حينما غادرت أشباح ثلاثة معاً ، وهي تجرى ، جماعة^(١٤) كانت تسير تحت وإبلر من العذاب الشديد^(١٥) .
- ٧ أقبلوا نحونا^(١٦) ، وصاح كل منهم : وقف ! يا مَنْ تَبَلُّو لنا من زيك^(١٧) ، واحداً من مدينتنا المنحرفة^(١٨) .
- ١٠ وآسفاه ، كم رأيت على أعضائهم من نلوب ، حديثة وقديمة^(١٩) ، نقشتها ألسنة اللهب ! ولا أزال أتألم منها لمجرد ذكرها^(٢٠) .
- ١٣ تنبه إلى صياحهم أستاذي ؛ فلفت وجهه إلى ، وقال : انتظر : ينبغي أن يكون المرء رقيقاً بهؤلاء^(٢١) .
- ١٦ ولولا النار التي تقذف بها طبيعة هذا المكان ، لقلت لك إن إسرارك إليهم خيرٌ من إسراعهم إليك^(٢٢) .
- ١٩ ولا وقتنا استأنفوا عويلهم القديم^(٢٣) ؛ فلما وصلوا إلينا جعل ثلاثهم جميعاً من أنفسهم حلقة واحدة^(٢٤) ،
- ٢٢ كما اعتاد أن يفعل أبطال الرياضة العراة المطليسون بالزيت ، وهم يتحيتون مسكاتهم وفرص ظفرهم ، قبل أن يلتحموا ويتضاربوا فيما بينهم^(٢٥) ؛
- ٢٥ وفي دورانهم هكنا صوب كل منهم وجهه نحوي حتى أخذت رقابهم تتحرك على اللوام ، في اتجاه يخالف حركة الأقدام^(٢٦) .
- ٢٨ بدأ أحلم : « إذا كان بؤس هذا المكان الرخو^(٢٧) ووجهنا المشوه المسود^(٢٨) ، مما يجلب الزرابة علينا وعلى صلواتنا^(٢٩) ،
- ٣١ فقل شهرتنا تحمل عقلك على أن يخبرنا مَنْ أنت^(٣٠) ، يا مَنْ يحرك قديمك ديب الحياة خلال الجحيم يمثل هذا الاطمئنان^(٣١) .
- ٣٤ إن هذا^(٣٢) الذي تراني أمشي على آثار قلمي ، وإن سار الآن عارياً مشوهاً^(٣٣) ، كان رفيع المقام إلى حد لا يدور بخلسلك :

- ٣٧ كان حميد جوالد رادا الطيبية^(٢٤)؛ ودُعِيَ باسم جويدو جویرًا ، وفي حياته صنع أعمالًا كثيرة ، بالرأى والسيف .
- ٤٠ والآخر الذى يطل الرمل من ورأى ، هو تيجيايو ألدوجراندى^(٢٥) ، الذى لا بد أن تكون ذكراه حميدة ، فوقنا فى الدنيا^(٢٦) .
- ٤٣ وأنا الذى وُضعتُ فى العذاب معهما^(٢٧) ، كنت جاكوبو روستيكوتشى^(٢٨) وفى الحق أن الزوجة المتوحشة تؤذنى أكثر من غيرها^(٢٩) .
- ٤٦ ولو كنتُ فى وقايةٍ من النار لألقيتُ بنسى بينهم إلى أسفل^(٣٠) ، وأعتقد أن أستاذى كان سيأذن لى بذلك ؛
- ٤٩ ولكن لما كنتُ سأحرق وينضج جلدى ، فقد غلب الحوفُ على رغبى الصادقة ، التى جعلتنى مشوقاً إلى عناقهم^(٣١) .
- ٥٢ ثم بدأتُ : « لَمَّ تغرس حالتكم زرايةً فى نفسى ، ولكن ألمًا يمكث طويلاً قبل أن ينضو عنى كله^(٣٢) .
- ٥٥ ولما قال لى سيدى هذا كلماتٍ ، جعلتنى كلماته أفكر أن قوماً فى مثل حالكم ربما يقدمون^(٣٣) .
- ٥٨ أنا من مدينتكم^(٣٤) وقد رَدَدْتُ وأصغيتُ بإعزازٍ دائماً وأبداً ، إلى أعمالكم وأسمائكم المجيدة^(٣٥) .
- ٦١ وإنى أترك مسرَّ العفص وأرتاد حلوَ الثمار التى وعدنى^(٣٦) بها دليلى الصلوق؛ ولكن على أن أهبط أولاً إلى القرار^(٣٧) » .
- ٦٢ أجاب بعد ذلك المذنبُ : « ألا فلتسحى النفسُ أعضاءك طويلاً^(٣٨) ، ولتسطع شهرتك من بعدك ،
- ٦٧ ولكن أخبرنى ، ألا تزال الشجاعة والكياسة كامةً فى مدينتنا كالعادة هكذا . أم نزع ذلك عنها تماماً^(٣٩) ؟
- ٧٠ فإن جوليئسمو بورسييرى^(٤٠) الذى يتألم معنا منذ قريب^(٤١) ، ويسير هناك مع رفاقه ، يعذبنا بكلماته كثيراً^(٤٢) » .

- ٧٣ « إن محدثي النعمة والأرباح المفاجئة^(٤٣) ، ولدت فيك يافورنترا الغطسة والإفراط ، حتى لتبكين اليوم من ذلك^(٤٤) » .
- ٧٦ هكذا صحتُ ووجهي متطلع^(٤٥) ؛ والثلاثة الذين أدركوا أن في ذلك جواباً ، نظر بعضهم بعضاً كما يواجه الناس الحقيقة^(٤٦) .
- ٧٩ أجابوا جميعاً : « إذا كانت مرضاة الآخرين كلّفتك هكذا قليلاً في المرّات السابقة ، فإنك لسعيدٌ إذا كنت تتكلم كما يروق لك^(٤٧) !
- ٨٢ ولهذا إذا أنت خرجت من هذه الأماكن المظلمة ، ورجعت إلى رؤية النجوم الجميلة ، وعندما يحلو لك قول إني كنت^(٤٨) ،
- ٨٥ فاعمل على أن تحدث منّا لدى الناس ذكراً^(٤٩) . وعندئذ فضوا حلقتهم^(٥٠) ، وفي الهرب غدت أجنحة سيقانهم السريعة^(٥١) .
- ٨٨ ولم يكن مستطاعاً قول آمين ، بمثل هذه السرعة ، بينما كانوا يختفون ، وحينئذ بدا لأستاذي أن نرحل .
- ٩١ وتبعته ؛ وما إن سرنا قليلاً حتى اقترب إلينا خريير المياه^(٥٢) حتى لم يكدر يُسمع لنا صوت^(٥٣) .
- ٩٤ وكذلك النهر^(٥٤) الذي يجري في أوّل مجرى مستقل^(٥٥) . من جبل فيزو^(٥٦) صوب الشرق^(٥٧) . على الجانب الأيسر من الأبنين^(٥٨) ،
- ٩٧ والذي يسمى في أعلى أكواكويتا : قبل أن يهبط إلى المجرى الأدنى^(٥٩) ، ثم يفقد هذا الاسم عند فورلي^(٦٠) .
- ١٠٠ ويلدوي هناك فوق سان بيندتو^(٦١) في جبال الألب ، وهو يسقط في منحدر ، حيث ينبغي أن يكون معتصماً لألف شخص^(٦٢) :
- ١٠٣ هكذا في أسفل شاطئ منحدر . وجدنا تلك المياه القائمة^(٦٣) تدوي دويّاً ، كان ممكناً أن بصم آذاننا في وقت قليل^(٦٤) .
- ١٠٦ وكان معي جبل التفّ من حولي ، وقد فكرت مرّة أن أمسك به الفهدة ذات الجلد الأرقط^(٦٥) .

- ١٠٩ وبعد أن فككته كله من حولي ، كما أمرني بذلك دليلى ، قدمته إليه ملفوفاً ومطويماً .
- ١١٢ وحينئذ استدار إلى الجانب الأيمن ، وعلى مسافة قليلة من الحافة ، أتى به إلى أسفل^(٦٦) ، في تلك الهاوية السحيقة .
- ١١٥ قلت في نفسي : « لا بد أن يستجيب شيءٌ غير مألوفٍ لهذه الإشارة الجلدية ، التي يتابعها أستاذي هكذا بعينه^(٦٧) » .
- ١١٨ أواه ، كم ينبغي أن يأخذ الناس الحذر ، بقرب من لا يرون الأعمال وحدها ، ولكن يفتنون بدكائهم إلى الأفكار^(٦٨) !
- ١٢١ قال لي : « سيأتي إلى أعلى تَوّاً ، ما أنا أنتظره وما يحلم به فكرك^(٦٩) : وهو ما ينبغي أن ينكشف لعينيك سريعاً » .
- ١٢٤ يجب على الإنسان دائماً أمام ذلك الصديق الذي له مظهر الكذب ، أن يُغلق شفثيه لأقصى ما يستطيع ، وإلا أثار اللوم دون خطيئة^(٧٠) ؛
- ١٢٧ ولكني لا أستطيع هنا صمتاً ؛ وأقسم لك أيها القارئ: بأبيات هذه الكوميديا^(٧١) ، ولعلها لا تعوزها الخطوة الطويلة الأمد^(٧٢) ،
- ١٣٠ إنني رأيت في ذلك الهواء المظلم الكثيف ، كائناً يأتي إلى أعلى ساجحاً ، يثير الرعب في كل قلبٍ رايط الجأش^(٧٣) ،
- ١٣٣ وكان كما يعود ذلك الذي يهبط أحياناً^(٧٤) ، لكي يختص رواسي سفينةٍ تشبَّتَ بحجر ، أو بشيءٍ غيره في البحر مختبئ^(٧٥) ،
- ١٣٦ وهو يعدّ ذراعيه إلى أعلى ويضمّ قلميه^(٧٦) .

حواشي الأنشودة السادسة عشرة

- (١) هي تكلية للأنشودة السابقة ، ويمكن أن تسمى أنشودة الفلورنسين الثلاثة .
- (٢) هذه إشارة إلى الحلقة الثامنة التي أخذ الشاعران في الاقتراب منها .
- (٣) كان صوت المياه الساقطة غير واضح بسبب البعد ، وكان يشبه دوى التحل .
- (٤) هذه جماعة من شغلوا وظائف عامة حريرية أو مدنية .
- (٥) يعنى مطر التيران المتساقطة من السماء .
- (٦) كانت هذه الجماعة تسير في اتجاه مضاد للشاعرين ، يعنى أن هؤلاء الثلاثة جاؤا من ناحية مسقط الهاوية .
- (٧) كان داتى يلبس ما يشبه العباة ، وفوق رأسه التطاء الفلورنسى ، كما يبدو في كل رسومه .
- (٨) يعنى فلورنسا التي سادها الفساد والقوضى .
- (٩) هذا كناية عما لحقهم من العذاب الشديد .
- (١٠) هكذا أحس داتى بآلام هؤلاء المعذبين .
- (١١) أشار فرجيليو على داتى بالانتظار والإنصات لهؤلاء المواطنين الفلورنسين الذين يجب أن يلقوا كل رعاية وكياسة ، على عكس احتقاره فلورنسين غيرهم كما سبق : Inf. III. 49-51 .
- (١٢) ذلك لأنهم أهل قدر وشرف .
- (١٣) كانوا سيكونون من الألم ، وأوقفوا بكامهم لحظة ثم عادوا إلى البكاء .
- (١٤) كان عقابهم أن يسيروا على اللوام بغير توقف ، ولذلك جعلوا من أنفسهم حلقة تدور دائماً .
- وهناك نوع من الشبه مما جاء في التراث الإسلامى في التمامين بين الناس الذين لا يقرون لحظة ، وكذلك بالنسبة لما ورد في الأنشودة السابقة :
- الشعراني : مختصر تذكرة القرطبي (السابق الذكر) . ص : ٧٦ .
- (١٥) كانت تحدث مثل هذه المصارعات عند الرومان واليونان ، كما كانت تحدث في العصور الوسطى . وهذه صورة من صور الرياضة في ذلك العصر .
- (١٦) كان يدور ثلاثتهم في شكل عجلة ، وفي الوقت نفسه أداروا رؤوسهم نحو داتى حتى يمكنهم رؤيته والتحدث إليه .
- (١٧) المكان رخو لوجود الرمال .
- (١٨) سودت التيران وجوههم وشوهتها وسلختها .
- (١٩) لم تكن تقبل لهم صلاة ولا ضراعة .
- (٢٠) يسأله المتكلم باسم شهرته أن يخبره عن شخصه .
- (٢١) يعنى أن داتى يسير خلال الجحيم دون أن يخشى التيران .

(٢٢) هو جويدو جوريرا السادس من آل جويدى (١٢٢٠ م - ١٢٧٢ Guido Guerra) مواطن فلورنسى من أنصار الجلف ، وتزعم الجلف الخارجين من فلورنسا بعد هزيمة مونتايرقى ، ثم رجع إلى فلورنسا حيث مات بها ، وامتاز بالشجاعة والفروسية ، ولم تعرف عنه صفة اللواط ، ولكن داتى عنه من الآئمين بسببها .

وتوجد صورة صغيرة لجويدو جوريرا وهو يطرد الجبلين من أريتزو ، وترجع إلى القرن ١٤ ، وهي في مكتبة كيدجى في روما .

(٢٣) هذا التشويه من أثر النيران .

(٢٤) جولدرادا (Gualdrada) زوجة جويدو جوريرا الرابع من زعماء الجبلين ، وجاء حفيدها جويدو جوريرا السادس من أنصار الجلف .

(٢٥) تيجياريو ألبو براندى دلى أديمارى (Tegghiaio Aldobrandi degli Adimari) فارس فلورنسى شجاع أصبح عمدة أريتزو بعد منتصف القرن ١٣ ، ونصح حكومة فلورنسا بعدم الخروج لقتال سيينا ، ولكن فلورنسا لم تستمع لرأيه فهزمت قواتها الجلفية في موقعة مونتايرقى . ولم تعرف عنه صفة اللواط ، ولكن داتى جملة من الآئمين بسببها . وسبق أن استفسر عنه : Inf. VI. 79.

(٢٦) أى أن قوله لم يقبل عننا أشار بعدم خروج الجند الفلورنسى لقتال سيينا ولذلك ينبى أن يقدر رأيه الآن وتعرف قيمة نصيحته .

(٢٧) يعنى أنه احتمل معهما عذاباً واحداً .

(٢٨) جاكوبو روستيكوتشى (Jacopo Rusticucci) فارس فلورنسى شجاع عاش في القرن ١٣ ، وكان من حزب الجلف ، وهدم الجبلين منزله بعد موقعة مونتايرقى .

(٢٩) أساءت إليه زوجته فجعلته يزهده النساء ويرتكب اللواط .

(٣٠) هذا دليل على ما حمله داتى في قلبه من للتقدير لهؤلاء المواطنين .

(٣١) هكذا غلبت النار رغبته الصداقة في عناق هؤلاء المواطنين . وهذا تصوير دقيق للرغبة المخلصة في عناق مواطنى فلورنسا التي وقفت أمامها عقبة النيران .

(٣٢) تأثير داتى لعذاب مواطنيه أشد التأثير .

(٣٣) هذا استمرار في إظهار التقدير والإعزاز لهم .

(٣٤) يعنى فلورنسا .

(٣٥) كان داتى يردد ذكرى أعمال هؤلاء الأبطال ويتخذهم رمزاً للوطنية .

(٣٦) العفص (felc) نوع من شجر البلوط ، وهو رمز للخيطية . والمقصود بالتأثر الخلوقة للسمادة الأبدية التي وعده بها فرجيليو من قبل : Inf. I. 112-123.

(٣٧) يعنى أسفل الجحيم حيث يوجد لوتشيفيرو .

(٣٨) يعنى فلتعش طويلا .

(٣٩) هذه إشارة إلى ما لقيه هؤلاء الفلورنسيون على أيدي خصومهم السياسيين .

(٤٠) جوليلمو بورسيري (Giuglielmo Borsiere) فارس فلورنسى عاش في القرن ١٣ . وامتاز بالكياسة والبرقة وكان يقوم بمهمة المصالحة وإيجاد حسن التفاهم بينم النبلاء .

(٤١) ذلك لأنه مات قبيل ١٣٠٠ بينم مات هؤلاء الثلاثة منذ حوالى ربع قرن .

- (٤٢) أى يعذبهم بما حمله من أخبار الوطن السيئة .
- (٤٣) أى أن أهل الريف الذين وفدوا على فلورنسا حديثاً وكسبوا أموالاً مريمة أظهروا الفطرسية وأخلوا بالمقاييس المألوفة .
- (٤٤) أدى هذا إلى أن تمنى فلورنسا ويلات جديدة .
- (٤٥) رفع دانتي رأسه حتى يبلغ صوته أسماع مواطنيه .
- (٤٦) أى أن نظراتهم عبرت عن الدهشة والألم عند ما أكد لهم دانتي حقيقة أليمة جالت بخواطرهم .
- (٤٧) يعنى أن دانتي يتكلم بصراحة ويغبطه مواطنوه على ذلك .
- (٤٨) أى عند ما يعود دانتي إلى الدنيا ويحلوه له أن يتذكر الرحلة التى قام بها إلى عالم ما بعد الحياة .
- (٤٩) يشبه هذا قول فرجيليو :
Virg. Æn. I. 204.
- (٥٠) أى الحلقة التى كونوها منذ وقفوا أمام دانتي .
- (٥١) سارعوا إلى الحرب لفوات الوقت ، وفعلوا مثل برونيتو لاتى :
Inf. XV. 121-124.
- (٥٢) هذا صوت مياه نهر فليجيتونى .
- (٥٣) ارتفع دوى المياه باقتراب الشاعرين منها فتعذر عليهما سماع كلامهما .
- (٥٤) أى نهر مونتونى (Montone) .
- (٥٥) أى أنه أول نهر يصب فى البحر مباشرة دون أن يلتقى بنهر الپو فى عهد دانتي. وأصبح الآن نهر لامونى أول نهر يصب فى البحر مباشرة .
- (٥٦) جبل فيزو (Monte Viso) فى جبال الألب الإترسكية .
- (٥٧) يعنى أنه يصب فى بحر الأدرياتيك مباشرة بعد مرووه فى موضع قريب من راقنا .
- (٥٨) أى الجانب الشرقى من جبال الأبينين .
- (٥٩) يسمى نهر أكوا كويتا (Acquaqueta) من منبعه حتى مدينة فورلى (Forli) .
- (٦٠) ويسمى نهر مونتونى من فورلى حتى بحر الأدرياتيك .
- (٦١) دير سان بندتو (San Benedetto) فوق مرتفع بهذا الاسم .
- (٦٢) ربما كان المقصود بهذا أن آل جويدى أرادوا إقامة بعض المساكن لاتباعهم فى هذا المنحدر لولا سقوط المياه .
- (٦٣) أى مياه فليجيتونى .
- (٦٤) هكذا كان دوى المياه يكاد يسم الآذان .
- (٦٥) هذه إشارة إلى الفهدة التى اعترضت سبيل دانتي فى أول الجحيم :
Inf. I. 31-34.
- ويختلف النقاد فى المعنى الذى يرمز إليه الجبل . ربما يقصد به القانون أو الإيمان أو إشارة رهبان الفرنسيسكان كرمز للطهارة والنقاء .
- (٦٦) أتى فرجيليو بالجبل على بعد مسافة من حافة الهاوية حتى لا يشتبك بالصخور الناتئة .
- (٦٧) استدل دانتي من ملاحظته فرجيليو على أن شيئاً عجيباً على وشك الظهور .
- (٦٨) يعنى أن فرجيليو قرأ أفكار دانتي بإحساسه المرهف .

- (٦٩) أى سيأتى سريعاً ما كان دانتى يفكر فيه بطريقة غير واضحة .
- (٧٠) هناك حقائق تبدو كالأكاذيب ولا يكاد يصدقها العقل. على الإنسان أن يلزم الصمت أمام هذا الصدق الذى يبدو كذباً ، حتى لا يثير على نفسه لوم الناس دون ذنب .
- (٧١) يسمى دانتى كتابه بالكوميديا وسيكرر هذه التسمية بعد :
Inf. XXI. 2.
- ويسميه بالقصيدة المقدسة فى الفردوس :
Par. XXV. 1.
- (٧٢) يقسم دانتى باسم الكوميديا التى يرجو أن تنال المجد .
- (٧٣) هذا هو جير يوفى الكائن الخرافى الذى سيأتى بعد :
Inf. XVII. 1...
- (٧٤) يقصد الملاح .
- (٧٥) يشبه هذا قول لوكانوس :
Luc. Phars. III. 697.
- (٧٦) هذه صورة الملاح الذى يمسك المرصاة بقدميه ويفتح ذراعيه لكى يخرج من الماء .

الأنشودة السابعة عشرة^{١١}

أشار فرجيليو إلى الوحش جيريونى أن يأتى إلى الشاطئ ، وقد كان له وجه الرجل العادل ، وكانت زاحفة بقية أجزائه ، وتسليح ذنبه بشوكة سامة مثل زنبابى العقرب ، وهو رمز الحياة وحارس الحلقة الثامنة . اقرب جيريونى من الشعارين واستقر عند حافة الشاطئ . دعا فرجيليو دانتي إلى أن يذهب بمفرده إلى مسافة قريبة ليحدث بعض الآثمين ، على حين يتفاهم هو مع جيريونى . وصل دانتي إلى جماعة المرابين الذين ارتكبوا العنف ضد الطبيعة والفن ، وقد انفجر الأسى من عيونهم وبكوا بمرارة ، وأبعدوا النيران عن أنفسهم كما تفعل الكلاب عندما تدفع عن نفسها الحشرات . وحمل كل منهم كيس نقوده وعليه علامته المميزة ، وبعضهم من فلورنسا أو من بادوا . تحدث بعضهم إلى دانتي ، ولكنه لم يتكلم هو ، ولم يذكر اسم واحد منهم ، ثم عاد إلى فرجيليو . اعتلى الشاعران ظهر جيريونى وتولى دانتي الخوف : فأحس بما يشبه قشعريرة حمى الربيع . ولكن فرجيليو شجعه وأحاطه بذراعيه : وحفظه من الخطر . وتحرك الوحش فى مثل حركة السفينة التى تبتعد عن الشاطئ ، وهبط وهو يسبح فى الهواء بطيئاً وفى دوائر واسعة . عاد شعور الخوف إلى دانتي وأحس بحركة الهواء عندما لفح وجهه وهبَّ عليه من أسفل . وسمع دانتي دوى مياه ساقطة وصوت النيران وبكاء المعذبين ، فزاد خوفه . وأخيراً وصل بهما جيريونى إلى القاع عند أسفل صخرة وعرة ، وكان هبوطه فى مثل هبوط الصقر الذى أجهده الطيران دون أن يكسب صيداً . وعندما تخلص جيريونى من ثقله انطلق فى الفضاء انطلاق السهم من القوس .

- ١ « انظر الوحش ذا الذنب المدبَّب (٢) ، الذي يجتاز الجبال ويمحطم الأسوار والأسلحة (٣) ؛ هو ذا من يلوث الدنيا بأسرها (٤) ! » .
- ٤ هكذا بدأ دليلي يحدثني ؛ وأشار إليه أن يأتي إلى الشاطئ ، قريباً من حافة الصخور المرمرية التي مشينا عليها (٥) .
- ٧ هذه الصورة الكريهة للخيانة ، أتت فددت الرأس وُلصدر ، ولكن لم تسحب ذنباً على الشاطئ .
- ١٠ كان وجهه وجه رجل عادل ، وكان مظهره وديعاً من الخارج (٦) ، وسائر جسمه من الزواحف (٧) ؛
- ١٣ وكان له مخلبان يكسوهما الشعر إلى الإبطين ؛ والظهر والصدر وكلا الجانبين كلها تزركشها العُقدُ والحلق (٨) :
- ١٦ ما صنع الترك والترقط ثياباً (٩) فاقتها في ألوان السدى والأحمة = ولا أخرجت أراكتنا مثل ذلك النسيج (١٠) .
- ١٩ وكما تقف صغار السفن (١١) أحياناً على الشاطئ ، جانباً في الماء وعلى الأرض جانباً ، وكما يتأهب السمور للقتال (١٢)
- ٢٢ هناك في أرض الألمان أولى النهم (١٣) ، كذلك وقف شرُّ الوحش على الحافة ، التي تلبس الرمل نطقاً من الصخر (١٤) :
- ٢٥ مدَّ كلُّ ذنبه في الفضاء، وحُمته السامة مرفوعة إلى أعلى، تُسلح طرفه مثل زُنابي العقرب (١٥) .
- ٢٨ قال الدليل : « الآن ينبغي أن ينحرف طريقنا قليلاً (١٦) إلى ذلك الوحش الخبيث الذي يجثم هناك (١٧) » .
- ٣١ ولذلك هبطنا إلى اليمين (١٨) ، ومشينا عشرة خطوات فوق الحافة ، لكي نتجنب تماماً الرمل وللهب .
- ٣٤ وحينما وصلنا إليه رأيتُ ، إلى الأمام قليلاً فوق الرمال ، قوماً (١٩) جلوساً بالقرب من المكان الخالي (٢٠) .

- ٣٧ وهنا قال لى أستاذى : «لكى تحيط خبيراً بهذه الدائرة»^(٢١) ، فلتذهب ولتتفقّد حالهم .
- ٤٠ وليكن حديثك معهم هناك قصيراً^(٢٢) : وإلى أن تعود سأتكلم مع هذا الوحش ، حتى يعيرنا كتفيه القويتين^(٢٣) .
- ٤٣ وهكذا ذهبتُ بعدُ وحيداً^(٢٤) ، على شفا هذه الحلقة السابعة ، حيث يجلس القوم المعدّبون .
- ٤٦ من عيونهم تفجّر العذاب^(٢٥) ؛ يُنحّون بأيديهم إلى هذا الجانب وذاك ، تارةً حميم البخار ، وطوراً محترق الأديم^(٢٦) .
- ٤٩ ولا تفعل الكلاب غير ذلك فى الصيف ، بالأنوف أو الأقدام ، عندما تلسعها البراغيث أو ذباب البيوت^(٢٧) أو ذباب الدواب .
- ٥٢ وبعد أن حدثتُ ببصرى فى وجوه بعضهم ، وقد اسأقتُ عليهم ناراً أليمةً ، لم أعرف منهم أحداً^(٢٨) ؛ ولكنى تبينتُ
- ٥٥ أن كلاً منهم تدلى من رقبتة كيس^(٢٩) ، ذلولون خاصّ وشعار مُعيّن ، وقد بدتْ عيونهم مستقرّة عليه^(٣٠) .
- ٥٨ وبينما كنتُ أمرّ بينهم وأجبل النظر ، رأيتُ فوق كيسٍ أصفر علامةً زرقاء ، كان لها وجه الأسد وزية^(٣١) .
- ٦١ ثم رأيتُ ، وأنا أتابع مجرى بصرى ، علامةً أخرى حمراء كالدم ، تُبدى إوزةً أنصع بياضاً من الزبد^(٣٢) .
- ٦٤ قال لى أحدهم وكان لكيسه الصغير الأبيض ، شعار خنزيرة زرقاء سمينة^(٣٣) : «ماذا تفعل فى هذه الهاوية ؟
- ٦٧ اذهب الآن ؛ وإذ كنتَ لا تزال حياً فاعلم أن فيتاليانو^(٣٤) جارى ، سيجلس هنا إلى جانبي الأيسر .
- ٧٠ أنا بين هؤلاء الفلورنسيين مواطنٌ بادوى : إنهم يصمّون أذنيّ مرّاتٍ كثيرةً ، وهم يصيحون : ألا فلّسيّاتِ أمير الفرسان^(٣٥) ،

- ٧٣ الذى سيحمل الكيس - ذا العترات الثلاث^(٣٦) ! . وهنا لوى فمه وأخرج لسانه^(٣٧) ، كثورٍ يلحس أنفه^(٣٨) .
- ٧٦ وأنا، الذى كنتُ أخشى أن أُغضب ببقائى طويلاً ، من أوصانى بالبقاء قليلاً^(٣٩) ، رجعتُ المهقرى عن النفوس البائسة .
- ٧٩ ووجدتُ دليلى الذى كان قد صعد فوق رِدْف الوحش الخيف^(٤٠) ، وقال لى : « الآن كن قوياً شجاعاً .
- ٨٢ علينا أن نهبط الآن بمثل هذا السلم^(٤١) : اصعد لى الأمام فإنى أريد أن أكون فى الوسط ، حتى لا يقوى الذنب على أذاك^(٤٢) .
- ٨٥ وكذلك الذى تدنو منه رعشة حمى الربيع هكذا فتيض أظفاره وترتعد فرائصه ، عند رؤية الظل فحسب^(٤٣) ،
- ٨٨ هكذا أصبحتُ أمام هذه الكلمات ؛ ولكن هددنى الخجل ، الذى يجعل التابع شجاعاً أمام سيده الطيب^(٤٤) .
- ٩١ فوضعتُ نفسى فوق هاتين الكتفين الرهيبتين : وأردت أن أقول هكذا : « احرص على أن تحضنى^(٤٥) . ولكن الصوت لم ينجى كما اعتقدت^(٤٦) .
- ٩٤ ولكنه وقد حماني مراتٍ سابقةٍ من أخطارٍ أخرى ، حاطنى بذراعيه ، وأسندنى حينها صعدتُ .
- ٩٧ وقال : « تحرك الآن يا جيريونى : وكَيْيكن هبوطك بطيئاً وفى دوائر واسعةٍ ، وفكرٌ فى حملك هذا الحديد^(٤٧) .
- ١٠٠ وكما تخرج سفينةٌ من الشاطئِ وهى تتراجع إلى الوراء^(٤٨) ، كذلك ابتعد الوحش ؛ فلما أحس أنه طليقٌ تماماً^(٤٩) ،
- ١٠٣ أدار الذنبَ هناك حيث كان الصدر^(٥٠) ، ولا مدّه حركة كتعبان الماء ، وبمخالبه جمع إليه الهواء^(٥١) .
- ١٠٦ وأعتقد أنه - عندما ترك فيتونى^(٥٢) أعنةَ الجياد ، فاشتعلتُ السماء كما لا تزال تبدو ، وعندما أحسّ

- ١٠٩ إيكاروس البائس^(٥٣) ، أن جناحيه يفقدان الريش من حرارة الشمع ،
بينما كان أبوه يصيح به : "إنك تسلك سبيل الهلاك !" -
- ١١٢ لم يكن هناك خوفٌ أشدّ من خوفي ، عندما رأيت الهواء محيطاً بي من كلِّ
جانبٍ ، وامتنعت على كلِّ رؤيةٍ سوى الوحش^(٥٤) .
- ١١٥ إنه يمضي سابحاً بطيئاً بطيئاً^(٥٥) : يدور ويهبط ولكني لا أشعر
إلا بريحٍ تلمح وجهي من أسفل^(٥٦) .
- ١١٨ وكنتُ قد سمعتُ جهة اليمين مسقط ماء^(٥٧) ، يُحدث تحتنا دويّاً
مزعجاً ، ولذلك حنيتُ رأسي بعينين خفيضتين .
- ١٢١ وصرت عندئذ من التزلزل أشدّ خوفاً^(٥٨) ، إذ رأيتُ نيراناً وسمعتُ
نواحاً ؛ فربضتُ في مكاني وقد تملكني الرعب .
- ١٢٤ ثم رأيتُ ما لم أره من قبل : شهدتُ الهبوطَ والدوران في العذاب الهائل ،
الذي اقرب من كلِّ الجوانب^(٥٩) .
- ١٢٧ وكالبازي الذي استوى على أجنحته طويلاً ، ودون أن يرى طيراً أو دمية
طير^(٦٠) ، يجعل البيزار يقول "أواه : ها أنت ذا تهوى !" ،
- ١٣٠ ويهبط تبعاً ثم يتحرك مسرعاً في مائة دورةٍ ، ويحيط بعيداً عن سيده^(٦١) ،
تحلوه الكأبة وتأخذه الحية ؛
- ١٣٣ هكذا هبط بنا جيريوني إلى القاع ، عند أسفل القدم من الصخرة الوعرة ؛
وحيثما تخلّص من شخصينا^(٦٢) ،
- ١٣٦ انطلق انطلاقاً السهم من الوتر^(٦٣) .

حواشى الأنشودة السابعة عشرة

- (١) هذه أنشودة من ارتكبوا العنف ضد الفن أو أنشودة المرابين ، وتسمى أنشودة جير يوفى وهى أنشودة انتقال للهبوط من الحلقة السابعة إلى الحلقة الثامنة .
- (٢) أى جير يوفى (Gerione) حيوان خرافى فى الميثولوجيا اليونانية ، وكان ملك جزيرة إيرتيس فى البحار المجهولة فى أقصى الغرب . وصورته الميثولوجيا على أنه حيوان بثلاثة رؤوس وثلاثة أجسام ، وكان يجتذب الناس إلى مأواه ويطعمهم ثم يفتربهم . وتقول الميثولوجيا إن هرقل عبر حدود العالم البرية نحو الغرب ، ثم ركب البحر حيث قتل جير يوفى . استمد دانتى صورة جير يوفى من الميثولوجيا ومن الكتاب المقدس . وجعل له رأس إنسان جميل الوجه وجسم زاحفة وذنب عقرب . وهو رمز الحياة وسحارس الحلقة الثامنة :
- Virg. Æn. VIII. 202.
- Apocal. IX. 7, 10, 19;
- (٣) تتنلب الحياة على كل الحواجز ، وهكذا يفعل جير يوفى .
- (٤) يلوث الدنيا بأسرها لأنه رمز للخيانة .
- (٥) أى على مقربة من شاطئه فليجيتوتى .
- (٦) كان له رأس إنسان ووجه الرجل العادل الكريم الرقيق .
- (٧) كان سائر جسمه من الزواحف ، يعنى أن وجهه لا يدل على حقيقته .
- (٨) هذه الرسوم والحلقات رمز للحيل التى يلجأ إليها الخائن للإيقاع بالناس .
- (٩) اشتهر التتر والترك بمنسوجاتهم المزركشة ، وهكذا لا يكاد يفوت دانتى شيء .
- وتوجد نماذج عديدة من النسيج الشرقى المزركش فى متاحف العالم ، ومن ذلك ما نجده من السجاد الذى يرجع إلى القرن ١٤ ، فى متحف بولدى وبتزوى فى ميلانو مثلا .
- (١٠) أراكنا (Arachna) الديدية فى الميثولوجيا اليونانية التى تحلث الإلهة أثينا (ميرفا) فى النسيج ، فسخطها إلى عنكبوت . ويشير دانتى إليها فى المطهر :
- Ov. Met. VI. 5-145.
- Purg. XII. 43-45.
- وقد رسم فيلاسكينز (١٥٩٩ - ١٦٦٠) صورة لأراكنا وهى تقوم بالنسيج وهى فى متحف برادو فى مدريد .
- (١١) المقصود نوع من السفن الصغيرة التى تستخدم فى الأنهار والبحار .
- (١٢) السور (bevero) حيوان ثديي يعيش على حافة النهر ، ويضع ذيله فى الماء لكي يصيد به السمك .
- (١٣) ربما نعت دانتى الألمان بصفة النهم لأن الجنود الألمان الذين أرسلهم ماغريد لمساعدة الفلورنسين المنفيين قد استألم فاريناتا دلى أو برقى .
- (١٤) أى حاجز الصخر الذى يحيط بالدائرة الثالثة فى الحلقة السابعة ، وهى تحيط بالرمال الملتهبة .
- (١٥) يعنى حمة العقرب .

- (١٦) أى ينبغي أن ينحرف الشاعران قليلا للوصول إلى جير يوفى .
- (١٧) استقر جير يوفى على بعد قليل من الشاعرين لأنه سادس شعور من عدم الثقة بهما .
- (١٨) القاعدة هي السير إلى اليسار في الجحيم . وهناك استثناء لها في مواضع قليلة .
ربما كان الاستثناء رمزاً للسير في طريق الإخلاص الذى هو أمضى سلاح ضد الحياة :
Inf. XIV. 126. IX. 132.
- (١٩) هؤلاء هم الذين ارتكبوا العنف ضد الفن .
- (٢٠) معنى عند حافة الهاوية .
- (٢١) أى لكى يحصل على معرفة مباشرة .
- (٢٢) ربما لضيق الوقت أو لأن الآثمين لا يستحقون حديثاً طويلاً .
- (٢٣) عند مدخل مدينة ديس ذهب رجيليو وحيداً لكى يحدث الشياطين ، ولم يسمع دانتى ما قاله لم (Inf. VIII. 112) . وهنا يذهب دانتى وحيداً لمحادثة بعض المعذبين ولا يسمع ما سيقله فرجيليو للوحش جير يوفى .
- (٢٤) سار دانتى وحيداً لمسافة قليلة ، ولكن كان فرجيليو على مقربة منه .
- (٢٥) هذا تعبير رائع عن الأسى والألم الشديد الذى تجمع في النفس ثم انفجر على الرغم من الآثمين .
- (٢٦) التهب الأرض بسقوط النار .
- (٢٧) أضفت لفظ (البيوت) للفرقة بين نوصى الذباب .
- (٢٨) لم يتعرف دانتى على واحد من هؤلاء المرابين ، فهو لا يريد أن يذكرهم للناس ، كما لم يتحرف من قبل على واحد من البخلاء :
Inf. VII. 49-54.
- (٢٩) يعنى كيس النقود الذى كان يحمله المرابون دائماً .
- (٣٠) إنهم يتمذبون بالنظر دائماً إلى أكياس نقودهم .
- ويوجد نحت من عمل نينو دا فيزولى (حوالى ١٤٣٠ - ١٤٨٦) يمثل معذبين يحملون أكياساً مربوطة إلى أعناقهم ، وهو في مدافن الفاتيكان .
- (٣١) هذه علامة آل جانفيلياتزى (I Gianfigliuzzi) الفلورنسيين الذين كانوا من الجلف في ١٢١٥ ثم مالوا إلى البابوية وأصبحوا من الجلف السود في ١٣٠٠ ، واشتهر من بينهم بعض كبار المرابين .
- ويوجد نحت يمثل شعار هذه الأسرة وهو في كنيسة سانتا كروتشى في فلورنسا .
- (٣٢) هذا شعار آل أوبرياكى (Gli Obriachi) الفلورنسيين وكانوا من الجلبين ، واشتهر من بينهم بعض كبار المرابين .
- (٣٣) هذه علامة آل اسكروفينى (Gli Scrovegni) من بادوا ، واشتهر من بينهم بعض المرابين .
- (٣٤) هناك خلاف بين النقاد على تحديد شخصية فيتاليانو (Vitaliano) يقال إنه مواطن من بادوا كان لا يزال على قيد الحياة في أوائل القرن ١٤ .

- (٣٥) هو جوفاني دى بويامونتي (Giovanni dei Buiamonti) الذى أصبح حامل لواء العدالة - أى رئيس الدولة - فى فلورنسا فى ١٣٩٢ . ويعد أمير المراهبين .
- (٣٦) أى عليه علامة فى شكل ثلاث عنزات .
- (٢٧) يأتي المراهب أحياناً بمحركة عصبية فيلحق شفتيه بلسانه ، وهذه صورة مستمدة من ملاحظة دائتي .
- (٢٨) هذا تصوير دقيق مأخوذ من حياة الحيوان .
- (٣٩) أى فرجيليو .
- (٤٠) لم نخبرنا دائتي ماذا دار بين فرجيليو والوحش .
- (٤٢) هكذا يبعد فرجيليو الأخطار عن دائتي .
- (٤٣) يعنى أن دائتي شعر بالخوف ، ويوازن بين خوفه والشعور بحمى الريح (quartana) وهى تتراوح كل أربعة أيام .
- (٤٤) يدفع الخجل التابع إلى أن يقوم بواجبه على أحسن وجه أمام سيده الطيب ، وكذلك كانت حال دائتي .
- (٤٥) كان دائتي يخشى السقوط من فوق الوحش .
- (٤٦) أى أن صوت دائتي لم يخرج كما كان يرجو .
- (٤٧) يعنى أنه يحمل دائتي الحى فعليه الهبوط فى بطنه .
- (٤٨) هذه موازنة دقيقة مستمدة من حركة السفن الصغيرة عند الشاطئ .
- (٤٩) أى عند ما ابتعد عن حافة الشاطئ وأحسن نفسه طليقاً .
- (٥١) أى أنه استدار وجعل ذنبه مكان صدره .
- (٥١) يأخذ الصورة من حركة ثعبان الماء ، ويشبه ذلك حركة السباحة .
- (٥٢) فيتون (Phaeton) هو ابن أبولو فى الميثولوجيا اليونانية ، سأل أباه أن يقود حربة الشمس ، ولكنه لم يستطع أن يكيح جماح الخيل فخرجت عن طريقها وأحرقت الحجرة ، وكانت الأرض متحترقة لولا أن جوفيتير تدخل وقضى على فيتون :
Ov. Met. II. 47-324.
- (٥٣) إيكاروس (Icarus) هو ابن ديدالوس فى الميثولوجيا اليونانية حاول أن يطير بمخاين الصقهما له أبوه بالشمع ، عندما أراد الهرب من كريت ، ولكنه اقترب فى طيرانه من الشمس ، فمقط الجناحان ووقع فى البحر :
Ov. Met. VIII. 225.
- ويوجد حفر يمثل إيكاروس بهيئة رجل يطير بمخاين وهو من صنع أندريا بيزانو (حوالى ١٢٩٠ - ١٣٤٨) وهو على برج الناقوس فى كاتدرائية فلورنسا .
- وقد ألف لوكي (١٦٣٢ - ١٦٨٧) ألحان أوپرا فيتون :
- Lully, J.B. : Phaéton, opéra. Paris, 1683 (ex. Antologie Sonore).
- (٥٤) كان خوف دائتي هنا أعظم من خوف فيتون وإيكاروس .
- (٥٥) هنا وصف دقيق للهبوط فى الهواء يتفق مع قواعد الطيران .

- (٥٦) هذه التفصيلات جعل داتى الخيال يبلو كأنه حقيقة .
- (٥٧) هذا هو مجرى نهر فليجيتوتى وهو يسقط من الحلقة السابعة إلى الحلقة الثامنة .
- (٥٨) أصبح خوف داتى عند التفكير فى النزول أشد من خوفه عند ما اعتلى ظهر جيريونى .
- (٥٩) رأى داتى عذاباً هائلاً لم يشهد له مثيلاً من قبل .
- (٦٠) دمية طير يعنى قطعة خشب مكسوة بالريش على صورة الطير يستخدمها البيزار لتداء البازى ودعوته إلى الهبوط .
- (٦١) هذا التشبيه مستمد من حياة الصيد .
- (٦٢) كان داتى وحده هو صاحب الثقل المادى .
- (٦٣) هذا كناية عن السرعة المتناهية فى الطيران .

الأنشودة الثامنة عشرة^(١)

عندما هبط الشاعران عن ظهر جيريوني وجدا نفسيهما في « المالبولجي »
(وديان الشر أو خنادقه) في الحلقة الثامنة ، وكانت مقسمة إلى وديان أو خنادق تشبه
خنادق القلاع في العصور الوسطى . وخرجت صخور وصلت بين شاطئ هذه
الحلقة وسائر الوديان حتى بلغت البئر في وسط هذا المحيط الخبيث . وكان
المكان مقراً لمرتكبي الحياة . واحتوى كل واد أو خندق على طائفة من الخونة ،
لتي به كل منهم العذاب الملائم . رأى دانتى في الخندق الأول القوادين الذين أغروا
النساء لمصلحة غيرهم ، وقد أهدب ظهورهم سياط شياطين ذوو قرون . ولتى
دانتى واحداً من المعذبين الذى حاول أن يخفى عنه نفسه ، ولكنه عرف فيه
فينيديكو كاتشانيميكو الذى حرّض أخته على خيانة زوجها ، إرضاء لشهوة
مركزيز فرّارا . وصعد الشاعران فوق جسر مقوّس مرّت تحته المعذبون . ورأى
دانتى منّ أغروا النساء للذتهم الشخصية ، ومنهم جاسون الذى خدع هيبسبيل
بمغسول الكلام ثم هجرها حبلى تنوء وحدها بالإثم والعار . وسمع الشاعران في
الخندق التالى نواحاً وضربات بالأكف . ولم يريا ما فى باطنه لعمقه وإظلامه ،
فصعدا فوق جسر ، واستطاعا بذلك أن يريا تحتهما قوماً غطسوا فى غائط من
نفايات البشر . وتعرّف دانتى على أليسيو إنترمينى المواطن من لوكّا ، الذى
كان يغرى النساء بكلمات لم يتعب منها لسانه . وشهدا أيضاً تاييس الداعرة
تمزق نفسها بالأظفار ، ولا تستقر على وضع واحد ، وعوقبت لأنها خدعت
عاشقها . واكتفى فرجيليو بما شهدته دانتى فى هذين الواديين .

- ١ في الجحيم مكانٌ يدعى « مالبيرلجي »^(٢) ، كله من الصخر في لون الحديد الصدئ ، كالحلقة التي تدور من حوله^(٣) .
- ٤ وفي سرّة هذا الميدان الخيث ، تنفجر بئرٌ كبيرةٌ الاتساع عميقةٌ ، سوف أصف ترتيبها في مكانها^(٤) .
- ٧ مستديرةٌ إذأ تلك الحافة الباقية^(٥) ، بين البئر^(٦) وأسفل الحاجز الصخري العالى^(٧) ، وقاعها منقسمٌ عشرة أودية^(٨) .
- ١٠ وكالصورة التي تبدو عليها الأرض ، حيث تحيط بالقلاع خنادق متعاقبةٌ لحماية أسوارها^(٩) ،
- ١٣ كذلك كانت صورة هذه الأودية^(١٠) ؛ وكما يوجد في تلك القلاع جسورٌ صغيرةٌ تصل بين مداخلها والحافة الخارجية^(١١) ،
- ١٦ هكذا تصدر عن أسفل الصخر أحجار تعبر الأودية والشطآن ، إلى البئر التي أوقفها وتلقّتها^(١٢) .
- ١٩ في هذا المكان وجدنا نفسينا عندما نزلنا عن ظهر جيريونى ، وأخذ الشاعر الجانب الأيسر^(١٣) ، وسرّت من ورائه .
- ٢٢ وذات اليمين رأيتُ بؤساً جديداً^(١٤) ، وعذاباً غير معروف ، وجلادين جددٌ دأ ، زحَرَ بهم الخندق الأول^(١٥) .
- ٢٥ في القاع كان الآثمون عرايا : ومن الوسط إلى هنا أقبلوا بوجوههم نحونا ، وساروا في الجانب الآخر معنا ، ولكن بخطىٍ أسرع^(١٦) ،
- ٢٨ كأهل روما عند ازدحام الجماهير في عام اليوبيل^(١٧) ، إذ جعلوا فوق الجسر نظاماً مهيباً للعبور^(١٨) ؛
- ٣١ فمينٌ جانب كانت جباه الجميع متجهةً نحو القلعة^(١٩) ، ثم يذهبون إلى القديس بطرس^(٢٠) ، ومن جانب آخر يسرون صوبَ الجبل^(٢١) .
- ٣٤ وهنا وهناك رأيتُ فوق الصخر الكئيب شياطين ذوى قرونٍ^(٢٢) وسياطٍ كبيرة^(٢٣) يضربون بها الآثمين في قسوة من الخلف .

- ٣٧ أوّاه ! كيف جعلهم الشياطين يرفعون سيقانهم عند أولى الضربات !
 وحقاً لم ينتظر أحدهم الضربات الثانية ولا الثالثة (٢٤) .
- ٤٠ وبينما كنتُ أسير ، التقتُ عيناى بواحد منهم ، فقلتُ تَوّاً : « ليست
 هذه أوّل مرّة أرى فيها هذا الوجه (٢٥) » .
- ٤٣ ولذلك أوقفتُ قدمي كى أتبينه : ووقف معي الدليل الحبيب ، وأتاح
 لى أن أرجع إلى الوراء قليلاً (٢٦) .
- ٤٦ وظنّ ذلك المعدّب أنه يخفى نفسه إذا خفض وجهه ؛ ولكن لم ينفعه
 ذلك كثيراً (٢٧) ، فقلت له : « أنت يا مَنْ تلقى إلى الأرض بصرك ،
 ٤٩ إذا لم تكن زائفةً ملامح وجهك ، فأنت فينيديكو كاتشانيميكو :
 ولكن ما الذى يأتى بك إلى مثل هذا الحميم اللاذع (٢٨) ؟ » .
- ٥٢ فأجابنى : « عن غير رغبة أقول ذلك (٢٩) ؛ ولكن يرغمنى عليه كلامك
 الصريح ، الذى يجعلنى أذكر العالم القديم (٣٠) .
- ٥٥ لقد كنتُ مَنْ حمل جيزولا ييلاً (٣١) ، على أن ترضى رغبة المركيز (٣٢) ،
 مهما يكن من تداول هذه القصّة المخزية .
- ٥٨ ولستُ البولونى الوحيد الذى أبكى هنا ؛ بل إن هذا المكان مليّ بنا ،
 حتى لا توجد الآن السنة كثيرةٌ تتعلم
- ٦١ أن تقول بلساننا « نعم » (٣٣) بين ساقينا (٣٤) وذرينو (٣٥) ؛ وإذا أردتَ يقيناً
 أو دليلاً على ذلك ، فلتستعدّ إلى ذاكرتك قلبنا الحريص (٣٦) » .
- ٦٤ وبينما كان يتكلم هكذا ، لسعه شيطانٌ بسوطه ، وقال : « اذهب
 أيها القوواد ، فليس هنا نساء تباع (٣٧) ! » .
- ٦٧ رجعتُ إلى رفيقى (٣٨) ؛ ثم وصلنا بخطواتٍ قليلةٍ إلى هناك ، حيث خرج
 من الشاطئُ جسرٌ صخريٌّ (٣٩) .
- ٧٠ وبخفةٍ بالغةٍ صعدنا فوقه ؛ وفي اتجاهنا إلى اليمين (٤٠) على حافته الوعرة ،
 رحلنا عن تلك الحلقات الأبدية .

- ٧٣ ولا صرنا هناك حيث يتقوس الجسر من أسفل^(٤١) ليتيح المرور لمن ألبتهم السياط ، قال الدليل : « قف ، واعمل على أن يصدم
- ٧٦ وجهك نظراً هؤلاء الملعونين الآخرين^(٤٢) ، الذين لم ترَ وجههم بعد ، لأنهم ساروا معنا في اتجاه واحد^(٤٣) .
- ٧٩ ومن الجسر القديم رأينا صف الآمين الذي أتى نحونا من الجانب الآخر ، وقد طاردتهم السياط كذلك^(٤٤) .
- ٨٢ قال أستاذي الطيب دون سؤال^(٤٥) : « انظر إلى ذلك العظيم الذي يأتي نحونا ، ويبدو أنه لا يذرف لأمله دمعة^(٤٦) :
- ٨٥ أى مظهر ملكي لا يزال يحتفظ به ! ذلك هو جاستون^(٤٧) الذي حرم الكولكيين^(٤٨) ، بالعقل والقلب ، من كبش الذهب^(٤٩) .
- ٨٨ إنه مرّ بجزيرة ليموس^(٥٠) ، بعد أن قتلت النساء البحرقيات القاسيات^(٥١) ، ذكورهنّ جميعاً .
- ٩١ وهناك ، بالحركات وزُخرف الكلام ، خدع هيسبيل الشابة التي خدعت من قبل كل النساء الأخريات^(٥٢) .
- ٩٤ ثم هجرها هناك ، حبل وحيدة ، وتقضى عليه هذه الخطيئة بمثل هذا العذاب ؛ وبذلك نالت ميديا الانتقام^(٥٣) .
- ٩٧ ومعها يذهب كل من ارتكب مثل هذا الغدر : وحسبك أن تعرف هذا عن الوادي الأول ، ومن تتمزق أوصالهم فيه^(٥٤) .
- ١٠٠ وكنا قد وصلنا حيث يلتقي الطريق الضيق بالشاطئ الثاني ، ويجعل منه كنفاً لجسر جديد^(٥٥) .
- ١٠٣ وهناك سمعنا قوماً ينحون في الخندق التالي ، وينشجون بالأنوف^(٥٦) ، ويضربون أنفسهم بالأكف .

- ١٠٦ كانت الجوانب مغطاةً بعفن صَبَعَدَه البخار من أسفل ، وتجمد عليها ، فهو يحارب الأعين والأنوف (٥٧) .
- ١٠٩ القاع شديد العمق حتى لا يكفي مكانٌ لرؤيته ، دون أن نصعد إلى سطح الجسر ، حيث يزداد ارتفاع الصخر (٥٨) .
- ١١٢ فصعدنا هناك ، وعندئذ رأيتُ تحتنا في الخندق قوماً غطسوا في غائطٍ ، بدا أنه نيجٌ من فضلات البشر (٥٩) .
- ١١٥ وبينما كنت أفحص القاع بعيني (٦٠) ، رأيتُ واحداً أثقل رأسه القدرُ هكذا ، حتى لم يبدُ أعلمانياً كان أم قساً .
- ١١٨ فصاح بي : « ليمَ أنتِ جدُّ حريصٍ علي أن تنظر إليَّ أكثر من سائر المشبهين ؟ » . قلت له : « لأنني إذا أحسنت التذكر ،
- ١٢١ كنتُ قد رأيتك بشعرك المجفف ؛ ولأنك أليسيو إنترميني من أهل لوكا (٦١) : ولذلك أحدجك بنظري أكثر من سائر الآخرين » .
- ١٢٤ عندئذ قال لي وهو يضرب رأسه : « أغرقتني في هذا العمق كلمات الإغراء ، التي لم يكلِّ منها لساني أبداً (٦٢) » .
- ١٢٧ ثم قال لي دليلى : « اعمل على أن تمدَّ وجهك إلى الأمام قليلا ، حتى تبلغ عينك وجهَ
- ١٣٠ تلك المرأة النجسة الشعثاء ، التي تمزقُ هناك نفسها بأظفارها القذرة ، وتخر تارةً ، وتقف على قدميها تارةً أخرى (٦٣) .
- ١٣٣ إنها تاييس الداعرة (٦٤) ، التي عندما سألتها عاشقها : ” ألي عندك آيات شكرٍ ؟ “ ، أجابته : ” نعم ، آيات عجب (٦٥) ! “ .
- ١٣٦ ألا فلتقنع عيوننا بما رأيتُ هناك (٦٦) .

حواشي الأنشودة الثامنة عشرة

- (١) هذه أنشودة من ارتكبوا خطيئة إغراء النساء .
- (٢) مالبولجي (Malebolge) لفظ استحدثه دانتي بمعنى خنادق أو حفر أو أودية الشر والعذاب . وهي مكان لتعذيب من ارتكبوا الحيانة في شتى عصورها .
- (٣) الخوثة قوم لا قلب لهم ، ويخدعون الناس بكل الوسائل ، ولذلك فإن هذه المنطقة صخرية تناسب طبيعتهم .
- Inf. XXXI-XXXIV.
- (٤) أى سيتكلم عن ذلك فيما بعد :
- (٥) هذه هي الحلقة الثامنة .
- (٦) البئر تعنى الحلقة التاسعة .
- (٧) يقصد الحلقة السابعة .
- (٨) تنقسم هذه الحلقة الثامنة إلى عشرة أودية يضم كل منها طائفة من المذبذبين الذين ارتكبوا الحيانة .
- (٩) استمد دانتي هذه الصورة من الخنادق التى كانت تحفر حول القلاع لحمايتها .
- (١٠) يعنى أودية الحلقة الثامنة .
- (١١) كانت توزع جسور صغيرة متحركة تصل بين باب القلعة وحافة الخندق الخارجى الذى يحيط بها .
- (١٢) يعنى أن الأحجار كونت جسوراً فوق الخنادق يمكن السير فوقها ، وتستمر حتى الخندق أو الوادى الخامس ثم تقطع في موضع وتتصل في موضع آخر .
- (١٣) هذه هي قاعدة السير في الجحيم ، وإن وجدت بعض استثناءات ، كما سبق . ويشبه هذا ما جاء في التراث الإسلامى :
- القرآن : التحريم : ٨ ؛ الحديد : ١٢ .
- ابن عربى : الفتوحات الملكية (السابق الذكر) ج ١ : ص ٤١٢ .
- (١٤) يعنى لم ير له مثيلاً من قبل .
- (١٥) هؤلاء هم الذين أغروا النساء لحساب غيرهم أو لأنفسهم .
- (١٦) أى أن المذبذبين كانوا فريقين ، أحدهما يسير في اتجاه مخالف لسير الشاعرين ، والآخر يسير في نفس اتجاههما .
- (١٧) يعنى أول يوبيل أقامه البابا بونيفاتشو الثامن للكنيسة الرومانية في روما في ١٣٠٠ ، وجاء عشرات الألوف من الناس لزيارة الأماكن المقدسة وعبروا جسر سانت أنجلو فوق التيبر .
- (١٨) قسموا الجسر قسمين ، قسم للذاهبين وآخر للعائدين ، حتى يسهل العبور .
- (١٩) أى يسيرون في اتجاه قلعة سانت أنجلو ، ثم ينحرفون إلى اليسار للوصول إلى كنيسة روما الكبرى . أنشأ الأمبراطور هادريان في ١٢٦ ق . م . مقبرة له ولأسرته في موضع قلعة سانت

أنجلو ، ثم بنيت القلعة في انحصور الوسطى لصد الغزاة البرابرة ، وأضاف إليها البوابات تعديلات كثيرة وعلى الأخص إسكندر السادس ، واتخذها البوابات مغللا في أوقات الخطر . وهي الآن متحف . ويوجد رسم لجسر وقلعة سانت أنجلو قبل تغييرات إسكندر السادس ، وهو في مكتبة الإسكوريال في إسبانيا .

(٢٠) سان بيترى - القديس بطرس (San Pietro) يقصد به كنيسة روما الكبرى . أقيمت هذه الكنيسة في موضع ملعب نيرون الذى لقي فيه ألوف من شهداء المسيحية حتفهم . ويقال إن القديس بطرس قتل في ٦٧ ، في موضع المسلة القائمة الآن في ميدان سان بيترى . وأقام قسطنطين الكبير (٣٠٦ - ٣٣٧) كنيسة للقديس بطرس في موضع جزء من الملعب القديم ، وكانت في نصف حجم الكنيسة الحالية ، وبقيت حوالي ١١ قرناً من الزمان . ثم بدأت تتصدع في منتصف القرن ١٥ . وقرر نيقولا الخامس (١٣٩٧ - ١٤٥٥) إعادة بنائها مع التوسع فيها في ١٤٥٠ . ولكن البابا يوليوس الثانى (١٤٤٣ - ١٥١٣) هدم الكنيسة القديمة ووضع أساس الكنيسة الحالية في ١٥٠٦ . وبذل كل من ليو العاشر (١٤٧٥ - ١٥٢١) وبولس الثالث (١٤٦٨ - ١٥٤٩) جهودهما لإتمام العمل ، واشترك في ذلك أفنذا المهندسين ورجال الفن ، ومنهم برامانتى (١٤٤٤ - ١٥١٤) وجوليانو دا سانجالو (١٤٤٥ - ١٥١٦) وميكلازئولو (١٤٧٥ - ١٥٦٤) وقام وقتئذ ميكلازئولو ورافاييلو برسم صورهما الخالدة في مصلى سستو الرابع في مدينة الفاتيكان . واستغرق بناء الكنيسة الجديدة حوالي ١٧٢ سنة وهي تتسع لحوالى ٦٥,٠٠٠ شخص ، وتعد من عجائب الدنيا . ويوجد رسم لكنيسة القديس بطرس القديمة في القرن ١١ وهو في دير قارفا في شمال روما . كما يوجد رسم لها في صورة من الفريسكو ترجع إلى القرن ١٦ ، وهو في كنيسة سان مارتينو دى موتى في روما .

(٢١) أى أن الذين يعمدون من زيارة الكنيسة يسرون في الجانب الآخر من الجسر ويتجهون نحو جبل جوردانو القريب من ذلك المكان .

(٢٢) شياطين بقرون وهذا يناسب هذه الخطيئة .

(٢٣) هذه سباط من الجلد ذات ثلاثة أطراف .

(٢٤) كانت الضربات شديدة حتى رفع المذبذون سيقانهم هربا من الضربات التالية . يشبه هذا بعض ما جاء في التراث الإسلامى في عقاب من أهملوا الصلاة أو رموا الحصنات بالفاحشة : جلال الدين عبد الرحمن السيوطى : كتاب اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة . القاهرة ،

١٣١٧ . ج : ٢ : ص : ١٩٥ .

السمرقندى : قرة العيون (السابق الذكر) . ص : ٨ .

(٢٥) هذا هو فينيديكو كانشانيميتشى (Venedico Caccianemici) من زعماء الخلف في بولونيا ، شغل عدة وظائف في شمالي إيطاليا في النصف الأول من القرن ١٣ . أوقع أخته في طريق الغواية . وربما عرفه داتى عند ما كان يدرس في بولونيا ، أو عندما زار بستويا . وكان فينيديكو علمتها .

(٢٦) فعل ذلك لكى يتبين ذلك المذبذ .

(٢٧) خفض وجهه خجلا ولكن لم يتع ذلك داتى من أن يتعرف عليه .

(٢٨) يسأله داتى عن الخيطة التى ارتكها .

- (٢٩) لم يكن ليتكلم راضياً عما حدث .
 (٣٠) أى أنه لا يستطيع أمام صراحة دانتى سوى أن يتكلم .
 (٣١) جيزولا بيلا (Gisola Bella) زوجة نيقولا دا فونتانا وأخت فينيديكو الذى حرصها على أن تستجيب لرغبة الماركيز وتفرط في شرفها .
 (٣٢) في الغالب هو الماركيز أوبيتزو دست (Obizzo d'Este) ماركيز فرارا .
 (٣٣) أى أن أغلب أهل بولونيا الذين يقولون (sipa) بدلا من (si) بمعنى نعم جازوا لكى يتعذبوا في هذا المكان من الجحيم .
 (٣٤) سافينا (Savena) نهر ينبع من الأبين ويمر إلى الشرق من بولونيا .
 (٣٥) رينو (Reno) نهر ينبع من الأبين ويمر إلى الغرب من بولونيا .
 (٣٦) أى القلب المملء بالحرص على إغواء النساء .
 (٣٧) هناك خلاف بين التقاد على تفسير لفظ (conio) يرى بعض أن المقصود أنه ليس هناك نساء تباع وتشترى بالمال . ويرى آخرون أن المقصود أنه ليس هناك نساء يمكن أن تقعن فريسة للخداع والغواية . والنتيجة متقاربة .
 (٣٨) كان فرجيليو ينتظر دانتى في مكانه .
 (٣٩) خرج جسر أو طريق طبيعى من شاطئ الحلقمة السابعة إلى الحلقمة الثامنة .
 (٤٠) ليست هذه مخالفة لتعادة السير في الجحيم ، لأنه ليس هناك مكان للسير يمد ذلك نحو اليسار لوجود الحاجز المرتفع إلى يسار الشاعرين ، وكل الخنادق والجسور تقع هنا إلى يمينها .
 (٤٣) المقصود من أغروا النساء لأنفسهم .
 (٤٤) هم من أغروا النساء لأنفسهم وقد عادوا من الجانب الآخر في الخندق .
 (٤٥) تكلم فرجيليو دون أن ينتظر سؤال دانتى ، فهو يعرفه ويعلم ما يدور بخلفه .
 (٤٦) يشبه هذا كاپانيو الذى لم يذرف الدمع على الرغم من عذابه المائل :

Inf. XIV. 46-49.

(٤٧) جاسون (Jason) بطل إغريقى من تساليا كان على رأس حملة من الكولكيين لاسترداد الكيش الذهبى من ملكهم أيتس وساعدته ميديا ابنة الملك فاقصل بها ووضعا بالزواج ثم هجرها في سبيل كريسا ابنة كرويون ملك كورنثيا :

Stat. Theb. V. 404-485.

Ov. Met. VII. 104-122.

وتوجد صورة لجاسون في كتاب جوستو دى مينابورى المشار إليه .

- (٤٨) الكولكيون (Colchi) شعب قديم سكن جنوبي القوقاز وعلى ساحل البحر الأسود . وتوجد صورة للسفينة التى قام البحارة الإغريق فيها بمغامرتهم ، ولا يعرف صانعها على وجه التحديد وترجع إلى القرن ١٥ وهى في متحف الفنون في بادوا .
 (٤٩) يعنى حرهم من كبش الذهب بالشجاعة والحيلة والدهاء .
 (٥٠) جزيرة ليمنوس (Limnos) في أرخبيل اليونان ، مر بها جاسون في طريقه إلى الكولكيين .

(٥١) قتلت النساء كل ذكورهن لأن الرجال تركوهن وشغلوا بالحروب دائماً ، ثم جاؤوا بمحظيات من تساليا .

(٥٢) أنقذت هيسپيل (Hypsipyle) أباه توياس ملك يمينوس من الموت بالخديعة عند ما قرر نساء يمينوس قتل كل الذكور ، ثم خدعها جاسون وأغواها وتركها بعد أن حملت منه في توأمين : Stat. Theb. V. 435-462.

(٥٣) ميديا (Medea) اتت ساعدت جاسون في الحصول على الكيش الذهبى ، نالت الآن الانتقام المناسب لخديعته إياها ، وذلك بقتل غريمها وولديها هي من جاسون .

(٥٤) يعنى لا يمكن الكلام عن كل المعذبين ويكفى هذا المثال .

ورسم ديلاكروا (١٧٩٨ - ١٨٦٣) صورة لميديا وهي في متحف ليل .
وألّف كيروبينى (١٧٦٠ - ١٨٤٢) الحان أو پرا ميديا :

Cherubini, M.L. : Médée, opéra. Paris, 1797 (Mer)

(٥٥) أى عند ما ينتهى الجسر الأول الذى يعبر الخندق الأول يأبى الجسر الثانى فوق الخندق التالى

(٥٦) هذا لشدة ألمهم وبكائهم .

(٥٧) عذابهم أن يغمروا في العفن الذى يشبه الطين أو المعجين ويهاجم عيونهم وأذونهم .

ويشبه هذا بعض ما ورد في التراث الإسلامى كما سبق .

(٥٨) بارتفاع الشاعرين فوق الجسر المقوس يصبحان أقدر على رؤية ما في هذا الوادى .

(٥٩) هذا هو عقاب هؤلاء المعذبين الذين أغواوا النساء لذتهم الشخصية .

(٦٠) الفحص أو البحث بالعين تعبير دقيق عن قوة الملاحظة . وضمت لفظ (القاع)

بدلا من هناك أسفل وهذا هو المقصود .

(٦١) هذا هو أليسيو دلى إنترميتل (Alessio degli Interminelli) فارس من لوكا

عاش في النصف الأول من القرن ١٣ آ واشتهر بإغواء النساء .

(٦٢) هكذا كان يغوى النساء ويوقعهن في شباكه بكلامه المعسول .

(٦٣) هذا هو عذابها الدائم .

(٦٤) تاييس (Thais) شخصية روائية تناوالت تيرينتوس الشاعر الرومانى في القرن ٢ ق.م .

وذكرها تشيشيرون . وهي غاوية أجنبية عشقها فيدرىا وغازلها تراسو الضابط :

Cic. De Amicitia, 98.

Terentius, Eunuchus, III. 1.

(٦٥) أى أنها تقول بلسانها ما لا تقصده بقلها ، وتخون عاشقها .

(٦٦) رأى فرجيليو أن في ذلك الكفاية .

الأنشودة التاسعة عشرة ^(١)

وصل الشاعران إلى الوادى الثالث حيث يعذب أهل السمعانية ، الذين حصلوا على الأشياء المقدسة بالمال دون التقوى . رأى دانتي فى قاع هذا الوادى فتحات متساوية تشبه فتحات معمدان سان جوفانى فى فلورنسا ، التى كان قد حطم إحداها لإنقاذ طفل أوشك على الغرق فيها . وظهر من كل فتحة ساقا أحد المعذبين الذين كانوا فى وضع مقلوب جزاء خطيئتهم ، واشتعلت النيران فى باطن أقدامهم . كما يحدث للأشياء المظلمة بالزيت . استفسر دانتي عن أحد المعذبين ، فحملة فرجيليو وهبط به حتى يمكنه الرؤية ، وكان هناك البابا نيقولا الثالث الذى اشتهر بحبه للعمال . ظن نيقولا أن دانتي هو بونيفاتشو الثامن ، وقد جاء إلى الجحيم قبل أوانه ، وندد بجشعه وبما جلبه على الكنيسة من العار . ولكن دانتي أوضح له الأمر ، وعنفه على آثامه ، وقال إن القديس بطرس لم ينل من المسيح المفتاحين المقدسين بالمال ، وإن عبدة الذهب والفضة أسوأ من الوثنيين ، لأن الأولين يتخذون آلهة متعددة ، بينما الآخرون يتخذون إلهاً واحداً . وعدّ دانتي الإمبراطور قسطنطين الأول مسؤولاً عن هذه المساوئ ، وعن إفساده الكنيسة بمنحته الدينيّة — المزعومة — للبابا سلفسترو أول البابوات الأثرياء . أبدى فرجيليو أمارات الرضا عندما سمع رنين كلمات دانتي الصادقة . وحملة مرة أخرى ، وعاد إلى الصعود فى الطريق الذى هبط منه ، ووصل به إلى المعبر بين الشاطئ الرابع والشاطئ الخامس ، ثم أنزله برفق فى الطريق الصعب ، وهناك انكشف لدانتي الوادى التالى .

- ١ سمعان ، أيها الساحر^(٣) ! ويا أيها الأتباع البائسين ، أيها اللصوص الذين أفسدتم بالذهب والفضة نِعَمَ اللَّهِ^(٢) ، التي ينبغي
- ٤ أن تقرن بطيب الأعمال^(٤) ؛ الآن يجب أن يصدق من أجلكم البوق^(٥) ، ما دمتم قد أصبحتم في الخلق الثالث .
- ٧ وكنا قد صعدنا فوق القبر التالى^(٦) ، في ذلك الجانب من الجسر الصخرى ، الذى يعلو فوق سرّة الخلق .
- ١٠ أيتها الحكمة العليا^(٧) ، أرى فى هذا الذى تبديته فى السماء وفى الأرض وفى عالم الشر^(٨) ، وبأية عدالة توزعين أفضالك^(٩) !
- ١٣ على الجوانب وفى القاع رأيتُ الحجر القاتم ، مليئاً بفجواتٍ ، كانت جميعها باتساع واحد ، وكانت كلها مستديرة .
- ١٦ لم تبدُ لى أصغر ولا أكبر من فجوات سان جوفانى^(١٠) ، معمدانى الجميل^(١١) ، التي جعلتُ مكاناً لمن يزاولون المعمودية ؛
- ١٩ لقد حطمتُ إحداها منذ سنوات غير بعيدة بعدُ ، من أجل طفل كان يغرق فيها^(١٢) ، وليكن هذا دليلاً يزيل شكوك كل إنسان^(١٣) .
- ٢٢ ومن فم كل منها برزتُ قدما آثمٍ وساقاه حتى الكعبين ، وكان سائره قد بقى فى الداخل^(١٤) .
- ٢٥ اشتعلت النار فى باطن قديمى كل منهم^(١٥) ، فاهتزت مفاصلهم بعنف شديد^(١٦) ، حتى لسيمكنها أن تمزق حبلاً من جاف العشب أو اللباب^(١٧) .
- ٢٨ وكما تتحرك الشعلة فيما طلاه الزيت ، على السطح الخارجى وحده ، كذلك امتدت النار من أعقابهم إلى الأطراف^(١٨) .
- ٣١ قلتُ : « أستاذى ! مَنْ ذلك الذى يتلوّى ، وهو يهتر أكثر من سائر رفاقه ، وقد أحرقته نيرانٌ أشدَّ احمراراً^(١٩) ؟ » .
- ٣٤ فأجبنى : « إذا أردت أن أحملك هناك أسفل ، إلى ذلك الشاطئ الذى يزداد انخفاضاً^(٢٠) ، فستعرف منه شخصه وخطاياها » .

- ٣٧ قلتُ : « إن كلَّ ما يرضيك جميل عندي ومقبول (٢١) : أنت سيدى وتعرف أنى لا أحميد عن مرادك (٢٢) ، وتلدرك ما أسكت عنه (٢٣) » .
- ٤٠ جئنا حينئذ على الشاطئ الرابع : واستلدنا وهبطنا إلى اليسار هناك أسفل ، فى القاع الضيق ذى الفجوات .
- ٤٣ لم يتزلى بعدُ أستاذى الطيب عن جنبه (٢٤) ، حتى بلغ بي فجوة ذلك المعدب ، الذى بكى بساقبه كثيراً (٢٥) .
- ٤٦ بدأتُ قائلاً : « يا كائناً منَّ كنت ، أنت يامنَّ تجعل عليك سافلك (٢٦) ، ويا أيتها النفس البائسة التى غرست كالخازوق ، تكامى إن اسطعت (٢٧) » .
- ٤٩ وفتتُ كالرَّاهب الذى يتلقى اعتراف القاتل الغادر ، الذى يناديه حينما يُزرع فى الأرض (٢٨) ، لكى يؤخر عنه المنون (٢٩) .
- ٥٢ صاح : « أنت الواقف هناك ، أنت ذا الواقف هناك يابونيفاتشو (٣٠) ؟ لقد كذب على كتاب المستقبل منذ سنين كثيرة (٣١) .
- ٥٥ أشبعت هكذا سريعاً من تلك الثروة (٣٢) ، التى لم تخش من أجلها أن تأخذ السيدة الجميلة بالخداع (٣٣) ، ثم تجعل منها حطاماً (٣٤) ؟ » .
- ٥٨ أصبحتُ مثل أولئك الذين يقفون كمن سُخر منهم ، لأنهم لم يفهموا ما تلقوه من جواب ، فلا يجيرون جواباً (٣٥) .
- ٦١ حينئذ قال فرجيليو : « قل له سريعاً : ”أنا لست إياه ، أنا لست منَّ تظن“ ؛ وأجبتُ كما أُلقي على (٣٦) .
- ٦٤ ولذا هزَّ ذلك المعدب بعنف كلتا قدميه ؛ ثم قال لى بصوت باك ، وهو يتهد (٣٧) : « إذاً فماذا تسألنى ؟
- ٦٧ إذا كان يعينك كثيراً أن تعرف منَّ أنا ، حتى سارعت كذلك إلى هذه الضفة ، فاعلم أنى ارتديت يوماً الثوب الأعظم (٣٨) ؛
- ٧٠ وفى الحق كنتُ ابناً للذبة (٣٩) ، وكنت شديد الحرص على تقدّم صغار الذبية ، فى أعلى اخترنتُ المال (٤٠) وهنا تقسى (٤١) .

- ٧٣ وتحت رأسى أُلتي بالآخرين^(٤٢) ، الذين سبقوني في ممارسة السمعانية^(٤٣) ، وقد قبعوا الآن في فجوات الصخر .
- ٧٦ وسأهوى سريعاً هناك في أسفل ، عندما يأتي ذلك الذى ظننتُ أنك هو^(٤٤) ، لِمَا وجهتُ إليك سؤالى المفاجئ^(٤٥) .
- ٧٩ ولكن الوقت الذى احترقتُ فيه قدماى ، وكنتُ خلاله هكذا مقلوباً ، أطولُ مما سيقتضيه هو مغروساً بقدمين مضطربتين^(٤٦) :
- ٨٢ لأنه سيأتى بعده من الغرب^(٤٧) راعٍ دون قانون^(٤٨) ، ذو أفعال أشنع ، يمكن أن تغطيه وتغطينى^(٤٩) .
- ٨٥ سيصبح جاسون الجليد^(٥٠) ، الذى يُقرأ عنه في قصة المكابيين ، وكما كان مسلكه ضعيفاً أمامه ، هكذا سيصبح منَّ يحكم فرنسا^(٥١) .
- ٨٨ لا أدري هل كنتُ شديد الوطأة عليه ، لأنى أحبته بهذا النظم : « أوَاه ! خبّرني الآن : كم من كنوزٍ تطلَّبَ
- ٩١ السيد الإله^(٥٢) من القديس بطرس ، قبل أن يعهد إليه بالمفتاحين^(٥٣) ؟ وبالتأكيد لم يطلب إليه سوى : ” اتبعنى^(٥٤) ” .
- ٩٤ لم ينتزع بطرس ولا الآخرون من متى ذهباً ولا فضة^(٥٥) ، حينما اختاره القدر للمقام الذى أضاعته النفس الآئمة^(٥٦) .
- ٩٧ ولذا فلتبق هنا ، فإنك تلقى العقاب المناسب ؛ واحفظُ جيداً مالا سلبتهُ حراماً ، فجعلك جريئاً على الملك شارل^(٥٧) .
- ١٠٠ ولولا أنه لا يزال يمنحني احترامى للمفتاحين العظميين ، اللذين احتفظتُ بهما في الحياة السعيدة^(٥٨) ،
- ١٠٣ لاستخدمتُ بعدُ كلاماً أشدّ ، لأن جشعك يُحزن الدنيا ، باضطهادك الأخيار ورفعك شأنَ الأشرار^(٥٩) .
- ١٠٦ لقد توقع يوحنا الإنجيلي^(٦٠) راعياً مثلك ، عندما رأى تلك التى تجلس على الماء^(٦١) ، تقترف الفحشاء مع الملوك ؛

- ١٠٩ تلك التي وُلدت بسبعة رؤوس^(٦٢) ، واستمدت حيويتها من قرونها العشرة^(٦٣) ، ما دام زوجها مرتاحاً إلى الفضائل^(٦٤) .
- ١١٢ إنكم قد صنعتُم من الذهب والفضة إلهاً^(٦٥) : وأى فرقٍ بينكم وبين الوثني ، سوى أنه يعبد إلهاً واحداً ، وأنتم تعبدون مائة ؟
- ١١٥ آه لك يا قسطنطين ! كمٌ ذا ولِدَ من الشرور ، لا اعتناقك المسيحية ولكن ذلك الصداق الذي أخذه منك أول ثريٍّ من البابوات^(٦٦) ! .
- ١١٨ وبينما كنتُ أتغنّى بمثل هذه الألحان ، اهتزت كلتا قدميه بقوةٍ ، إما لوخز الضمير أو عضّة الغضب .
- ١٢١ وأعتقد حقاً أن ذلك قد أَرْضَى دليلي ، لأنه أصغى دائماً ، وعلى فمه بسمّة الرضا^(٦٧) ، إلى زين كلماتي الصادقة .
- ١٢٤ ولذلك أخذني بكلتا ذراعيه : وبعد أن حمل جسمي كله على صدره ، عاد إلى الصعود في الطريق الذي هبط منه^(٦٨) .
- ١٢٧ لم يلقَ تبعاً إذ حملني وأنا ملتصقٌ به ، حتى وصل بي إلى قمة الجسر ، الذي هو معبرٌ بين الشاطئ الرابع والخامس .
- ١٣٠ وهنا أنزل الحملَ برفقٍ^(٦٩) ، ووضعه برفقٍ على الصخر المنحدر الوعر ، وهو حتى على المعز معبرٌ صعب^(٧٠) .
- ١٣٣ وهناك كُشِفَ لي عن خندقٍ جديد^(٧١) .

حواشى الأنشودة التاسعة عشرة

- (١) هذه أنشودة السمانية ، أى من ارتكبوا خطيئة بيع أو شراء الأشياء الروحية بالمال ، سواء أكانوا من رجال الدين أم من العلمانيين .
- (٢) سمعان الساحر (Simon) الذى أراد أن يشتري الروح القدس بالمال من القديسين بطرس ويوحنا ، كما ورد فى « الكتاب المقدس » :
- (٣) يعنى أنهم اشترؤا بالمال هبات الله ونعمه .
- (٤) لا تشتري الأشياء الروحية المقتسة بالمال ، ولكنها تنال بالصلاح والتقوى .
- (٥) ربما أراد دانتى القول بأنه ينبغى عليه أن يرفع صوته حتى يسمعوا كلامه . ولعله أراد بذلك الموازنة بصوت البوق الذى كان يصلح عند صدور أحكام القضاة على المتهمين فى زمنه .
- (٦) يقصد الخندق التالى . وكل خندق أو واد بمثابة قبر للممذبن .
- (٧) أى الله بما أوتى من حكمة .
- (٨) يعنى فى الجحيم .
- (٩) أى يوزع الله بحكمته العليا الثواب والمعاقب بمداللة وجزاء لما فعله الناس من خير أو شر .
- (١٠) كان ممدان سان جوفانى (San Giovanni) أهم كنيسة فى فلورنسا قبل إقامة الكاتدرائية ، وسعى باسم حامي المدينة . وكان به مواضع لوقوف القساوسة عندما يقبضون بمصاد الأطفال وهى ليست موجودة الآن ، ولكن لا يزال شبيها قائماً حتى الآن فى ممدان بيزا . ويشير إليه دانتى فى الفردوس :
- وتوجد صورة صغيرة لهذا الممدان وترجع إلى القرن ١٤ ، وهى فى مكتبة كيديجى فى روما .
- (١١) ينمت دانتى ممدان سان جوفانى بلفظ الجليل ، وقد عمد فيه ، وكان يأمل يوماً أن تتوج فلورنسا حامته فيه بإكليل الشعراء .
- (١٢) عندما كان دانتى أحد أعضاء مجلس الشيوخ فى فلورنسا ، وفى إحدى زيارته لممدان سان جوفانى ، أخذت طفلاً أوشك على الترقق فى حوضه . ويقول بعض المؤرخين إنه كان بالديتاشوى كائيتشولى (Baldinaccio dei Cavicciuli) .
- (١٣) المقصود إزالة الشك فى أن دانتى لم يكن يحترم هذا المكان المقدس .
- (١٤) كان وضع هؤلاء الممذبن مقلوباً ، لأنهم قلبوا الأوضاع فى الحياة ، ووضع فى كل ثفرة جماعة من الممذبن ، الواحد فوق الآخر ، ولعله كان فى باطن الأرض سرداب يتسع لهم ، ولا يظهر إلا آخرهم ، وإذ أن معذب جديد يدفع الظاهر إلى داخل الحفرة ويحل مكانه .
- وفى التراث الإسلامى بعض الشبه بهذه الصورة من حيث السير على الرؤوس :
- الحنلى : كثر العمال (السابق الذكر) ج : ٧ ص : ٢٤٦ : رقم : ٢٨٠٩ ، ص : ٢٨٠ : رقم : ٣٠٨٨ .
- (١٥) هذا المزيد فى تعذيبهم .
- (١٦) اهترت مفاصلهم بسنن من شدة الجهد .

- (١٧) يعنى أن اهترازهم العنيف كان يمزق أقوى الأربطة والقيود .
- (١٨) هذا التشبيه مستمد من ملاحظة احتراق سطح مدهون بالزيت أو الشمع .
- (١٩) كان عقاب هذا المعذب أشد لأنه من رجال الدين ، وهم أولى باتباع تعاليم الدين . ويجرى داتى التشبيه بألفاظ سهلة بسيطة تجعل المشهد - على رغم غرابته - يبدو حقيقياً .
- (٢٠) يبذل فرجيليو دائماً كل ما يستطيع لكي يشبع رغبة داتى في المعرفة .
- (٢١) سبق معنى قريب من هذا : Inf. II. 79.
- (٢٢) هذه إشارة إلى معنى سابق : Inf. II. 140.
- (٢٣) سبق تكرار هذا المعنى وسيأتى بعد : Inf. X. 18; XVI. 118-120; XXIII. 25.
- (٢٤) حمل فرجيليو داتى حتى وصل به إلى مكان ذلك المعذب الذى رآه من أعلى الجسر .
- (٢٥) يبكي بساقيه أى يهزها بعنف ، ولم يكن يستطيع أن يعبر عن بكائه بغير هذه الطريقة .
- (٢٦) هذا هو عقاب من باع الأشياء المقدسة بالمال ، وبذلك اتجه إلى الدنيا لا إلى السماء .
- (٢٧) هو البابا نيقولا الثالث (١٢٧٧ - ١٢٨٠ . Niccolo III) الذى باع الدين بالمال وبذلك اتجه إلى الدنيا لا إلى السماء .
- ويوجد تمثال له في مدافن الفاتيكان .
- (٢٨) كان عقاب القاتل في المصور الوسطى أن يدفن حياً ورأسه إلى أسفل .
- (٢٩) يشبه داتى نفسه بالراهب الذى يتلقى اعتراف القاتل وهو لا يزال متعلقاً بأهداب الحياة عند تنفيذ العقوبة فيه .
- (٣٠) ينادى بونيفاتشو الثامن علو داتى اللود .
- (٣١) ظن نيقولا الثالث أن من يحادثه هو بونيفاتشو الثامن - لا داتى - واحتقد أن كتاب المستقبل قد أخطأ عند ما جاء بونيفاتشو - على ظنه - قبل وفاته في ١٣٠٢ .
- (٢٩) اشتهر بونيفاتشو بمحبه وجهه للمال ، ويتساهل نيقولا هل شيع بما جمعه منذ توليه البابوية في ١٢٩٤ .
- (٣٢) أبى الكنيسة . هذه إشارة إلى أن بونيفاتشو حمل تشليستينو الخامس على أن يعزل الكرسي البابوى وحل مكانه .
- (٣٤) جلب على الكنيسة العار بسوء سيرته .
- (٣٥) صور داتى نفسه كشخص لم يفهم قول نيقولا وتعرض بذلك للسخرية ، فسكت ولم يستطع الكلام .
- (٣٦) سارع فرجيليو إلى مساعدة داتى وأشار عليه بالكلام .
- (٣٧) تألم نيقولا الثالث لأنه لم يجد أمامه بونيفاتشو الثامن كما احتقد .
- (٣٨) يعنى الثوب البابوى .
- (٣٩) المقصود بالدبة البابا نيقولا الثالث من أسرة أورسيني (Orsini) في روما .
- ويوجد نحت يمثل شارة هذه الأسرة في صورة دب ، وهو في كنيسة القديسين يوحنا وبولس في البندقية .

- (٤٠) أى اختزن المال في الدنيا .
- (٤١) واختزن نفسه بآثامه في الجحيم .
- (٤٢) أى يوجد تحته بابوات سبقوه في هذه الخطيئة وهم إنشنتو الرابع (١٢٤٣ - ١٢٥٤) وإسكندر الرابع (١٢٥٤ - ١٢٦١) وأوربان الرابع (١٢٦١ - ١٢٦٥) وكلمتو الرابع (١٢٦٥ - ١٢٦٨) .
- وتوجد صور هؤلاء البابوات في مدافن الثاتيكان .
- (٤٣) السمعانية يعنى بيع الأشياء المقدسة بالمال .
- (٤٤) أى بونيفاتشو الثامن .
- (٤٥) أى السؤال الذى وجهه إلى دانتى في أبيات ٥٢ - ٥٧ .
- (٤٦) بهذا يعبر نيقولا الثالث عن طول العذاب الذى لقيه .
- (٤٧) يقصد كلمتو الخامس (١٣٠٥ - ١٣١٤ Clemento V.) وكان أسقف بورجو من قبل ، ونقل الكرسي البابوي إلى أفينيون وبدأ فترة الأسر البابوي ، واشتهر بحبه للمال . وللغرب يعنى فرنسا .
- (٤٨) أى أنه لم يعرف القانون السماوى ولا القانون الدنيوى .
- (٤٩) أى أن كلمتو الخامس سيرتكب وحده من الآثام ما يكفى لعذاب اثنين .
- (٥٠) هو الأسقف جاسون أوياسون (Jason) بن الأسقف سممان الثانى ، حصل على مركزه الدينى برشوة أنطيوخس ملك سوريا ، كما ورد في « الكتاب المقدس » :
- Maccab. 2. IV. 7-17; V. 5-10, ecc.
- (٥١) أى أن أنطيوخس انحاز إلى جاسون ، وكذلك انحاز فيليب الجميل في فرنسا إلى كلمتو الخامس .
- (٥٢) يعنى السيد المسيح .
- (٥٣) يعنى مفتاحى السماء كما ورد في « الكتاب المقدس » :
- Matt. XVI. 18-19.
- وتوجد صورة للمسيح يقدم مفتاحى السماء إلى القديس بطرس ، وهى من عمل بيتر وبيروجينو (حوالى ١٤٤٥ / ٥٠ - ١٥٢٣) وهى في مصلى سستو في الثاتيكان . وكذلك رسم روبنز (١٥٧٧ - ١٦٤٠) صورة لهذا المشهد وهى في مجموعة والاس في لندن .
- (٥٤) هذا من أقوال المسيح :
- Matt. IV. 19; Mar. I. 18.
- (٥٥) هذه إشارة إلى « الكتاب المقدس » :
- Apos. I. 13-26.
- (٥٦) المقصود يهوذا الإسخريوطى .
- (٥٧) ربما كان المتصود أموال العشور الكنسية أو ثروات أخرى جعلت نيقولا الثالث يقوى على معارضة سياسة شارل دانجو ملك صقلية .
- ويوجد تمثال لشارل دانجو من صنع أرنولفو دى كامبيو في القرن ١٣ وهو في الكامبيدوليو في روما .
- (٥٨) أى في الحياة على الأرض .
- (٥٩) ليس للأبرار ثروة ينالون بها الخبطة بعكس الأشرار الذين يشترون الأشياء المقدسة

بالمال . وكم من آثام يرتكبها بمض رجال الدين باسم الدين .

Apoc. XVII. ١. . .

(٦٠) هذه إشارة إلى ما جاء في «الكتاب المقدس» :

Apoc. XVII. 15.

(٦١) يعنى الكنيسة التى أفساها الذهب :

(٦٢) أى الطقوس السبعة .

(٦٣) يعنى الوصايا العشرة .

(٦٤) أى البابا زوج الكنيسة .

Osea, VIII. 4.

(٦٥) هذا إشارة إلى «الكتاب المقدس» :

(٦٦) هذه إشارة إلى منحة قسطنطين الأول (٣٠٦ - ٣٢٧ م Costantino I) للبابا

سيلفسترو الأول (٣١٤ - ٣٣٦ Silvestro I) . ومع أن بطلان وثيقة تنازل قسطنطين عن

سلطته الدنيوية لسيلفسترو لم يثبت إلا فى القرن ١٥ على يد لورنتزو فاللا ، فإن دانتى لم يعترف

بقانونية هذه المنحة لأن السلطين الروحية والزمنية مستمدتان عنده من الله مباشرة كما قال فى كتابه

Mon. III. 10, ecc.

« الملكية » :

وتوجد صورة لقسطنطينية ود جواد سيلفسترو إلى روما ، وترجع إلى القرن ١٤ ، وهى فى كنيسة

القديسين الأربعة الملكيين فى روما .

وكذلك يوجد حفر يمثل البابا سيلفسترو الأول وهو فى كنيسة القديس يوحنا اللاتيرانى فى روما .

(٦٧) فى الأصل الشفة يعنى الابتسامة أو الوجه .

(٦٨) كان فرجيليو يحمل دانتى كابن له . هذه صورة من صور الأبوة التى افتقدها دانتى

فى حياته الأسرية .

(٦٩) وفى قراءة أخرى أنزل برفق الحمل اللطيف .

(٧٠) هذا دليل على عبورة الطريق ، وقد جنبه فرجيليو هذه المشقة .

(٧١) هذا هو الخندق أو الوادى الرابع .

وفى التراث الإسلامى بعض الشبه من حيث تقسيم جهنم أو الجحيم واشتغالها على أودية وخنادق

وأبار وسجون وجسور . . . :

الشعرانى : مختصر تذكرة القرطبي (السابق الذكر) . ص : ٧٠ ، ٧٤ .

الأنشودة العشرون^(١)

رأى دانتى عذاباً جديداً كان عليه أن يصوغه شعراً ، وقد انكشف له خنق رواه بكاء أليم . وشهد قوماً يتقدمون بخطوات بطيئة في بطن الوادى الرابع ، وكان هؤلاء هم السحرة والعرافون والمنجمون . ورأى دانتى مشهداً عجباً ، إذ التوت رؤوس المعذبين إلى الخلف وساروا إلى الوراء وبلت دموعهم فلقة الأرداف . تأثر دانتى لما أصاب صورة البشر من الانحراف والتشويه ، فبكى بمرارة وقد اعتمد على صخرة في الجسر الوعر . عمل فرجيليو على تهدئة خاطره وقال له إنه ليس هناك من هو أضلّ من إنسان يأخذه الأسى أمام قضاء الله . وأشار فرجيليو إلى بعض هؤلاء السحرة والعرافين مثل أمفياروس وتيريسياس اليونانيين ، وأرونس الإترسكى ، ومانتو ابنة تيريسياس ، التى غادرت اليونان وهامت على وجهها فى الأرض طويلاً ، ثم استقرت فى مسقط رأسه . أشار فرجيليو إلى بعض المناطق فى شمالى إيطاليا ، التى كان دانتى يعرفها ، مثل الأبين عند بحيرة جاردا ، وعليها قلعة فسكييرا الحصينة . وقال إن العرافة مانتو استقرت فى أرض فقراء وعاشت هناك ومارست فنون السحر ، وهناك ماتت . ثم شيدت مدينة فوق عظامها الميتة وسميت مانتوا . وأشار فرجيليو إلى أوريبيلوس وكالكاس العرافين اليونانيين ، اللذين أعطيا الإشارة للسفن بالرحيل إلى حرب طروادة . وذكر فرجيليو ميكيل اسكوت الساحر الإسكتلندى ، وبوناتى المنجم والفلكى من مدينة فورلى ، وأشار إلى أسدينتى الإسكافى من پارما الذى اشتهر بالسحر والشعوذة . وكان القمر قد أخذ فى الغروب وأذنت الشمس بالشروق ، وبذلك حان الوقت لكى يتابع الشاعران رحلتها .

- ١ فلأصنع شعراً من العذاب الحديد، وأجعل منه مادةً للأنشودة العشرين^(٢١)
من أغنيتي الأولى^(٣)، أغنية الغارقين^(٤).
- ٤ وكنتُ قد تأهبتُ بكلِّ مشاعري، لكي أنظر في الخندق الذي كُشفَ لي،
وقد سقاه بكاءً أليمً^(٥).
- ٧ فرأيتُ قوماً في الوادي المستدير، يأتون^(٦) باكين صامتين^(٧)،
بالخطوات التي يسير بها اللبثانيون في هذه الدنيا^(٨).
- ١٠ ولا ازداد انخفاض بصري إليهم^(٩)، بدا لي من العجب أن كلا منهم
قد التوى، بين الذقن وأول الصدر^(١٠)؛
- ١٣ إذْ استدار الوجه للكليتين^(١١)، وكان عليهم أن يسيروا إلى الوراء،
إذْ امتنع عليهم النظر إلى الأمام^(١٢).
- ١٦ قد يلتوى بعض الناس على هذا النحو تماماً من الشلل، ولكني لم أر هذا
ولا أعتقد أنه موجود^(١٣).
- ١٩ فليجعلك الله تجني ثمرة قراءتك أيها القارئ^(١٤)؛ وتفكر الآن بنفسك
كيف كنتُ أستطيع حفظَ وجهي جافاً من الدموع^(١٥)،
- ٢٢ عندما رأيت من كتب صورتنا الإنسانية^(١٦) منقلبةً على هذا الوضع،
حتى بلل بكاء الأعين منهم قناة الردفين^(١٧)!
- ٢٥ بكيْتُ حقاً، وقد اعتمدتُ على صخرة من الجسر الوعر^(١٨)، حتى قال
لي رفيقي: «أأنت أيضاً من الحمقى الآخرين^(١٩)؟»
- ٢٨ هنا تعيش الشفقة حينما تكون قد ماتت تماماً^(٢٠): ومنْ أضلَّ مِمَّنْ
يأخذُه الأسي أمام قضاء الله^(٢١)!
- ٣١ ارفع الرأس، ارفع، انظر إلى مَنْ انفتحت له الأرض أمام أعين أهل
طيبة، فصاحوا جميعاً: "إلى أين تهوى
- ٣٤ يا أمفياروس^(٢٢)؟ ولماذا ترك الحرب؟". إنهما أنفكَّ يهبط في الهاوية
إلى مينوس^(٢٣)، الذي يقبض على كلِّ آثم^(٢٤).

- ٣٧ تطلّع إلى مَنْ جعل من كتفيه صدراً: ولأنه أراد أن يرى إلى الأمام كثيراً ، فهو ينظر الآن إلى الوراء ، ويسير إلى الخلف (٢٥) .
- ٤٠ وانظر إلى تيريسياس (٢٦) الذي غير مظهره ، حينما تحول من رجل إلى امرأة ، وقد بدل كل أعضائه ؛
- ٤٣ ثم كان عليه أن يضرب بعصاه الثعبانين المتعانقين مرةً أخرى (٢٧) ، قبل أن يستعيد ريش الذكر (٢٨) .
- ٤٦ ذلك هو أرونس (٢٩) ، الذي يسند ظهره إلى بطن تيريسياس (٣٠) ، والذي كان له - في جبال لوفى (٣١) حيث يطهر الأرض (٣٢) أهل كارارا الساكنون في أسفل -
- ٤٩ كهف لسكناه ، بين المرمر الأبيض ، إذ لم تمتنع عليه عند النظر ، رؤية النجوم ومياه البحر (٣٣) .
- ٥٢ وتلك التي تغطي ثديها اللذين لا تراهما (٣٤) ، بمجدائل محلولة ، ولها في الجانب الآخر كل جلد أشعر (٣٥) ،
- ٥٥ كانت هي مانتو (٣٦) التي جابت بلاداً كثيرة ، ثم استقرت هناك حيث ولدت (٣٧) ؛ ولذلك يسرنى أن تنصت إلى قليلا .
- ٥٨ بعد أن غادر أبوها الحياة ، واستعبدت مدينة باخوس (٣٨) ، هامت على وجهها في الأرض طويلا .
- ٦١ في أعالي إيطاليا الجميلة ، وعلى سفح جبال الألب ، التي تغلق ألمانيا فوق التيرول (٣٩) ، تستلقى بحيرة تدعى بيناكوس (٤٠) .
- ٦٤ وأعتقد أن الأبنين (٤١) خلال ألف نبع وأكثر ، بين بحيرة جاردا ووادى كامونيكيا ، يرتوى بالماء الذي يسكن في تلك البحيرة .
- ٦٧ وفي الوسط مكان (٤٢) ، هناك حيث استطاع راعي ترنتو وراعى بريشا والثيرونى أن يمنحوا البركات ، إذا ساروا في ذلك الطريق (٤٣) .
- ٧٠ وتجمّسكيبيرا (٤٤) القلعة الجميلة القوية ، في مواجهة أهل بريشا وأهل برجامو ، حيث يزيد هبوط الشاطئ من حولها (٤٥) .

- ٧٣ وهناك لا بدّ أن يفيض كلّ ما لا يقوى على البقاء في بطن بيناكوس ،
وفي أسفل يصنع من نفسه نهراً خلال المروج الخضراء^(٤٦) .
- ٧٦ وحينما تبدأ المياه في جريانها ، لا تُسمى بيناكوس بعدد ، ولكن تُدعى
مينتسو حتى مدينة جوفرونو ، حيث تصب في نهر الپيو^(٤٧) .
- ٧٩ ولا تجرى كثيراً حتى تجد منخفضاً ، تنساب فيه وتتحول إلى مستنقع ،
اعتاد أن يصير وحيماً في الصيف أحياناً^(٤٨) .
- ٨٢ وبينما كانت العذراء المتوحشة^(٤٩) تمرّ هناك ، رأت وسط المستنقع أرضاً
غير ذات زرع وعارية من السكان .
- ٨٥ ولكي تهرب من كل علاقة بالبشر ، استقرت مع خدمها هناك ، حتى
تمارس فنونها^(٥٠) ، وعاشت ، وهناك تركت جسدها رفاتاً^(٥١) .
- ٨٨ والرجال الذين تفرّقوا بعدئذ من حوله ، اجتمعوا عند ذلك المكان وقد كان
منيعاً بالمستنقع الذي أحاطه من كلّ جانب .
- ٩١ وشادوا المدينة فوق تلك الأعظم النخرات^(٥٢) ؛ وباسم تلك التي اختارت
المكان أولاً ، سمّوها مانتوا ، دون كهانةٍ أخرى^(٥٣) .
- ٩٤ وكان السكان بداخلها قد أصبحوا أكثر عدداً ، قبل أن يتلقّى جنون
الكونت كازالودي^(٥٤) غدراً بينامونتي^(٥٥) .
- ٩٧ ولذلك أوصيك - إذا سمعت أبداً أن مدينتي نشأت عن أصلٍ مغايرٍ -
ألا تجعل أية أكذوبةٍ تطمس الصدق^(٥٦) .
- ١٠٠ قلت : « أستاذي ! إن كلماتك أكيدةٌ لدى تماماً ، وهي تسيطر
على إيماني ، حتى ليبدو لي ما عداها كفتحٍ خبّبتْ جدوته^(٥٧) .
- ١٠٣ ولكن خبروني عن القوم الذين يتقدمون ، إذا وجدت من بينهم واحداً
يستحق الذكر^(٥٨) ! لأنه لا يشغل ذهني سوى ذلك » .
- ١٠٦ عندئذ قال لي : « ذلك الذي تتدلّى لحيته من خده على كتفيه الداكنتين
حينما خلّت من ذكورها اليونان ،

- ١٠٩ حتى لم يكذب يبقى أحدٌ في المهدي^(٥٩) - كان عرافاً ، وأعطى هو وكالكاس^(٦٠) الإشارة لقطع أول جبل^(٦١) في أوليس^(٦٢) .
- ١١٢ كان اسمه أوريبيولوس^(٦٣) ، وهكذا تتغنى به مأساتي الرفيعة في موضع منها^(٦٤) : وإنك تعرفه جيداً ، أنت يا مَنْ تعرفها كلها .
- ١١٥ وذلك الآخر الذي يبدو في الجنين شديد الهزال ، كان ميكيل اسكوت^(٦٥) ، الذي عرف حقاً الأعيب الخدع السحرية .
- ١١٨ وانظر جوويدو بوناتى^(٦٦) ؛ وانظر إلى أسدينتى^(٦٧) الذي يتمنى الآن لو أنه التزم العملَ في الخيط والجلد ، ولكنه يندم بعد الأوان .
- ١٢١ وانظر إلى البائسات اللأئي تركنَ الإبرة والمغزل والمنسج ، وجعلنَ من أنفسهنَّ عرافات ؛ وصنعنَ من العشب والدمى طلاسماً^(٦٨) .
- ١٢٤ ولكن تعال الآن ، فإن قابيل بأشواكه^(٦٩) ، يسيطر على حدود نصفتيُّ الكرة ، ويلمس الموج عند أشبيلية^(٧٠) ،
- ١٢٧ وكان القمر قد صار بديراً مساء أمس^(٧١) : وينبغي أن تذكر هذا جيداً ، لأنه لم يؤذك مرةً في الغابة العميقة^(٧٢) .
- ١٣٠ هكذا تحدثت إلى إذْ كنا نسير .

حواشى الأنشودة العشرين

- (١) هذه أنشودة العرافين والمنجمين .
- (٢) يعنى لفظ (canto) أنشودة أو نشيد أو قصيدة . وفى اللفظ دلالة على الغناء والموسيقى .
- (٣) يعنى الجحيم الجزء الأول من الكوميديا .
- (٤) يعنى العارفين فى عذاب الجحيم .
- (٥) هذه هى دموع العرافين والمتنبئين بالغيب .
- (٦) أى أنهم يقتربون .
- (٧) قد يكون البكاء الصامت أشد من البكاء المصحوب بالصوت .
- (٨) اليتانى (Ictane) صلاة خاصة أو عامة . يسير القساوسة فى موكبهم ويبدأ لأدائها ، وهى صلاة تكفير ودعاء لزوال الأوبئة ورفع الأخطار ، ووجدت فى الكنيسة الشرقية والكاثوليكية والبروتستانتية .
- (٩) لم يلحظ دانتى المشهد العجيب لأول وهلة ، ولكن عند ما تابع المعذبين ببصره رأى أمراً عجباً .
- (١٠) يعنى التوت رقابهم ورؤوسهم إلى الخلف .
- (١١) أى نحو الظهر أو الحصر .
- (١٢) ذلك لأن العرافين حاولوا أن ينظروا المستقبل ، وهم لا يرون الآن بما أمامهم .
- (١٣) يحاول دانتى أن يفسر هذه الظاهرة الغريبة ، ويستمد الصورة من مرض الشلل .
- وفى التراث الإسلامى بعض الشبه بهذه الصورة فى عقاب من لم يؤمنوا بكتاب الله :
- القرآن : النساء : ٤٧ .
- أبو جعفر محمد الطبرى : كتاب جامع البيان فى تفسير القرآن . القاهرة ، ١٣٢٣ هـ .
- ج : ٥ : ص : ٧٧ .
- الشعرانى : مختصر تذكرة القرطبي (السابق الذكر) . ص : ٤٧ .
- الغزالي : إحياء علوم الدين (السابق الذكر) . ج : ٤ : ص : ٢٦ .
- (١٤) يمتقد دانتى أن من يقرأ الكوميديا يتعلم .
- (١٥) أضفت (من الدموع) لإيضاح المعنى .
- (١٦) أضفت (الإنسانية) لإيضاح المعنى .
- (١٧) سألت دموع المعذبين على ظهورهم حتى فلقه الأرداف .
- (١٨) سبق أن رأى دانتى ألواناً من العذاب ، ولكنه فى كل مرة كان يرى الإنسان فى صورته المألوفة ، وفى هذه المرة رأى الإنسان وقد اختلفت صورته فى هذا الوضع الغريب ، فبكى بمرارة وأسند رأسه إلى حجر نائق . فى الجسر الوعر . وهذا هو دانتى الشاعر الفنان المرهف الحس النى يشارك المعذبين آلامهم فتسيل عبراته .

- (١٩) يحاول فرجيليو أن يكفكف من دمع دانتى ، ويريد أن يقول إن الرجل العاقل لا يجد في عذاب هؤلاء العرافين مبررا للبكاء . ولكن دانتى لا يستطيع سوى أن يبكى آلام هؤلاء المعدلين .
- (٢٠) يعنى أنه لا يجوز البكاء في الجحيم وإبداء الرحمة حيث ماتت كل رحمة .
- (٢١) ينطق فرجيليو بهذه الحكمة لكي يهدئ من روع دانتى .
- (٢٢) أمفياروس (Amphiaraus) أحد الملوك السبعة في الميتولوجيا اليونانية الذين ساروا لحصار طيبة لإعادة بولينيسى إلى العرش ، وقد تنبأ بأنه سيموت في هذه الحملة ، وحاول بذلك أن يتجنب الحرب ، ولكن جوهرتر ففر الأرض أمامه فطوته في جوفها : Stat. Theb. VII. 690-823.
- (٢٣) مينوس قاضى الجحيم : Inf. V. 4-15.
- (٢٤) أضفت لفظ (آثم) لإيضاح المعنى .
- (٢٥) هكذا ينال العرافون والمنجمون عقابهم .
- (٢٦) تيريسياس (Tiresias) عراف طيبة في أثناء حرب طروادة :
- Ov. Met. III. 324-331.
- (٢٧) تقول الأسطورة إن تيريسياس تحول إلى امرأة عند ما ضرب بعصاه ثعبانين متعانقين لكي يفرقهما ، ولم يستعد رجولته إلا بعد سبع سنوات عند ما ضرب ثعبانين متعانقين مرة أخرى .
- (٢٨) المقصود الحية ومظاهر الرجولة .
- (٢٩) أرونس (Aruno) عراف إترسكى تنبأ بانتصار قيصر على بومبى :
- Luc. Phars. I. 584-588.
- (٣٠) أضفت لفظ (تيريسياس) للإيضاح .
- (٣١) جبال لوني (Luni) على مقربة من كارارا (Carrara) . وهى جبال مشهورة بالمروم الأبيض منذ عهد الرومان . وزار دانتى هذه المنطقة حوالى ١٣٠٦ .
- (٣٢) يعنى تطهير الأرض من الأعشاب الضارة بزراعتها .
- (٣٣) أى أنه استطاع في الكهف أن يرى النجوم والبحر عندما كان يتنبأ بالمستقبل .
- (٣٤) لم ير دانتى ثدي هذه الآثمة لأنها سارت بوجهها المعكوس إلى الخلف .
- (٣٥) أى الجزء الأمامى من الجسم الذى ينبت عليه بعض الشعر ، ويقصد الشعر حول عضو التناسل . وهكذا لا يكاد يقلت جزء من جسم الإنسان من ملاحظة دانتى .
- (٣٦) مانتو (Manto) هى ابنة تيريسياس ، غادرت وطنها بعد موت أبها لكي تتجنب طغيان كريون .
- (٣٧) أى استقرت في موضع مانتو ، وهى مكان ميلاد فرجيليو : Virg. Æn. X. 199.
- (٣٨) أى عندما أصبحت طيبة - مدينة باخوس - تحت طغيان كريون .
- (٣٩) هى الجبال الواقعة بين وادى كامونيكو وادى الأديج في شمال إيطاليا .
- (٤٠) بيناكوس (Benacus) هو الإسم القديم لبحيرة جاردا في شمال إيطاليا .
- (٤١) المقصود بالأبنين هنا الجبل الذى يقع غربى بحيرة جاردا .
- (٤٢) اختلف النقاد في تحديد ذلك الموضع الذى كانت تلتقى فيه حدود هذه الأسقفيات الثلاثة ، وترك دانتى المكان دون تحديد .

- (٤٣) أى عند ما كان الأساقفة يخرجون لمباشرة وظائفهم الدينية .
- (٤٤) بـسكـيرا (Peschiera) مدينة محصنة في الجنوب الشرقى من بحيرة جاردا ، اتخذها أهل فيرونا كقلعة أمام هجمات أهل بريشا (Brescia) وأهل برجامو (Bergamo) .
- (٤٥) بيل بـسـكـيرا أرض منخفضة .
- (٤٦) هذه مروج فيرونا الخضراء .
- (٤٧) يجترق نهر مينتسو (Mincio) مروج فيرونا ثم يصب عند مدينة جوفرونو (Governo) في نهر الپو .
- (٤٨) عند ماتوا وقبل نهر الپو تبدأ المستنقعات التي تساعد على نشر الأوبئة .
- (٤٩) يقصد ماتو العرافة السالفة الذكر .
- (٥٠) أى تمارس التنجيم والسحر .
- (٥١) يعنى أنها ماتت هناك .
- (٥٢) أى حيث خلفت ماتو عظامها :
Virg. Æn. X. 198...
- (٥٣) سميت المدينة مانتوا (Mantua) وهو مشتق من ماتودون الاستماعة بالكهانة والسحر ، كما كانت المادة عند اختيار أسماء المدن تديماً .
- (٥٤) سيطر آل كازالودى (I Casalodi) على مانتوا في ١٢٧٢ ولكنهم كانوا موضع كراهية الشعب .
- (٥٥) هذا هو بينامونتي دى بـوـنـا كورسى (Pinamonte de Buonaccorsi) الذى نصح الكونت ألبرتو دى كازالودى بأن ينقذ كل الأمراء البارزين من مانتوا ، حتى لا يكونوا مصدر خطر عليه . ولما تم ذلك تزعم الشعب وقتل البقية الباقية من الأسمر البارزة وطرده الكونت ألبرتو وسيطر على مانتوا حتى ١٢٩١ . والمقصود بجنون الكونت كازالودى استماعة إلى رأى بينامونتي المشار إليه .
- (٥٦) يحذر فرجيليو دانتي من تصديق أى قول عن أصل مانتوا غير هذا ، وإن كان فرجيليو لم يذكر هذه الأسطورة على هذه الصورة تماماً :
Virg. Æn. X. 198...
- (٥٧) أى أن كل قول آخر سيكون عند دانتي مثل رماد فحم لا ينبعث منه ضوء .
- (٥٨) هؤلاء هم المذبذبون فى الوادى أو الخندق الرابع .
- (٥٩) كان ذلك عند الخروج إلى حرب طروادة .
- (٦٠) كالكاس (Calcas) عراف يونانى صحب قومه فى حرب طروادة :
- Virg. Æn. II. 114-124.
Hom. Ill. I. 68-113; II. 299-332.
- (٦١) أى قطع أول حبل فى السفن الذاهبة إلى حرب طروادة .
- (٦٢) أوليس (Aulis) ميناء يونانى فى بويتزيا خرج منها الإغريق إلى حرب طروادة .
- (٦٣) أوريبيلوس (Eurypylos) عراف وساحر يونانى ، أعلن مع كالكاس أن الآلهة طلبت تضحية بشرية من اليونانيين قبل الخروج إلى حرب طروادة :
Virg. Æn. II. 108-129.
- (٦٤) المقصود بالمأساة أو التراجيديا إنيادة فرجيليو .
- (٦٥) ميكيل اسكوت (Michel Scot ١١٩٠ - ١٢٥٠) ولد فى اسكتلندا ودرس فى أكسفورد وباريس وطليلة وعاش بعض الوقت فى بلاط الإمبراطور فردريك الثانى فى نابلى ، واشتهر

بتبحره في الفلسفة والفلك والسحر والتنجيم وترجم بعض مؤلفات أرسطو من العربية إلى اللاتينية .
 (٦٦) جويدو بوناتي (عاش في القرن ١٣ . Guido Bonatti) منجم وفلكي من مدينة فوري
 وضع كتاباً ضخماً في علم الفلك ، وعمل في خدمة جويدو دي مونفلترو ، ويقال إنه كان من
 عوامل انتصاره على القوات البابوية في فوري في ١٢٨٢ .

(٦٧) أسدينتي (Asdente) إسكافي من بارما اشتهر بالتنجيم والسحر في النصف الثاني
 من القرن ١٣ .

(٦٨) يندد دانتى بالنساء اللاتي تركن واجباتهن إلى صناعة الطلامس .

وتوجد صورة بالموزايكو تمثل السنة مع الشمس والقمر ، وهي في كاتدرائية أوستا في بيسمونتي
 قرب حدود سويسرا .

(٦٩) المقصود بذلك القمر الذي اعتقد أهل العصور الوسطى أن قابيل يقيم فيه ومعه حزمة
 من الأشواك .

ورسم جويبا (١٧٤٦ - ١٨٢٨) صورة بها حشد من السحرة والعرافين جالسين على الأرض
 يتلقون أسرار المهنة من الشيطان ، وهي في متحف برادو في مدريد .

(٧٠) هذه حدود نصف الكرة عند دانتى ، أى في المحيط الواقع غربى إسبانيا والمقصود أن
 القمر أخذ في الغروب وبدأت الشمس في الشروق أى أن الوقت قد جاوز السادسة صباحاً .

(٧١) يعنى الليلة السابقة في ٨ أبريل ١٣٠٠ .

(٧٢) أى أنه أضاء ظلمات الغابة .

(١١) الأنشودة الحادية والعشرون

وصل الشاعران إلى الوادى الخامس ، حيث يعذب المرتشون الذين استغلوا سلطة وظائفهم ليجمعوا المال . رأى دانتي قطراناً يغلى ، يشبه القطران السميك فى مصنع سفن البندقية ، حيث تُرمم السفن المعطبة . وهنا غطس الآثمون فى القطران الآتى . ورأى دانتي شيطاناً مربعاً وحشياً الحركات ، يحمل فوق كتفه آثماً ، ثم يقذف به فى الوادى ، واتجه إليه الشياطين بخطايفهم حتى لا يعلو فوق سطح القطران ، ويشبه هذا ما يفعله الطهاة فى سواء اللحم . أشار فرجيليو على دانتي بأن يتوارى وراء بعض الصخور ، حتى لا يثير عليه الشياطين . حاول الشياطين أن يهاجموا فرجيليو ، ولكنه تحدث إلى زعيمهم مالا كودا ، وأفهمه أنه أتى بإرادة السماء لكى يقود دانتي فى هذه الرحلة ، فهبط كبرياؤه ودعا رفاقه إلى السلام ، وإن كان الشياطين قد أضمرُوا الحياة والغدر . ودعا فرجيليو دانتي أن يعود إليه آمناً مطمئناً ، ومع ذلك فقد ظل بعض الوقت وهو يساوره الخوف من الشياطين . قال مالا كودا إن الجسر السادس قد تحطم كله واستقر فى قاع الوادى ، ولا بد من الذهاب إلى موضع آخر للعبور . وأرسل مع الشاعرين بعض أتباعه من الشياطين لقيادتهما ولراقبة من يخرج من الآثمين من القطران . لم يأمن دانتي جانبهم لما بدا عليهم من أمارات الشر والغدر ، وعبر عن رغبته فى السير فى صحبة فرجيليو وحده ، ما دام يعرف الطريق . أخذ فرجيليو يهتف من روعه ويدخل السكينة عليه ، وتقدم الشياطين للمسير بعد أن أعطوا إشارة التفاهم لـدليلهم بارباريتشا ، الذى جعل من عجزه بوقاً يضرب عليه لتتحرك جماعة الشياطين .

- ١ هكذا جئنا من جسر إلى جسر^(٢) ، ونحن نتحدث عن أمور أخرى ،
لا تعنى ملهاتى^(٣) بالتغنى بها ، وبلغنا القمة ،
- ٤ حينما وقفنا لكي نرى هوةً أخرى ، فى « المالىبولجى^(٤) » ، ونشهد دموماً
أخرى باطلة^(٥) ؛ ورأيتها عجيبةً الإظلام^(٦) .
- ٧ وكما يغلى القطران الكثيف ، شتاءً ، فى مصنع سفن البنادقة^(٧) ، للقيام
بطلاء سفنهم المعطبة
- ١٠ التى لا تقوى على الإبحار ، وبدلاً من ذلك يُجدّد هذا سفينته ،
ويسدّ آخر جوانب تلك التى قامت برحلات كثيرة ؛
- ١٣ هذا يضرب المقدمة ، وذلك يطرق المؤخرة ؛ ويصنع آخرون مجاديف
ويجدل غيرهم حبالا ، وواحد يرتق شراعَ المقدمة وآخر يُصلح الشراعَ
الأكبر^(٨) -
- ١٦ هكذا كان يغلى هناك فى أسفل ، قطرانٌ كثيف ، لا بفعل نارٍ ولكن
بفنى^(٩) لهُمى ، وقد غمر الشاطيء فى كلّ جانب .
- ١٩ ورأيت ، ولكنى لم أتبين فيه سوى الفقاقيع التى صعّدها الغليان ، وقد
انتفخت كلها^(١٠) ، ثم هبطت وهى تنكمش^(١١) .
- ٢٢ وبينما كنت أمعن النظر هناك أسفل ، وكان دليلى يقول لى : « خذ
الحذر ، خذ الحذر !^(١٢) » ، جذبنى إليه من المكان الذى كنت
واقفاً فيه^(١٣) .
- ٢٥ وحينئذ استلرتُ كالرجل الذى يتأخر ليرى ما ينبغى أن يهرب منه ،
ويوهن قواه خوف مفاجئ^(١٤) ،
- ٢٨ فلا يؤخر رحيله لكى يرى^(١٥) ؛ ورأيتُ خلفنا شيطاناً أسود اللون ، يأتى
سعيّاً فوق الجسر^(١٥) .
- ٣١ أوآه ! كم كان رهيباً فى مظهره ! وكم بدا لى وحشياً فى حركاته ،
مفتوح الجناحين ، خفيفاً على القدمين^(١٦) !

- ٣٤ وعلى كاهله ، الذي كان شامخاً مُدبباً (١٧) ، حمل آتماً فاستقرّ بكلا رديه ، وأمسك هو بقوة عصب القدمين (١٨) .
- ٣٧ وقال من فوق جسرنا (١٩) : « ياما ليرانكي (٢٠) ، هاك واحداً من شيوخ (٢١) القديسة زيتا (٢٢) ! ضعه أسفل (٢٣) ، حتى أعود من أجل آخرين ،
- ٤٠ إلى تلك المدينة (٢٤) التي أحسنتُ تزويدها بهم (٢٥) ؛ إن كل إنسان فيها مرتشٍ سوى بونتورو (٢٦) ! هناك بالمال تُصبح لا بمعنى نعم (٢٧) .
- ٤٣ وقذف به هناك أسفل ، ثم استدار فوق الجسر الوعر ؛ ولم يُطلق كلبٌ أبداً بمثل هذه السرعة لكي يتعقب لصاً (٢٨) .
- ٤٦ غطس هذا (٢٩) ، ثم عاد إلى أعلى وهو بالقدر مغمور (٣٠) ؛ ولكن الشياطين الذين كان الجسر غطاءً لهم صاحوا : « ليس للوجه المقدس مكانٌ هنا (٣١) :
- ٤٩ ولا يُسبح هنا كما في نهر سيركيو (٣٢) ! فإذا أردت ألا يكون لك بخطايفنا شأنٌ ، فلا تظهنّ فوق القطران » .
- ٥٢ ثم ضربه بأكثر من مائة حُطاف ، وقالوا : « عليك أن ترقص هنا وأنت مُغطى (٣٣) ، وإذا استطعت فلتخرج خفية (٣٤) » .
- ٥٥ غير هذا لا يفعل الطهاة ، حين يجعلون أعوانهم يغمسون اللحم بمداريهم وسط القدور ، حتى لا يظفوا (٣٥) .
- ٥٨ قال الأستاذ الطيب : « لكيلا يبدو لأحد أنك هنا (٣٦) ، اقبع في أسفل وراء صخرة ، ليتجد لك بعضٌ مُعتصم (٣٧) ؛
- ٦١ ومهما نالني من هجومٍ فلا تخفّ ، لأنّي حسبتُ لكل أمرٍ حسابته ، وكنتُ مرّةً من قبل في مثل هذا العراك (٣٨) » .
- ٦٤ ثم سار وقد تجاوز رأس الجسر ؛ وعندما وصل إلى ما فوق الشاطئ السادس (٣٩) ، كان في حاجة لأن يبدو بوجهٍ مُطمئن .

- ٦٧ وبذلك الغضب وتلك العاصفة التي يندفع بها الكلاب وراء الفقير البائس ،
الذي يسأل فجأةً حيث يقف ،
- ٧٠ هكذا خرج هؤلاء^(٤١) من تحت الجسر، ووجهوا إليه كل الخطاطيف^(٤١)
ولكنه صاح بهم : « لا يكن أحدكم شريراً^(٤٢) ! »
- ٧٣ وقبل أن تُصيبي خطاطيفكم ، فليتقدم إلى الأمام واحدٌ منكم
ليسمعني ، ثم فليسترجعوا أنفسهم في طعني .
- ٧٦ فصاحوا جميعاً : « فليذهب مالا كودا^(٤٣) ! » . وحينئذ تحرك أحدهم ،
وظل الآخرون وقوفاً ، وجاء إليه قائلاً : « وما ينفعه هذا ؟ » .
- ٧٩ قال أستاذي : « أتعقد يا مالا كودا أنك تراني جثت هنا ، وقد أمنتُ
من كلِّ عراقيلكم^(٤٤) ،
- ٨٢ دون إرادةٍ إلهيةٍ وقدّرٍ موافقٍ ؟ دعوني أمضي ، فقد أُريدَ في السماء^(٤٥) ،
أن أرى غيري هذا الطريق الموحش . »
- ٨٥ عندئذ هبطت كبرياؤه ، حتى ترك الخطّاف يسقط إلى قدميه ، وقال
للآخرين : « لا يُمس الآن^(٤٦) . »
- ٨٨ ثم قال لي دليلي : « يا مَنْ تجثم مختفياً بين سخور الجسر ، عد
إلى الآن آمناً مطمئناً . »
- ٩١ وإذْ ذاك نهضتُ وذهبتُ إليه مسرعاً ، وتدافع الشياطين إلى الأمام
جميعاً ، حتى خفتُ ألا يرعوا العهد^(٤٧) :
- ٩٤ وكذلك كنتُ قد رأيتُ المشاة خائفين ، وقد خرجوا من كاهرونا بعد
التعاهد^(٤٨) ، إذْ رأوا أنفسهم وسط أعداء كثيرين .
- ٩٧ وألصقتُ بدليلي كل جسمي ، ولم تحيد عيناى عن مرآهم ، الذي لم
لم يكن حسن المظهر .
- ١٠٠ خفضوا الخطاطيف وقال كلٌّ منهم لآخر : « أتريد أن أناله في عجزه ؟ » .
وأجابوا : « نعم ، احرص على طعنه ! » .

- ١٠٣ ولكن ذلك الشيطان^(٤٩) الذي كان يتحدث مع دليلي استدار سريعاً وقال : « مهلاً مهلاً ياسكارميلوني^(٥٠) ! » .
- ١٠٦ ثم قال لنا : « لا يمكن التقدم فوق هذا الصخر . لأن الجسر السادس يستقرّ كله حطاماً في القاع^(٥١) .
- ١٠٩ وإذا راقكما السيرُ بعدُ ، فلتمضيا فوق هذا الصخر ، فقريبٌ من هنا جسرٌ آخر يصنع طريقاً .
- ١١٢ بالأمس^(٥٢) وخمس ساعات بعد هذه الساعة^(٥٣) ، اكتملت ستّ وستون ومائتان وألف سنة^(٥٤) ، منذ أن تحطم الطريق هنا^(٥٥) .
- ١١٥ وإني مُرسِلٌ إلى هناك بعض أتباعي^(٥٦) ، ليرَوْا هل يتنسّم أحدهم الهواء^(٥٧) : اذهبوا معهم فإنهم لن يكونوا سيئين معكما » .
- ١١٨ ثم بدأ يقول : « إلى الأمام يا أليكينو^(٥٨) ، ويا كالكابريا^(٥٩) ، وأنت يا كانياتزو^(٦٠) ؛ ولكن يا بارباريتشا^(٦١) دليلاً للعشرة .
- ١٢١ وليذهب أيضاً ليسيوكو^(٦٢) ، ودراجينياتزو^(٦٣) ، وتشيرياتو^(٦٤) ذو النابيين ، وجرافيكاني^(٦٥) ، وفارفاريلو^(٦٦) ، وروبيكانتي^(٦٧) المجنون .
- ١٢٤ ابجثوا جميعاً حول الغراء الآتي^(٦٨) : وليصل هذان سالمين^(٦٩) إلى الجسر التالي^(٧٠) ، الذي يمتدّ برمته فوق الخنادق » .
- ١٢٧ فقلتُ : « أوّاه يا أستاذي ! ماذا أرى ؟ أوّاه ! فلنذهب وحيدين دون رفيق ، إذا كنت تعرف الطريق ؛ فإنني أنا لا أطلبه .
- ١٣٠ وإذا كنت شديد الخذر كما هو مألوف ، أفلا ترى أنهم يُحرقون أسنانهم الأُرّم ، وبالأعين يتهددوننا بالعذاب^(٧١) ؟ » .
- ١٣٣ فقال لي : « لا أريدك أن تفرغ : دعهم كما يشاؤون يُحرقون أسنانهم الأُرّم ، فإنهم يفعلون ذلك للمعذبين في الحميم الآتي^(٧٢) » .
- ١٣٦ واتجهوا للسير على الشاطئ الأيسر ؛ ولكن كان كلّ منهم قد ضغط لسانه من قبل بالأسنان صوب القائد ، للإشارة^(٧٣) ؛
- ١٣٩ وجعل هو^(٧٤) من عجزه بوقاً^(٧٥) .

حواشى الأنشودة الحادية والعشرين

- (١) تعرف هذه الأنشودة والتي تليها بأنشودق المرتشين الذين استغلوا سلطة وظائفهم لجمع المال أو لقوائد أخرى .
- (٢) يعنى من جسر الوادى الرابع إلى جسر الوادى الخامس .
- (٣) الملهة أو الكوميديا عكس المأساة أو التراجيديا .
- (٤) أى الوادى الخامس . وهنا يعذب من استغلوا سلطة وظائفهم للحصول على المال أو لكسب أية قوائد أخرى ، وبذلك ألحقوا الضرر بالحكومة والشعب .
- (٥) دموع هؤلاء المذبذبين باطلة ولا جدوى منها .
- (٦) أى ساد هذا الوادى ظلام حالك .
- (٧) مصنع السفن أو دار الصناعة (Arzana) . وكان لمصنع سفن البندقية شهرة عالمية ، وقام البنادقة بنصيب عظيم في التجارة العالمية بين الشرق والغرب ، حتى كشف البرتغاليون طريق التجارة الجديد إلى الشرق حول جنوبي أفريقيا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر .
- (٨) أعطى دانتي كل هذه التفاصيل الدقيقة عن مصنع سفن البندقية ، وبذلك رسم صورة صادقة عن ناحية هامة في حياة عروس الأدرياتيک .
- (٩) يعنى ارتفع سطحها بقوة الغليان .
- (١٠) يشبه هذا قول فرجيليو :
Virg. Georg. II. 479.
ويوجد حفر يمثل صناعة سفينة ويرجع إلى القرن ١٤ ، وهو في كنيسة سان ماركو في البندقية . وهذه الأبيات من ٧ إلى ١٥ مكتوبة على لوحة مثبتة على جدار مصنع السفن في البندقية .
- (١١) سيأتى مثل هذا التعبير في المطهر :
Purg. VI. 73.
- (١٢) يحرص فرجيليو دائماً على حماية دانتي من الأخطار .
- (١٣) يشبه هذا قول أوفيدوس :
Ov. Heroides, XIV. 132.
- (١٤) تأثر بتراركا بهذا التعبير :
Petrarca, Trionfo d'Amore, IV. 166.
- (١٥) هذا هو جسر الوادى الخامس .
- (١٦) هذا تصوير دقيق للشيطان وهو مستمد من رسم الشيطان في العصور الوسطى .
- (١٧) رسم المصورون قديماً الشياطين بأكتاف بارزة لأنها قليلة اللحم والشحم .
- (١٨) أى عصب قديم الآثم الذى حسله الشيطان فوق كتفيه .
- (١٩) أى الجسر الذى وقف عليه دانتي ورجيليو وقتئذ .
- (٢٠) مالبرانكى (Malebranche) يعنى الخبال الشريرة ، وهو اسم أطلقه دانتي على الشياطين في الوادى الخامس .
- (٢١) المقصود قضاة يمثلون الشعب ، وقد شاركوا في حكم مدينة لوكا .

- (٢٢) زيتا دا مونساغراتي (Zita da Monsagrati) قديسة لوكا التي عاشت في أثناء القرن ١٣ .
- (٢٣) لا يعرف على وجه التحديد من المقصود بهذا الآثم .
- (٢٤) أي مدينة لوكا (Lucca) في شمال إيطاليا .
- (٢٥) أي أحسن تزويد لوكا بالمرتشين .
- (٢٦) هذه سخريّة لاذعة من دانتي لأن بونتورو داتي (Bonturo Dati) زعيم الشعب في لوكا في أوائل القرن ١٣ كان شيخ المرتشين وأدت سياسته الخرقاء إلى إشعال الحرب بين لوكا وبيزا وأصاب لوكا أضرار جسيمة ، فثار الشعب على زعيمه ، واضطر إلى الهرب إلى فلورنسا .
- (٢٧) أي أنه لم تعد لمصلحة الدولة أي حساب وأصبح كل ممنوع باحاً في نظير الرشوة والمصلحة الخاصة .
- (٢٨) هذه صورة مستمدة من حركة الكلب . واستخدمت الكلاب في عهده دانتي لمتابعة اللصوص والمجرمين .
- (٢٩) أي الآثم المجهول الإسم .
- (٣٠) يعني لفظ (convolto) في عهد داتي الوسخ أو القذر وإن كان معناه الحال مقلوب أو منقلب .
- (٣١) المقصود صورة خشبية قديمة للمسيح تحفظ في كاتدرائية لوكا ، وكان الناس يستجيرون بها في وقت الشدة . أي أنه ليس هنا مكان الاستجابة إلى الضراعة .
- (٣٢) نهر سيركيو (Serchio) ينبع من جبال لوفيدجانا ويمر بالقرب من لوكا ويصب في البحر التيراني ، واعتاد أهل لوكا السباحة فيه وقت الصيف .
- (٣٣) أي هو مغطى بالقطران .
- وفي التراث الإسلامي بمض الشبه بهذه الصورة في عقاب المجرمين :
- القرآن : إبراهيم : ٥٠ .
- الشعراني : مختصر تذكرة القرطبي (السابق الذكر) . ص : ٧٧ .
- (٣٤) أي أن عليه أن يتمز الفرصة فيخرج رأسه إذا استطاع دون أن يراه الشياطين .
- (٣٥) أي حتى لا يطفو اللحم فوق سطح المرق . وهذه صورة مستمدة من الطبخ .
- (٣٦) لم يكن الشياطين قد رأوا الشعاعين بعد ، وأراد ثرجيليو أن يختبئ داتي حتى يشهد ما أمامه دون إثارة الشياطين .
- (٣٧) شعر دانتي هنا بالخوف أكثر من أي موضع آخر ، وذلك لأنه تذكر ما أصابه من تهمة الرشوة واستغلال النفوذ عندما كان عضواً في مجلس السنيوريا في فلورنسا ، ويحمل هؤلاء الشياطين ذكرى خصومه الذين تسببوا في نفيه من وطنه إلى الأبد ظلاماً وعدواناً .
- (٣٨) يعمل ثرجيليو على تشجيع دانتي ويذكره برحلته هو السابقة إلى الجحيم :
- Inf. IX. 16-30.
- (٣٩) أي الشاطي* الذي يفصل الوادي الخامس عن الوادي السادس .
- (٤٠) أي الشياطين . والصورة مأخوذة من حركة الكلاب .

- (٤١) هذا هو عقاب هؤلاء الآثمين بضرهم بالمقامع أو الخطاطيف إذا ظهروا في الخارج .
وفي التراث الإسلامي بعض الشبه بهذه الصورة في عقاب الذين كفروا :
القرآن : الحج : ٢١ ، ٢٢ .
- الشعراني : مختصر تذكرة القرطبي (السابق الذكر) . ص : ٧٣ .
- (٤٢) هكذا صاح فرجيليو في الشياطين وقد وجهوا إليه خطاطيفهم وبدا عليهم روح الشر .
- (٤٣) مالاكودا (Malacoda) يعنى الذئب الشرير ، وهو زعيم الشياطين في وادي الخامس .
- (٤٤) هذه إشارة إلى ما سبق أن صادفه من الصعاب .
- (٤٥) يشبه هذا ما سبق :
Inf. III. 95; V. 23; VII. 11; XII. 85-89.
- (٤٦) خضع مالاكودا عند سماع الإرادة ولكنه أضمر الشر والحياة كما سنرى بعد :
Inf. XXI. 108 ...; XXIII. 34-36; 139-144.
- (٤٧) أى الأمر الذى أصدره مالاكودا إلى الشياطين .
- (٤٨) كاپرونا (Caprona) قلعة كانت تابعة لهينزا وهاجمها الجلف الفلورنسيون في ١٢٨٩ واشترك دانتى في ذلك الهجوم ، وسلمت حامية القلعة بعد الاتفاق بين الجلف والجلبين .
- (٤٩) أى مالاكودوا .
- (٥٠) اسكارميليوني (Scarmiglione) يعنى الأشعث .
- (٥١) أراد مالاكودا بهذا أن يخدع الشاعرين لكى يوقعهما في مأزق ولم يكن الجسر محطاً .
- (٥٢) أى في ٨ أبريل سنة ١٣٠٠ .
- (٥٣) أى بين الساعة السادسة والسابعة صباحاً .
- (٥٤) يعتقد المسيحيون أن المسح قد صلب في ٣٤ م .
- (٥٥) أراد مالاكودا أن يحدد الوقت الذى يزعم أنه حدث فيه تحطيم الجسر عندما وقع الزلزال بعد موت المسيح عند المسيحيين . وذلك لكى يجعل لكلامه مظهر الصدق .
- (٥٦) سيرسل مالاكودا مع الشاعرين عشرة شياطين .
- (٥٧) يحاول المعذبون أن يخرجوا من القطران لتنسم الهواء .
- (٥٨) الشيطان أليكينو (Alichino) يعنى الجناح الخفيض .
- (٥٩) كالكابرينا (Calcabrina) يعنى الملاح الأحمق الأهوج .
- (٦٠) كانياتزو (Cagnazzo) يعنى الكلب الشرس .
- (٦١) بارباريتشا (Barbariccia) يعنى اللحية الشائكة .
- (٦٢) ليبيكوكو (Libicocco) ربما كان معناه اللبى الرديء .
- (٦٣) دراجينياتزو (Draghignazzo) يعنى التين الخبيث .
- (٦٤) تشيرياتو (Ciriatto) يعنى الخنزير .
- (٦٥) جرافيكاني (Graffiani) يعنى مخلب الكلب .
- (٦٦) فارفاريلو (Farfarello) يعنى القطرب .

- (٦٧) روبيكانتى (Rubicante) يعنى صاحب الوجه الأحمر .
- (٦٨) اى انظروا هل حاول أحد المعذبين أن يخرج من القطران .
- (٦٩) اى دانتي و فرجيليو .
- (٧٠) هذه سخرية وخداع لأنه لا يوجد جسر آخر فوق الوادى السادس .
- (٧١) كان دانتي خائفاً من الشياطين فأثر أن يذهب مع فرجيليو دونهم .
- (٧٢) يعمل فرجيليو بذلك على تهدئة روع دانتي .
- (٧٣) هكذا تفاهم الشياطين فيما بينهم .
- (٧٤) اى بارباريتشا .
- (٧٥) يرى بعض النقاد أن بارباريتشا أخذ يضرب على عجزه حتى يسير الشياطين وكان هذا بمثابة النفخ فى بوق ، ويرى آخرون أنه أخرج ريحاً وأحدث صوتاً مدوياً . وهذه من صور الاستهزاء والسخرية عند دانتي .

الأنشودة الثانية والعشرون^(١)

أشار دانتي إلى حركات الفرسان وسيرهم في الحرب والسلام ، وقال إنه لم ير مثيلاً للبوق الغريب الذي سار الشياطين بمصاحبته . ونظر دانتي إلى القطران فرأى بعض الآمين قد رفع ظهره ، كالدرافيل في البحر ، لكي يُخففوا ألم الغليان . ورأى المعذبين في القطران مثل الضفادع على حافة المستنقع ، وقد أظهرت خياشيمها وأخفت جسمها في الماء . ووجد الشيطان جرافيكاني يلتقط أحد المعذبين بخطافه ، وأقبل بقية الشياطين للاشتراك في تمزيقه ، ولكن مجادثة فرجيليو له أوقفت ذلك التعذيب وعرف دانتي أنه جامپولو من ناغار ، الذي استغل نفوذه في بلاط الملك تيبالدو في الرشوة وجمع المال . وحاول بارباريتشا أن يحميه من اعتداء الشياطين حتى ينهى فرجيليو من حديثه معه . سأله فرجيليو هل يوجد معه رجل من اللاتين . قال جامپولو إن معه في القطران الراهب جوميتا ، الذي استغل مركزه في سردينيا لجمع المال ، وأصبح بذلك زعيماً للمرتشين . وعمل جامپولو على خداع الشياطين لكي يفلت منهم وينجو من التمزيق . وطلب أليكينو الشيطان أن يجرى بينه وبين جامپولو سباق ، وكانت تلك مباراة عجيبة ، بين شيطان ومعذب . استطاع جامپولو أن يقفز في لحظة إلى القطران ، ولم يستطع جناح أليكينو أن يسبق خوف جامپولو وهكذا أفلت من التعذيب ، وعندئذ غضب الكابرينا لنجاح خدعة جامپولو ، وهاجم أليكينو المسؤول عن هربه ، واشتبك الشيطانان في معركة حامية وسقطا معاً في القطران الآتي . وحاول بقية الشياطين إنقاذهما بخطاطيفهم من جانبي الوادي . انتهز دانتي وفرجيليو هذه الفرصة وتابعا رحلتها دون رُفقة الشياطين .

- ١ من قبل رأيتُ الفرسان يتحركون ، يبدأون الهجوم ، ويعرضون صفوفهم ،
وأحياناً ينسحبون نجاةً بأنفسهم^(٢) ؛
- ٤ ورأيتُ الطلائع في أرضكم يا أهل أريتزو^(٣) ، وشهدتُ هجمات
المغيرين^(٤) ، ومبارزة الفرسان زرافاتٍ ووحداناً^(٥) ،
- ٧ بالأبواق تارةً وطوراً بالأجراس ، وبالطبول وبإشارات القلاع^(٦) ،
وبأشياء لنا وأخرى أجنبية^(٧) ؛
- ١٠ ولكني لم أرَ بمصاحبة هذا البوق الغريب^(٨) ، فرساناً ولا مشاةً يتحركون ،
ولا سفينةً تسير بإشارةٍ من أرض أو نجم^(٩) .
- ١٣ ذهبنا مع الشياطين العشرة : ويلاه من الرفقة الرهيبة ! ولكن في الكنيسة
يصحب الإنسان القديسين وفي الحانة ذوى النهم^(١٠) .
- ١٦ اتجه انتباهي إلى القطران وحده ، لكي أرى كل ما احتواه الوادي ،
والقوم الذين احترقوا بداخله^(١١) .
- ١٩ وكالدراويل ، حينما تُشير للملاحين بظهرها المقوس ، كي يستعدوا
لإنقاذ سفينتهم^(١٢) ،
- ٢٢ هكذا أبرز بعض الآثمين ظهره أحياناً^(١٣) لكي يخفف الألم ، وأخفاه
في أقل من ومضة البرق^(١٤) .
- ٢٥ وكما تقف الضفادع عند حافة مياه خندقٍ بنحشومها وحده في الخارج ،
حتى تُخفي أقدامها وسائر الجسم^(١٥) ،
- ٢٨ كذلك وقف الآثمون في كل جانب ؛ ولكن ما إن أخذ بارباريتشا
يقترّب منهم ، حتى انسحبوا تحت الحميم الآتي^(١٦) .
- ٣١ رأيتُ ، وهو ما لا يزال يرتجف منه قلبي ، واحداً ينتظر هكذا ، كما
يحدث أن يبقى ضفدعٌ ويختفي آخر ؛
- ٣٤ وجرافيكاني الذي كان أقرب إليه ، شبك خُطّافه في خصلات شعره
الزرج^(١٧) ، وانتزعه إلى أعلى ، فبدأ لي ككلب البحر^(١٨) .

- ٣٧ كنتُ قد عرفتُ أسماءهم جميعاً ، لأنى لاحظتهم بعناية حين اختيارهم^(١٩) ؛
 وحينما نادى كل منهم الآخر ، انتبهتُ ، وكيف انتبهت^(٢٠) !
- ٤٠ وصاح الملاعين كلهم معاً^(٢١) : « ياروييكاتى ، احرص على أن
 تُنشب مخالبك فى ظهره ، حتى تسلخه » .
- ٤٣ قلت : « أستاذى ، اعمل على أن تعرف ، إن استطعت ، مَنْ البائس
 الذى وقع فى قبضة أعدائه » .
- ٤٦ اقترب دليلى إلى جانبه . وسأله من أين جاء ، فأجاب : « لقد
 وُلدت فى مملكة نافار^(٢٢) .
- ٤٩ ووضعتنى أمى خادماً لسيدٍ ، إذْ كانت قد ولدتنى من وغدٍ هادمٍ
 لنفسه وأمواله^(٢٣) ،
- ٥٢ ثم صرْتُ من خواصّ تيبالدو^(٢٤) الملك الطيب : وهناك عكفتُ على
 اصطناع الرشوة ، التى أودى عنها الحساب فى هذا الوهج » .
- ٥٥ وتشيرياتو ، الذى خرج من كلا مجانبى فه نابٌ ، كما للخنزير ،
 أشعره كيف يُمزقه أحد ناييه^(٢٥) .
- ٥٨ وقع الفأر^(٢٦) بين قطط شريرة^(٢٧) ؛ ولكن بارباريتشا أطبق عليه ذراعيه ،
 وقال : « ابقوا هنا ، بينما أعصره أنا^(٢٨) » .
- ٦١ ثم التفت إلى أستاذى وقال : « سله أيضاً ، إذا رغبتَ أن تعرف منه
 مزيداً ، وقبل أن يمزقه الآخرون إرباباً^(٢٩) » .
- ٦٤ عندئذ قال دليلى : « أخبرنى الآن : أتعرف تحت القطران رجلا من
 اللاتين بين سائر الأشرار^(٣٠) ؟ » فأجاب : « لقد رحلتُ
- ٦٧ منذ قليل عن رجل ، كان جارهم فى ذلك الجانب^(٣١) : وكنتُ أودّ أن
 أبى مغطىً معه ، حتى لا أخشى مخلباً ولا خطافاً^(٣٢) ! » .
- ٧٠ فقال لبييكوكو : « إننا قد احتملنا كثيراً ؛ وأمسك ذراعيه بالمحجن ،
 حتى إنه وهو يمزقه ، حمل منه قطعة^(٣٣) .

- ٧٣ وكذلك أراد دراجينياتزو أن يعقف ساقيه من أسفل ، وعندئذ دار قائدهم حوله^(٣٤) بوجه الشر .
- ٧٦ وعندما هدأوا قليلا ، سأل دليلي دون أناة ، ذلك الذى كان لا يزال ينظر إلى جرحه^(٣٥) :
- ٧٩ « من كان ذلك الذى تقول إنك قد أسأت بالرحيل عنه ، لتأتى إلى الشاطىء ؟ » . فأجاب : « كان هو الراهب جوميتا^(٣٦) ،
- ٨٢ من جالورا^(٣٧) ، وعاء كل خياطة ، الذى استولت يده على أعداء سيده^(٣٨) ، ففعل لهم ما جعل كلاً منهم يمدحه لذلك^(٣٩) .
- ٨٥ لقد أخذ أموالهم ، ثم تركهم أحراراً ، كما يقول ، وفي المناصب الأخرى كان أيضاً مرتشياً : لا صغيراً ولكن زعيماً^(٤٠) .
- ٨٨ ويتحدث إليه السيد ميكيل زانكى^(٤١) ، من لوجودورو^(٤٢) ، وفي الكلام عن سردينيا لا يشعر لسانهما بالكلال^(٤٣) .
- ٩١ أوآه ! انظر إلى ذلك الآخر الذى تتحرق أسنانه الأرم^(٤٤) ! وددت لو أطيل الحديث ، ولكنى أخشى أن يستعدّ لينزع منى جلدة الرأس » .
- ٩٤ وقال القائد الكبير^(٤٥) وهو متجه^{٤٦} إلى فارفاريلو ، الذى أدار عينيه لكى يطعن : « فلتذهب هناك ، أيها الطائر الخبيث^(٤٦) » .
- ٩٧ واستأنف المرتعد^{٤٧} بعد^(٤٧) : « إذا أردتما أن تريا أو تسمعا قوماً من تسكانا أو لمبارديا ، فسأتيكما بهم^(٤٨) ؛
- ١٠٠ ولكن فلتبق الخالب الشريرة بعيدة قليلا حتى لا يحشوا انتقامها^(٤٩) ؛ وإنى ، إذ أجلس^{٥٠} فى هذا الموضع ذاته ،
- ١٠٣ ومهما كان من أمرى ، سأستقدم منهم سبعة^(٥٠) حينما أطلق صغيرى^(٥١) ، كما هى عادتنا أن نفعل ، عندما يضع أحدنا نفسه فى الخارج^(٥٢) » .
- ١٠٦ رفع كانياتزو فه عند هذا الكلام ، وهو يهز رأسه ، وقال : « فلنسمع الخبث الذرى راوده ، كى يلتقى بنفسه إلى أسفل^(٥٣) ! » .

- ١٠٩ وعندئذ أجاب مَنْ امتلأت جعبته بالمكائد^(٥٤) : « حقا إني لشديد الخبث ، حينما أدبر لرفاقى يؤساً أشدّ » ..
- ١١٢ لم يُطِيقْ أليكينو صبراً ، وبالعكس الآخريّن قال له^(٥٥) : « إذا أنت ألقيت بنفسك^(٥٦) ، فلن أتبعك عدواً ،
- ١١٥ ولكنى سأضرب بجناحي فوق القطران^(٥٧) ، ولنترك المرتفع ، وليكن الشاطي حاجزاً لك ، لنرى أتتفوق علينا أنت وحدك ! » .
- ١١٨ ستسمع مباراةً جديدةً^(٥٨) أيها القارئ : اتجه كلٌّ منهم بعينه إلى الجانب الآخر ؛ وأولم مَنْ كان أقلّ نضجاً لأن يفعل ذلك^(٥٩) .
- ١٢١ أحسن الناقد^(٦٠) اختيار وقته ؛ وثبتّ في الأرض عقبيه ، وفي لحظةٍ قفز ، وحرّر نفسه من قصدهم^(٦١) .
- ١٢٤ وحينئذ أحسّ كلٌّ منهم بوخز الإثم^(٦٢) ، وعلى الأخص من كان سبباً في الخطأ^(٦٣) ، ولذلك تحرك وصاح : « قد لحقت بك ! » .
- ١٢٧ ولكن قليلاً نفعه ذلك ، لأن الجناحين لم يستطيعا للخوف سبقاً ؛ وذهب ذلك إلى أسفل ، ورفع هذا صدره إلى أعلى وهو يطير^(٦٤) .
- ١٣٠ غير هذا لا يفعل البطّ البرّي ، إذ يغوص إلى أسفل حينما يقترب البازي ، الذي يعود صعداً حانقاً منهزماً^(٦٥) .
- ١٣٣ وكالكابريّنا ، وقد غضب من هذه الخدعة ، تبعه طائراً ، وهو شديد الرغبة أن يهرب الآثم ، لكي يدخل في المعركة^(٦٦) .
- ١٣٦ وحينما اختفى المرتشي^(٦٧) ، حوّل كالكابريّنا مخالبه هكذا إلى رقيقه ، واشتبك معه فوق الخندق .
- ١٣٩ ولكن الآخر كان في الحقّ صقراً قارحاً ، يجيد طعنه بالخلب ، وسقط الاثنان معاً وسط المستنقع الآتي^(٦٨) .
- ١٤٢ وكانت الحرارة فاصلاً بينهما توتاً ، ولكن استحال عليهما التحليق ، إذ صارت أجنحتهما منغمسة في القطران هكذا .

- ١٤٥ وبارباريتشا الذى تولاه الحزن ، مع رفاقه^(٦٩) ، جعل أربعة منهم يطيرون إلى الشاطئ الآخر بكل الخطاطيف^(٧٠) ، وبسرعة فائقة .
- ١٤٨ هبطوا هنا وهناك إلى مواضعهم ، ومدوا الخطاطيف إلى اللذين غمرهما اللزج^(٧١) ، وكانا قد نضجا داخل الجلد المحترق^(٧٢) ؛
- ١٥١ وتركتاهم مرتبكين على ذلك النحو^(٧٣) .

حواشي الأ نشودة الثانية والعشرين

- (١) هذه تكلمة للأ نشودة السابقة ، أنشودة المرتشين .
- (٢) يصف دانتي حركات الفرسان المستمدة من تجربته ومشاهدته .
- (٣) أهل أريتزو (Gli Aretini) يسكنون على تخوم تسكانا وكانوا من الجبلين الذين ناهضوا الجلف الفلورنسين .
- (٤) كان الفرسان يقومون بحملات اعتداء ونهب على أرض العدو . ويشير دانتي بهذا إلى معركة كامبالدينو في ١٢٨٩ ، التي اشترك فيها .
- (٥) المقصود المبارزات الاستعراضية وقت السلم .
- (٦) كانت القلاع ترسل إشاراتنا بالأعلام والدخان نهارةً وبالنار ليلا .
- (٧) هذه هي الإشارات الإيطالية أو الأجنبية الأصل التي كانت تتحرك القوات العسكرية تبعاً لها في الحرب والسلم .
- (٨) أى أن بارباريتشا كان ينفخ في بوق غريب ، بالضرب على عجزه أو بإخراج الريح وإحداث صوت عال .
- (٩) كانت السفن تتلقى إشارات من الأرض بقرب الشاطئ ، وتهتدى بالكواكب في عرض البحر . ووردت صورة مشابهة عند فرجيليو :
Virg. Æn. VII. 215.
- (١٠) يعنى كما يكون الإنسان في رفقة القديسين في الكنيسة وفي رفقة السكارى في الحانة ، هكذا كان الشاعران هنا في رفقة الشياطين ، بحكم الضرورة . كان هذا القول من الأمثلة السائرة في عصر دانتي .
- وتوجد صورة لجماعة من الرجال يحتسون الخمر على مائدة وقد أخذوا أوضاعاً مختلفة ، وهم في بيئة جبليية ، وهي من عمل الأخوين ساليميني في القرن ١٤ ، وهي في كنيسة يوحنا المعمدان في أوربينو .
- (١١) هذه صورة من العذاب الرهيب .
- (١٢) كان ظهور الدرفيل يعنى اقتراب العاصفة ، واعتبر القدماء الدرفيل صديقاً للملاح لأنه ينبهه إلى الخطر المحدق .
- (١٢) الصورة مأخوذة من ملاحظة الدرفيل في البحر .
- (١٤) هذه طريقة لتخفيف حدة الألم لحظة واحدة وسط القطران الآتى .
- (١٥) هذه صورة دقيقة للضفادع عند حافة الماء .
- (١٦) بهذه الطريقة حاول المذبذبون أيضاً أن يخففوا عذابهم لحظة .
- (١٧) فعل جرافيكاني ذلك عند ما كان المذبذب عند حافة القطران الآتى .
- (١٨) هذه مقارنة دقيقة بين المذبذب المرفوع في الهواء ولونه في لون القطران ، وبين كلب البحر الذى يقرب لونه من السواد .
- (١٩) أى أن دانتي انتبه عند ما اختار مالاكودا الشياطين العشرة وبذلك عرف أسماهم :

- (٢٠) أى أنه انتبه بأذن مرهفة السمع .
- (٢١) يشبه هذا الموقف صياح المعبدين ضد فيليبو أرجنتى من قبل : Inf. VIII. 61.
- (٢٢) هوجامبولو دى ناڤار (Giampolo di Navarre) مواطن من إسبانيا .
- (٢٣) كان أبوه وغداً محتالاً عاش على الخداع وبدد ما يملك ثم انتحر .
- (٢٤) تيبالدو (Tibaldo ١٢٧٠ - ١٢٥٣) ملك ناڤار اشترك مع لويس التاسع ملك فرنسا فى حملته الصليبية على تونس ومات فى أثناء رجوعه .
- (٢٥) هكذا أحس بوطأة العذاب .
- (٢٦) الفأر كناية عن جامبولو .
- (٢٧) القلط الشريرة كناية عن الشياطين . وكان هذا القول من الأمثلة الشائعة منذ عهد دانتي .
- (٢٨) فى الأصل (inforcare) يعنى يضغط الخواد بالساقين ، والمقصود هنا إحاطة المذنب بالذراعين . وفعل بارباريتشا ذلك لكى يحمى جامبولو مؤقتاً من بقية الشياطين ، وحتى يستطيع فرجيليو أن يحدّثه . ويستغل جامبولو هذه الحماية للقيام بخداع جديد كما كان يفعل فى الدنيا .
- (٢٩) يعنى الشياطين .
- (٣٠) لاتينى يعنى إيطالى عند دانتي . استخدم دانتي هذا اللفظ بهذا المعنى مرات عديدة : Inf. XXVII. 27, 33; XXVIII. 71; XXIX. 88, 91.
- Purg. VII. 16; XI. 58; XIII. 92.
- (٣١) يقصد الراهب جوميتا فى الجانب الآخر من إيطاليا أى فى سردينيا .
- (٣٢) يعنى أنه كان يود البقاء مغطى بالقطران حتى لا يتأله عذاب الشياطين .
- (٣٣) هذا للمزيد فى عذابهم جزاء ما ارتكبوا من آثام .
- (٣٤) أى بارباريتشا .
- (٣٥) هذا هو جامبولو .
- (٣٦) جوميتا (Gometa) راهب من سردينيا وكان قاضياً لجالورا نائباً عن أوجولينو فيسكونتى حاكم پيزا ١٢٧٥ - ١٢٩٦ ، واشتهر بالرشوة وباستنلاله سلطة وظيفته لتحقيق مصاحته الشخصية .
- (٣٧) جالورا (Gallura) هى الجزء الشمالى الشرقى من سردينيا وكانت حكومة پيزا قد تسمت الجزيرة أربعة أقسام .
- (٣٨) أى أوجولينو فيسكونتى .
- (٣٩) أى أنه أطلق سراح أعداء مولاه فى نظير المال مما ألجج ألسنتهم بالثناء عليه .
- (٤٠) كان زعيماً للمرتشين .
- (٤١) ميكيل زانكى (Michel Zanke) أصبح حاكم لوجودورو فى سردينيا بعد موت إنزو ابن الإمبراطور فردريك الثانى ، وسيأتى بعد : Inf. XXXIII. 134-147.
- (٤٢) لوجودورو (Logodoro) هى المنطقة الشمالية الغربية فى سردينيا .
- (٤٣) ذكريات سردينيا عزيزة لدهما ، ولذلك فهما لا يتعبان أبداً من الحديث عنها .

(٤٤) أى فارفاريلو الذى كان يهدد جامبولو بالتعذيب .

(٤٥) أى بارباريتشا .

(٤٦) أى الشيطان صاحب الجناحين .

(٤٧) يعنى جامبولو الذى ارتعد من تهديد الشياطين .

(٤٨) سبق أن سألت فرجيليو جامبولو عن بعض اللاتين معه ، ولما عرف جامبولو إلى أى البلاد يتنمى هذان الشاعران ، بطريقة كلامهما ، عرض عليهما أن يستقدم بعض مواطنيهما للحديث معهما ، وقصد جامبولو بذلك أن يسترخ من العذاب وقد حماه بارباريتشا أطول وقت مستطاع ، ثم لكى يجد الفرصة للإفلات والقفز فى القطران مرة أخرى .

(٤٩) طلب جامبولو أن يبتعد الشياطين حتى يظهر الآثمون فوق سطح القطران وهذا خداع لأنه أراد إبعاد الشياطين حتى يمكنه أن يقفز إلى القاع .

(٥٠) أى سبعة من الآثمين .

(٥١) الصنمير هو طريقة التفاهم بينهم .

(٥٢) أى عندما يخرج أحدهم من القطران .

(٥٣) أراد جامبولو أن يخدع الشياطين باستدعاء بعض المعذبين بهذا الصنمير .

(٥٤) أى جامبولو .

(٥٥) يعنى بعكس بقية الشياطين الذين لم يخفلوا بكلام جامبولو .

(٥٦) أى إذا ألقى بنفسه فى القطران .

(٥٧) يعنى سيطير وراه لكى يضربه قبل أن يغطس فى القطران . وهكذا قبل أليكينو

اقترح جامبولو وبذلك سيتعرض للخدمة .

(٥٨) يعنى مباراة عجيبة لأنها تقع بين آثم وشيطان . ويمتاز الآثم بالخبث والخداع ، ويمتاز

الشيطان بجناحيه ، وقد ظن أنه سيلحق بالآثم على أية حال .

(٥٩) المقصود بذلك كانياتزو .

(٦٠) أى جامبولو .

(٦١) أى اقترح أليكينو عندما قبل تحدى جامبولو .

(٦٢) يعنى لهرب جامبولو وتخلصه من تعذيب الشياطين عندما قفز إلى القطران .

(٦٣) أى أليكينو .

(٦٤) أى أن انفلاق جامبولو الخائف المرتعد كان أسرع من أن يلاحقه جناحا أليكينو

الذى ارتفع عندئذ إلى أعلا الشاطئ . وفى هذا كله مشهد ملء بالخداع والسخرية والهزل مع عنصر المأساة والتعذيب ورسم دانتى ذلك بريشته البارعة .

(٦٥) أى يعود صاعداً فى الهواء . وهذه ملاحظة مستمدة من حركة الطير .

(٦٦) كان كالكابرينا يأمل أن يستطيع جامبولو الاختفاء فى القطران ، حتى يجد الفرصة

سانحة لكى ينتقم لما وقع من أليكينو من التهاون وسوء التقدير .

ورسم بوش (حوالى ١٤٥٠ - ١٥١٦) صورة جنة عدن وفيها رسوم لشياطين مجنحة ، وكذلك

رسم صورة الجحيم وفيها شياطين ونيران وألوان من العذاب واستخدم الآلات الموسيقية كأدوات للتعذيب .

والصورتان في متحف برادو في مدريد . ورسم جويبا (١٧٤٦ - ١٨٢٨) عدة صور للشياطين المجنحة ورسم بعضها في حالة المراك ، وهي في متحف برادو في مدريد .
(٦٧) يعنى جامبولو .

(٦٨) سقط أليكينو وكالكابرينامعا في القطران . وهكذا نجح جامبولو في خداعه وأوقع الشيطانين في هذا المأزق . ويطلق هذا عنصر الهزل والسخرية في طبيعة دانتي .

وقد رسم جوتو (٧ / ١٢٦٦ - ١٣٣٧) صورة لمدينة أريتزو وبها شياطين مجنحة ، وهي في كنيسة سان فرنتشسكو العليا في أسيسى .

(٦٩) تولى الشياطين الحزن لما أصاب أليكينو وكالكابرينا .

وتوجد صورة باسم انتصار الموت وبها شياطين مجنحة ممسكة بخطاطيف تنهال بها على الآثمين تمهيداً ، ورسمت حوالي منتصف القرن ١٤ ولا يعرف على وجه التحديد من رسمها ، وهي في الكامپوسانتو في فيزا .

(٧٠) أى إلى الشاطئ الخامس .

(٧١) أى أن الشياطين مدوا خطاطيفهم من جانبى الوادى لإنقاذ الغارقين .

(٧٢) يعنى أن جلدهما كان قد احترق فتحول إلى قشرة جافة ثم احترق ما تحتها . أى أنهما احترقا في الداخل والخارج على السواء .

(٧٣) انتهز دانتي وفرجيليو فرصة ارتباك الشياطين وانشغلهم بإنقاذ الغارقين لكي يتابعا رحلتهما دون هذه الرفقة الشريرة .

الأنشودة الثالثة والعشرون^(١)

سار الشاعران وحيدين صامتين كما يسير رهبان الفرنتسكان ، وأخذت تراود دانتى فكرة خطر الشياطين ، وخشى أن يلحقوا بهما ، بعد أن تعرّضوا للضرر والسخرية بسببهما ، فعبّر عن مخاوفه لفرجيليو ، الذى أخذ يهدئ من روعه . ولكن ما لبث الشياطين أن مضوا فى مطاردة الشاعرين وأوشكوا على اللحاق بهما ، فحمل فرجيليو دانتى بين ذراعيه ، مثل أم تحمل ابنها وتهرب به من ألسنة اللهب ، وانحدر به فرجيليو إلى الوادى السادس . رأى الشاعران جماعة من المعذيين يرتدون ثياباً ملوّنة ، وعلى رؤوسهم قلانس برّاقة اللون ، وباطنها من الرصاص الثقيل ، وقد ساروا فى بطء شديد ، وكان هؤلاء هم جماعة المنافقين . وسأل اثنان دانتى عن شخصه وكيف جاء إلى هذا الموضوع من الجحيم . أجاب دانتى بأنه وُلد ونشأ على ضفة الأرنو الجميل وأنه هنا يجسمه الذى كان له دائماً . عرف دانتى أنه أمام الراهبين كاتالانو ولوديرينجو اللذين اختارتهما فلورنسا لتحقيق السلام فيها ، ولكنهما أخلفا الظنّ فيهما ، وتصرفا بطريقة لا تزال آثارها بادية حول جاردينيرو . ولفت نظر دانتى الكاهن قيافا ، الذى أشار بالتضحية بالمسيح فى سبيل خلاص الشعب ، وكان ملقّى عارياً فى عرض الطريق ومصلوباً فى الأرض بثلاثة أوتاد ، وكان عليه أن يحتمل ثقل كلّ من يمرّون فوقه . استفسر فرجيليو عن الطريق ، وخرج إلى الوادى التالى ، وقد بدت عليه أمارات الغضب لخداع مالاكودا إياه من قبل ، وتابع دانتى مواطئ قدميه العزيزتين .

- ١ وحيدين صامتين^(٢) ، دون رفيق^(٣) مضينا ؛ واحد^(٤) إلى الأمام^(٤) والآخر من بعده^(٥) ، كما يسير الرهبان المينوريون في الطريق^(٦) .
- ٤ اتجه فكرى بالعراك الحالى إلى خرافة إيزوب ، حيث تحدثت عن الضفدع والفأر^(٧) ؛
- ٧ إذ لا تتشابه "الآن" و"حالياً" أكثر من مشابهة إحداهما للأخرى^(٨) ، إذا أحسنت الجمع بذهنٍ واعٍ بين البداءة والنهاية .
- ١٠ وكما تفتق فكرة عن أخرى^(٩) كذلك تولد من هذه^(١٠) غيرها بعد ، فضاعت من خوفى الأول^(١١) .
- ١٣ وفكرت هكذا : « لقد هزىء بهؤلاء بسببنا ، ونالهم الضرر والسخرية^(١٢) ، على صورة أعتقد أنها تزعجهم كثيراً .
- ١٦ وإذا ما أضيف الغضب إلى نيتهم الخبيثة ، فإنهم سيأتون من ورائنا بوحشية أشد من الكلب وراء ذلك الأرنب البرى الذى ينهشه^(١٣) » .
- ١٩ أحسست أن شعرى كله قف من الرعب ، ووقفت إلى الوراء منتبهاً ، حينما قلت : « أستاذى ، إذا لم تُخفِ نفسك وإبائى سريعاً ، فإنى أفرع من الشياطين : لأنهم من ورائنا : وإنى أتخليهم تماماً ، حتى لأسمعهم فعلاً^(١٤) » .
- ٢٥ فقال^(١٥) : « لو كنت من زجاج يستبطن الرصاص^(١٦) ، لما رسمت صورتك الظاهرة ، بأسرع مما أ رسم صورتك الباطنة^(١٧) .
- ٢٨ الآن فحسب جاءت أفكارك بين أفكارى بفعل واحدٍ ووجه متجانس^(١٨) ، ولذلك جعلت من كليهما رأياً واحداً^(١٩) .
- ٣١ إذا كان الشاطئ الأيمن ينحدر بحيث نقدر على الهبوط إلى الوادى الآخر^(٢٠) ، فإننا سننجو من المطاردة الموهومة^(٢١) » .
- ٣٤ ولم يكذب انتهى من ذكر قراره ، حتى رأيتهم قادمين نحونا بأجنحةٍ ممتدةٍ ، غير بعيدين منا ، يريدون الإمساك بنا .

- ٣٧ أخذنى دليلى سريعاً كالأمّ التى تستيقظ على الضوضاء ، فترى بقربها ألسنةَ اللهب المشتعل ،
- ٤٠ وتأخذ ابنها ، وتهرب ولا تتوقف ، وهى حريصةٌ عليه أكثر من ذاتها : فلا ترتدى سوى قميص واحد^(٢٧) ؛
- ٤٣ ومن أعلى الشاطئِ الوعر ، ترك نفسه يهبط سريعاً^(٢٣) ، فوق الصخر المنحدر ، الذى يسدّ أحد جانبي الوادى التالى^(٢٤) .
- ٤٦ لم تجر أبداً مياهٌ من مسقطٍ بمثل هذه السرعة ، لتديرَ عجلةَ طاحونٍ أرضيٍّ ، حيناً تزداد قُرباً إلى أضرارها ،
- ٤٩ كما أسرع أستاذى على ذلك الشاطئِ ، وهو يحملنى فوق صدره ، كأننى له ابن^(٢٥) لا رفيق^(٢٦) .
- ٥٢ وما كادتُ تصل قدماه تحتُ إلى قاع المنخفض فى أسفل ، حتى صاروا^(٢٧) فوقنا على المرتفع ؛ ولكن ذلك لم يُعرهُ اضطراباً ؛
- ٥٥ لأن الحكمة العليا التى أرادت أن تضعهم حُرّاساً للخندق الخامس ، نزعَتْ منهم جميعاً القدرة على مغادرته^(٢٨) .
- ٥٨ وهناك فى أسفل وجدنا قوماً يعلوهم الطلاء^(٢٩) ، كانوا يدورون كثيراً بخطى بطيئة ، وهم يبكون ، وبدا على سيّاهم الإعياء والوهن^(٣٠) .
- ٦١ وكانت عليهم عباءات ذات قلانس تدلت أمام الأعين ، وصُنعت على طراز ما يُعمل للربان فى كلونى^(٣١) .
- ٦٤ مُذهبةٌ من الخارج حتى لتخطف الأبصار ، لكن باطنها كان كلّه من رصاصٍ شديد الثقل^(٣٢) ، حتى بدت قلانس فردريك من القش إلى جانبها^(٣٣) .
- ٦٧ وهاً لك أيها الثوب المُعسّى إلى الأبد ! واتجهنا بعدُ إلى اليسار فى رُفقتهم فحسبُ ، ونحن صاغون إلى بكائهم الأليم^(٣٤) .
- ٧٠ ولكن هؤلاء القوم المجهدين بأنقالمهم^(٣٥) ، ساروا ببطء شديد ، حتى كانت لنا ، كلما تحرّكت أعقابنا ، رُفقةٌ جديدةٌ^(٣٦) .

- ٧٣ لذلك قلتُ للدليلي : « اعمل على أن تجد مَنْ يمكن معرفته بالاسم أو بالفعل^(٣٧) ، ونقلُ عينيك حولنا بينما نسير » .
- ٧٦ فصاح من خلفنا أحد المعذبين الذي سمع اللغة التस्कانية : « احبسا أقدامكما يا مَنْ تعدوان هكذا^(٣٨) ، خلال الهواء المظلم !
- ٧٩ فربما تنال مني ما تطلبه^(٣٩) » . حيثئذ استدار دليلى ، وهو يقول لى : « انتظر ، ثم تقدمْ وفقْ خطاه » .
- ٨٢ وقفتُ ، ورأيتُ اثنين أظهر وجههما لطفةً شديدةً أن يكونا معي ؛ ولكن عوقفهما الحملُ وضيق الطريق^(٤٠) .
- ٨٥ ولما وصلا^(٤١) ، نظرا إلى طويلا بأعين حَوْلَاء^(٤٢) ، دون أن ينبسا بكلمة^(٤٣) ؛ ثم اتجه كل منهما للآخر ، وقالا فيما بينهما :
- ٨٨ « هذا يبدو إنساناً حياً من حركة الحنجرة^(٤٤) ، وإذا كانا ميتين فبأى فضل يسيران دون غطاء من الرداء الثقيل ؟ » .
- ٩١ ثم قالوا لى : « أيها التسكاني الذي أتيت إلى جماعة^(٤٥) المنافقين البائسين^(٤٦) ، لا تخجل أن تقول مَنْ أنت ! » .
- ٩٤ وأجبتهما : « لقد وُلدتُ ونشأتُ على ضفة الأرنؤ الجميل ، فى المدينة العظيمة^(٤٧) ، وأنا هنا بالجسم الذى كان لى دائماً^(٤٨) .
- ٩٧ ولكن مَنْ أنما ، وقد جعل الألم دموعكما كما أرى ؛ تهطل على الحدود ، وأى عذاب هذا الذى أراه يتلأأ عليكما^(٤٩) ؟
- ١٠٠ فأجبنى أحدهما : « إن الأردية البرتقالية مصنوعة من رصاص جد كثيف ، حتى يجعل الثقل لموازينها مثل هذا الصرير^(٥٠) .
- ١٠٣ كنا رهباناً مُمتعين^(٥١) من بولونيا ، وإنى أدعى كاتالانو^(٥٢) ، وهذا يُدعى لوديرينجو^(٥٣) ، وأخذتنا مدينتك نحن الاثنين^(٥٤) معاً^(٥٥) ،
- ١٠٦ وقد كان المؤلف أن يُختار واحدٌ ، ليحفظ فيها السلام ؛ وتصرفنا بطريقة لا تزال بادية حول جاردينو^(٥٦) » .

- ١٠٩ بدأتُ « أيّهذان الراهبان ، إن شروركما . . . » ؛ ولكني لم أقل مزيداً ، إذ ابتدر لعيني معذبٌ مصلوبٌ في الأرض بثلاثة أوتاد .
- ١١٢ وحينما رأيتُ اختلجت كلّ أعضائه ، وهو يُصعد الزفرات في لحيته^(٥٧) ؛ وكاتالانو الراهب ، الذي انتبه إلى ذلك^(٥٨) ،
- ١١٥ قال لي : « إن ذلك المثبت في الأرض^(٥٩) ، الذي تُمكن فيه النظر ، أشار على الفريسيين بضرورة تعذيب رجلٍ واحدٍ في سبيل الشعب .
- ١١٨ إنه ملقَى عارياً ، كما ترى ، في عرض الطريق ، وينبغي أن يُحسّ أولاً كم يزن كل من يمرّ فوقه^(٦٠) .
- ١٢١ وبهذه الطريقة نال حموه^(٦١) التعذيب في هذا الخندق ، والآخرون من أعضاء المجمع الذي كان لليهود أصل النكبات^(٦٢) .
- ١٢٤ حينئذ رأيت فرجيليو يأخذه العجب ، من أجل ذلك الممدّد المصلوب ، بهذا الوضع المزرى في المنى الأبدي .
- ١٢٧ ثمّ وجّهت إلى الراهب هذه الكلمات : « لعله لا يسوؤك ، إذا كان مباحاً لك أن تقول لنا ، أتوجد إلى اليمين ثغرةٌ ،
- ١٣٠ نستطيع كلانا عن طريقها أن نخرج من هنا^(٦٣) ، دون أن نضطرّ الملائكة السود^(٦٤) إلى القدوم ، لإخراجنا من هذا العمق ؟ » .
- ١٣٣ حينئذ أجاب : « توجد أقرب مما تأمل ، صخرةٌ تخرج من الدائرة الكبرى^(٦٥) وتمتدّ فوق كلّ الأودية القاسية ،
- ١٣٦ غير أنها محطمةٌ في هذا الخندق ولا تُغطيه ، وتستطيع أن تصعد فوق الحطام ، الذي ينحدر على الجانب ، ويعلو من القاع^(٦٦) » .
- ١٣٩ وقف دليلي مُطأطئ الرأس برهةً ، ثمّ قال : « لقد قصّ علينا الأمرَ باطلاً ، منّ يَطعن الآثمين بخطافه في الجانب الآخر^(٦٧) » .
- ١٤٢ قال الراهب^(٦٨) : « كنتُ قد سمعتُ في بولونيا منّ يقول إن للشيطان ردائل كثيرةٌ ، وسمعت من بينها أنه كذوبٌ^(٦٩) وأبو الأكاذيب » .
- ١٤٥ وعندئذ سار دليلي بخطى فسيحة ، وقد بدت ملاحظه مضطربة بالغضب قليلاً^(٧٠) ، فابتعدت عن المعذبين بأثقالمهم ،
- ١٤٨ وأنا أتابع مواطئ قدميه العزيزتين^(٧١) .

حواشى الأنشودة الثالثة والعشرين

- (١) هذه أنشودة المنافقين .
- (٢) أى أنه كان قد أخذها التفكير فيما مر بهما فى الأنشودة السابقة .
- (٣) يعنى دون صحبة الشياطين .
- (٤) كان دانتى يسير إلى الأمام قليلا .
- (٥) تأخر فرجيليو قليلا لكى يحمى ظهر دانتى من الشياطين .
- (٦) الرهبان المينوريون يعنى الفرنتشسكان ، وكان من عادتهم أن يسيروا فى صف طويل عند انتقالهم من مكان لآخر .
- (٧) كانت قصص إيزوب (عاش فى القرن ٦ ق . م . Aesop) اليونانى مترجمة إلى اللاتينية فى العصور الوسطى ، وأضيفت إلى قصصه قصص أخرى محرقة ومنقولة عن قصصه الأصلية ومنها قصة الضفدع والفأر التى ظنها دانتى من القصص الصحيحة . وهى تتناول محاولة خداع الضفدع للفأر وسط النهر لإغراقه وتمكن الفأر من النجاة .
- وقد رسم فيلاسكينز (١٥٩٩ - ١٦٦٠) صورة تمثل إيزوب وهى فى متحف برادو فى مدريد .
- (٨) يقارن دانتى بين كالكابرينا وبين الضفدع والفأر وقد وقع الأولان فى القطران ووقع الأخيران فى الماء .
- (٩) هذا تعبير عن تسلسل الأفكار بعضها من بعض .
- (١٠) أى من قصة الفأر والضفدع .
- (١١) أى أنه خشى أن يلحقه الخطر على يد الشياطين .
- (١٢) هذه إشارة إلى ما نال الشياطين من خداع جامبولو ، وكان هذا بسبب رغبة الشاعر يز فى التحدث إلى جامبولو .
- (١٣) هذه صورة صادقة لشراسة الكلب .
- (١٤) جعل الفرع دانتى يتصور الشياطين بشكلهم المرعب .
- (١٥) أى قال فرجيليو .
- (١٦) أى لو كان مرآة .
- (١٧) يعنى أن فرجيليو أدرك كل ما يدور بخاطر دانتى .
- (١٨) أى أن مصدر أفكارها وشعورها واحد ، ألا وهو الخطر المحتمل وقومه من جانب الشياطين خلفهما .
- (١٩) أى أن ما ساورها معا سيحدد الخطة التى سيتبعها فرجيليو للنجاة من الخطر .
- (٢٠) لم يكن فرجيليو واثقاً من درجة انحدار الشاطئ المؤدى إلى الوادى .
- (٢١) يعنى أنه إذا أمكنهما الهبوط إلى الوادى التالى فسينجونان من الخطر .
- (٢٢) هذه أبيات رائمة رسم دانتى فيها شعور الأم وقد استيقظت على صوت ضوضاء فرأت

النيران مشتتة ، فاحتضنت ابنها وولت به هاربة بعيداً عن الخطر ، ولم تكن تفكر في توبه سوى ولدها ولم تجد الوقت الكافي لكي تضع فوق جسدها أكثر من قميص شفاف ، وبذلك غلبت الأمومة عندها شعور الحجل عند الأثني .

(٢٣) أي أن فرجيليو انحدر فوق الصخر .

(٢٤) يعنى الوادئ أو الخندق السادس .

(٢٥) هكذا يرسم دانتي لإحدى صور الأبوة الرحيمة .

(٢٦) كان له بمثابة الابن لا بمجرد رفيق طريق .

(٢٧) أي صار الشياطين .

(٢٨) هكذا زال نهائياً خطر الشياطين على الشعارين .

(٢٩) أي ارتدوا ثياباً ذات ألوان ، وهى رمز للتناق ، وهؤلاء هم المنافقون . ومعظم المعذبين

في الجحيم عرايا ، حتى يبذلوا على حقيقتهم ، والمنافقون من الاستثناءات القليلة .

(٣٠) أي لما حملوه من الرداء الثقيل .

(٣١) أي على طريقة الرهبان البندتيين في كلوني (Ghuni) في بورجونيا .

(٣٢) يناسب ظاهر هذه القلائس وباطنها طبيعة المنافقين .

(٣٣) يقال إن فردريك الثانى كان يعاقب من ارتكبوا الحياة العظمى بأن يغطيهم بدروع

من الرصاص الثقيل ثم يضمنهم في النار ، وهذا القول من انتحال أعدائه ، والمقصود أن قلائس هؤلاء

المنافقين كانت عظيمة الثقل بحيث بدت قلائس فردريك (المزعومة) إلى جانبها كأنها مصنوعة من القش .

(٣٤) هكذا يبكي المنافقون لما ارتكبوه في الدنيا من الآثام .

(٣٥) أي بما حملوه من الرصاص الثقيل .

وفي التراث الإسلامى بعض الشبه بهذه الصورة في عقاب البخلاء أو من ارتكبوا خطايا الجسد :

القرآن : إبراهيم : ٤٩ .

الطبرى : كتاب جامع البيان (السابق الذكر) . ج : ١٢ : ص : ١٦٧ - ١٦٨ .

(٣٦) كان سير الشعارين البطيء أسرع من سير المنافقين ، ولذلك كان لهما في كل خطوة

رفقاء جدداً .

(٣٧) يشبه هذا ما سيأتى في الفردوس : Par. XVII. 136-142 .

(٣٨) كان سير الشعارين يعد جرياً بالنسبة للمنافقين . والكلام هنا موجه للشعارين .

(٣٩) أي ربما عرف منه بعض الأشخاص الذين يريد أن يراه .

(٤٠) يرسم دانتي ما يحول بالنفس من اللهفة والرغبة الأكيدة التى يحول دونها عوائق لا يمكن

لتغلب عليها .

(٤١) يعنى أن وصولهما استغرق وقتاً غير قليل .

(٤٢) نظرا بطرف عيونهما لأن القلنسوة كانت تغطي أبصارهما .

(٤٣) ومضى وقت آخر وهما لا يتكلمان للتعب الذى تولاهما بهذا المجهود .

(٤٤) حركة الحنجرة دليل على الكلام وعلى أن دانتي إنسان حى .

(٤٥) يستخدم دانتى لفظ (collegio) بمعنى رفقّة أو جماعة أو مجمع وسيفعل هذا مع جماعة السعداء في المطهر : Purg. XXVI. 129.

(٤٦) يذكر « الكتاب المقدس » المتألفين الباقين : Matt. VI. 16.

(٤٧) أي فلورنسا . يعبر دانتى بذلك عن شعور الرجل المتى نحو بلاده العزيزة ، وإن لم يمنعه ذلك من أن يصب اللعنات على فلورنسا جزاء ما فعلت . هذان البيتان موضوعان فوق لوحة مرمرية على بيت دانتى التذكاري الذي أقامته بلدية فلورنسا في موضع بيت الأسرة القديم .

(٤٨) أي أن دانتى لا يزال إنساناً حياً .

(٤٩) يعنى القلائس المصنوعة من الرصاص الثقيل .

(٥٠) أي أنهم سيكون من فرط ثقلها .

(٥١) أنشأ البابا أوربان الرابع نظام رهبان ماريا العذراء المحيطة في بولونيا في ١٢٦١ ، لنشر السلام في المدن الإيطالية ولساعدة الفقراء والضعفاء . وانتشر هذا النظام في أنحاء إيطاليا ، ولكن سرعان ما تدهور وخرج الرهبان على قواعد الدين ، حتى لقبهم الناس بالرهبان الممتعين السعداء (Fratr Gaudenti) .

وتوجد لوحة حجرية عليها رسم الرهبان الممتعين وهي في المتحف المدني في بولونيا .

(٥٢) كاتالانو دي كاتالانى (Catalano dei Catalani) راهب من أسرة جلفية في بولونيا

شغل عدة وظائف في مدن إيطاليا في القرن ١٣ .

(٥٣) لوديرينجو دلي أندالو (Loderingo degli Andalò) راهب من أسرة جبلية من

بولونيا شغل وظائف عديدة في مدن إيطاليا في القرن ١٣ .

(٥٤) أضفت (نحن الاتنين) للإيضاح .

(٥٥) استدعت حكومة فلورنسا هذين الراهبين في ١٢٦٦ بعد موقعة بنيفنتو ، لكي يشغلا مآ وظيفة العمدة ، وراعت فلورنسا في هذا الاختيار أن الراهبين أجنييين من بولونيا ، وأن أحدهما من أسرة جلفية والأخر من أسرة جبلية ، وظنت أن هذا الاختيار سيؤدى إلى تحقيق العدالة .

(٥٦) أي أنهما لم يحققا العدالة ، وتأثير البابا كلمنتو الرابع انحازا إلى جانب الجلف ، الذين انتهزوا الفرصة وقاموا بثورة على الجبلين وطردوهم من فلورنسا ، وفي تلك الأثناء أحرقت قصور آل أوبرقي الجبلين حول جاردينيغو (Gardigno) حيث يقوم ميدان السنيوريا في فلورنسا في الوقت الحاضر .

(٥٧) أطلق ذلك المعذب تهدياته لأنه أحس بالجلف عند ما وآه دانتى على هذا النحو .

(٥٨) أي تنبه إلى أن دانتى قد دهن لوضع ذلك المعذب المصلوب على الأرض .

(٥٩) هو رئيس الكهنة قيافا (Caiphaz) الذي نصح مجمع الكهنة القريسيين المتألفين

بالتضحية بالمسيح في سبيل خلاص الشعب ، وجاء ذكر هذا في «الكتاب المقدس» : Giov. XI. 47-53.

وتوجد له صورة من عمل دوتشو دي يونينسينيا (١٢٥٥/٦٠ - ١٩/١٣١٨) وهي في كاتدرائية سيينا .

(٦٠) عقاب قيافا المتأفق أن يحس بثقل المعذبين الذين يسرون فوقه وهو ملق على الأرض

وفي التراث الإسلامي بعض الشبه بهذه الصورة في عقاب المتكبرين والذين تناولوا على إخوانهم :

السمرقندى : قرة العيون (السابق الذكر) . ص : ٧٢ .

- السيوطي : كتاب اللآلئ المصنوعة (السابق الذكر) . ج : ٢ : ص : ١٩٥ .
- (٦١) حموه هو حنان (Annas) كما ورد في « الكتاب المقدس » : Giov. XVIII. 13.
- (٦٢) أي الذي جلب الولايات على اليهود لموقفهم من المسيح .
- (٦٣) أي للوصول إلى الوادي السابع .
- (٦٤) يعني الشياطين .
- (٦٥) يعني من الجدار الخارجي لهذا الجزء من الجحيم : Inf. XVIII. 3.
- (٦٦) أي أن حطام الصخور يتجمع في القاع ويعلو، وبذلك يمكن الصعود عليه للوصول إلى الوادي التالي .
- (٦٧) يقصد مالاكودا الذي قال لفرجيليو إنه هناك جسر آخر : Inf. XXI. 111.
- (٦٨) أي كاتالانو .
- (٦٩) ورد هذا المعنى في « الكتاب المقدس » : Giov. VIII. 44.
- (٧٠) غضب فرجيليو لخداع مالاكودا إياه .
- (٧١) هكذا كان دانتي يحب أستاذه العزيز .

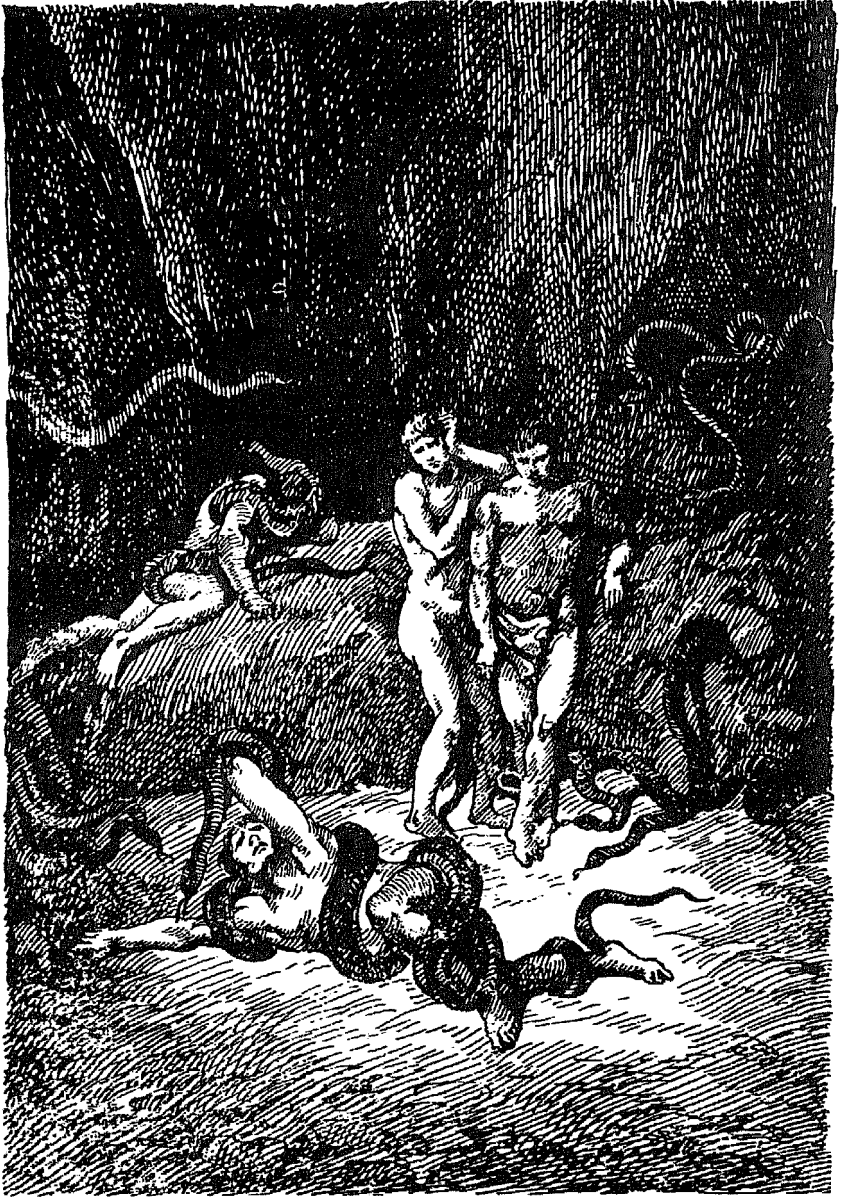
الأنشودة الرابعة والعشرون^(١)

رسم دانتى بعض صور الريف الإيطالى ، ووصف الفلاح وقد استولى عليه اليأس عند نزول الصقيع فيعوزه العشب ، ثم يسترجع الأمل عند ما تظهر أشعة الشمس فيأخذ عصاه ويسوق القطعان لكي ترعى الكلاً . وازن دانتى بين حال الفلاح فى هذين الموقفين وحاله وفرجيليو عندما أخذهما اليأس . ثم تحوّل إلى الاطمئنان والرضى بزوال الخطر . وصل الشاعران إلى جسر محطّم ، فرفع فرجيليو دانتى وساعده على اعتلاء الصخور ، وجلس دانتى من الإعياء وهو لاهث الأنفاس . ولكن فرجيليو حمله على أن ينصوّ عن نفسه الإعياء . وقال له إن المجد لا يُنال فوق الفراش ولا تحت الأغطية . وإن قوة الروح تظفر فى كل معركة ، فهض دانتى وقد استعاد قوته ، ومضى الشاعران فى سيرهما . سمع دانتى صوتاً ولكنه لم يفهم منه كلاماً . ونظر ولكنه لم يتبين شيئاً لشدة الظلام ، ولذلك طلب إلى فرجيليو أن يهبط إلى الخندق السابع حتى يرى ويسمع . ورأى دانتى حشداً من الزواحف الرهيبه التى لم يوجد مثيل لها فى ليبيا ولا فى إثيوبيا ولا فى البلاد الواقعة على ساحل البحر الأحمر . وجرى بين الزواحف جماعة اللصوص وهم عراة . وقد كانت أيديهم مربوطة إلى الخلف بالزواحف . ورأى كيف تلدغ زاحفة أحد المعذبين . وكيف يحترق ويتحوّل إلى رماد . ثم يعود إلى شكله السابق . وكان ذلك المعذب هو فانتى فوتشى ، أحد اللصوص فى بستويا فى عهد دانتى . تولى فوتشى الحجل للحال التى كان عليها . ولم يشأ أن يترك دانتى يتمتع بالمشهد الذى رآه فتنبأ له بالأحداث التى ستقع بين السود والبيض . وكيف يزول السود من بستويا ، وتجدد فلورنسا شعبها وقوانينها . وتنشب معركة بيتشينو التى ينتصر فيها السود على البيض .

- ١ في ذلك الجزء^(٧) من العام الناشئ^(٣) ، عندما تعادل أشعة الشمس في بُرج الدلو^(٤) ، وتكون الليالي قد ولّت عند منتصف اليوم^(٥) ،
- ٤ وحينما يرسم الصقيع فوق الأرض صورة صِنوه الأبيض^(٦) ، ولكن تبقى آثار ريشته قليلاً^(٧) -
- ٧ ينهض الفلاح الذي أعوزه العشب^(٨) ، وينظر ، فيرى الحقولَ قد ابيضّت كلها ، فيضرب فخذه^(٩) ؛
- ١٠ ويعود إلى البيت ، ويأسي جيئةً وذهاباً ، كبائسٍ لا يدري ما يفعل^(١٠) ؛ ثم يعود إلى الخروج ويسترجع الأمل ،
- ١٣ عندما يرى أن قد تغيرت في برهة معالمُ الأرض ، فيأخذ عصاه ، ويسوق القطعان لترعى الكلاً^(١١) -
- ١٦ هكذا جعلني أستاذي أبياس ، حينما رأيتُ وجهه يضطرب على هذا النحو ، وهكذا سرعان ما جاء للداء الدواء^(١٢) ؛
- ١٩ لأننا حينما جئنا إلى الجسر المحطّم ، اتجه إلى دليلي بذلك الوجه الرقيق ، الذي رأيتُه من قبل عند سفح الجبل^(١٣) .
- ٢٢ وفتح ذراعيه بعد أن اختار في نفسه خطةً ، وقد فحص أولاً الحطام بعناية ، ثم أمسك بي .
- ٢٥ وكذلك الذي يعمل ويُقدّر ، ويبدو دائماً أنه أولاً يتدبر ، هكذا - بينما كان يرفعني إلى قمة صخرة
- ٢٨ كبيرة - تطلّع إلى صخرةٍ أخرى ، وهو يقول : « تعلق الآن فوق تلك ، ولكن جرّب أولاً أتستطيع مثلها أن تحملك^(١٤) » .
- ٣١ لم يكن طريقاً لمن يرتدى عباءة^(١٥) ، لأننا بمشقةٍ ، وهو خفيف وأنا إلى أعلى مدفوع^(١٦) ، استطعنا أن نصعد من صخرةٍ إلى صخرة^(١٧) ؛
- ٣٤ ولو لم يكن المرتقى في هذا الشاطئ^(١٨) ، أقصر منه في الآخر^(١٩) ولا أعلم عنه شيئاً ، لكنك سأنهزم حتماً^(٢٠) .

- ٣٧ ولكن لَمَّا كانت منطقة « المالبولجي » تميل كلها نحو مدخل البئر السُّفلى ، كان وَضَع كلِّ وادٍ بحيث
- ٤٠ يرتفع أحد شاطئيه ويهبط الآخر^(٢١) : ومع ذلك فقد وصلنا في النهاية فوق الحافة ، حيث تبرز منها آخر صخرة .
- ٤٣ كان نَتَمَسَى في الرتتين مُجهداً ، حينما أصبحتُ فوقُ ، حتى لم أقو بعدُ على الصعود ، بل جلستُ عند أوّل وصولي^(٢٢) .
- ٤٦ قال أستاذي : « الآن ينبغي أن تُحرّر نفسك من هذا الإعياء ، فلن يُنالك المجد بالجلوس على الريش ولا تحت الأغطية^(٢٣) ،
- ٤٩ ومنْ يُنفق حياته دون مجد^(٢٤) ، يترك من نفسه أثراً في الأرض ، كدخان في الهواء ، أو زبدٍ في الماء^(٢٥) .
- ٥٢ وإذا فأنهضْ ! واقهر الإعياء بالنفس ، التي تظفر في كلِّ معركة ، إذا لم تَنوُ تحت جسدها التثقل^(٢٦) .
- ٥٥ علينا أن نصعد مررتقى أطول^(٢٧) ، ولا يكتفي أنك رحلت عن هؤلاء^(٢٨) : إذا كنت تفهمني ، فاعمل الآن بما يفيدك » .
- ٥٨ نهضتُ حينئذ ، وقد بدوتُ بالهواء مزوداً بأفضل مما كنت أشعر ، وقلت : « سرْ ، فإني قويٌّ جريءٌ^(٢٩) » .
- ٦١ وأخذنا فوق الجسر الطريقَ الذي كان وعراً ضيقاً صعباً المسلك : وأشدَّ انحداراً من الطريق الأوّل .
- ٦٤ وبينما كنتُ أتكلم مضيتُ ، حتى لا أبدو مُتِهالِكاً ، وهنا خرج صوت من الخندق الآخر ، غير صالحٍ لتكوين كلمات^(٣٠) .
- ٦٧ لا أعلم ماذا قال ، مع أني كنت قد أصبحت فوق ظهر الجسر ، الذي يعبر هنا^(٣١) ، ولكن منْ تكلم بدا مُتفعلاً بالغضب^(٣٢) .
- ٧٠ وكنت قد اتجهتُ إلى أسفل ، ولكن العينين القويتين^(٣٣) لم تستطعا من الظلام أن تبلغا العمقَ ، ولذلك قلت : « أستاذي ، اعمل على أن تبلغ

- ٧٣ الشاطي الدائري الآخر . وكنهبط عن هذا الحائط (٣٤) ؛ لأنني كما أسمع هنا ولا أفهم . كذلك أنظر إلى أسفل ولا أتبين شيئاً (٣٥) .
- ٧٦ قال : « لا أعطيك رداً غيره سوى الفعل ، لأن المطلب العادل ، ينبغي أن يتبعه العمل في صمت (٣٦) » .
- ٧٩ نزلنا على الجسر عند الرأس . حيث يلتقي بالشاطيء الثامن ، وعندئذ انكشف لي الوادي (٣٧) .
- ٨٢ ورأيت هناك بداخله حشداً خفيفاً من الأفاعى العجيبة الأنواع ، حتى لا يزال يهرب دمي لذكراها .
- ٨٥ ألا لا تفخر ليبيا برمالمها بعد (٣٨) ؛ لأنها إذا كانت تُنتج دخانات (٣٩) ، وقفازات (٤٠) ، وحفارات (٤١) . ورقطاوات (٤٢) ، وأفاعين كذلك (٤٣) ،
- ٨٨ فإن مثل هذه الطواعين (٤٤) الكثيرة القتالة ، لم تظهر فيها أبداً ، ولا في إثيوبيا كلها . ولا في البلاد التي تقع على ساحل البحر الأحمر (٤٥) .
- ٩١ وبين هذا الحشد البئيس القاسي ، جرى قومٌ عراةٌ ملكهم الرعب ، دون أملٍ في مخرجٍ أو طلسم (٤٦) .
- ٩٤ رَبَطْتُ زواحفُ أيديهم إلى الوراء (٤٧) ؛ وَبَيَّتُ فوق أعجازهم الرأسَ والذنبَ . وتجمعت إلى الأمام في عُقد .
- ٩٧ ها هوذا واحدٌ كان قريباً إلى شاطئنا ، وقد هاجمته زاحفةٌ ولدغته ، حيث ترتبط الكتفان بالعنق (٤٨) .
- ١٠٠ لم يُكتب أبداً حرفٌ " ا " أو " و " بسرعة هكذا (٤٩) ، كما اشتعل هو واحترق (٥٠) . وكان عليه أن يتحوّل كله إلى رماد وهو يسقط (٥١) ؛
- ١٠٣ وبعد انحلاله هكذا فوق الأرض ، تجمّع الرماد من تلقاء نفسه ، واسترجع تواء شكله الأول (٥٢) :
- ١٠٦ وهكذا يُؤكد كبار الحكماء (٥٣) ، أن العنقاء تموت ثم تولد من جديد ، عندما تقرب من تمام الخمسمائة عام (٥٤) ؛



٩ - اللصوص والأفاعي

أنشودة ٢٤ : ٨٥ . . .

- ١٠٩ ولا تتغذّي في حياتها بالعشب ولا الحبّ ، ولكن بقطرات البان^(٥٥) والحُمَامَى^(٥٦) وحدها ، والمر^(٥٧) والনারدين^(٥٨) هما آخر لفائفها .
- ١١٢ وكن يهوى ، ولا يعرف كيف هوى ، بقوة شيطانٍ يجذبه إلى الأرض ، أو بتقلصٍ آخر يُقيّد الإنسان ،
- ١١٥ وعندما ينهض ينظر فيما حوله بإمعانٍ ، وقد زاغ بصره لفرط ما عاناه من ألمٍ ، ويتهد وهو يُبصر^(٥٩) -
- ١١٨ هكذا كان ذلك المعضّب حينما نهض . أيتها القوة الإلهية ! كم أنت قاسية ، إذ تصيبين انتقامك بمثل هذه الضربات^(٦٠) !
- ١٢١ ثم سأله دليلي مَنْ كان ؛ فأجابته حينئذ : لقد سقطتُ من تُسكانا منذ عهدٍ قريبٍ ، إلى هذه الهوة القاسية .
- ١٢٤ ولما كانت لي صفات البخل ، فقد كذّبتُ لي حياة البهائم لا البشر ؛ إنني المتوحش قاتني فوتشي^(٦١) ، وكانت يستويا جحراً يناسبني : «
- ١٢١' فقلتُ لدليلي : « قلْ له ألا يهرب ؛ وسله أية خطيئةٍ أَلقتُ به هنا في أسفل ؛ فقد رأيتُه رجلَ دماءٍ وغضب^(٦٢) » .
- ١٣٠ لم يتظاهر ذلك الآثم بأنه لم يفهم ما سمعه ، ولكنه اتجه نحوي بوجهه وفكره ، وقد ارتسم عليه خجلٌ حزين ؛
- ١٣٣ ثم قال : « مفاجأتك لي في اليأس حيث ترائي ، تُؤلّني أكثر مما أحسسته ، حينما انتزعتُ من الحياة الأخرى^(٦٣) .
- ١٣٦ ولا أستطيع أن أرفض ما تطلبه : لقد وُضعتُ طويلاً في أسفل ، إذ كنتُ لصاً في خزانة الكنيسة ذات الكثر الجميل^(٦٤) ،
- ١٣٩ وكان غيري قد آتهم باطلاً^(٦٥) . ولكن لكيلا تتمتع بمثل هذا المشهد ، إذا كنت ستصبح خارج الأماكن المظلمة أبداً ،
- ١٤٢ فافتح أذنك لنبوئي واستمع : ستخلو بستويا أولاً من السود^(٦٦) ؛ ثم تُجدّد فيورنتزا^(٦٧) شعبها والقوانين .

- ١٤٥ وسيأتي مارس^(٦٨) من وادي ماجرا^(٦٩) ، بصاعقة مطوية في سحب مضطربة ؛ وبعاصفة هوجاء جامحة سيثير
- ١٤٨ معركة في أرض بيتشينو^(٧٠) ، وهنا سيسبق الضباب فجأة ، حتى ينال كل أبيض^(٧١) منها جراح .
- ١٥١ قلت لك هذا ليحق عليك الألم ! .

حواشى الأنشودة الرابعة والعشرين

- (١) هذه أنشودة اللصوص .
- (٢) بعد خوف دانتي وغضب فرجيليو فى الأنشودة السابقة يمود الجو الآن إلى الهدوء .
- (٣) أى فى الفترة من ٢١ يناير إلى ٢١ فبراير .
- (٤) فى هذه الفترة - عندما تكون الشمس فى برج الدلو - تبدأ أشعياً فى الظهور بالنسبة لدانتي .
- (٥) يعنى عندما يوشك أن يتساوى الليل بالنهار .
- (٦) يقول إن الصقيع يرسم صورة أخيه الأبيض يعنى اثناج . أى أن الحقول تبدو منغطاة بطبقة من الثلج .
- (٧) يذوب الصقيع المش بأسرع مما يذوب الثلج .
- (٨) أى العشب الضرورى للحيوان .
- (٩) المقصود أن الفلاح يضرب فخذه يأساً وقد ظن أن الثلج غمر الحقول .
- (١٠) هذا لأنه يظن أنه لن يستطيع الزراعة أو الرعى .
- (١١) يرسم دانتي بهذه الأبيات صورة رائعة لبعض مظاهر الحياة فى الريف الإيطالى .
- (١٢) يقارن دانتي بين تقلب الطبيعة وبين ما تولى فرجيليو من الغضب ثم الهدوء ، وبين ما أصابه هو من الرعب والفرع ثم الهدوء والطمأنينة .
- (١٣) أى عندما ظهر له فرجيليو فى أول الجحيم :
Inf. I. 61-63.
- (١٤) أى أنه كان على دانتي أن يختبر الصخرة بيده أولاً ليرى هل هى ثابتة وهل تقوى على احتماله .
- (١٥) أى لم يكن هذا طريقاً لمن يرتدى أردية من الرصاص الثقيل وهو يعرض بالمتأففين :
- (١٦) أضفت (إلى أعلى) للإيضاح .
Inf. XXIII.
- (١٧) هكذا كان المرتقى صعباً .
- (١٨) أى الشاطئ الذى يؤدى إلى الوادى أو الخندق السابع .
- (١٩) أى الجانب المؤدى إلى الوادى السادس .
- (٢٠) يعنى أنه كان سيمعجز حتماً عن الصعود .
- (٢١) يرجع هذا الانحدار العام إلى طبيعة الجحيم المخروطية الشكل عند دانتي .
- (٢٢) هكذا بلغ التعب من دانتي فجلس على الأرض حيناً بلغ الصخرة .
- (٢٣) يعنى أن بلوغ المحج يقتضى الجهد والعمل والاحتمال . وأورد هوارتيوس مثل هذا التعبير :
- (٢٤) أضفت لفظ (مجد) للإيضاح .

- (٢٥) كان دانتى يتطلع دائماً لنيل المجد ، وهذا هو وقته .
- (٢٦) هذا تعبير عن صدق ما فى نفس دانتى ، وقد كان يغلب بقوة الروح كل المصاعب والعقبات . وأى درس فى هذا للناس !
- (٢٧) يشير فرجيليو إلى جبل المطهر ، وسيكرر الإشارة إلى مراحل صعوده فى مواضع كثيرة كما سيأتى فى المطهر :
Purg. III. 46-51; XI. 40; XIII. 11. 65, 77;
XXII. 183; XXV. 8; XXVII. 124.
- (٢٨) أى لا يكفى أن يبتعد دانتى عن المعذبين بل يجب أن يتخلص من كل الخطايا حتى يصبح جديراً بالسعادة الأبدية .
- (٢٩) هكذا استرجع دانتى قوة الروح والجسد معاً .
- (٣٠) لعلها كانت كلمات سباب ولعنات تشبه ما سيأتى بعد :
Inf. XXV. 3.
- (٣١) أى فوق هذا الخندق .
- (٣٢) لا يحدد دانتى شخصية هذا الآثم .
- (٣٣) الأعين الحية القوية .
- (٣٤) يعنى الجسر .
- (٣٥) نظراً لعمق الخندق وإظلامه لم يفهم دانتى من أعلى الجسر الصوت الذى سمعه ولم يميز ما بأسفل ، ولذلك طلب إلى فرجيليو المهبوط إلى الخندق حتى يصبح قادراً على الفهم والرؤية .
- (٣٦) يعنى قد حان وقت العمل ولا يجوز أن يكون هناك كلام دون عمل .
- (٣٧) هذا هو الوادى أو الخندق السابع حيث يعذب اللصوص .
- (٣٨) اقتبس دانتى هذا من لوكانوس :
Luc. Phars. IX. 705 ...
- (٣٩) الدخانة (chelydrus) أفعى تعيش أغلب الوقت فى الماء وإذا سارت على الأرض أثار التراب الذى يشبه الدخان فى تصاعده .
- (٤٠) القفازة أو الطفارة (jaculi) أفعى تقفز من الأشجار على فريستها .
- (٤١) الحفارة (pareas) أفعى تحفر الأرض بذنبها .
- (٤٢) الرقطاء أو النقطاء (cenchris) أفعى ذات جلد مرشش .
- (٤٣) أفعوان (amphisbaena) أفعى تتحرك إلى الأمام وإلى الخلف . ويطلق هذا اللفظ على ذكر الأفعى بعامة .
- وأورد لوكانوس أسماء هذه الزواحف وصفاتها :
Luc. Phars. IX. 711 ...
- (٤٤) يقصد بالطواعين الزواحف .
- (٤٥) يقصد الصحارى الواقعة على ساحل البحر الأحمر أو صحارى بلاد العرب ومصر .
- (٤٦) الطلمس نبات أو حجر سحرى (elitropia) من خصائصه البره من السموم وإخفاء من يحمله ، عند المشتغلين بالسحر .
- (٤٧) هذا جزء من عقابهم لأنهم اعتادوا أن يسرقوا أموال الغير .
- (٤٨) أى لدغته فى رقبتة .

(٢٩) في الأصل حرفا (o) و (z) والمقصود أن احتراق المعذب وتحويله إلى رماد حدث بسرعة متناهية .

(٥٠) أى ذلك المعذب .

(٥١) هوفانى فوتشى اللص .

(٥٢) هذا للمزيد في عذاب اللصوص الأبدى .

(٥٣) أى الشعراء والعلماء القدامى .

(٥٤) العنقاء (phoenix) طائر خرافي ، واقتبس دانتى هذه الصورة عن أوغدييوس :
Ov. Met. XV. 393 ...

ويوجد شمال من الحجر يمثل العنقاء ، وهو في متحف الفاتيكان .

(٥٥) قطرات البان (lagrime d'incenso) بخور عطر الرائحة .

(٥٦) الحماى (amomo) نوع من البهار .

(٥٧) المر (mirra) خشب ذكي الرائحة .

(٥٨) الناردين (nardo) نبات يستخرج منه بلسم للجروح .

(٥٩) هذا وصف دقيق لبعض الحالات المرضية ، ربما وقعت لدانتى ذاته أو شهبها .

(٦٠) أى أن القوة الإلهية تنتقم لتحقيق العدالة .

(٦١) ثانى فوتشى (Vanni Fucci) لص مشهور في بستويا (Pistoia) وكان من الجلف

السود ، ولم يتورع عن سرقة الكنائس ، وكان يسمى ثانى فوتشى المتوحش .

(٦٢) يشير دانتى إلى اشتراك ثانى فوتشى في الصراع بين الجلف البيض والجلف السود في

أواخر القرن ١٣ .

(٦٣) أحس فوتشى بالخزى لأن دانتى لم يره مع من ارتكبوا العنف أو آثموا بسرعة النصب

ولكن رآه مع هؤلاء اللصوص ، وفاق ألمه عندئذ ما أحسه عند موته .

(٦٤) المقصود بهذا كاتدرائية بستويا وكانت تحوى على تحف ثمينة من الذهب والفضة .

(٦٥) آثم بدلا منه زورا رامبينو دى رانوتشو فوريزى (Rampino di Ranuccio)

Foresi وسجن ظلماً وعدواناً .

(٦٦) ساعد الفلورنسيون من الجلف البيض زملاءهم في بستويا لطرد السود منها في مايو ١٣٠١

ولكن وصل شارل دى فالوا بتحريض البابا بونيفاتشو الثامن في نوفمبر ١٣٠١ وطرد البيض من

فلورنسا وما حولها ووضع مكانهم السود .

(٦٧) فيورنزا (Firenza) النطق القديم لفيرنزه (Firenze) بالإيطالية الحديثة ،

وفورنسا في النطق الحالي الشائع المأخوذ عن الفرنسية والإنجليزية (Florence) . وكرر دانتى

Inf. X. 92; XVI. 75; XXVI. 1; XXXII. 120.

تسميتها فيورنزا :

Purg. VI. 127; XX. 75.

Par. XV. 97; XVI. 84; 111, 146, 149; XVII. 48; XXIX. 103; XXXI. 39.

Canz. XI. 77; XVIII. 50.

Conv. I. III. 22; II. XIV. 176.

ويكتبها كذلك بصور أخرى مثل :

Conv. IV. XX. 39.

فيرنزه (Firenze) :

V. El. I. XIII. 22.

فيورنسا (Firenza) :

V. El. I. VI. 25; II. VI. 47; XII. 16.

فلورنتيا (Florentia) :

Epis. I. tit; VII. 7; VIII. tit; IX. 2, 4.

ويشير إليها في مواضع عديدة من مؤلفاته فيقول مثلا إنها المدينة الملية بالحسد (Inf. VI. 49) والمدينة المنقسمة (Inf. VI. 61.) والمدينة المنحرفة (Inf. XVI. 9.) وكر الحقد (Inf. XV. 78.) وموطن ميلاده (Inf. X. 26; XXIII. 94-96; Purg. XXIV. 79; Par. VI. 53; IX. 127) ويسمها المدينة العظيمة على ضفة الأرنو الجميل (Inf. XXIII. 95.) ويرجع اسمها إلى الرومان الذين أطلقوا عليها فلورنسا ثم أصبحت فيورنتزا. وفي الغالب اشتق الاسم من الزهرة (floreo, fiore) أى زهرة الزنبق رمز المدينة وتسمى مدينة الزهور.

وتقع فلورنسا في قلب تسكانا على نهر الأرنو وتحيط بها التلال ، في الشمال تلال فييزولى (Fiesole) وجبل موريلو (Morello) وفي الجنوب تلال سان مينيأتو (San Miniato) وبلوزجواردو (Bellosguardo) ويقسمها الأرنو قسمين . ويقال إن الرومان أنشأوا فلورنسا بعد هدم فييزولى في عهد يوليوس قيصر ، ثم هدمها توتيليا ملك القوط في القرن ٦ ، ويقال إن شارلمان أعاد بنائها بعد ثلاثة قرون . وكانت فلورنسا في العصور الوسطى مقسمة أربعة أحياء أو أبواب وسميت بأسماء بوابات سور المدينة ، ففي الشرق باب سان بانكراتزيو (Porta San Pancrazio) ، وفي الغرب باب سان بيتر و (San Pietro) ، وفي الشمال باب الكاتدرائية (Il Duomo) ، وفي الجنوب باب سانتا ماريا (Santa Maria) ، وفي الوسط وجد السوق القديم (Mercato Vecchio) . وعند ما اتسعت المدينة وبنيت لها أسوار جديدة زادت أحيائها ، وحل مكان حى سانتا ماريا حى سان بييرو سكيرا داجو (Sesto San Piero Scheraggio) ، وحى البرجو (Il Borgo) ، وأضيف حى أولترانو (Oltrarno) . وفي الخمسين سنة السابقة على ميلاد دانتي (١٢٦٥) زادت مساحة فلورنسا وتكاثر سكانها وتضاعفت ثروتها وارتفع شأنها السياسي .

ومن المباني والمنشآت التي شهدها دانتي أو شهد بده إنشائها في فلورنسا الجسر القديم (Ponte Vecchio) ويقال إنه يرجع إلى عهد الرومان ثم هدمه فيضان ١٣٣٣ وأعاد بناءه تاديو جادى في ١٣٦٢ . وأنشئ جسر كارايا (Ponte alla Carraia) في ١٢٢٠ لمنفعة ضاحية أنيسانتى (Ognissanti) التي اشتهرت بنسج الحرير والصوف ، وهدمه فيضان ١٣٣٣ وأعيد بناؤه في وقت متأخر . وأنشئ جسر روباكوتى (Rubaconte) الذى يعرف الآن بجسر جراتزى (Grazic) في شرق الجسر القديم في ١٢٣٧ . وأقيم جسر سانتا ترينيتا (Santa Trinità) بين الجسر القديم وجسر كارايا في ١٢٥٢ . ومن هذه المباني معمدان سان جوفانى (San Giovanni) الذى بنى في القرن السابع أو الثامن ؛ وكنيسة سان مينيأتو (San Miniato) التى كانت قائمة قبل عهد شارلمان وجدد بناؤها ؛ والباديا (Badia) الدير القديم للرهبان البنديت بن الذى أنشئ في ٩٧٨ ؛ وكنيسة

سانتا أنونزياتا (Santa Annunziata) التي أنشئت في ١٢٦٢ ؛ وكنيسة سانتا كروتشي (Santa Croce) التي أنشئت من ١٢٩٤ إلى ١٤٤٢ ؛ وكنيسة سان لورنتزو (San Lorenzo) التي أنشئت في ٣٩٠ واحترقت في ١٤٢٣ وأعاد آل مديتشي بناءها في القرن ١٥ ؛ وكنيسة سانتا ماريا نوفلا (Santa Maria Novella) التي أنشئت من ١٢٧٨ إلى ١٣٤٩ ؛ وكنيسة سان مارتينو دي بونوميني (San Martino de' Buonomini) التي أقيمت في حوالي ١٠٠٠ ؛ وكنيسة سانتا تريينيتا (Santa Trinità) التي أنشئت في ١٢٥٠ ؛ وكنيسة سانتا ماريا دل فيوري (Santa Maria del Fiore) وهي الكاتدرائية وأنشئت في مكان سانتا ريباراتا (Santa Riparata) من ١٢٩٤ إلى ١٤٥٦ ؛ وكنيسة الرحمة (Misericordia) وأنشئت في ١٢٤٤ ؛ ومستشفى الأبرياء (القطاء) (Ospedale degli Innocenti) وأنشئ في ١٢١٨ ؛ ومستشفى سانتا ماريا نووفا (Santa Maria Nuova) بناء فولكو بورتيناري في ١٢٨٧ ؛ وقصر العمدة أو البرجلو (Palazzo del Podestà, Palazzo della Signoria) وأنشئ في ١٢٥٠ ؛ وقصر السنيوريا أو القصر القديم (P. Vecchio) وأنشئ من ١٢٩٨ إلى ١٣١٤ .

وستصبح فلورنسا مركز حركة النهضة وستكون بمثابة أئينا العصر الحديث في خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وسيرعى آل مديتشي (I. Medici) هذه الحركة العظيمة وسيظهر في فلورنسا عباقرة يخرجون روائع الأدب والفن والعلم والسياسة مثل پتراركا (١٣٠٤ - ١٣٧٤) وبوكاتشو (١٣١٣ - ١٣٧٥) وساقونارولا (١٤٥٢ - ١٤٩٨) وليوناردو دا فنشي (١٤٥٢ - ١٥١٩) وميكالأنجلو (١٤٧٥ - ١٥٦٤) وماكيافل (١٤٦٩ - ١٥٢٧) . ولا تزال فلورنسا حتى الآن بشماتها الخالدة مدرسة عالمية يحج إليها الدارسون من أنحاء الأرض .

وقد زرت فلورنسا منذ صيف ١٩٣٤ إلى صيف ١٩٦٦ سبع عشرة مرة ، وإن أعدها مدينتي ، وهي عتلى من أعز مدن الدنيا ، وهي ذات سحر وجمال وروعة ليس من السهل التعبير عنها .

(٦٨) مارس (Mars) إله الحرب عند الرومان وابن جوبيتر وأبو رومولوس مؤسس روما ، في الميتولوجيا القديمة ، وكان حامى فلورنسا في العهد الوثني .

(٦٩) وادي ماجرا (Val di Magra) يقع في طرف لوقيدجانا في الشمال الغربي من تسكانا وكانت تابعة لآل مالاسبينيا في عهد دانتى .

(٧٠) بيتشينو (Piceno) المنطقة الواقعة بين مونتكاتيني ووادي سيرا ، حيث وقعت المعركة بين البيض والسود في ١٣٠٢ ، وانتصر السود بقيادة مورويلو مالاسبينيا .

(٧١) أى كل رجل من حزب البيض .

وحيثما رسم رافاييلو (١٤٨٣ - ١٥٢٠) صورة سان ميشيل الصغير وهو يقتل التنين استوحى الأنشودات ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ بما فيها من صور الشياطين والزواحف ، كما استوحى الأنشودة ٢٣ بما فيها من صورة المنافقين الذين يسرون تحت أردية وقلانس من الرصاص الثقيل . والصورة موجودة في متحف اللوثر في باريس .

الأنشودة الخامسة والعشرون^(١)

اجترأ اللص فأتى فوتشى على الله ، فهاجمته الزواحف والتفت حوله حتى إنه لم يستطع حراكاً . وبذلك أصبحت الزواحف صديقة لدانتى لأنها صبت على اللص الجزء الذى يستحق . وأعلن دانتى غضبه على بستويا لأنها أخرجت مثل هذا اللص المتعطرس . رأى دانتى كاكوس اللص المشهور فى الميتولوجيا اليونانية ، الذى سكن بعض الوقت فى جبل أفنتينو ، حيث قتله هرقل جزاء سرقة ثيرانه . والتف حول كاكوس أفاع تفوق ما وُجد فى ماريما . وكان فوق كتفيه نين يحرق كل من يلاقيه . رأى دانتى نبلاء فلورنسينين اشتهروا بأعمال السلب والنهب والاعتداء على الناس ، وهم أنيلو برونلسكى وبوزو دلى أباتى وكاينفا دوناتى وفرنتشسكو كافالكاتى وپوتشو تشانكاتو دى جاليجاي . وشهد كيف وثبت زاحفة على أنيلو والتفت حوله كالتفاف اللباب ، وامتزجا معاً وتحولوا إلى كائن مسيخ له وجه واحد واختفت فيه معالم الاثنين . ثم رأى زاحفة تهاجم بوزو دلى أباتى وتلدغه فى سرته . ووجد أن كلا منهما بدأ يتحول ، الزاحفة إلى إنسان ، والإنسان إلى زاحفة . وحدث هذا تدريجياً وعلى توافق بالنسبة لكل الأعضاء ، فتحول ذنب الزاحفة إلى قدمين ، وقدم اللص إلى ذنب زاحفة ، وتحول جلد الزاحفة إلى جلد إنسان ، على حين أصبح جلد اللص جلد زاحفة ، واندمجت القدمان الخلفيتان عند الزاحفة ونشأ للص قدما زاحفة ، ونبت الشعر على جانب وُزِع من الآخر ، وتحول رأس الزاحفة إلى رأس إنسان وبالعكس ، وتقدمت الزاحفة الحديدية وهى تُطلق صفيها ، بينما أخذ الإنسان الحديد يبصق وهو يتكلم . تولى دانتى لذلك بعض الاضطراب والقنوط .

- ١ حينما انتهى اللص من كلامه^(٢) ، رفع كلتا يديه على هيئة التين^(٣) .
صارخاً : « خذهما يارب ، فأليك أوجههما^(٤) ! » .
- ٤ ومنذ ذلك اليوم كانت الزواحف صديقةً لي^(٥) ، لأن إحداها التفتت حينئذ حول عنقه ، وكأنها تقول : ” لا أريد أن تقول مزيداً^(٦) “ ؛
- ٧ وأحاطت أخرى بالذراعين ، فضاعفت من قيده . وقد عقدت نفسها إلى الأمام^(٧) ، حتى لم يستطع أن يتحرك بهما .
- ١٠ واهأ لك يا پستويا ! ياپستويا ، لِمَ لا تُقرّر رين أن تتحوّل إلى رماد ، فلا يكون لك بقاءٌ بعد^(٨) . ما دمت تسبقين نواتك في ارتكاب الشر^(٩) ؟
- ١٣ لِمَ آر في كلّ حلقات الجحيم المظلمة ، روحاً متعالية على الله هكذا ، ولا حتى من سقطت في طيبة عن الأسوار^(١٠) .
- ١٦ لقد ولّتى هارباً دون أن ينبس بكلمة ؛ ورأيت قنطروساً^(١١) مليئاً بالغضب ، يجيء صائحاً : « أين هو ، أين الوغد^(١٢) ؟ » .
- ١٩ لا أعتقد أن ماريمّا^(١٣) حازت من الأفاعى ، بقدر ما كان منها فوق ظهره ، إلى حيث يبدأ وجهنا الآدمي^(١٤) .
- ٢٢ وعلى الكتفين وخلف الرأس استلقى تينٌ مفتوح الجناحين^(١٥) . يحرق كلٌّ من يلاقيه^(١٦) .
- ٢٥ قال أستاذي : « هو ذا كاكوس^(١٧) الذي صنع مرآتٍ عديدةً بحيرة دم^(١٨) ، تحت جخرة من جبل أفتينيو^(١٩) .
- ٢٨ إنه لا يسير مع رفاقه^(٢٠) في طريقٍ واحدٍ ، لسرقةٍ ماهرةٍ فعلها بالقطيع الكبير^(٢١) الذي كان منه قريباً ؛
- ٣١ ولذلك كفّ عن أعماله الشريرة . تحت هراوة هرقل ، الذي ربما ناوله منها مائة^(٢٢) ، ولم يشعر بعشرة^(٢٣) .
- ٣٤ وبينما كان يتكلم هكذا ، ومضى القنطروس^(٢٤) إلى الأمام ، جاء من تحتنا ثلاثة أشباح^(٢٥) ، لم أنتبه إليهم أنا ولا دليلي ،

- ٣٧ إلا عندما صاحوا: « مَنْ أَنْتَا ؟ » فتوقّف بذلك حديثنا، وأنصتنا بعدُ إليهم فحسبُ^(٢٦).
- ٤٠ لم أعرفهم^(٢٧) : ولكن حدث كما يحدث عادةً في بعض الأحيان ، أن نطقَ واحدٌ باسم آخر .
- ٤٣ وهو يقول : « أين وقف كائِنَمَا^(٢٨) ؟ » . ولكي يقف دليلي منتبهاً ، أقمتُ أصبعي حيثنُدُّ بين الذقن والأنف^(٢٩) .
- ٤٧ وإذا كنتِ الآنَ : أيها القارئ متأخراً عن تصديق ما سأقول ، فلن يكون عجبياً ، لأنني أنا الذي رأيته ، لا أكاد أجده مقبولاً .
- ٤٩ وبينما أبقيتُ أهدابي مرفوعةً إليهما^(٣٠) ، وثبتتُ زاحفةً^(٣١) بستَ أقدامٍ أمام أحدهما^(٣٢) ، وعقدتُ نفسها على كلِّ جسمه .
- ٥٢ وأمسكتُ بطنه بقدميها الوُسْطيين ، وبالْأماميتين قبضتُ الذراعين ؛ ثم أنشبتُ أسنانها في كلا الخدَّين ؛
- ٥٥ ومدت الخلفيتين على الفخذين ، ووضعتُ الذنبَ بين كلا الاثنتين ، ثم رفعتهُ إلى الخلف على الكليتين .
- ٥٨ لم يتعانتق لبلابٌ وشجرةٌ أبداً ، كما لفَّ الوحش الرهيب أعضاءه حول أعضاء الآخر^(٣٣) .
- ٦١ والتصقاً بعدُ كما لو كانا من شمعٍ ساخن ، وامترج لوناهما ، فلم يبدُ هذا ولا ذاك على ما كان^(٣٤) ،
- ٦٤ كما يمتدّ أمام النار لونٌ داكنٌ على الورق ، فلا يصير أسود بعدُ ، ويختفي اللون الأبيض .
- ٦٧ نظر الآخراخ إلىه ، وصاح كلُّ منهما : « أوَاه يا أنيلو ، كيف تبدّل ! انظر ، إنك لم تعد بعدُ الواحد ولا الاثنتين^(٣٥) » .
- ٧٠ كان الرأسان قد أصبحا واحداً ، حينما بدا لنا وجهان امتزجا في وجه واحد ، ضاعتُ فيه معالمُ الاثنتين^(٣٦)

- ٧٣ وتكوّن ذراعان من الأطراف الأربعة^(٣٧) ؛ وتحول الفخذان والساقان والبطن والصدر إلى أعضاء لم يرها أحدٌ أبداً .
- ٧٦ اختفى فيهما كل شكل سابق : وبدأ الوحش المسيح اثنين^(٣٨) ، ولم يعدّ واحداً منهما^(٣٩) ؛ وسار هكذا بطيء الخطو .
- ٧٩ وكالعظاية^(٤٠) ، تحت وطأة القيئذ في أيام بُرج الكلب^(٤١) ، إذ تنتقل من عوسجٍ لآخر ، فتبدو كومض البرق إذا عبرت الطريق ، كذلك بدت زويحفةٌ غاضبية^(٤٢) ، وهي تتقدّم نحو بطنى الاثنين الآخرين^(٤٣) وكانت سوداء داكنة كحبات الفلفل ؛
- ٨٥ وفي ذلك الموضع الذى نستمدّ منه الغذاء لأول مرة^(٤٤) ، لدغت واحداً منهما^(٤٥) ؛ ثم سقطت بممددة أمامه إلى أسفل .
- ٨٨ نظر المملوغ إليها ولم يقل شيئاً ؛ بل تتأهب ثابت القدمين ، كمن هاجمه النعاس أو الحمى^(٤٦) .
- ٩١ نظر الزاحفة ونظرت إليه ، وأخرجنا دخاناً كثيفاً ، واحدٌ من جرحه والأخرى من الفم ، والتقى الدخان بالدخان .
- ٩٤ ألافليسكت الآن لوكانوس ، إذ يتناول البائس سايبايوس وناسيديوس^(٤٧) ، وليحرص على أن يسمع ما يروى الآن^(٤٨) .
- ٩٧ وكيسكت أوفيدايوس عن كاداموس وأريتوزا^(٤٩) ، لأنه إذا كان ، وهو يقرض الشعر ، يحول ذلك إلى أفعى وهذه إلى ينبوغ ، فإنى لا أحسده^(٥٠) ؛
- ١٠٠ فإنه لم يحول أبداً طبيعتين^(٥١) وجهاً لوجه ، حتى كان كلا الشكلين مُستعدّاً أن يُبادل الآخر مادته^(٥٢) .
- ١٠٣ لقد استجابا معاً لمثل هذه الصورة ، فشقت الزاحفة ذنبها إلى شوكتين^(٥٣) ، وضمّ الجريح قدميه معاً^(٥٤) .
- ١٠٦ وتلاصق الساقان ومعهما الفخذان الواحد بالآخر ، حتى إنه فى لحظات قصارى ، لم يترك الالتحام علامةً بادية .

- ١٠٩ والذنبُ المشقوق أخذ الشكل^(٥٥) الذي فقده الآخر^(٥٦) ، وأصبح جلدُ هذه لينا^(٥٧) ، على حين جفَّ الجلدُ هناك^(٥٨) .
- ١١٢ رأيتُ الذراعين يدخلان عند الإبطين^(٥٩) ؛ وقدمَا الوحش ، اللتان كانتا قصيرتين ، رأيتُهما تستطيلان بقدر قصرِ الذراعين^(٦٠) .
- ١١٥ ثم اندجت القدمان الخلفيتان معاً ، وأصبحتا ذلك العضو الذي يُخفيه الرجل^(٦١) ، وظهر للبائس من عضوه قدمان^(٦٢) .
- ١١٨ وبينما كان الدخان يكسو كليهما بلونٍ جديدٍ^(٦٣) ، وُسِّبت شعراً على جانبٍ ، ويزرعه من الجانب الآخر ،
- ١٢١ نهض الواحد^(٦٤) ، وسقط الآخر إلى أسفل^(٦٥) ، ومع ذلك لم تتحوّل أبصارهما اللعينة : التي بدل كل منهما فه أمامها^(٦٦) .
- ١٢٤ وذلك الذي انتصب قائماً ، جذب فه نحو صدغيه ، ومن المادة الكثيرة التي ذهبت هناك ، خرجت الأذنان من الخدين الأملسين^(٦٧) :
- ١٢٧ وما لم يذهب إلى الخلف وبقي من هذه الزيادة ، جعل للوجه أنفاً ، وتضخمت الشفتان إلى الحجم المناسب .
- ١٣٠ وذلك الذي كان مستلقياً ، يدفع فه إلى الأمام ، ويسحب الأذنين إلى الرأس ، كما يفعل القوقع بالقرنين ؛
- ١٣٣ واللسان الذي كان من قبل واحداً ومستعداً للكلام ، ينقسم اثنين^(٦٨) ، وعند الآخر يُغلق اللسان المشقوق^(٦٩) ، ثم ينقطع الدخان^(٧٠) .
- ١٣٦ والروح التي تحوّلت إلى وحش ، تهرب إلى الوادي وهي تُطلق صفيها ، ويصق الآخر من ورائه وهو يتكلم^(٧١) .
- ١٣٩ ثم أدار له كفيه الجديدين^(٧٢) ، وقال للآخر^(٧٣) : « أريد أن يجرى بووزو زحفاً في هذا الطريق ، كما فعلتُ أنا » .
- ١٤٢ هكذا رأيتُ أنقال^(٧٤) الوادي السابع تتغير وتبدل ، وكنتكن غرابية المشهد هنا عذراً لي ، إذا غلاش القلم قليلاً^(٧٥)

- ١٤٥ ومع أن عينيّ قد أصابهما بعض الاضطراب ، وأصاب النفس القنوط ، فلم يستطع هذان أن يهربا في خفيةٍ مُحْكَمَةٍ ،
- ١٤٨ حتى تبينتُ جيداً پوتشو تشانكاتو ؛ ومن بين الرفاق الثلاثة الذين جاؤوا أولاً ؛ كان هو وحده الذي لم يتغير^(٧٦) :
- ١٥١ وكان الآخر هو من "تبكينه يا قلعة جافيلتي"^(٧٧) .

حواشى الأنشودة الخامسة والعشرين

- (١) هذه تكملة لأنشودة الصوص السابقة .
- (٢) أى ثانى فوتشى السالف الذكر فى الأنشودة السابقة .
Inf. XXIV.
- (٣) أى وضع أصبح الإبهام بين السبابة والوسطى ، وكانت هذه حركة شائعة فى عهد دانتي تدل على الزاوية والاحتقار . ورسم جوتو هذه الحركة فى كنيسة القديس فرنتشكو العليا فى أسيسى .
- (٤) هكذا اجترأ فاني فوتشى على الله .
- (٥) أصبحت الزواحف صديقة دانتي لأنها انتقمت لاجترأ فوتشى على الله .
- (٦) أى أن الأفصى منعه عن الكلام .
- (٧) يعنى أن الأفصى لفت رأسها على ذنبها بقوة وبذلك لم يستطع اللص حراكا .
- (٨) يشبه لمن دانتي لپستويا (Pistoia) العنات التى صها على فلورنسا وبيزا وجنوا :
Inf. XXVI. 1-12; XXXIII. 79-90, 151-157.
- (٩) تقول أسطورة قديمة إن قوات كاتالينا الرومانى هى التى أنشأت مدينة پستويا .
- (١٠) يقصد كاپانيو السالف الذكر :
Inf. XIV. 46 ...
- (١١) لم يكن هذا قنطروسا فى الحقيقة ، ولكن دانتي نعته بهذا الإسم لأن فرجيليو سباه نصف إنسان كناية عن وحشيه ، والمقصود به كاكوس فى الميتولوجيا اليونانية :
Virg. Æn. VIII. 194-267.
- (١٢) أى ثانى فوتشى .
- (١٣) كانت ماريمما (Maremma) منطقة حافلة بالغابات والزواحف فى تسكانا .
- (١٤) يستخدم دانتي لفظ شفة للدلالة على الوجه كما يفعل فى مواضع أخرى :
Inf. VIII. 7; Purg. XXIII. 47.
- (١٥) التنين حيوان خرافى ضخم يجمع بين صفات الزاحفة والطير .
- (١٦) يذكر فرجيليو فى الإلياذة التنين الذى تخرج النار من فمه فتحرق كل من يلاقه :
Virg. Æn. VIII. 251... , 304.
- (١٧) كاكوس (Cacus) تنين ولص ومارد مرق ثيران جيريون الذى جاء بها هرقل من إسبانيا ولكن هرقل عرف مكانها وقتل كاكوس :
Virg. Æn. VIII. 194...
- (١٨) أى أنه سفك دماء كثيرين .
- (١٩) أنتنتينو (Aventino) أحد التلال السبعة التى أقيمت عليها روما ، وكان مقرأ لكاكوس المارد .
- (٢٠) أى القطارس ، وسبق ذكرهم :
Inf. XII. 55...
- (٢١) يعنى ثيران جيريون .

(٢٢) اتبع دانتى رواية فرجيليو فى الإنيادة ، وإن خالقه فى طريقة القتل :

Virg. Æn. VIII. 205...

ويوجد تمثال من المرمر لموقل وهو يقتل القنطروس كاكوس بهراوته من عمل باتشو بانديلى (١٤٩٣ - ١٥٦٠) وهو أمام قصر السنيوريا فى فلورنسا .

(٢٣) وذلك لأنه مات بعد تسع ضربات .

(٢٤) وضعت لفظ (القنطروس) بدل الضمير لإيضاح المعنى .

(٢٥) أشباح أو نفوس أو أرواح .

(٢٦) أى سكت فرجيليو عن حديثه عن كاكوس ، والتفت الشاعران إلى هؤلاء المعذبين .

(٢٧) كان هؤلاء بعض النبلاء الفلورنسيين وهم أنيلو دى برونلسكى (Agnello dei Brunelleschi) ويوزو دى أباتى (Buoso degli Abati) وپوتشو تشانكاتو دى جاليجاي (Puccio Giancato dei Galigai) وقد قاموا بأعمال نهب وسرقة .

(٢٨) كايغا دى دوناتى (Cainfa dei Donati) نبيل فلورنسى اشتهر بالنهب والسرقه ، ويظهر هنا فى صورة زاحفة .

(٢٩) حكفنا أشار دانتى بوضع أصبعه على فمه ، حتى يسكت فرجيليو . ويتنبه كل الانتباه إلى هؤلاء المعذبين .

(٣٠) يعنى رفع عينيه إليهما .

(٣١) هذا هو كايغا اللص الذى ظهر فى صورة زاحفة .

(٣٢) أى أمام أنيلو دى برونلسكى .

(٣٣) يقصد أنيلو دى برونلسكى .

(٣٤) امتزج الرجل بالزاحفة ، وفقد كل منهما شكله الأول .

(٣٥) أى أنك لست أنيلو ولا الزاحفة ولا هما معاً .

وفى التراث الإسلامى بعض الشبه بهذه الصورة فى نهب الأفامى لأهل الزنا وشاربى الخمر والنساء اتلاقى منمن أولادهن من الرضاع والكفار :
Cerulli, (op. cit.) pp. 160-163.

السمرقندى : قرة العيون (السابق الذكر) . ص : ١٨ .

الهندي : كثر العمال (السابق الذكر) - ج : ٧ : ص : ٢٨٠ : رقم : ٣٠٨٨ و ٣٠٨٩

وتوجد صورة صغيرة تمثل عذاب هؤلاء الآثمين بالأفامى والزواحف واليران فى التراث الإسلامى ، وهى الصورة رقم ١٣ التى أوردها إنريكو تشيرولى فى كتابه عن « المعراج » وهى مأخوذة عن مخطوطة تركية وضعت فى هيرات فى ١٤٣٦ وقامت إلى شاه روىخ بن تيمور لك ، وهى فى المكتبة الوطنية فى باريس .

(٣٦) يشبه هذا ما أورده أوفيدىوس :

(٣٧) أى أنه تكون من ذراعى الرجل ومن قدى الزاحفة الأماميتين ذراعاً الكائن العجيب

الجديد .

(٣٨) أى جمع بين صفات الإنسان والزاحفة .

(٣٩) أى أنه لم يبد كائناً واضحاً محدد المعالم .

- (٤٠) يستمد دانتى هذه الصورة من حركة العظاية ، ولا يكاد يفلت شيء من ملاحظته .
- (٤١) أى وقت أن تشتد أشعة الشمس صيفاً عندما تكون فى برج الكلب الأكبر (canicola) ، بين ٢١ يوليو و ٢١ أغسطس من السنة . ويسمى هذا البرج كذلك بالشعري الهياينة .
- (٤٢) هذا هو فرننتشكو دى كافالكانتى (Francesco dei Cavlacanti) وهو من نبلاء فلورنسا واشتهر بالنهب والسرقة .
- (٤٣) أى بووزو دلى أباقى وپوتشو تشانكاتو دى جاليجاي .
- (٤٤) يقصد سره البطن التى يتناول منها الجنين غذاءه وهو فى بطن أمه .
- (٤٥) أى لدغت الزاحفة بووزو دلى أباقى .
- (٤٦) هذه دلائل على أنه سيفقد صورة الإنسان .
- (٤٧) سابيلوس (Sabellus) وناسيديوس (Nasidius) جنديان فى جيش كاتون القائد الرومانى ، وفى أثناء سير قواته فى صحراء ليبيا لدغت أفعى الأول فتحول إلى حنفة من رماد ، ولدغت أفعى الثانى فتحول إلى كتلة لا يمكن تسميتها . وهذه صورة مستمدة من لوكانوس :
- Luc. Phars. IX. 761...
- (٤٨) يعنى أن دانتى سيقص ما يفوق وصف لوكانوس .
- (٤٩) كادوس (Cadmus) مؤسس طيبة ، وقد تحول إلى زاحفة وأريتوزا (Arethusa) إحدى تابعات الإلهة ديانا ، وقد تحولت إلى ينبوع لكى تتخلص من ملاحقة ألفيوس لها ، كما ذكر أوڤيديوس :
- Ov. Met. IV. 563-604; V. 492-671.
- وقد ألف لولى (١٦٣٢ - ١٦٨٧) ألحان أوبرا عن كادوس وهيرميون :
- Lully S. B. : Cádiz et Hermione, opéra. paris, 1673 (ex. chanté, Decca).
- (٥٠) أى أن دانتى لا يحسد فن أوڤيديوس .
- وقد ألف كارل ديتسردروف (١٧٣٩ - ١٧٩٩) ألحان سيمفونية عن تحولات أوڤيديوس :
- Dittersdorf, K. D. : Metamorphosen - sinfonien nach Ovid, 1767 - 1785.
- (٥١) يعنى فى أشعار أوڤيديوس .
- (٥٢) يعنى يبادل الآخر خصائصه .
- (٥٣) أى أن ذنب الزاحفة أخذ يتحول إلى شوكة ذات طرفين ، أى إلى قدمى إنسان .
- (٥٤) أى أن قدمى المعضب بدأتا تتحولان إلى ذنب الزاحفة .
- (٥٥) أى تحول ذنب الزاحفة إلى قدمى إنسان .
- (٥٦) أى أن المعضب فقد قدميه وظهر بدلها ذنب زاحفة .
- (٥٧) يعنى أن جلد الزاحفة أصبح لدينا مثل جلد الإنسان .
- (٥٨) أى أصبح جلد المعضب جافاً مثل جلد الزاحفة .
- (٥٩) أى دخل ذراعاً الإنسان تحت إبطيه عند ما كان يتحول إلى زاحفة .

- (٦٠) أى أن ذلك حدث على توافق وتقابل .
- (٦١) يقصد عضو التناسل عند الرجل .
- (٦٢) تحول هنا عضو التناسل إلى قدمى زاحفة .
- (٦٣) أى بينما كان الدخان يلون الرجل الحديد والزاحفة الجديدة باللون المناسب .
- (٦٤) أى الزاحفة التى كادت تصبح الآن فى صورة إنسان .
- (٦٥) أى الإنسان الذى أوشك أن يتحول إلى زاحفة .
- (٦٦) هذه هى المرحلة الأخيرة فى هذا التحول التدريجى .
- (٦٧) هكذا تشكل الوجه الآدمى . الخدان الأملسان يعنى أنهما كانا بغير أذنين .
- (٦٨) أى أن لسان الإنسان تحول إلى لسان زاحفة .
- (٦٩) يعنى تحول لسان الزاحفة إلى لسان إنسان .
- (٧٠) فكرة دانتى فى هذا التحول هى أن اللص يشبه الزاحفة فى طبعه ، ولذلك جعل مذاب اللصوص على هذا النحو . وبهذا يمزج دانتى بين صفات الحيوان والإنسان .
- (٧١) هذا يعنى أنه بعد أن تحول إلى إنسان لا يزال يحتفظ ببعض صفات الأفعى من حيث البصق فى أثناء الكلام .
- (٧٢) هذا هو فرنتشسكو دى كافالكاتى الذى كان زاحفة ثم تحول إلى إنسان .
- (٧٣) هذا هو بوتشو تشانكاتو دى جاليجاي .
- (٧٤) يقصد اللصوص المذبذبين .
- (٧٥) يفسر بعض النقاد فعل (abbarrare) بمعنى يخطئ ، ويرى غيرهم أنه يعنى عمل الشئ بسرعة وبطريقة غير متقنة . وهناك بعض التقارب بين التفسيرين .
- (٧٦) هو بوتشو تشانكاتو دى جاليجاي .
- (٧٧) جافيللى (Gaville) قلعة صغيرة كانت قائمة فى وادى الأرنو الأعلى حتى القرن ١٢ . والمقصود هنا بالآخر فرنتشسكو كافالكاتى الذى قتله أهل جافيللى . ولكن رجاله قاموا بالانتقام لذلك ، وكان انتقاماً قاسياً حتى بكى أهلها بمرارة لما أصابهم . ولم تبك جافيللى فى الحقيقة موت كافالكاتى ذاته ، ولكنها بكت لما أصابها بسبب قتله .
- هكذا رسم دانتى بريشته البارعة كيف تموت نفس اللص وتتحول إلى زاحفة ، وظل دانتى صامتاً أمام هذا المشهد الرهيب . وأراد بهذا كله أن يعبر عن غضب الله ويجرته فى عقاب اللصوص الخونة الآثمين ، الذين أزعروا الناس واعتدوا عليهم بالسلب والنهب لإرضاء لنزواتهم الشريرة .

الأنشودة السادسة والعشرون^(١)

وجه دانتى كلمات الغضب والسخرية إلى وطنه ، عندما أثارته رؤية بعض اللصوص من نبلاء فلورنسا ، وقال إن فلورنسا لن تصعد بهم سلم المجد ، وإنه لا بد من عقاب الآثمين . صعد دانتى فوق الصخور ، ويعاونه فرجيليو ، للوصول إلى الوادى التالى . وصف دانتى بعض مظاهر الريف الإيطالى ، ووازن بين ذلك وما شاهده من شعلات النار التى كانت تتسلل فى عتق الوادى الثامن ، وقد أخفت بداخلها واحداً من اللصوص . رأى دانتى شعلة تسير ولها قرنان ، فاستفسر عنها ، فأجابه فرجيليو بأنها تضم أوليسيس وديوميديد من أبطال الميثولوجيا اليونانية . وألحف دانتى فى الرجاء لكى ينتظر حتى تأتى تلك الشعلة ذات القرنين ، فقبل فرجيليو الرجاء وسأله أن يدع له الكلام . تحدث فرجيليو إلى الآثمين حديثاً رقيقاً . قال أوليسيس إن الروابط الأسرية لم تغلب شوقه إلى أن تزيد معرفته بالدنيا والبشر ، وإنه خرج مع جماعة صغيرة فى سفينة واحدة ، ورأى جزر غربى البحر الأبيض المتوسط ، وشاطئ أوروبا حتى إسبانيا وشاطئ أفريقيا حتى مراكش ، ووصل إلى ما بعد أشبيلية وسبتة . وهناك حفز رفاقه لتابعة الرحلة فى المحيط المجهول ، وقال لهم إنهم لم يُخلقوا لكى يعيشوا كالوحوش ولكن ليتبعوا الفضيلة والمعركة . فساروا فى البحر متحفزين ، وجعلوا من مجاديفهم أجنحة ، واجتازوا خط الاستواء . وبعد سير خمسة شهور رأوا جبلا شاهق الارتفاع ، فتولاهم الفرح ، ولكن سرعان ما انقلب إلى بكاء ، لأنه هبت ريح عاتية دارت بسفینتهم وأغرقتها فابتلعهم اليم .

- ١ انعمى يافورنتزا^(٢) ، ما دمت جدّ عظيمة ، حتى لتضربين أجنحتك فوق البحر والبرّ ، ويشيع اسمك فى الجحيم^(٣) !
- ٤ رأيت خمسةً بين اللصوص من مواطنيك هؤلاء^(٤) ، الذين يخبئون منهم العار ، ولن تصعدى بهم إلى المجد العظيم^(٥) .
- ٧ ولكن إذا كان الإنسان يحلم بالصدق قبيل الصباح^(٦) ، فستشعرين فى وقت قليل بما ترجوه لك يراؤو^(٧) : ولا أذكر غيرها .
- ١٠ وإذا كان هذا قد وقع ، فلم يكن قبل الأوان : هكذا حدث ، ما دام ينبغي حقاً أن يكون^(٨) ! إذ سيزيد على الثقل كلما تقدّمت فى السنون .
- ١٣ وهنا رحلنا ؛ وفوق الدرجات التى صنعها أضراس الصخر ، لهبط عليها أولاً^(٩) : عاد دليلى إلى الصعود وجذبني إلى أعلى ؛
- ١٦ وبينما نحن نتقدّم فى الطريق المنعزل ، بين الصخور المدبّبة وضهور الجسر ، لم تسرّ قدماى دون ارتكاز اليدين^(١٠) .
- ١٩ حينئذ تألمت ، وأنا أتألم الآن بعد ، عندما أوجّه فكرى إلى ما رأيت ، وأشدتّ فى كبح نفسى بما ليس لى به عهد ،
- ٢٢ لكيلا تجرى دون نبراسٍ من فضيلة^(١١) ؛ حتى إذا كان نجمٌ بعيدٌ أو ما هو أفضل^(١٢) قد منحني الخير ، فلن أحرم منه نفسى بنفسى^(١٣) .
- ٢٥ عندما يسريح الفلاح فوق التلّ - فى الوقت الذى لا تُوارى وجهها عنا كثيراً^(١٤) ، تلك التى تُضىء الدنيا^(١٥) ،
- ٢٨ وحينما يتنحّى الذبابُ للبعوض^(١٦) - يرى الفلاح الحُبّاحب فى أسفل الوادى^(١٧) ، هناك إذ يمكن أن يجمع الكرمَ ويحرق الأرض^(١٨) -
- ٣١ بمثل هذه الشعلات الكثيرة أضاء الوادى الثامن كله ، كما تبينتُ سريعاً حينما كنتُ هناك حيثُ بدأ لى القاع^(١٩) .
- ٣٤ وكذلك الذى انتقم له برجا اللدّيين ، وقد رأى عربة إيليا عند الرحيل ، حينما ارتفعتُ الجياد منتصبيةً إلى السماء^(٢٠) ،

- ٣٧ ولم يستطع أن يُتابعها بعينه ، حتى لم ير سوى شعلة النار وحدها ، كسحابةٍ صغيرةٍ تصعد إلى أعلى .
- ٤٠ هكذا تحركت كل منها في عنق الوادي ، إذ تسللت كل شعلةٍ منها بآتمٍ ، دون أن تكشف إحداها عن سرقها (٢١) .
- ٤٣ وقفتُ فوق الجسر لكي أظفر أسفل (٢٢) ، ولو لم أكن قد أمسكت بصخرةٍ ، هويتُ إلى أسفل دون أن أدفع (٢٣) .
- ٤٦ ودليلي الذي رأني مأخوذاً هكذا ، قال لي : « إن الأرواح بداخل النيران ، وقد التف كل منها بما يحرقها » .
- ٤٩ فأجبتُه : « أستاذي ، باستماعي إليك أزداد يقيناً ؛ ولكن الأمر كان قد وضع لي على هذا النحو ، وكنت أودّ أن أقول لك :
- ٥٢ منّ ذا في تلك النار التي تأتي منقسمةً هكذا في أعلى (٢٤) وتبدو أنها تندلع من الحطب ؛ إذ وُضع إتيوكليس مع أخيه (٢٥) ؟ » .
- ٥٥ فأجابني : « هناك يُعذب فيها أوليسيس وديوميدي (٢٦) ، وهكذا يذهبان معاً إلى العقاب ، كما أثارا معاً غضب الإله (٢٧) ؛
- ٥٨ وهما في باطن شعلتهما يُعولان لخدعة الحصان (٢٨) ، التي صنعتُ باباً ، خرجت منه بذرة الرومان النبيلة (٢٩) .
- ٦١ ويبيكان بداخلها على حيلةٍ ، لا تزال ديداميا وهي ميتةٌ ، تحزن بسببها من أخيل (٣٠) ، وينالان هناك العقاب من أجل پالاديوم (٣١) .
- ٦٤ فقلتُ : « إذا استطاعا الكلام وسط هذه النيران (٣٢) ، فإني أرجوك مُلحاً يا أستاذي ، وأرجو ثانيةً أن يعدل الرجاء ألفاً (٣٣) ،
- ٦٧ ألا تمنعني من الانتظار ، حتى تأتي هنا الشعلة ذات القرنين : إنك ترى كيف أندفع إليها برغبةٍ جامحةٍ ! » .
- ٧٠ قال لي : « إن ضراعتك جديرةٌ بالثناء الوافر ، ولذلك فإني أقبلها (٣٤) ؛ ولكن احرص على أن تمسك لسانك .

- ٧٣ دَعُ لى الكلام ، فإنى أدركتُ ما تريد^(٣٥) ؛ وربما احتقرا حديثك إذْ كانا من الإغريق^(٣٦) .
- ٧٦ وبعد أن جاءت الشعلة هنا ، حيث بدا الوقت والمكان سانحاً لدليلي ، سمعته يتكلم بهذا الأسلوب :
- ٧٩ « أياها الاثنان فى بطن نار واحدة ، إذا كنتُ أستحق منكما وقد كنتُ حياً ، إذا كنتُ أستحقّ منكما كثيراً أو قليلاً^(٣٧) ،
- ٨٢ حينما كتبتُ فى الدنيا أشعارى الرفيعة^(٣٨) ، فلا تُبدى حراكاً ؛ ولكن فليلق لى أحدكما ، أين ذهب ليموت حينما فقد نفسه^(٣٩) . »
- ٨٥ بدأ يهتر القرنُ الأكبر^(٤٠) فى الشعلة القديمة ، وهو يُدوى مثل تلك التى تُرهقها الريح ؛
- ٨٨ وبينما هو يحرك طرفه من ناحية لأخرى ، كأنه اللسان الذى يتكلم^(٤١) ، أطلق صوته وقال^(٤٢) : « حيناً
- ٩١ رحلتُ عن تشيرتشى^(٤٣) ، التى احتجزتني أكثر من عامٍ هناك بقرب جايتنا ، قبل أن يسميها كذلك إينياس^(٤٤) -
- ٩٤ لم يكن شغنى بابنى^(٤٥) ، ولا العطف على أبى الشيخ^(٤٦) ، ولا الحب الواجب الذى كان ينبغى أن يجعل پنيلوب سعيدة^(٤٧) -
- ٩٧ لم يكن - بمستطيعٍ أن يغلب فى نفسى الجماسة التى كانت لدى ، لكى أصبح خبيراً بالدنيا ، وبمساوى البشر وفضائلهم^(٤٨) ؛
- ١٠٠ ولكنى وضعتُ نفسى على البحر^(٤٩) العميق المفتوح^(٥٠) ، فى سفينةٍ واحدةٍ ، مع تلك الجماعة القليلة التى لم تتخلّ عنى .
- ١٠٣ رأيتُ هذا الشاطئ وذاك^(٥١) ، حتى إسبانيا ، وحتى مرآكش ، وجزيرة السردنيين ، والجزر الأخرى^(٥٢) التى يغسل ما حولها ذلك البحر .
- ١٠٦ كنتُ ورفاقى شيوخاً بطاءً^(٥٣) ، حينما بلغنا ذلك الممرّ الضيق^(٥٤) ، حيث اتخذ هرقل علامته^(٥٥) ،

- ١٠٩ كى لا يسير الإنسانُ قُدماً : وتركتُ إلى اليمين أشبيلية^(٥٦) ، وفي الجانب الآخر كنتُ قد خلفتُ سبته^(٥٧) .
- ١١٢ قلتُ : "أيها الإخوان الذين وصلتم إلى الغرب^(٥٨) ، خلال مائة ألفٍ من المخاطر^(٥٩) ، إنكم لن تريدوا ، في هذه اللحظة القصيرة
- ١١٥ من يقظة الحواس المتبقية لنا ، منع اختبارنا العالم الخالى من البشر^(٦٠) ، فيما وراء الشمس^(٦١) .
- ١١٨ ارعوا أصلكم ؛ إنكم لم تُخلقوا لتعيشوا كالوحوش ، ولكن لتبتغوا الفضل والمعرفة^(٦٢)" .
- ١٢١ بهذا الحديث القصير ، جعلتُ رفاقي متحفزين للرحلة هكذا ، حتى كاد يتعذر على أن أكبح جماحهم^(٦٣) ؛
- ١٢٤ وحينما أدرنا مؤخر السفينة في الصباح^(٦٤) ، جعلنا من المجاديف أجنحةً ، في هذا الطيران المجنون^(٦٥) ، ونحن نسير إلى اليسار دواماً^(٦٦) .
- ١٢٧ كلّ النجوم في القطب الآخر كان الليل قد رآها^(٦٧) ، وازداد نجمنا هبوطاً ، حتى لم يعد يظهر فوق سطح البحر^(٦٨) .
- ١٣٠ أضواء النور خمس مرّات وأظلم مثلها^(٦٩) ، في أسفل القمر ، منذ أن دخلنا الرحلة الصعبة^(٧٠) ،
- ١٣٣ حينما لاح لنا جبلٌ داكنٌ على البعد ، وبدأ لى شاهق الارتفاع ، إلى حدٍّ لم أر له مثيلاً^(٧١) .
- ١٣٦ داخلتنا الفرح ، وسرعان ما انقلب إلى بكاء^(٧٢) ؛ إذ هبت عاصفةٌ من الأرض الجليدية ، وضربت مُقدّم السفينة ،
- ١٣٩ فجعلته يدور ثلاث مرّات مع المياه كلّها : وفي الرابعة رفعت مؤخرها إلى أعلى ، وهبطت بالمقدمة إلى أسفل ، كما راق للغير^(٧٣) ،
- ١٤٢ حتى انسدت من فوقنا البحر^(٧٤) .

حواشى الأنشوده السادسة والعشرين

- (١) هذه أنشوده مشيرى السوء الذين لا يصدرن فى آرائهم عن الأمانة والصدق ، وتعرف بأنشوده أوليسيس .
- (٢) أثار اللصوص من نبلاء فلورنسا فى القصيدة السابقة غضب دانتي وسخريته بفلورنسا فتعلق بهذه الأبيات .
- (٣) يذكر دانتي فلورنسا والفلورنسيين فى أغلب حلقات الجحيم .
- (٤) لا يزال دانتي يندد بمواطنيه اللصوص ويسخر بهم .
- (٥) هذه كلمات دانتي المنفى الذى عرف ويلات وطنه وآثامه .
- (٦) اعتقد القديس أن الحلم فى الفجر يعبر عن حقيقة على وشك الوقوع :

Ov. Her. XIX. 195...

- (٧) پراتو (Prato) مدينة صغيرة قريبة من فلورنسا ، وكانت على علاقة طيبة بها . والمقصود بهذا فى الغالب الكردينال نيولا دا پراتو (Niccolo da Prato) الذى أرسله البابا بندكتو الحادى عشر فى ١٣٠٤ للتوفيق بين زعماء فلورنسا ، ولكنه لم يفلح ، فأصدر البابا قرار الحرمان ضد فلورنسا وأصحابها بعض الكوارث التى عزيت إلى لعنة الكنيسة .
- (٨) أى أن عقاب الآثمين أمر لا مناص منه .
- (٩) كان الشاعران قد هبطا من قبل لرؤية ما فى الخندق السابع : Inf. XXIV. 73, 79.
- (١٠) كان على دانتي أن يستعين بارتكازاليدنين على الصخور بسبب وعورة الطريق .
- (١١) كان دانتي فى خندق مشيرى السوء . وكان قد جرب وظائف الدولة وعمل فى حياة المنفى أحياناً كسكرتير ومستشار لبعض الأمراء ، وعرف بذلك قيمة المشورة الصادقة والمشورة الخبيثة .
- (١٢) المقصود الرحمة الإلهية .
- (١٣) يعنى لئن يقدم خادع الرأى حتى لا يحرم نفسه من الخير الإلهى .
- (١٤) فى الأصل (التى تجعل وجهها أقل خفاء) والمعنى واحد . والمقصود أن وجه الشمس يستمر زمناً أطول .

- (١٥) أى الشمس زمن الصيف حيث يطول النهار ويقصر الليل .
- (١٦) أى عند حلول المساء فيظهر البعوض بدلا من الذباب .
- (١٧) الحياحب أو القطارح حشرات مضيئة تظهر صيفاً .
- (١٨) هذه صورة دقيقة من صور الفلاح فى حزن الطبيعة .
- (١٩) أى عند ما وصل إلى الجسر الذى يعلو الخندق الثامن .
- (٢٠) وردت أخبار إيليا (Elijah) وصعوده إلى السماء وسط الماصفة فى « الكتاب المقدس » :

Re, II. 11-12; 23-24.

ويوجد حفر يمثل عربة إيليا على باب كنيسة سانتا مايبينا فى روما .

(٢١) أى أن كل شعلة تسالت وهي تخفى لصا في بطنها .

(٢٢) يعنى لكي ينظر إلى ما في الخندق .

(٢٣) كان دانتي ينظر متطلماً إلى ما في الوادى ، ولو لم يمسك بصخرة بارزة لسقط .

(٢٤) كانت كل شعلة تسير كتلة واحدة إلا هذه ، فقد ظهر لها لسانان في أعلى ، ولذلك كان دانتي متطلماً لأن يعرف السبب .

(٢٥) إتيوكليس (Eteocles) وپولينيسيس (Polynices) ابنا أوديپ (Œdipus) ملك طيبة ، اللذان اقتتلا من أجل وراثة العرش ، وقتل أحدهما الآخر . ولما وضعت جثتاها في الحطب لإحراقهما انقسم اللهب قسمين كناية عن استمرار الكراهية بين الأخوين بعد الموت :

Stat. Theb. XII. 429 ...

(٢٦) أوليسيس (Ulysses, Ulixes) هو أوديسيوس (Odysseus) في اليونانية ، وهو ابن لايرتس ملك إيتاكا وخليفته ، وهو بطل أوديسية هوميروس . وديوميدي (Diomede) هو ابن تيديوس وديفيلي ، ومك أرجوس وأحد أبطال حرب طروادة . اشترك أوليسيس وديوميدي في تلك الحرب وقاما بكثير من أعمال الخداع والعنف .
ويوجد رسنان لأوليسيس وديوميدي في كتاب جوستو دى مينابوى المشار إليه .

(٢٧) يعنى أنهما يذهبان الآن وهما يتالان معاً العقاب الإلهى ، كما وقفا قبل معاً في وجه الغضب الإلهى .

(٢٨) أشار أوليسيس وديوميدي بإخفاء الجنود داخل الحصان الخشبي ، وهذه الخدعة أمكن فتح أسوار طروادة . ويذكر دانتي أوليسيس في المظهر وفى الفردوس :

Virg. Æn. II. 13... , 162-170.

Hom. Od. IV. 271; VIII, 492; XI. 523.

Purg. XIX. 22; Par. XXVII. 82-83.

(٢٩) أى إينياس أبو الشعب الرومانى في الميتولوجيا الرومانية . وسبق ذكره :

Inf. II. 32; IV. 122.

(٣٠) كان أوليسيس وديوميدي السبب في اشتراك أخيل في حرب طروادة ، على الرغم من إخفاء أمه إياه ، إذ كانت تخشى موته في تلك الحرب ، وقد ماتت زوجته ديداميا (Deidamia) حزناً عليه :

وقد ألف هيندل (١٦٨٥ - ١٧٥٩) ألحان أوبرا ديداميا وهي غير مسجلة :

Haendel , G. F. : Deidamia, opera, London, 1740.

(٣١) وكذلك كان أوليسيس وديوميدي السبب في سرقة تمثال پالاديوم (Palladium) الذى اعتقدت طروادة أن سلامتها مرتبطة به .

(٣٢) لا يريد دانتي أن يكلف هذين المعدنين ما فوق طاقتهم .

(٣٣) كان دانتي بهذا الرجاء شديد الرغبة في التحدث إلى هذين الآثمين .

(٣٤) يعامل فرجيليو دانتي بالمعطف ويستجيب لرغباته .

(٣٥) يشبه هذا ما سبق قوله :

Inf. XXIII. 25...

(٣٦) أى لأنهما من أبطال الإغريق الذين عرفوا بالكبرياء .

(٣٧) يتكلم فرجيليو بكل كياسة إلى المذنبين في باطن الشعلة .

(٣٨) أى الإيذاء .

(٣٩) أى يطلب إلى أوليسيس أن يروى مصيره بعد أن قام برحلته إلى المحيط كما تقول الميتولوجيا اليونانية .

(٤٠) أى لسان النار الأعلى وهذه إشارة إلى أوليسيس .

(٤١) يشبه دانتى اللهب بلسان الإنسان عند ما يهتز ويتحرك عند الكلام .

وفي التراث الإسلامى بعض الشبه بهذه الصورة حيث يخرج يوم القيامة عنق من النار له عينان وأذنان ولسان :

الشعرانى : مختصر تذكرة القرطوبى (السابق الذكر) . ص : ٧٢ و ٧٣ .

(٤٢) كان لابد للمعذب أن يطاق أو يقذف بالكلمات التى اعتراضها النيران حتى تصل

إلى مسامع الشاعرين .

(٤٣) تشيرتشى (Circe) ساحرة آوت عندها أوليسيس عند عودته من طروادة :

Virg. Æn. VII. 1-4, 10.

Hom. Od. X. 210...

(٤٤) أطلق اسم إينياس مرضعته جايتا (Gaeta) على هذه المدينة في جنوبي إيطاليا :

Virg. Æn. VII. 1-4.

(٤٥) تليماخوس (Telemachus) هو ابن أوليسيس .

(٤٦) لايريتس (Leartes) هو أبو أوليسيس .

(٤٧) بينلوپ (Penelope) هى زوجة أوليسيس الوفية .

وقد ألف مونتشردى (١٥٧٦ - ١٦٤٣) ألحان أوبرا عودة أوليسيس وهى غير مسجلة :

Monteverdi, C.: Il Ritorno d'Ulisse in Patria, opera. Bologna, 1640.

(٤٨) كانت رغبة أوليسيس في معرفة العالم والبشر أقوى من كل الروابط والعقبات ، نجد

هنا روح دانتى وطبيعته .

(٤٩) أى البحر الأبيض المتوسط .

(٥٠) هو بحر عميق مفتوح بالمقارنة بالبحر الأيونى في مياه اليونان .

(٥١) أى الشاطيء الأوروبى والشاطيء الأفريقى للبحر الأبيض المتوسط .

(٥٢) يعنى صقلية وكورسيكا وجزر البليار .

(٥٣) يعنى أنهم كانوا شيوخاً أعوزتهم سرعة الشباب .

(٥٤) أى بوجاز جبل طارق .

(٥٥) علامتا هرقل هما جبل كاليبى (جبل طارق) في الشاطيء الأوروبى وقمة بنى حسن

في الشاطيء الأفريقى ، وهما علامة على نهاية العالم المسكون في هذه الناحية ، وتخيل القدماء أن الشمس تغرب على مقربة منهما .

(٥٦) أشبيلية (Sibilis) على ساحل إسبانيا .

- (٥٧) سبته (Setta) على ساحل أفريقيا .
- (٥٨) أى إلى آخر حدود العالم المعروف .
- (٥٩) يخاطب أوليسيس رفاقه بصوت رقيق عطوف ، ويذكرهم بالمخاطر التى اجتازوها سوريا ولتى تربط بينهم برباط الزمالة والأخوة .
- (٦٠) اعتقد القدماء أن العالم بعد هذا الموضع خال من البشر ، وأنه بحر وشياطين ونار ووحوش ، ولكن منذ وقت دانتى بدأ التفكير فى احتمال وجود عالم جديد مسكون .
- (٦١) يدعو أوليسيس رفاقه إلى متابعة السير فى المحيط لرؤية عالم جديد يقع وراء الحد الذى تغرب عنده الشمس ، كما اعتقد القدماء .
- (٦٢) بهذا الكلام يحاول أوليسيس أن يستحث رفاقه ويدفعهم إلى متابعة السفر إلى العالمة المجهول .
- (٦٣) هكذا أفلحت كلمات أوليسيس فى شحذ همّة رفاقه .
- (٦٤) أى حينما أداروا مؤخر السفينة نحو الشرق أى العالم القديم المعروف .
- (٦٥) أى هذا السفر الشاق الصعب .
- (٦٦) يعنى نحو الجنوب الغربى ، وهذا هو الاتجاه الذى سيبتمه كريستوفوروس كولومبوس والرحالة الجنوى فى خدمة إسبانيا فى النصف الثانى من القرن ١٥ عند ما يكشف العالم الجديد .
- (٦٧) أى القطب الجنوى .
- (٦٨) أى أنهم عبروا خط الاستواء ورأوا النجوم فى نصف الكرة الجنوى ، على حين اختفت نجوم نصف الكرة الشمالى .
- (٦٩) يعنى وجه القمر الذى يطل على الأرض .
- (٧٠) أى أنه انقضت خمسة شهور على بدء الرحلة .
- (٧١) هذا هو جبل المطهر .
- (٧٢) هذه مقابلة بين الفرح والحزن بسبب ظهور جبل المطهر ثم الموت السريع بسبب العاصفة الموحاء . وصورة غرق سفينة أوليسيس ممتدة من قرجيليو : *Ving. Aen. I. 114-117.*
- (٧٣) أى الله .
- (٧٤) على الرغم من خطيئة أوليسيس الذى أبدى لرفاقه رأياً أدى بهم إلى الموت فإن دانتى قد خلق منه شخصية تمثل ناحية من شخصية دانتى ذاته . فهو يطل شجاع جريء مقدام لا يعبأ بالمصاعب ولا تقف أمامه العقبات ولا تمتعه الروابط الأسرية من ركوب المخاطر . وهو يبعث فى رفاقه الشجاعة والجرأة ، ويخرج بهم إلى البحار المجهولة للكشف عن عالم جديد ، حتى لو لقوا حتفهم فى سبيل ذلك . وهذا تمهيد وتوطئة لكشف الدنيا الجديدة . وتوجد فى ذلك كله روح دانتى الجريء الذى لا يخشى شيئاً .

الأنشودة السابعة والعشرون^(١)

ابتعدت شعلة النار التي احتوت روح أوليسيس ، وظهرت شعلة أخرى خرج منها صوت غريب ، يشبه صوت بيريلتوس داخل الثور النحاسي في الميتولوجيا اليونانية . وبعد قليل سمع دانتى صوتاً من شعلة النار يعبر عن رغبة صاحبه في التحدث إلى من سمع كلامه اللامباردى . تساءل صاحب الصوت عن أحوال رومانيا ، وهل تعيش في حرب أم سلام . دعا فرجيليو دانتى إلى إجابة ذلك المعذب ، فقال دانتى إن قلوب طغاة رومانيا لم تخل أبداً من الحرب ، ولو أنه لم يتركها في قتال سافر . وقال له إن راقنا تحت حكم آل بولنتا ، وفورلى تحت حكم آل أورديلافي ، وإن المالاتستين ينهشان مونتانيا دي پارتشيتانى ، وماجيناردو دا سوزينانا يحكم فاينتزا وإيمولا . لم يعرف ذلك المعذب أن دانتى إنسان حى ، ولذلك أعلن استعداده للإفصاح عن شخصه دون أن يخشى سوء الأحدثوة في الدنيا . قال المعذب جويدو دا مونتفلترو إنه كان من رجال الحرب ثم أصبح من الرهبان الكرديليين ، ولكن القسيس الأعظم بونيفاتشو الثامن أعاده إلى سابق آثامه . كان جويدو يقوم بأعمال الثعالب واتخذ الحيل والخداع لبلوغ مآربه ، وأراد التوبة ، ولكن بونيفاتشو بحث عنه ودعاه كطبيب لكي يخلصه من حمى كبريائه . سأله الرأى فيما يفعل لكي يهدم قلعة بينسترينو ومنحه الغفران مقدماً ، فأشار عليه جويدو بأن يبذل الوعود العريضة مع الوفاء بالقليل منها . وهكذا لم تنفع جويدو التوبة لأنه لا يمكن الجمع بينها والرغبة في الإثم . وهبط إلى مينوس الذى أرسله إلى هذا الموضع من الجحيم لكي يلتق جزاءه الحق ، ثم تحركت شعلة النار وهي تتألم وتمايل وتهز قرنها المدبب . وسار فرجيليو ودانتى لبلوغ الخندق التاسع .

- ١ كانت الشعلة عندئذٍ منتصبه إلى أعلى وهادئة^(٢) ، إذ لم تتكلم مزيداً^(٣) ، وكانت قد ابتعدت عنا بالإذن من الشاعر الحبيب^(٤) ،
- ٤ حينما جعلت أخرى ، وقد جاءت من ورأها^(٥) ، عيوننا تتجه إلى طرفها ، بالصوت المضطرب الذى خرج منها^(٦) .
- ٧ وكالثور الصقلى^(٧) ، الذى أرسل خواره أولاً ، فى عويل ذلك الذى سواه بمبرده ، وكان ذلك من العدل^(٨) ،
- ١٠ واستمر ينجور بصوت المعذب^(٩) ؛ ومع أنه كان ثوراً مصنوعاً من نحاس ، فقد بدا بالألم مطعوناً^(١٠) —
- ١٢ هكذا عند ما لم تجد الكلمات الخزينة ، من البدء ، طريقاً فى النار ولا مخرجاً ، تحولت إلى حسيس النار^(١١) —
- ١٦ ولكن بعد أن وجدت الكلمات طريقها إلى أعلى فى طرف الشعلة ، وهى تسبب لها تلك الهزات ، التى تحدث لسان عند مرورها ،
- ١٩ سمعناها تقول^(١٢) : « أنت يا من أوجه إليه صوتى ، وقد تكلم بلهجة لمبارديا وهو يقول^(١٣) : ”والآن اذهب ، فليست أطلب منك مزيداً^(١٤)“ ،
- ٢٢ إني وإن كنت ربما تأخرت قليلاً ، فلا يسؤك البقاء للتحدث معي : فإنك ترى أنى غير مستاء وأنا أحترق^(١٥) !
- ٢٥ إذا كنت قد هبطت الآن ترواً ، إلى هذا العالم الأعمى^(١٦) من تلك الأرض اللاتينية العزيزة^(١٧) ، التى حملت منها كل خطيئتي^(١٨) ،
- ٢٨ قفل لى أهل رومانيا^(١٩) فى حرب أم سلام ، إذ كنت من الجبال الواقعة هناك ، بين أوربينو^(٢٠) والقمة التى ينبع منها التبير^(٢١) .
- ٣١ وكنت لا أزال متنبهاً إلى أسفل ومنحنياً ، عند ما لمس دليلي عيطي^(٢٢) ، وهو يقول : « تكلم أنت ، فهذا من اللاتين^(٢٣) » .
- ٣٤ وأنا الذى كنت حاضر الجواب ، بدأت الكلام دون إبطاء^(٢٤) : « أيها النفس المنخفضة هناك فى أسفل^(٢٥) ،

- ٣٧ إن وطنك رومانيا ، ليس الآن ولم يكن أبداً دون حربٍ في قلوب طغاته ،
بسيّد أنى لم أتركه الآن في قتالٍ سافر^(٢٦) .
- ٤٠ ورافنا قائمةً كما كانت منذ سنواتٍ كثيرة^(٢٧) : ويحجم فوقها نسر
بولنتا^(٢٨) ، بحيث يغطي تشيرفيا بجناحيه^(٢٩) .
- ٤٣ والمدينة^(٣٠) التي قاست قبلُ تجربةً طويلة^(٣١) ، وجعلت من الفرنسيين
أكداً داميةً ، تجدد نفسها بعدُ تحت المخالب الخضراء^(٣٢) .
- ٤٦ ودرِ وِاسا فيروكيو : العجوز والشاب^(٣٣) ، اللذان وضعوا مونتانيا في حالٍ
سيئة^(٣٤) ، هناك حيث اعتادا ، يجعلان من الأسنان مثقباً^(٣٥) .
- ٤٩ ويحكم مدينتي لاموني وسانتيرنو^(٣٦) : الشبل ذو العرين الأبيض^(٣٧) ،
الذي يغيّر حزبه من الصيف إلى الشتاء^(٣٨) .
- ٥٢ وتلك المدينة التي يبطل جانبها الساقبو^(٣٩) : كما هي تقع بين السهل والجبل ،
كذلك تعيش بين الطغيان والحرية^(٤٠) .
- ٥٥ والآن أرجو أن نخبرنا منَ أنت^(٤١) : ولا تكن أقسى مما كان عليه
غيرك^(٤٢) ، وليحفظ اسمك في الأرض صداه^(٤٣) .
- ٥٨ وبعد أن زجرت النار على أسلوبها قليلاً ، خفق طرفها المدبب من ناحيةٍ
لأخرى ثم أرسلت هذه الأنفاس^(٤٤) :
- ٦١ « لو أنى اعتقدت أن إجابتي كانت لشخص سيعود إلى الدنيا أبداً^(٤٥) ،
لبقيت هذه الشعلة دون أن تحرك ساكناً ؛
- ٦٤ ولكن لما لم يكن قد رجع أبداً من هذا العمق لإنسانٍ حيٍّ ، إذا صح
ما أسمع ، فإنى أجيبك دون أن أخشى سوء السمعة^(٤٦) .
- ٦٧ كنت من رجال الحرب ، ثم أصبحت راهباً كرديلياً ، معتقداً أنى أكفر
عن خطيئتي وقد تمنطقت هكذا^(٤٧) ؛ ومن المؤكد أن اعتقادي كان
سيتحقق ،
- ٧٠ لولا القسيس الأعظم^(٤٨) ، فليُصبه الشرّ ! فهو الذي أعادنى إلى آثامى
الأولى ؛ وأرجو أن تسمع منى كيف ولماذا .

- ٧٣ بينما كنت صورةً من عظمٍ ولحمٍ ، كما منحنتى إياها أُمى ، لم تكن أعمالى
أعمال أسدٍ ، بل ثعلبٍ^(٤٩) .
- ٧٦ كلَّ الحيل والطرق الخفية عرفتُ ، وهكذا استخدمتُ فنونها ، حتى خرج
صداها إلى أطراف الأرض^(٥٠) .
- ٧٩ وحينما رأيت أُنى بلغت تلك الفترة من عمرى ، التى ينبغى على كل إنسانٍ
أن يخفض فيها أشرعته ويجمع حباله^(٥١) ،
- ٨٢ وأن ما كان من قبل يسرنى أصبح حينئذ يحزننى ، جعلت نفسى راهباً وأنا
نادمٌ معترفٌ بالإثم ، ويا بؤساً لى ! كان ينبغى أن ينبغى هذا !
- ٨٥ إن أمير الفريسيين الجدد^(٥٢) - وقد أعلن الحرب على مقربةٍ من لا تيرانو^(٥٣) -
لا على العرب ولا على اليهود^(٥٤) ،
- ٨٨ لأن كل عدوٍّ له كان مسيحياً ، ولم يذهب أحدهم لفتح عكا^(٥٥) ، ولم
يتّجر فى بلاد السلطان^(٥٦) -
- ٩١ إنه لم يُراع فى شخصه المركز الرفيع^(٥٧) والنظم المقدسة ، ولا فى شخصى
ذلك الحبل^(٥٨) ، الذى اعتاد أن يجعل من "تمنطقوا به أنحف جسماً"^(٥٩) .
- ٩٤ ولكن كما بحث قسطنطين عن سلفسترو^(٦٠) فى داخل جبل سيراتى^(٦١) ،
ليشفيه من البرص ، كذلك دعانى هذا طبيباً ،
- ٩٧ لكى أشفيه من حمى كيرياته^(٦٢) : وسألنى الرأى فلزمت الصمت ، لأن
كلماته بدت لى سكرى .
- ١٠٠ ثم استأنف القول : "لا يأخذن قلبك الشك ؛ إنى أخلّصك من الآن ،
ولتعلمنى ماذا أفعل لكى ألقى ببيسترينو إلى الأرض"^(٦٣) .
- ١٠٢ إنى مستطيع أن أفتح السماء وأغلقها ، ولذلك فالمتحان اللذان لم يكونا
عزيزين لدى سلفى هما اثنان^(٦٤) .
- ١٠٦ وحينئذ دفعتنى الكلمات الخطيرة ، إلى حيث بدا لى أن الصمت أسوأ^(٦٥) ،
فقلت : "أبتاه" ، مادمت تُطهرنى

- ١٠٩ من تلك الخطيئة ، التي علىّ الآن أن أقع فيها ، فإن الوعد العريض مع الوفاء القليل ، سيجعلك مظفراً فوق الكرسي الرفيع^(٦٦) .
- ١١٢ ثم جاءني القديس فرنسيسكو عند موتى ؛ ولكن قال له أحد الشياطين السود^(٦٧) : "لا تأخذه : ولا ترتكب معى خطأ"^(٦٨) .
- ١١٥ إنه ينبغي أن يهبط إلى أسفل بين مساكنى^(٦٩) ، لأنه بذل خادع الرأى ، ومنذ ذلك الوقت وأنا ممسكٌ به من شعره ؛
- ١١٨ لأنه لا يمكن غفران ذنوب من لا يندم ، ولا الجمع بين التوبة وإرادة الشرّ ، للتعارض الذى لا يبيح ذلك" .
- ١٢١ وابؤساً لى ! كيف تولانى الرعب ، حينما أمسك بى وهو يقول : "ربما ، لم تفكر أنى كنت من أهل المنطق^(٧٠) !"
- ١٢٤ ثم حملنى إلى مينوس ، ولقّف ذنبه ثمانى مراتٍ حول ظهره المتصلّب ؛ وبعد أن عضّه وهو فى شدة الغضب^(٧١) ،
- ١٢٧ قال : "هذا من الآثمين فى النار السارقة^(٧٢)" ؛ ولذلك فإنى مفقود حيث ترانى وفى هذا الرداء أتألم وأنا أسير^(٧٣) .
- ١٣٠ وحينما أنهى كلامه هكذا ، ارتحلتُ شعلة النار وهى تتألم ، وتمايل وتَهزّ قرنها المدبّب^(٧٤) .
- ١٣٣ مضينا إلى الأمام أنا ودليلى ، فوق الصخر إلى أعلى حتى الجسر الآخر ، الذى يغطّى خندقاً^(٧٥) يؤدّى فيه الحساب ،
- ١٣٦ لأولئك الذين يزرعون الفتن فيحصلون الأوزار^(٧٦) .

حواشى الأنشودة السابعة والعشرين

- (١) هذه تكلمة للأنشودة السابقة وتعرف بأنشودة جويدو دا مونتفلترو .
- (٢) أى سكن لسان الشعلة عن الحركة .
- (٣) أى امتنع أوليسيس عن الكلام .
- (٤) هكذا ينعت دانتي فرجيليو بالشاعر الحلو أو الحبيب أو الرقيق .
- (٥) احتوت هذه الشعلة روح جويدو دا مونتفلترو .
- (٦) يشبه صوت المعذب شهيق النار وزفيرها .
- (٧) صنع بيريلوس (Perillus) لفالاريس (Phalaris) طاغية صقلية ثورا من النحاس لكن يحرق فيه أعداءه وهم أحياء ، بحيث يخرج صراخهم الرهيب من فم الثور كأنه خواره ، كما ورد في الميتولوجيا القديمة .
- وتوجد صورة للثور الصقل والنار مشتعلة من تحته وتطل من ظهره المفتوح رؤوس وصدور المعذبين ، وهى فى كنيسة سانتا مارييا فى بومپوزا .
- (٨) كان من العدل أن يجرب فالاريس هذا التعذيب أولا فى صانع الثور النحاسى ! :
Ov. Tristia, III. 4100; Ars Am. I. 653-656.
- (٩) كان المعذب فى باطن الثور يطلق صراخه .
- (١٠) أى أن الثور النحاسى بدأ كثور حقيقى لفظاعة الصراخ الذى خرج من باطنه .
- (١١) أى أن الألفاظ التى لم تجد لها مخرجاً من النار تحولت إلى صوت النار ذاتها .
- (١٢) هذا هو صوت جويدو دا مونتفلترو .
- (١٣) عرف أن فرجيليو من لمبارديا عند ما سمع كلامه .
- (١٤) أى عند ما أباح فرجيليو الانصراف لروح أوليسيس منذ قليل .
- (١٥) هكذا حاول جويدو دا مونتفلترو أن يحمل دانتي على التحدث إليه .
- (١٦) لم يتبين أن فرجيليو يصحبه إنسان حتى .
- (١٧) أى أرض إيطاليا .
- (١٨) يعنى أن التوبة والغفران البايوى لم يخففا شيئاً من خطيئته .
- (١٩) تقع رومانيا (Romagna) على حدود تسكانا وتطل على الأدرياتيك .
- (٢٠) أوربينو (Urbino) مقر جويدو دا مونتفلترو ، وهو موطن رافاييلو سانزويو المصور العظيم .
- (٢١) جبل كورنارو (Monte Cornaro) فى الأبنين هى القمة التى ينبع منها نهر التيبر .
- (٢٢) سبق مثل هذا القول :
- (٢٣) أى إيطاليا . وسبق هذا التعبير :

(٢٤) آثار حديث جويدو دا مونتفلترو ذكريات رومانيا في نفس داتى .

(٢٥) هذا هو جويدو دا مونتفلترو (١٢٢٣ - ١٢٩٨ . Guido da Montefeltro) أحبا زعماء الجبلين واتخذ مقره في أوربينو ، وهزم الجلف في أكثر من موقعة . ودافع عن فورلى ضد القوات الفرنسية التي أرسلها البابا مارتينو الرابع لحصارها . وفي النهاية حلت به الهزيمة فأعلن خضوعه للبابا ، ونفى إلى بييمونتي وأقام بعض الوقت في بيزا وشهد مأساة الكونت أوجولينو ، وأصدرت الكنيسة ضده قرار الحرمان . ودخل أخيراً نظام رهبان الفرنسيسكان .

(٢٦) سادت فترة سلام في رومانيا من ١٢٩٩ بتنازلاً عن قلعة باترانو لبولونيا وإن لم يقض هذا على عوامل الخلاف بين زعماء الجلف والجبلين فيها .

(٢٧) أصبحت رافنا تحت حكم آل بولنتا (I Polenti) منذ ١٢٧٠ .

(٢٨) كان النسر علامة آل بولنتا .

ويوجد حفر يمثل شارة نسر بولنتا وهو في كنيسة سانتا أوفيميا في فيرونا .

(٢٩) تشيرفييا (Cervia) قرية صغيرة في جنوب رافنا على ساحل الأدرياتيك .

(٣٠) أي فورلى (Forli) الواقعة في جنوب غرب رافنا ، وقد هزم جويدو دا مونتفلترو القوات الفرنسية التي أرسلها البابا للاستيلاء عليها في ١٢٨٢ .

(٣١) أي حصار القوات الفرنسية لها شهوراً طويلة .

(٣٢) كان الأسد الأخضر علامة آل أورديلافي (Gli Ordellafi) الجبلين أصحاب فورلى .

ويوجد حفر يمثل شعار هذه الأسرة وهو في كنيسة سان بيادجو في فورلى .

(٣٣) الدرواس كلب الحراسة الضخم . وفيروكيو (Verrucchio) هي قلعة آل مالاستا .

والمقصود بدرواس فيروكيو والعجوز ودرواسها الصغير مالاستا ومالاستينو دي مالاستا (Malatesta e Malatestino dei Malatesta) اللذان حكما حكم الطغيان في ريميني في النصف الثاني من القرن ١٣ . ومالاستينو هو أخوجانتشوتو وپاولو ، أولهما زوج فرنسيسكا والثاني عاشقها ، كما سبق : Inf. v. 72... .

(٣٤) مونتانيا دي پارتشيتاتي (Montagna de' Parcitati) زعيم الجبلين في ريميني ، وقد

حبسه آل مالاستا وقتلوه في ١٢٩٥ .

(٣٥) يعني أنهما نشأ لحم الناس بالأسنان .

(٣٦) أي مدينة فاينزا (Faenza) الواقعة على مقربة من نهر لاموني (Lamone) ومدينة

إيمولا (Imola) الواقعة على مقربة من نهر سانتيرونو (Santerno) .

(٣٧) أي ماجيناردو پاچاني دا سوزينانا (Maghinardo Pagani da Susinana) وكان

رنكه على صورة أسد في محيط من القضة ، وحكم فاينزا وإيمولا ، وكان من الجبلين ولكنه ساعد الجلف في فلورنسا ، ومات في مطلع القرن ١٤ .

(٣٨) أي أنه كان ينتقل من حزب الجبلين إلى حزب الجلف بسرعة وتبعاً للمصلحة .

(٣٩) أي مدينة تشيرينزا (Cesena) الواقعة على نهر السافيو (Savio) في شمال إيطاليا .

(٤٠) أي أنها كانت تتمتع بالحرية ولكن سيسيطر عليها مالاستينو في ١٣١٤ . وهكذا

قدم داتى عرضاً عاماً لمدن رومانيا وذكرياتها .

(٤١) يسأل داتى جويدو دا مونتفلترو أن يعلن عن شخصه ويقص أخباره .

- (٤٢) يرجو دانتى ألا يرفض جويدو الإجابة كما لم يرفض فوجيلو إجابته من قبل .
 (٤٣) أى فلتبقي سمكتك طيبة في الدنيا أمام ما قد ينالها من سوء .
 (٤٤) هكذا بدأ جويدو دا مونفيلترو الكلام .
 (٤٥) لم يكن جويدو قد عرف بعد أن دانتى لإنسان حى .
 (٤٦) أى أنه مطمئن إلى أن أخباره لن تذهب إلى الدنيا .
 (٤٧) هكذا يتحدث جويدو دا مونفيلترو عن نفسه ويعبر بكلمات قليلة عن مأساته .
 (٤٨) أى البابا بونيفافاتشو الثامن عدو دانتى اللدود ، وسبق ذكره :

Inf. XV. 112; XIX. 53.

(٤٩) أى بينما كان على قيد الحياة بحجسه الذى ولدته عليه أمه ، كانت له صفات التعلب وأفاماله .

(٥٠) يعنى أنه عرف كل وسائل الخداع والندى والحيافة حتى طبقت شهرته الآفاق .

(٥١) أى عند ما تقدم في السن . ويشبه هذا قول دانتى في « الوليمة » :

Conv. IV. (XXVIII.) 3-8.

(٥٢) أى البابا بونيفافاتشو الثامن أمير الفريسيين المناققين الجدد الذين شابهوا الفريسيين في عهد المسيح ، وسبق ذكرهم :

Inf. XXIII. 116.

(٥٣) كان قصر لاتيرانو (Laterano) مقر البابوات في روما في عهد دانتى ، وكانت قصور آل كولونا (I Colonna) على مقربة منه . والمقصود أن البابا حارب آل كولونا وهزمهم .

(٥٤) كان المفروض أن يحارب البابا المسلمين واليهود لا المسيحيين . وتأثر دانتى في هذا بالروح السائدة في أوروبا في عصر الحروب الصليبية . ونلاحظ في الوقت نفسه أن محاربة البابا لأعدائه من المسيحيين في الأرض الإيطالية ذاتها ، دون العناية بمحاربة المسلمين واليهود ، تعنى تغير العقلية الأوروبية . وكان من أوائل من بدأوا هذا الاتجاه الإمبراطور فردريك الثاني في ١٢٢٩ ، كما أشرنا من قبل :

Inf. X. 119.

(٥٥) يعنى أن البابا كان عدوا للمسيحيين المخلصين الذين لم يذهب أحدهم للاشتراك مع المسلمين في فتح عكا آخر معقل للصليبيين في الشرق في ١٢٩١ . وفى عدااء البابا هؤلاء همك وبخيرية من جانب دانتى .

(٥٦) ولم يتجر واحد من عاداتهم البابا من المسيحيين مع المسلمين ولم يقدموا لهم الأخشاب أو الأسلحة التي تعمل على تقوية المسلمين في البر والبحر ، وكما فعل بعض التجار المسيحيين أو اليهود وعلى الأخص من البنادقة الذين خالفوا قرار البابا ضد التجارة في هذه المواد مع المسلمين ، وكانوا جديريين وحدهم بعداء البابا . وكان الملك الأشرف خليل بن قلاوون سلطان دولة المماليك البحرية (١٢٩٠ - ١٢٩٣) هو الذى استولى على عكا . وسلاطين مصر الذين عاصروا دانتى بعد ذلك هم الملك الناصر محمد (١٢٩٣ - ١٢٩٤) والملك العادل كتبغا (١٢٩٤ - ١٢٩٦) والملك المنصور لاجين (١٢٩٦ - ١٢٩٩) والملك الناصر محمد (السالف الذكر ١٢٩٩ - ١٣٠٩) والملك المظفر ركن الدين بيبرس الثاني (١٣٠٩ - ١٣١٠) والملك الناصر محمد (السالف الذكر ١٣١٠ - ١٣٤١) .

(٥٧) أى مركز البابوية .

(٥٨) الجبل كناية عن ثوب رهبان الفرنتسكان .

(٥٩) المقصود أن رهبان القديس فرنسيسكو كانوا يعيشون حياة الزهد والتقشف ، ولذلك تحفت أجسامهم .

(٦٠) هذه هى أسطورة قسطنطين وإبلاله من البرص على يد سلفسترو .

(٦١) جبل سيراتى (Monte Siratti) بالقرب من روما حيث كان يقيم البابا سلفسترو

الأول (٣١٤ - ٣٣٥ . Silvestro I.) عند ما كان يتعقبه الإمبراطور قسطنطين ، وعمده وشفاه

من البرص . وهنا نشأت أسطورة منحة قسطنطين وتنازله لسلفسترو عن روما والإمبراطورية الرومانية

الغربية تمييزاً عن امتنانه وشكره ، وأثبت لورنتزو فاللا فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر

بطلان وثيقة التنازل . ويعرف جبل سيراتى فى الوقت الحاضر بجبل سانت أوريسى .

(٦٢) أى رغبته فى إذلال أعدائه .

(٦٣) بنىسترينو (Penestrino) هى قلعة آل كولونا فى شرق روما ، وقد نافس آل

كولونا البابا بونيفاتشو الثامن ، وحدث قتال بين الجانبين وانتصرت قوات بونيفاتشو فى ١٢٩٨

واستولت على هذه المدينة . وتسمى الآن بالسترينا (Palestrina) .

(٦٤) هذه إشارة إلى البابا تيلستينو الخامس (يوليو ١٢٩٤ - ديسمبر ١٢٩٤ . Celestino V.)

سلف بونيفاتشو الثامن والذى تخلى له عن الكرسي البابوى بسهولة .

(٦٥) يعنى أن هذه الكلمات جعلته يفكر فى أن الصمت هنا أسوأ من الكلام .

(٦٦) هذه هى النصيحة الذهبية التى أدل بها جويدو دا مونترفلرو إلى البابا بونيفاتشو

لكى يضمن النصر على أعدائه . ويقال إن النصيحة العملية هى أن بونيفاتشو أمن آل كولونا فسلموا

له فى ١٢٩٨ ، ثم نقض العهد وهلم قلعهم ، وإن كان من غير المؤكد أن بونيفاتشو كان محتاجاً

فعلاً إلى مشورة جويدو دا مونترفلرو . وهكذا رسم دانتي البابا بونيفاتشو عدوه اللدود على هذه

الصورة البشعة التى لا تناسب الرجل العادى ، فضلاً عن رأس الكنيسة . وهذا هو انتقام دانتي من

عدوه بطريقة أدبية ، وقد أكسبه ذلك خلود الذكر ولو على هذه الصورة الكريهة .

(٦٧) يمثل القديس فرنسيسكو الخير ويمثل الشياطين الشر . واعتقد أهل العصر أن فرنسيسكو

والشياطين يأتون عند موت الإنسان ، وتذهب روحه إلى جانب الخير والشر حسب أعماله .

(٦٨) أى لا يرتكب فرنسيسكو خطأ مع الشيطان ويأخذ روحاً ليست من حقه .

(٦٩) مساكينى يعنى أتباعى .

(٧٠) هذا شيطان يتكلم عن المنطق ، ولاشك أن للشيطان منطقاً !

(٧١) مينوس قاضى الجحيم السابق الذكر : Inf. V. 4-12.

(٧٢) النار السارقة تخفى اللصوص بداخلها وسبق مثل هذا التعبير : Inf. XXVI. 41.

(٧٣) أى النار .

(٧٤) هذا توافق بين ألم المعذبين وألم النار ذاتها . وهذا تعبير رائع عن العذاب والألم .

(٧٥) أى الخندق أو الوادى التامع .

(٧٦) هكذا سينال هؤلاء جزاءهم المناسب .

الأنشودة الثامنة والعشرون (١١)

يعلن دانتي عجزه عن وصف ما شهده من الدماء والجروح في الوادى التاسع الرهيب ، الذى يفوق مظهره كل ما شهدته أرض أبوليا وضحايا حرب طروادة من الجرحى والقتلى . ورأى معذباً مقطوع الحنجرة والأنف وبأذن واحدة جزاء ما أثاره من الشقاق فى رومانيا ، وكان هو پيردى مديتشينا ، الذى تنبأ لدانتي بما سيرتكبه مالاتستينو حاكم ريميني من الغدر بخصومه ، وسيجعلهم يأتون للتفاوض معه ، ثم يغرقهم فى البحر ، بحيث لن يصبحوا أمام ربح فوكارا فى حاجة إلى ضراعة أو قسم . ورأى دانتي أيضاً كوريون مقطوع اللسان ، لأنه كان سبباً فى قيام الحرب الأهلية فى عهد قيصر . وشهد موسكا دى لامبرتى مقطوع اليدين ، وكان سبباً فى انقسام فلورنسا إلى جلف وجبلين . وأخيراً رأى دانتي معذباً ، وقد حمل رأسه المقطوع فى يده كأنه مصباح يتدلى ، وكان هو برتران دى بورن شاعر التروبادور ، الذى أوقع بين هنرى الثانى ملك إنجلترا وابنه الشاب .

- ١ مَنّ ذَا يَسْتطِيعُ أبدأً وَلَوْ بِمَنْشُورِ الْكَلَامِ^(٢٦) ، وَكَثْرَةَ تَكَرَّرِ الْقَوْلِ ، أَنْ يُشْبِعَ الْحَدِيثَ عَنِ الدَّمِ وَالْجُرُوحِ الَّتِي رَأَيْتَهَا الْآنَ^(٢٧) ؟
- ٤ حَقّاً إِنْ كَلَّ لِسَانَ سَيْنَالِهِ الْإِخْفَاقَ ، لِأَنَّ عَقْلَنَا وَأَلْفَاظَنَا تُعَوِّزُهَا الْكُفَايَةُ لِإِدْرَاكِ هَذَا كُلِّهِ^(٢٨) .
- ٧ وَإِذَا اجْتَمَعَ بَعْدُ كُلُّ النَّاسِ ، الَّذِينَ كَانُوا قَدْ بَكَوْا دِمَاءَهُمْ ، فَوْقَ أَرْضِ أُبُولِيَا^(٢٩) الْمَشْهُومَةِ^(٣٠) ،
- ١٠ بِسَبَبِ الطَّرُودِ بَيْنَ^(٣١) وَالْحَرْبِ الطَّوِيلَةِ ، الَّتِي جَعَلَتْ مِنْ خَوَاتِمِ الذَّهَبِ ، غَنَائِمَ عَظِيمَةً - كَمَا يَكْتُبُ لِيْقْيُوسُ الَّذِي لَا يَخْطِئُ^(٣٢) -
- ١٢ إِذَا اجْتَمَعُوا مَعَ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ أَحْسَوْا بآلامِ الطَّعَنَاتِ ، وَهُمْ يَقَاوِمُونَ رُوبِرتُو جُويْسَكَاردو^(٣٣) ، وَالْآخَرِينَ الَّذِينَ لَا تَزَالُ عِظَامُهُمْ تُجْمَعُ^(٣٤)
- ١٦ فِي أَرْضِ تَشِيْبِيرَانُو^(٣٥) ، حَيْثُ كَانَ كُلُّ مَوَاطِنٍ مِنْ أُبُولِيَا كَاذِباً ، وَهَنَّاكُ فِي تَالِيَا كُوتَزُو^(٣٦) ، حَيْثُ انْتَصَرُوا بِسِلَاحِ الْأَرْدُو الْعَجُوزِ^(٣٧) ؛
- ١٩ وَإِذَا أَظْهَرَ أَحَدُهُمْ عَضْوَهُ الْجُرِيحِ ، وَكَشَفَ آخَرَ عَنِ عَضْوِهِ الْمَقْطُوعِ ، فَلَنْ يَسَاوَى هَذَا شَيْئاً إِلَى مَظْهَرِ الْوَادِي التَّاسِعِ الرَّهيبِ^(٣٨) .
- ٢٢ وَمَعْدَبٌ ، وَقَدْ كَانَ مَجْرُوحَ الْحَلْقِ ، مَقْطُوعَ الْأَنْفِ حَتَّى أَسْفَلَ الْحَاجِبِينَ ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ سِوَى أُذُنٍ وَاحِدَةٍ^(٣٩) ،
- ٢٥ وَقَفَ مَعَ الْآخَرِينَ يَنْظُرُ إِلَى^(٤٠) فِي عَجَبٍ ، وَفَتَحَ قَبْلَ غَيْرِهِ قَصْبَةَ الْهَوَاءِ ، الَّتِي كَانَ كُلُّ جِزءٍ فِيهَا أَحْمَرَ اللَّوْنِ مِنَ الْخَارِجِ^(٤١) ،
- ٢٨ وَقَالَ : «أَنْتِ يَا مَنّ لَا تَصْمَهُ خَطِيئَةٌ ، وَمَنّ رَأَيْتَهُ فَوْقَ فِي أَرْضِ اللَّاتِينَ^(٤٢) ، إِذَا لَمْ يَخْدَعْنِي فَرَطُ التَّشَابَهِ ،
- ٣١ فَلَسْتُ ذَكَرَ بِمِيرِ دَا مَدِيْتَشِينَا^(٤٣) ، إِذَا كُنْتُ سَتَعُودُ يَوْمًا لِرُؤْيَةِ الْوَادِي الْجَمِيلِ^(٤٤) ، الَّذِي يَنْحَدِرُ مِنْ فِيرِ تَشِيلِي إِلَى مَارْ كَابُو^(٤٥) ،
- ٣٤ وَعَرَّفَ أَفْضَلَ اثْنَيْنِ فِي مَدِينَةِ فَانُو^(٤٦) : السَّيِّدَ جُويْدُو^(٤٧) وَأَنْجُولِيَلُو كَذَلِكَ^(٤٨) ، بِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ تَنْبُؤُنَا هُنَا بِاطْلَاقٍ ،

- ٣٧ فسيفذف بهما خارج سفنهما ، وسيفرقان (٢٥) بالقرب من كاتوليكا (٢٦) ،
بجيانة طاغية خبيث (٢٧) .
- ٤٠ بين جزيرتي قبرص وميورقة ، لم يشهد نبتون أبداً جريمة نكراء مثلها ،
لا من القراصنة ولا من أهل أرجو (٢٨) .
- ٤٣ وذلك الخائن ، الذي لا يرى سوى بعين واحدة (٢٩) ، ويحكم المدينة (٣٠) ،
التي يودّ معذب معى هنا (٣١) أن لم يكن قد رآها أبداً ،
- ٤٦ سيجعلهم يأتون للتفاوض معه ، وسيعمل بعد (٣٢) على أن يكونوا أمام ربح
فوكارا : في غير حاجة إلى قسّم أو ضراعة (٣٣) .
- ٤٩ فقلت له : « إذا أردت أن أحمل أنباءك إلى أعلى ، فأرني وفسّر لي من
ذاك صاحب النظرة المبررة (٣٤) » .
- ٥٢ عندئذٍ وضع يده على فكّ أحد رفاقه : وفتح له فمه ، وهو يصيح : « إن
هذا صامت لا يتكلم (٣٥) » .
- ٥٥ قضى هذا المنبوذ (٣٦) على شكوك قيصر ، وهو يؤكد أن من أعدّ العدة
لا يناله من الانتظار دائماً سوى الحسران (٣٧) » .
- ٥٨ أواه ، كم بدا لي كوريون خائر النفس ، بلسانه المقطوع في حلقة ، وقد
كان في قوله شديد الجرأة (٣٨) !
- ٦١ وأحدهم ، وكانت كلتا يديه مقطوعة ، بينما هو يرفع ساعديه في الهواء
المظلم ، حتى لوّث الدم وجهه ،
- ٦٤ صاح قائلاً : « ألا فلتذكر موسكا كذلك (٣٩) ، الذي قال وأسفاه " إن ما
وقع قد وقع " ، وكان بذلك أصل الفساد لشعب تسكانا (٤٠) » .
- ٦٧ وأضفت إليه : « والموت لعشيرتك (٤١) » . ولذلك سار كإنسانٍ بائسٍ
مجنونٍ ، وهو يجمع ألاماً إلى ألم .
- ٧٠ ولكني بقيت لكي أنظر إلى الجماعة (٤٢) ، فرأيت مشهداً كان من شأنه
أن يخيفني ، عند مجرد ذكره ، ودون مزيدٍ من تجربة (٤٣) ؛
- ٧٣ لولا الضمير الذي يجعلني مطمئناً ، ذلك الرفيق الطيب الذي يشدّ أزر
الرجل ، تحت درعٍ من إحساسه بالطهر (٤٤) .

- ٧٦ رأيت حقاً ، ويبدو لي أني لا أزال أرى ، جذعاً بغير رأسٍ ، يذهب كما ذهب الآخرون في هذا القطيع البائس ،
- ٧٩ وأمسك الرأس المقطوع من الشعر ، وقد تعلق في يده على صورة مصباح ؛ وذلك نظر إلينا وقال : « واهألى ! » .
- ٨٢ ومن نفسه جعل لنفسه مصباحاً^(٤٥) ، وكانا اثنين في واحد ، وواحد في اثنين^(٤٦) : وكيف يمكن هذا ، يعرف ذلك مَنْ يحكم هكذا^(٤٧) .
- ٨٥ وحينما أصبح عند أسفل الجسر ، رفع ذراعه عالياً بكل رأسه ، لكي يقرب إلينا كلماته ،
- ٨٨ التي كانت : « الآن انظر إلى العذاب الأليم ، يا مَنْ تسير لكي ترى الموتى وأنت تتنفس^(٤٨) : انظر أهنالك لهذا العذاب الشديد مثيل !
- ٩١ ولكي تحمل الأنبياء عني ، اعرف أني برتران دي بورن ، ذلك الذي بذل الآراء الشريرة للملك الشاب^(٤٩) :
- ٩٤ لقد جعلت الأب والابن يثور أحدهما على الآخر : ولم يفعل أخيتوفيل بأبشالوم وداود^(٥٠) أكثر من هذا بتحريضه الخبيث .
- ٩٧ أما وقد فرقتُ بين قومٍ متحدين هكذا ، فإني وأسفاه أحمل مخي المفصول عن أصله ، الذي هو في هذا الجذع !
- ١٠٠ وهكذا يُلاحَظُ القِصاص في شخصي^(٥١) .»

حواشي الأنشودة الثامنة والعشرين

- (١) هذه قصيدة من أثاروا الفنّ الدينية والسياسية .
- (٢) هذا لأن الكلام المنثور أسهل قولاً من الشعر .
- (٣) هذا كناية عن هول ما وآه دانتى فى الخندق التاسع من الحلقة الثامنة .
- (٤) يعترف دانتى بعمجه عن القول . ويشبه هذا قول دانتى نفسه فى « الوليمة » ، ويشبه قول فرجيليو فى الإنيابة :
- Conv. III. Canz. 14-18.
Virg. Æn. VI. 625.
- (٥) المقصود بأبوليا هنا كل المنطقة الجنوبية فى إيطاليا ، كما قصد دانتى هذا فى المطهر :
- Purg. VII. 126.
- (٦) أرض أبوليا المشقومة لما حل بها من الولايات .
- (٧) أريقت دماء كثيرة عند ما قدم الطرواديون لبيسط سلطانهم على جنوبي إيطاليا ٣٤٣ - ٢٩٠ ق . م . : Livius, Ab Urbe Condita Libri, X. 9...
- (٨) أى حروب روما وقرطاجنة ٢٢٤ - ١٤٦ ق . م . : Liv. (op. cit.) XXII. 26.
- (٩) أى خواتم الذهب التى فقدتها الرومان فى حرب قرطاجنة كما يروى ليشيوس (٦٧ ق . م . - ١٧ م . Titus Livius) المؤرخ الرومانى :
- Liv. (op. cit.) XXIII. 7, 12.
- (١٠) أى الأعداء الذين واجههم روبرتو جويسكاردو (١٠١٥ - ١٠٨٥ Roberto Guiscardo) دوق أبوليا وكالابريا ، سواء أكانوا من العرب فى جنوبي إيطاليا أم غيرهم .
- (١١) يعنى الإيطاليين والفرنسيين والألمان الذين قتلوا فى حروب شارل دانجو عندما أغار على نابل فى ١٢٦٦ .
- (١٢) تقع تشييرانو (Ceperano) على الحدود بين أملاك البابا ونابل . ولم تحدث هناك معركة ، ولكنها كانت بمثابة مرر يؤدى إلى نابل ، حيث وقعت معركة بنغيئتو ، وبذلك لا توجد فى الحقيقة عظام الموتى فى تشييرانو ذاتها .
- (١٣) قلعة تالياكوتزو (Tagliacozzo) فى أبروتزى بجنوبي إيطاليا .
- (١٤) أأردو دى فاليرى (١٢٠٠ - ١٢٧٧ . Alardo de Valéry) كونستابل شامپانيا ، الذى صحب لويس التاسع ملك فرنسا فى حملاته الصليبية وفى عودته من إحداها مر بإيطاليا وساعد شارل دانجو بالرأى والمشورة على الانتصار على كوفرادينو آخر أسرة سوابيا فى تالياكوتزو فى ١٢٦٨ .
- (١٥) يعنى أن منظر الخندق أو الوادى التاسع كان أبيض من منظر هؤلاء القتلى والجرحى فى الحروب الطويلة التى ذكرها دانتى منذ عهد الطرواديين حتى عصره .
- (١٦) أثار هذا المعذب الشقاق بين أمراء رومانيا ولذلك قطع دانتى حلقه وأذنه وأنفه وسائل الغدر عنده . ويشبه هذا قول فرجيليو :
- Virg. Æn. VI. 494...
- (١٧) أى أن القصبية الهوائية قد تلوثت بالدم من الخارج .
- (١٨) يعنى إيطاليا ، وسبق هذا التعبير :
- Inf. XXII. 65; XXXVII. 27.

(١٩) پيترو دا مديتشينا دا بيانكوثشي (Pietro da Medicina da Biancucci) حكت اسرته مدينة مديتشينا في شرق بولونيا، وأمر الإمبراطور فردريك الثاني بطرده مع أسرته من رومانيا في ١٢٨٧ لما ارتكبه من اللداسائس . ومع ذلك فقد عمل على إثارة الشقاق بين أمراء رومانيا وعلى الأخص بين آل مالاستسا وآل پولنتا .

(٢٠) المقصود سهل لمبارديا ، وهذه كلمات تعبر عن الحنين إلى الوطن .

(٢١) تحدد فيرتشيلي (Vercelli) في سهل لمباريا الغرب عند بيبينوني ، وتحدد قلعة مازكابو (Marcabo) بالقرب من مصبات الپو في الشرق امتداد رومانيا .

(٢٢) فانو (Fano) مدينة على ساحل الأدرياتيك على مقربة من پيزارو .

(٢٣) جويدو دل كاسيرو (Guido del Cassero) نبيل من فانو .

(٢٤) أنجولييلو دا كاليانانو (Angioliello da Calignano) نبيل آخر من فانو .

(٢٥) طريقة الفرق هي أنهما وضعا مقيدتين في كيس بداخله حجر ضخم .

(٢٦) كاتوليكا (Cattolica) مدينة تقع على الأدرياتيك بين ريبيني وپيزارو .

(٢٧) أي مالاستينو الذي دعا جويدو وأنجولييلو للباحث في كاتوليكا ولكنه غدرهما وأغرقهما عند رأس فوكارا (Focara) الواقع بين فانو وكاتوليكا .

(٢٨) أي أن نبتون (Neptune) إله البحر في الميتولوجيا الرومانية لم يشهد جريمة مماثلة في البحر الأبيض المتوسط ارتكبتها القراصنة أو أهل أرجو (Argo) أي الإغريق .

ويوجد لنبتون تمثال من عمل جوفاني بولونيا المعروف بجاببولونيا (١٥٢٩ - ١٦٠٨) وهو قائم بجوار قصر الكوندون في بولونيا .

(٢٩) أي مالاستينو دي مالاستسا (Malatestino dei Malatesta) ولد بعين واحدة وحكم ريبيني حكماً مستبداً من ١٣١٢ إلى ١٣١٧ .

(٣٠) أي ريبيني .

ويوجد حفر يمثل مدينة ريبيني وهو من صنع أجوستينو دي دوتشو (١٤١٨ - ١٤٨١) وهو في الترميو مالاستسيانو .

(٣١) هذه إشارة إلى الأبيات من ٤٩ إلى ٦٠ .

(٣٢) أي عند إبحارهم .

(٣٣) اشتهرت فوكارا بعواصفها الهوجاء . والمقصود أنهما سيفرقان هناك .

(٣٤) يطلب دانتى تفسير ما جاء في البيتين ٤٤ - ٤٥ .

(٣٥) لا يتكلم لأنه كان مقطوع اللسان كما سيأتي بعد في بيت ٥٩ .

ويوجد حفر يمثل الحقيقة تقطع لسان الحديدية ، ويرجع إلى القرن ١٢ وهو في كاتدرائية مودينا .

(٣٦) هذا هو كوريون (Curion) الذي نصح يوليوس قيصر بأن يعبر نهر روبيكون (Rubicon) بالقرب من ريبيني ، الذي كان في ٤٩ ق . م . الحد بين إيطاليا وغالة في جنوب الألب ، وهذا أعلن قيصر الحرب على الجمهورية . ومع أن هذه النصيحة سببت النصر إلا أنها كانت في الوقت نفسه سبباً لإشعال الحرب الأهلية .

(٣٧) أورد لوكانوس هذا المعنى :

(٢٨) أى عندما فصح يوليوس قيصر .

(٢٩) موسكا دى لامبرتى (Mosca dei Lamberti) من أبطال فلورنسا الذين كان دانتى يتطلع إلى لقاءهم (Inf. VI. 80) . حدث أن ساءت العلاقة بين أسرة أميدى وأسرة بوندلونتى فى فلورنسا بسبب عدول أحد أفراد الأسرة الأخيرة عن الزواج بفتاة من الأسرة الأولى لأنه أحب فتاة من أسرة دوناتى فى ١٢/١٥ ، وظهر التردد بشأن ما يتبع فى أسرة أميدى ، ولكن موسكا حسم هذا التردد بقوله إن ما وقع أقدم وقع ولا يمكن نقضه ، وأشار بقتل بوندلونتى . ونفذ القتل أمام صخرة تسمى مارس فى فلورنسا ، وبذلك انقسمت فلورنسا إلى حزبي الحلف والجبلين .

وفى التراث الإسلامى بعض الشبه بعقاب موسكا هنا ، وذلك فى عقاب من يأكل مال الناس فيسير يوم القيامة وهو أجذم :

الهندي : كنز العمال (السابق الذكر) . ج : ٥ : ص : ٣٢٧ : رقم ٥٧١٧ .

السمرقندى : قرة العيون (السابق الذكر) . ص : ٦٥ .

(٤٠) أى انقسام فلورنسا إلى الحلف والجبلين وما سببه ذلك من الولايات .

(٤١) أى أن سلالة موسكا نفيت نهائياً من فلورنسا مع سائر الجبلين فى ١٢٥٨ .

(٤٢) يعنى بقية مشيرى الفن الدينية والسياسية .

(٤٣) أى أنه ليس فى حاجة إلى المزيد من رؤية هذا المعذب ، وهو مقطوع الرأس .

ويحملة فى يده كصباح ينبر له الطريق .

Ov. Fasti, I. 485.

(٤٤) يشبه هذا قول أوثيديوس :

(٤٥) أضاء الرأس لتقصه الطريق فى الظلام والمعذب يمك به بيديه .

وفى التراث الإسلامى بعض الشبه بهذه الصورة فى عقاب القتال الذى يحمل رأسه بيديه يوم القيامة :

الهندي : كنز العمال (السابق الذكر) : ج : ٧ : ص : ٢٨٧ : رقم : ٣٢٠١ .

وفى صورة الجحيم التى ترجع إلى القرن ١٤ ولم تثبت نسبتها إلى فنان يعينه ، وينسبها بعض إلى فونتسكو ترايبي ، توجد رسوم لمشيرى الشقاق والفن ، وفيها يمك بعض المعذبين بيده رأسه المقطوع ، ويبدو آخرون وقد شقت بطونهم وخرجت أمعاؤهم ولدغتهم الأفاعى . والصورة فى الكامپو سانتو فى پيزا .

(٤٦) يعنى كان الرأس والجسم شيئاً واحداً .

(٤٧) أى الله .

(٤٨) يعنى أنه على قيد الحياة .

(٤٩) برتران دى بون دى هوتفور (١١٤٠-١٢١٥ Bertran de Born de Hautefort)

كان من شعراء التروبادور فى جنوبي فرنسا وله شعر فى الحرب ، وكان من رهبان دالون بقرب هوتفور ، ويقال إنه أثار الشقاق بين هنرى الثانى ملك إنجلترا وابنه هنرى الشاب .

ألف پونكيلى (١٨٤٣ - ١٨٨٦) ألحان أوپرا عنه :

Ponchielli, A. : Bertrando del ^Borni^o, opera (non rappresentata).

(٥٠) أخيتوفيل (Achitofel) شجع أبسالوم (Absalom) فى الثورة على أبه داود

(David) ملك إسرائيل ، ولكنه هزم وقتل كما جاء فى «الكتاب المقدس» :

2 Sam. III. 3; XV-XVII.

وقد ألف تشيواروزا (١٧٤٩ - ١٨٠١) الحان أوراتوريو عن أبسالوم :

Cimara, D. : Absalom, oratorio. Venezia, 1782.

(٥١) يعنى أنه ينال العقاب المناسب . ويشبه هذا المعنى ما ورد فى «الكتاب المقدس» :

Esod. XXI. 24; Matt. VII. 2.

ولقد حذفت من هذه الأنشودة أبياتاً وجدتها غير جدية بالترجمة ، وردت عن النبى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام . وقد أخطأ دانتى فى ذلك خطأ جسيماً ، تأثر فيه بما كان سائداً فى عصره ، بين العامة أو فى المؤلفات ، عن الرسول العظيم ، بحيث لم يستطع أهل الغرب وقتئذ تقدير رسالة الإسلام الحقة وفهم حكمته الإلهية . على أن هذا لم يمنع أهل العصر - ومن بينهم دانتى - من تقدير الحضارة الإسلامية والتأثر بشمرااتها ، التى كانت عنصراً فعالاً فى خروج العالم الغربى من العصور الوسطى إلى عصر النهضة فالعصر الحديث .

الأنشودة التاسعة والعشرون (١)

اغرورقت عينا دانتى بالدمع حزناً على الهالكين فى الأنشودة السابقة حتى أثر البقاء للبكاء عليهم ، وحاول فرجيليو أن يهدئ من روعه ويحمله على متابعة السير لطول الطريق ، وقد تأخر الوقت وعليه أن يرى أشياء أخرى كثيرة . دانتى يبرر بكاءه ورغبته فى التوقف بأنه شهد روحاً من دمه تبكى خطيئتها ، وكانت روح جبرى دل بلتو ، وهو من أقربائه الذين أثاروا الدسائس ، وأحس دانتى بالعطف عليه ، لأنه قتل دون أن ينتقم أحد لمقتله . وتقدم الشاعران ، فأصابت دانتى صرخات عجيبة كأنها سهام والأسى حديدها ، فغطى أذنيه بالكفين . وقال إن مرضى الصيف فى وادى كيانا وماريما وسردينيا لم يزد عذابهم عما شهده فى الوادى العاشر من الحلقة الثامنة . كان هؤلاء هم مزيفو المعادن بالسيميا والسحر ، ورآهم دانتى فى أوضاع مختلفة ، فاستلقى هذا على بطنه وزحف بعضهم على أربعة ، وأصابهم الحرب والبرص والشلل ، جزاء ما ارتكبوا من غش وخداع . ورأى اثنين متساندين وهما يحكان بعنف قروحهما الأليمة . حادثهما فرجيليو وسأل أحدهما هل يوجد هنا واحد من اللاتين ، فاعترفا بأنهما منهم ، وقال فرجيليو إنه جاء لكى يقود إنساناً حيا من هاوية لأخرى لكى يظهره على الجحيم . فتولاهما وسائر المعذبين الدهشة والرعبة . وسألهما دانتى عن شخصيهما . كان أحدهما جريفولينو داريتزو ، وكان الآخر كاپوكيو داسينيا وقد أحرقا لممارستهما أعمال السحر والكيمياء . انتهز دانتى هذه الفرصة فتكلم فى تهكم وسخرية عن شعب سيينا الذى اشتهر بالبدخ والزهو والخيلاء .

- ١ الحشد الكبير والجروح العجيبة ، بلّلت عيني كثيراً ، حتى أصبحتا راغبتين في البقاء لكي تبكيا^(٢) ؛
- ٤ ولكن فرجيليو قال لي : « ما هذا الذي تنظر ؟ لماذا يبقى بصرك محملاً هناك في أسفل ، بين الأشباح البائسة الممزقة ؟ »
- ٧ إنك لم تفعل كذلك في الأودية الأخرى^(٣) : واعلم ، إذا فكّرت أن تحصيها ، أن الوادي يدور اثنين وعشرين ميلاً^(٤) .
- ١٠ وها قد أصبح القمر تحت أقدامنا^(٥) : وقليل^٦ الآن ما مُسحناه من الوقت ، وعليك أن ترى أشياء أخرى لم ترها بعد^(٦) .
- ١٣ عندئذ أحبته : « إذا فهمت السبب الذي نظرتُ من أجله ، فربما كنت منحتني من البقاء مزيداً^(٧) » .
- ١٦ وبينما كان دليلي يسير ، ومضيت أنا من ورائه ، كنت أقدم له الجواب ، وأضيف : « بداخل ذلك الكهف ،
- ١٩ الذي أنعمت الآن فيه النظر هكذا ، أعتقد أن روحاً من دمي تبكي خطيئة^٨ ، تكلفها كثيراً هناك في أسفل^(٨) » .
- ٢٢ حينئذ قال أستاذي : « لا تُجهد فكرك من الآن بشأنه : وانتبه إلى شيءٍ غيره ، ولا يَظَلْ هو باقياً هناك^(٩) ؛
- ٢٥ فإني قد رأيته عند أسفل الجسر الصغير ، وهو يشير إليك ويهددك في عنفٍ بأصبعه ، وسمعت من يسميه جيري دل بِلَو^(١٠) .
- ٢٨ وقد كنت وقتئذ مشغول الخاطر تماماً ، بيمين^{١١} حكم القلعة العالية^(١١) ، حتى إنك لم تنظر هناك ، وهكذا ارتحل » .
- ٣١ فقلت : « يا دليلي ، إن موته القاسي ، الذي لم ينتقم له بعدُ أحدٌ مِمَّنْ كان في العار رفيقه ،
- ٣٤ جعله يشعر بالخزي^(١٢) ؛ ولذلك ذهب دون أن يكلمني ، كما أظن : وبهذا جعلني أزداد عليه إشفاقاً^(١٣) » .

- ٣٧ هكذا تحدثنا حتى أول موضع ، يظهر فيه الوادى التالى إلى قاعه من الجسر إذا ازداد فيه الضياء (١٤) .
- ٤٠ وحينما أصبحنا فوق آخر دير (١٥) ، فى «الماليبولجى» ، حتى أمكن أن يبدو لأنظارنا رجاله (١٦) ،
- ٤٣ رمتى صرخاتٌ عجيبةٌ بسهامٍ كان الأسى حديدها ، وعندئذ غطيت الأذنين بالكفين (١٧) .
- ٤٦ وكالألم الذى يوجد إذا أمست الأمراض بين يوليو وسبتمبر — فى مارستانات وادى كيانا (١٨) ، وفى ماريما وسردينيا (١٩) —
- ٤٩ مجتمعةٌ كلها معاً فى خندقٍ واحد ، كان الأمر هنا كذلك ، وخرجتُ منه ريحٌ كريهةٌ ، كالتى اعتادت أن تنبعث من الأعضاء العفنة .
- ٥٢ ونزلنا فوق آخر شاطئٍ من الجسر الطويل (٢٠) ، إلى اليسار دوماً ، وحينئذ صار نظرى أشد قوة (٢١) ،
- ٥٥ صوب القاع فى أسفل ، حيث العدالة المتزهة ، يد السيد الأعلى ، تعاقب المزيفين الذين تسجلهم ها هنا (٢٢) .
- ٥٨ لا أعتقد أنه هناك يؤسُّ أشدُّ — حينما أرى فى لييجينا كلَّ الشعب صريع المرض ، وقد امتلأ الهواء هكذا بالوخم (٢٣) ،
- ٦١ حتى سقط كلَّ حيوان إلى صغار الدود ، وبعدُّ ، كما يؤكد الشعراء (٢٤) ، بُعث الأقدمون إلى الحياة
- ٦٤ من بيض النمل (٢٥) — مما كان على (٢٦) أن أراه فى ذلك الوادى المظلم ، من أرواحٍ تعذب فى أكوامٍ عجيبة ،
- ٦٧ استلقى هذا فوق بطنه ، واستند ذاك بكتفيه إلى الآخر ، وزحف بعضٌ على أربعة فى الطريق الرهيب (٢٧) .
- ٧٠ سرنا خطوةً خطوةً دون كلامٍ ، ونحن ننظر ونُصغى إلى المرضى (٢٨) ، الذين لم يقووا على رفع أجسادهم (٢٩) .

- ٧٣ ورأيت اثنين جالسين ، مستنداً أحدهما إلى الآخر^(١٣) ، كما يُسند وعاءٌ إلى وعاءٍ للتسخين^(٣١) ، وترقش جسدهما بالقشور من الرأس إلى القدم .
- ٧٦ لم أر أبداً سرجاً يحمله فتىٌ ، وسيده في انتظاره ، ولا من يبقو يقظان وهو غير راغب^(٣٢) ،
- ٧٩ كما انهال كلٌّ منهما على نفسه بعض الأظافر ، لِمَا تولاهما من حرقة الأكلان ، ولم يكن لهما من عون سواه^(٣٣) ؛
- ٨٢ هكذا أسقطت أظفارهما القشر ، كما تفعل السكين بزعانف الشلبيّة^(٣٤) ، أو بأسماكٍ أخرى ذات زعانف أكبر .
- ٨٥ بدأ دليلي يخاطب أحدهما : « أنت يا مَنْ تنزع قشورك بالأصابع ، وتجعل منها كلبتين أحياناً^(٣٥) ،
- ٨٨ قل لنا أيوجد لائني^(٣٦) بين هؤلاء الذين هم هنا في الداخل ، الأقسائتكتفك الأظفار إلى الأبد في هذا العمل^(٣٧) . »
- ٩١ فأجاب أحدهما وهو يبكي : « إننا من اللاتين ، يا مَنْ نرانا نحن الاثنين مشوهين هنا هكذا ؛ ولكن مَنْ أنت يا مَنْ تستفسر عنا ؟ » .
- ٩٤ قال دليلي : « إنني روح أهبط مع هذا الإنسان الحي ، من إفريزي إلى إفريزي وقصدي أن أظهره على الجحيم^(٣٨) . »
- ٩٧ حينئذ انفصل المسند المزدوج ، واتجه كلٌّ منهما نحوى وهو خائف^(٣٩) ، ومعهما آخرون ، سمعوه يرجع الصدى .
- ١٠٠ واتجه إلى الأستاذ الطيب بكتبيته ، وهو يقول : « قل لهما ما تريد » ؛ فبدأت الكلام وفقاً لِمَا رغب :
- ١٠٣ « ألا لا تزولن ذكرا كما في العالم الأول^(٤٠) من عقول البشر ، ولكن لكي تعيشا تحت شمسٍ كثيرة^(٤١) ،
- ١٠٦ خبّراني مَنْ أنتم ومن أى قومٍ : لا تدعا بمنظر كما المشوه وعذابكما الأليم يخيفكما^(٤٢) . فلا تفصحان لي عن شخصيكما » .

- ١٠٩ فأجاب أحدهما : « قد كنت من أريتزو ، ووضعني ألبرتو دا سينيا في النار (٤٣) ، ولكن ما مت من أجله لا يأتي بي هنا (٤٤) . »
- ١١٢ وفي الحق أني قلت له مازحاً : « إني عارفٌ كيف أرفع نفسي في الهواء طائراً » ؛ وذلك الذي كان ذا فضولٍ وفهمٍ قليل ،
- ١١٥ أراذني أن أظهره على هذا الفن (٤٦) ؛ ولجورد أني لم أصنع منه ديدالوس (٤٦) ، جعل من كان له ابناً يحرقني بالنار .
- ١١٨ ولكن إلى آخر خنلق من العشرة ، ومن أجل الكيمياء (٤٧) ، التي مارسها في الدنيا ، قضى بإرسالى مينوس (٤٨) ، الذي ليس له أن يخطئ (٤٩) .
- ١٢١ فقلت للشاعر : « هل وُجد أبداً قوم مزهونٌ هكذا كشعب سيميننا (٥٠) ؟ في الحق لم يبلغ الفرنسيون ذلك الشأ (٥١) ! » .
- ١٢٤ حينئذ أجاب قولي الأبرص الآخر (٥٢) الذي سمعني : « فيما عدا استريكا (٥٣) الذي عرف كيف يعتدل في المنفقات (٥٤) ،
- ١٢٧ ونيقولا (٥٥) ، الذي كشف أولاً عادة القرنفل الباهظة الثمن (٥٦) ، في الحديقة (٥٧) حيث تتخذ جذورها مثل هذه الحبات ؛
- ١٣٠ وفيما سوى الجماعة التي أضاع كاتشا دا شانو (٥٨) من أجلها الكرم والغابة الكبيرة ، وأظهر الأبالياتو (٥٩) ذكاءه (٦٠) .
- ١٣٣ ولكن كمي تعرف من الذي يسئلك هكذا تجاه شعب سيميننا ، أنعم في النظر ، حتى يُحسن وجهي إجابتك :
- ١٣٦ وبهذا سترى أني شبح كاپوكيو (٦١) ، الذي زيف المعادن بالكيمياء : وعليك أن تذكر . إذا كنت أحسن النظر إليك (٦٢) ،
- ١٣٩ كيف كانت لي طبيعة القرد تماماً (٦٣) .

حواشى الأنشودة التاسعة والعشرين

- (١) أول هذه الأنشودة تكملة للسابقة ، تسمى أنشودة ثم المزيفين .
- (٢) هكذا تأثر دانتي لعذاب مثيرى الفتن فى القصيدة السابقة وشاركهم فى يؤسهم وآثر البقاء لكى يبكى عليهم .
- (٣) لم يقف دانتي أمام أى واد سابق فى هذه الحلقة حزيناً على هذا النحو يصور دانتي مواقف للعذاب والأسى ثم يحزن هو ويتألم .
- (٤) يعنى أن الوادى طويل ويضم عدداً لا يحصى من الهالكين وفى هذا نوع من الدعابة أبداهها فرجيليو لدانتي .
- (٥) أى أصبحت الساعة الواحدة بعد الظهر .
- (٦) لما كان على الشاعرين أن يقطعا الحلقات التسع فى الجحيم فى يوم واحد ، لم يبق أمامهما سوى خمس ساعات لزيارة الوادى العاشر والأخير من الحلقة الثامنة ثم تبقى الحلقة التاسعة . وهكذا يحدث فرجيليو ودانتي بعطف ورقة لكى يحمله على متابعة السير .
- (٧) يحاول دانتي أن يبرر رغبته فى الوقوف أمام هذا الوادى .
- (٨) أى أن أحد أقرباء دانتي كان يبكى هناك فى داخل أحد الكهوف. وفى كلماته شعور بالأسى على واحد من ذوى قرباه .
- (٩) يحاول فرجيليو أن يخفف عن دانتي أثر الحزن والأسى ويعمل على أن يشغله بأمر آخر .
- (١٠) جيرى دلبلو (Geri del Bello) هو ابن عم والد دانتي . ويقال إنه اشتهر بإثارة الدسائس بين أفراد أسرة ساكتى (Sacchetti) الفلورنسية، مما أدى إلى أن تقتله أحد أفرادها فى أواخر القرن ١٣ .
- (١١) القلعة العالية هى هوتفور، والمقصود برتران دى بورن السابق الذكر :
- Inf XXXVIII. 194.
- (١٢) كان الانتقام أمراً ضرورياً فى تسكانا. ويختلف النقاد فى حدوث الانتقام لمقتل جيردل بلو، وإن كان لا يبعد أن الانتقام قد وقع بعد أن كتب دانتي هذه الأبيات ، كما يروى بيترو بن دانتي .
- (١٣) كان دانتي يرى ضرورة الانتقام لمقتل جيرى. مهما كلفته جريمته ، وتأثر دانتي هنا بمصيبة الدم ، وأحس بالعطف على الآثم .
- (١٤) أى الوادى أو الخندق العاشر .
- (١٥) استخدم دانتي هنا لفظ (chiostra) ويعنى الدير . والمقصود مكان مغلق أى هذا الوادى العاشر .
- (١٦) استخدم دانتي هنا لفظ (conversi) ويعنى المعتزلين كالرهبان - وإن لم يكونوا من رجال الدين - الذين يعدبون فى هذا الخندق .
- (١٧) كان صراخ المذبذب يؤلم دانتي مثل سنان السهام ، التى صنعت أطرافها وحديدتها من

- الأسى ، فغطى أذنيه بكفيه ، حتى يقل سمه وألمه .
- (١٨) وجدت في عهد داتني مستشفيات في منطقة أريتزو وكورةونا وكيزوزي لمعالجة المرضى .
- (١٩) وادي كيانا (Valdichiana) في تسكانا بين مصبات نهر كيانا . وانتشرت الملاويبا في تسكانا وساردينيا في عصر داتني وظلت إلى عهد حديث .
- (٢٠) هبط الشاعران ليصبحا أقدر على رؤية ما بداخل الخندق .
- (٢١) هذا لأنه أقرب من المنظور .
- (٢٢) أي المعتذبون المسجلون في هذا المكان .
- (٢٣) تقول الميتولوجيا اليونانية إن الطاعون انتشر في جزيرة إيجينا (Egina) بقرب أثينا :
Ov. Met. VII. 523-627.
- (٢٤) أي أوثيديوس :
- Ov. ibid.
- (٢٥) بعث جوييتير سكان إيجينا من النمل بعد هلاكهم ، كما ورد في الميتولوجيا اليونانية .
- (٢٦) ترجع المقارنة إلى ما سبق في البيت ٥٨ .
- (٢٧) هؤلاء أول طائفة من جماعة المزيفين الذين اشتغلوا بالسيما والسحر وزيفوا المعادن وقد أصابهم الجرب أو البرص أو الشلل ، ربما لأن الجرب والبرص يشبهان صورة المعادن التي أجرى عليها المزيفون تجاربهم ، ولأن الشلل يمنع حركة بعضهم عن العمل .
- (٢٨) يقصد المعتذبين .
- (٢٩) أي لم يقو أحدهم على النهوض واقفاً ، وهذا هو بقية عذابهم .
- (٣٠) أي عند وضع وعاء إلى وعاء قرب موقد لتجفيفهما .
- (٣١) هما اثنان من الذين اشتغلوا بتزييف المعادن في عصر داتني ، وهما مصابان بالبرص في هذا الوادي ، وسيأتي ذكرهما بعد قليل .
- (٣٢) الفتى الذي يحمل السرج وسيده في انتظاره أو الذي يفعل ذلك وقد غلبه النعاس يتحرك بسرعة لكي ينتهي مما عليه حتى يذهب وشأنه . هاتان صورتان دقيقتان مستمدتان من الحياة الواقعة .
- (٣٣) هذه صورة دقيقة مستمدة من مرضى الجرب والبرص .
- (٣٤) التشبيه مستمد من سمك الشلبة (scaglic) الذي له زعانف تستلزم مجهوداً لإزالتها .
- (٣٥) أي يجعل من أصابعه كلبة لانتزاع القشور .
- وفي التراث الإسلامي بعض الشبه بهذه الصورة في عقاب أهل النار بالجرب وحك الجلد حتى ظهور العظم :
السمرقندي : قرة العيون (السابق الذكر) . ص : ٧٥ .
- الهندي . كنز العمال (السابق الذكر) . ج : ٧ ص : ٢٤٧ : رقم : ٢٨٢٦ .
- (٣٦) أي إيطالي وسبق هذا التعبير :
Inf. XXII. 65; XXVII. 27.
- (٣٧) يدهو ثرجيليو بدوام ما يريده هذا المعتذب من استخدام أظفاره .
- (٣٨) سبق مثل هذا التعبير :
Inf. XXVIII. 46-51.
- (٣٩) أي أن الدهشة قد استولت على هذين المعتذبين والآخرين عند السماع بقدم إنسان حتى لزيارة الجحيم ، فانفصلت أكتاف هذين المعتذبين ونظرا إلى داتني .

(٤٠) أى فى الدنيا .

(٤١) يمرض دائى عليهما العمل على إبقاء ذكراهما فى الدنيا .

(٤٢) أى يسألها بألا يجملا منظرها المشوه بسبب المرض يمنعهما عن الإنصاح من شخصيهما .

(٤٣) كان جريفيولينو داريتزو (Griffolino d'Arezzo) يعمل بالكيمياء والسحر ، وأخذ

ملا من ألبرتو دا سيينا (Alberto da Siena) لكى يعلمه الطيران . وعندما كشف ألبرتو خداه أخبره
أياه ، وكان أسقف سيينا ، فأحرق جريفيولينو فى أواخر القرن ١٣ .

وتوجد صورة لمدينة أريتزو من عمل بينوتزو جوتزولى (حوالى ١٤٢١ - ١٤٩٧) وهى فى كنيسة
سان فرنشسكو فى مونفالكو .

(٤٤) أى أنه جاء إلى الجحيم لخطايا أخرى ارتكها .

(٤٥) أى فن الطيران .

(٤٦) ديدالوس (Daedalus) ساحر فى الميتولوجيا اليونانية عاش فى كريت وكان يستطيع

Ov. Met. VIII. 188...

الطيران :

(٤٧) أى أنه قام بتزييف المعادن .

(٤٨) مينوس قاضى الجحيم وسبق ذكره :
Inf. V. 4...

(٤٩) أى أنه كان يدعى أنه لم يخدع جريفيولينو ولكنه كان يمازحه ، وجاء إلى الجحيم

لخدع أخرى سيمائية .

(٥٠) كان أهل سيينا معروفين بحب المظاهر والثقة فى النفس والكبرياء .

(٥١) وهذا أيضاً هو حكم دائى على الفرنسيين .

(٥٢) هو كاپوكيو دا سيينا

(٥٣) يقال إنه استريكا دى جوفانى دى ساليمبىنى (Stricca di Giovanni de' Salimbeni)

وأصبح عمدة بولونيا ، واشتهر بالإسراف والبنخ فى النصف الثانى من القرن ١٣ .

(٥٤) هذه سخرية من جانب دائى ، لأنه كان على عكس ذلك .

(٥٥) نيقولا دى ساليمبىنى (Niccolo de' Salimbeni) أخو استريكا السالف الذكر ، كان

من المعروفين بالإسراف والبنخ .

(٥٦) كان المترفون يستخدمون القرنفل فى طعامهم لكى يكسبه نكهة طيبة .

(٥٧) المقصود بالحديقة مدينة سيينا .

وتوجد صورة لسيينا توضح مبانيها وطرقها وبعض سكانها من المشاة والراكبين ومن الرجال والنساء

وهى من عمل أمبرودجو لورنتزى فى القرن ١٤ ، وهى فى القصر العام فى سيينا .

(٥٨) هو كاتشا داشانو (Caccia d'Asciano) الذى كان يمتلك كروماً وبغابات بالقرب

من سيينا ، وأنفق كل ما يملكه على رفاقه فى حياة الترف والبنخ .

(٥٩) هو بارتولوميو دى فولكا كيرى الملقب بالأبالياتو (Bartolomeo dei Folcacchieri)

(detto l'Abbagliato) كان مستشاراً للكومون فى سيينا فى أواخر القرن ١٣ ، وشغل بعض الوظائف فى

أنحاء تسكانا . وكان هؤلاء الأربعة أعضاء فى جماعة من الأثرياء فى سيينا وأنفقوا الأموال فى

يلخ . ولم يصحهم دانتي هنا بل ذكرهم فقط لى يتهم على سيينا ويبين كبر ياء أهلها وسفهمهم .

(٦٠) هكذا يتهم دانتي على الأبالياتو لأنه كان معروفاً بمكس ما وصفه به .

(٦١) كاپوكيو دا سيينا (Capocchio da Siena) يقال إنه كان صديقاً لدانتي وزميله

له فى الدراسة فى بولونيا ، وأحرق فى سيينا فى أواخر القرن ١٣ لممارسته أعمال الكيمياء والسحر .

(٦٢) أى إذا كنت أنت دانتي حقيقة .

(٦٣) كان لكاپوكيو بعض صفات القرده فى التقليد والمحاكاة ، وإذا أنعم دانتي

النظر فسيعرفه .

الأنشودة الثلاثون^(١)

يذكر دانتي بعض مظاهر العنف في الميتولوجيا اليونانية ، كما حدث من أتاماس لابنه ، وكما وقع لهيكوبا حينما رأت ابنتها وابنها صريعين ، ويقول إن هذا لايدانى في العنف والقسوة ما شهده في هذا الوادى الرهيب . رأى دانتي شبحين عاريين ينهشان بعنف كل مَنْ حولهما مثل خنزير جائع انطلق من حظيرته . كان أحدهما شبح ميرا الفاجحيم التى عشقت أباهما متجاوزة في ذلك كل شريعة ، وذهبت لكى تأثم معه بعد أن تنكرت في صورة غيرها من النساء ، كما جاء في الميتولوجيا اليونانية . وكان الآخر شبح جانى اسكيكى المواطن الفلورنسى الذى تنكر في صورة بووزو دوناتى وأملى وصية زائفة لمصلحة سيمون دوناتى ولمصلحته هو ، فكسب فرساً تسمى ملكة القطيع . ورأى دانتي معذباً مريضاً بالاستسقاء منتفخ البطن أحس بالعطش الشديد كالمصاب بالحمى ، وكان ذلك هو أدامو دا بريشا الذى زيف عملة فلورنسا الذهبية ، وقد تذكر تلال كازنتينو الخضراء بنهراتها التى تهبط إلى الأرنو ، فزاده ذلك عطشاً ، وكان يرجو أن يسير للبحث عن حرضوه على تزيف العملة هنا ، ولكن مرضه يمنعه عن الحركة . شهد دانتي زوجة فرعون مصر التى آهمت يوسف باطلا بمحاولة اغتصابها عند ما لم يستجب لإغرائها . ورأى سينون إغريقى طروادة الكذوب ، صاحب خدعة الحصان الخشبى في حرب طروادة . واستمع دانتي إلى عراك سينون وأدامو وتضاربهما وتعبير أحدهما الآخر بما ارتكبه من الإثم . وظل دانتي مصغياً إليهما بانتباه ، حتى أظهر له فرجيليو الغضب لطول توقفه ، فأحس بالحجل الشديد ؛ وأراد الاعتذار لأستاذه ، ولكنه عجز عن الكلام ، وكان صمته خير اعتذار ، فطمأنه فرجيليو وطيب خاطره .

- ١ في الوقت الذي كانت فيه يونون^(٢) نائفةً على الدم الطيبى ، من أجل سيميل^(٣) ، كما هي أظهرت ذلك غير مرة^(٤) ،
- ٤ جنّ جنون أتاماس^(٥) ، حتى إنه عندما رأى زوجته تسير بطفلين ، وقد حملت واحداً في كلٍّ من اليدين -
- ٧ صاح : « فلتسحلّ الشباك ، لكى أمسك في الطريق باللبؤة والشبلين » ؛ ثم مدّ مخلبيه القاسيين ،
- ١٠ وأخذ الطفل المسمى ليركوس^(٦) وأداره ، وحطّمه على صخرةٍ ؛ فأغرقت هي نفسها بجملها الثاني^(٧) .
- ١٣ وحينما هوى الحظ إلى الحضيض بكبرياء الطرواديين ، الذي اجترأ على كل شيء^(٨) ، حتى هلك الملك مع المملكة^(٩) ؛
- ١٦ وهيكونا الخزينة البائسة الأسيرة^(١٠) ، بعد أن رأت بوليكسين صريعة^(١١) ، وكشفت الواهة عن جدث ابنها
- ١٩ بوليدورس^(١٢) على شاطئ البحر ، نبحت كالكلب ، وهي طائفة اللب إذ كان الألم قد أفقدها الصواب .
- ٢٢ ولكن لم تُر أبدأ ربات الانتقام في طيبة ولا في طروادة ، بمثل هذه القسوة على أحدٍ ، لا عند نهش الوحوش أو حتى أعضاء البشر ،
- ٢٥ كما رأيت في شبحين عارين شاحبي اللون^(١٣) ، جريا ينهشان ، كما يفعل الخنزير ، حينما ينطلق من الحظيرة^(١٤) .
- ٢٨ جاء أحدهما إلى كاپوكيو ، وأنشب ناييه في عقدة عنقه ، حتى إنه وهو يجرّه ، جعل الأرض الصلدة تسحج بطنه .
- ٣١ والأريتزوى^(١٥) الذي ظل يرتجف ، قال لى : « ذلك المسعور هو جاتى اسكيكى^(١٦) ، إنه يمضى غاضباً وهو ينهش الآخرين هكذا » .
- ٣٤ فقلت له : « أواه ، لعلّ الآخر لا ينشب أسنانه فيك ، ولعله لا يضيرك أن تخبرنا من هو ، قبل أن يتعد من هنا » .

- ٣٧ قال لى : « تلك هى الروح القديمة لميرًا الفاجرة^(١٧) ، التى أصبحت لأبيها عاشقةً متجاوزةً كلَّ حبٍّ شرعىً .
- ٤٠ إنها جاءت هكذا لكى تأثم معه ، وقد زيفت نفسها فى صورة غيرها ؛ كما حرص الآخر الذى يذهب هناك
- ٤٣ على أن يتكرر فى صورة بووزو دوناتى^(١٨) ، وكتب وصيةً أعطاهها مظهر الحق ، لكى يكسب ملكة القطيع^(١٩) .
- ٤٦ وبعد أن مضى الغاضبان ، اللذان كنت قد أنعمت النظر فيهما ، أدرتُ عينيَّ لكى أرى سائر الملعونين^(٢٠) .
- ٤٩ ورأيت واحداً كان يُبدي صورة الطنبور^(٢١) لو كان حقوه مفصولاً عما هو عند الإنسان مشقوق^(٢٢) .
- ٥٢ الاستسقاء الثقيل — الذى يجعل الأعضاء غير متناسقةٍ بسائلٍ لا يمتصه الجسم ، حتى يصبح الوجه غير متناسبٍ مع البطن^(٢٣) —
- ٥٥ جعله يُسبقُ شفثيه مفتوحتين ، كما يفعل المحموم ، الذى يدير إحداهما إلى الذقن والأخرى إلى أعلى ، بفعل العطش^(٢٤) .
- ٥٨ قال لنا : « أنتم يا مَنْ تبقيان بغير عذاب فى العالم الأغر ، ولست أعرف السبب^(٢٥) ، انظرا وتأملا
- ٦١ فى بؤس السيد أدامو^(٢٦) : لقد نلت وأنا حتى كثيراً مما رغبت ، والآن ، وأسفاه ، أشهى قطرة ماء !
- ٦٤ النهيرات التى تهبط إلى الأرنو ، من تلال كازينتينو الخضراء ، جاعلةً قنواتها باردةً نديةً^(٢٧) ،
- ٦٧ تبدو أمانى أبداً ، وليس هذا بغير طائلٍ ، لأن صورة مجاريها تشعرنى بجفافٍ ، يفوق السقام الذى يتزع عن وجهى اللحم^(٢٨) .
- ٧٠ والعدالة الصارمة التى تلاحقنى ، تتخذ من الموضع الذى ارتكبت فيه الخطيئة ، سبيلاً للمزيد فى إطلاق زفراتى .

- ٧٣ هناك رومينا^(٢٩) ، حيث زيفتُ سبيكةً مخنومةً بصورة المعدادان^(٣٠) ؛
ومن أجلها تركت جسمي يحترق في أعلى .
- ٧٦ ولكني لو رأيت هنا الروح البائسة ، لجويدو أو إسكندر أو أخيهما^(٣١) ،
لما وجهت النظر الى نبع براندا^(٣٢) .
- ٧٩ هناك واحدةٌ منها في الداخل ، إذا صدقتُ الأشباح الغاضبة التي تدور
من حولنا ، ولكن ما يفيدني هذا ، وقد قَسِدَت أعضائي ؟
- ٨٢ ولو كنت حقاً لا أزال خفيفاً ؛ فأقدر على التقدم في مائة عامٍ بوصةٍ
واحدةً ؛ لكنك قد وضعت نفسي في الطريق^(٣٣) ،
- ٨٥ باحثاً عنها بين هؤلاء القوم المشوهين . مع أنه يدور أحد عشر ميلاً ،
ولا يقل عرضه عن نصف ميل^(٣٤) .
- ٨٨ بسببهم أصبحتُ بين مثل هذه الأسرة^(٣٥) : إنهم حملوني على أن أضرب
الفلورينات^(٣٦) التي تحوى ثلاثة قراراتٍ من زائف المعدن .
- ٩١ فقلت له : « من الحسيسان اللذان يصعدان دخاناً كيدين ابتلتا في الشتاء^(٣٧) ،
وقد استلقيا متلاصقين إلى حدود يمينك^(٣٨) ؟ » .
- ٩٤ أجبني : « هنا وجدتهما ، حينما هبطت إلى هذه الهاوية^(٣٩) ، ولم يتحركا
بعد ، ولا أعتقد أنهما سيتحركان إلى الأبد .
- ٩٧ فواحدةٌ هي الزائفة التي آهمت يوسف^(٤٠) ؛ والآخر هو إغريق طروادة
سينون الكذوب^(٤١) : إنهما يطلقان بوطاة الحمى دخاناً كثيراً » .
- ١٠٠ وأحدهما^(٤٢) ، الذي ربما أزعجه أن يُدعى بمثل هذا السوء ، ضرب
بقبضة اليد بطنه المتيسس^(٤٣) .
- ١٠٣ ودوى هذا كأنه طبلية ؛ وضربه السيد أدامو على الوجه بذراعه التي لم تبدُ
أقل صلابةً ،
- ١٠٦ وهو يقول له : « إني وإن كنت مُنعت عن الحركة بالطرفين الثقيلين ،
فلي ذراعٌ طليقةٌ لمثل هذه المهمة » .
- ١٠٩ عندئذ أجاب^(٤٤) : « حينما كنت ذاهباً إلى النار ، لم تكن ذراعك بهذا
التأهب : ولكنها كانت كذلك ، بل أكثر ، عند ما قمت بالترريف^(٤٥) » .



١٠ - ميٲا

أنشودة ٣٠ : ٣٦ . . .

- ١١٢ قال مريض الاستسقاء^(٤٦) : « أنت في هذا تنطق بالحق ؛ ولكنك لم تكن شاهد عدل ، حينما سئلت هناك في طروادة عن الصدق » .
- ١١٥ قال سينون : « إذا كنتُ قد قلتُ زيفاً ، فإنك زيفت المال ، وأنا هنا لخطيئة واحدة ، وأنت لأكثر مما فعل كل شيطان ! » .
- ١١٨ أجاب ذلك الذي كان متنفخ البطن^(٤٧) : « فلتذكر الجواد يا مَنْ حثت بالقسم^(٤٨) ، وليكن عذابك أن كل العالم يعرف ذلك » .
- ١٢١ قال الإغريقي^(٤٩) : « وليكن عذابك في عطش يشقق لسانك ، وواء كربه ، يجعل بطنك هكذا حجاباً أمام عينيك^(٥٠) ! » .
- ١٢٤ قال عندئذ مزيقب النقد : « هكذا يُفغر فوك لقول سوء كالعادة ؛ لأنني إذا كنت عطشاً وممتلئاً بسائل خبيث ، فأنت محمومٌ ويوجعك رأسك ، ولكي تعلق مرآة نارسيس^(٥١) ، لست محتاجاً أن تدعى بكلمات كثيرة » .
- ١٣٠ كنت متبهاً تماماً للاستماع إليهما ، حينما قال لي أستاذي : « الآن امض في النظر ! فلم يبق إلا قليل حتى أشتبك معك^(٥٢) » .
- ١٣٣ ولما سمعته يكلمني في غضبٍ ، اتجهت إليه وقد تولاني من الحجل ، ما لا يزال يدور في خاطري .
- ١٣٦ وكسّن يحلم بخطرٍ يصيبه ، وفي حلمه يرجو أن يكون حالماً ، ويرغب أن يصبح ما هو واقع كأنه لم يقع^(٥٣) ،
- ١٣٩ هكذا أصبحت راغباً في الاعتذار^(٥٤) ، وأنا عاجزٌ عن الكلام ، ولكني اعتذرت ، ولم أعتقد أنني فعلت ذلك^(٥٥) .
- ١٤٢ قال أستاذي : « إن أقلّ من خجلك يمحو خطيئةً أكبر مما لم يكن مثلها ذنبك ، ولذلك أبعد عن نفسك كل أسف^(٥٦) :
- ١٤٥ واذكر أني سأكون دائماً إلى جانبك ، إذا حدث بعدُ أن ساقك القدر إلى موضعٍ ، به قومٌ في عراكٍ مماثلٍ ؛
- ١٤٨ فإن رغبتك أن تسمعه رغبةً وضيعةً » .

حواشي الأنشودة الثلاثين

- (١) هذه تكملة للسابقة وهي تحتوي على مزيقي أشخاصهم ومزيقي الكلام ومزيقي النفود .
- (٢) يونون (Junone) ابنة ساتورن وريا وأخت جوبيتر وزوجته في الميتولوجيا اليونانية . ويوجد تمثال لها في متحف الفاتيكان .
- (٣) ثار غضب يونون على شعب طيبة لأن زوجها جوبيتر أحب سيميلي (Semele) ابنة كادموس (Cadmus) ملك طيبة :
Ov. Met. III. 253-315.
وقد وضع هيندل (١٦٨٥ - ١٧٥٩) الحان أوراتوريو عن سيميلي :
- Haendel, G. F. : Semele, oratorio. London, 1743. (Oiseau-Lyre).
- (٤) ثار غضب يونون على شعب طيبة أكثر من مرة ، فتمسبت في أن قتلت أجاثي - أخت سيميلي - ابنها بنتيوس ، وجعلت أختها الأخرى إينو تتحجر .
- (٥) أتاماس (Athamas) ملك أركومندوس في جزيرة بويتريا الذي أنثرته يونون على زوجته إينو ، فكان السبب في موتها وولديه :
- Ov. Met. IV. 512-530.
- (٦) قتل أتاماس ابنه ليركوس (Learchus) .
- (٧) قذفت إينو (Ino) زوجة أتاماس بنفسها إلى البحر مع ابنها الثاني ميليشتريس (Melicertes) .
- (٨) هذه إشارة إلى بطولة طروادة والطرواديين .
- (٩) بسقوط طروادة زالت مملكة پريام :
- Virg. Æn. II. 506...
- (١٠) هيكوبا (Hecuba) زوجة پريام ملك طروادة ، أحست بالحزن والبؤس لما حل بها من الويلات .
- ألف ماقفروتشي (١٧٩١ - ١٨١٣) الحان أوبرا عن هيكوبا :
- Manfroce, N. A. : Ecuba, opera. Napoli, 1812.
- (١١) پولكسين (Polyxena) ابنة پريام وهيكوبا ، ورأها أمها مقتولة بعد سقوط طروادة .
- (١٢) پوليدورس (Polydorus) بن پريام وهيكوبا ، كشفت أمه جدته وفقدت صوابها :
- Ov. Met. XIII. 399...
- (١٣) هما جاني اسكيكي وميرا وسيأتيان بعد .
- (١٤) هذه صورة مأخوذة من حياة الخنزير .
- (١٥) هذا هو جريفولينو داريتزو الذي خشي أن يطبق عليه الشبح الآخر فارتعد من الخوف ، وسبقت الإشارة إليه :
- Inf. XXIX. 109.
- (١٦) جاني اسكيكي دي كانالكانتي (Gianni Schicchi dei Cavalcanti) مواطن فلورنسي لجأ إلى مشورته سيمون بن بوزو دوناتي عند ما شك في أمر وصيته ، فأشار بعدم إعلان وفاة أبيه ، وتكرس سكيكي في زي بوزو دوناتي وأمل في مصلحة سيمون ، وأضاف سكيكي بنودا لمصلحته

هو ، ونال فرساً تسمى ملكة القطيع كما سيأتى بعد ، ويلاحظ أن بووزو دوناتى المقصود هنا هو حفيد بووزو دوناتى قاطع الطريق السالف الذكر : *Inf. XXV. 140.*

(١٧) *Myrrha*) ميرا (هى ابنة سنيراس ملك قبرص ، عشقت والدها واستماتت بمريبتها وتكررت فى زى امرأة أخرى ، وارتكبت الإثم مع أبيها عند ما كانت أمها متغيبية . ولما كشف الأب الحقيقة أراد قتل ابنته ولكنها هربت إلى بلاد العرب ، وتحولت إلى شجرة خرج منها أدونيس ، كما تقول الميتولوجيا اليونانية الرومانية : *Ov. Met. X. 298-502.*

وتوجد صورة ترمز لثغينوس وأدونيس وميرا وهى من آثار مدرسة التصوير فى البندقية ، ولا يعرف صانعها على وجه التحديد ، والصورة فى المتحف الوطنى فى لندن .

وقد ألف ألكساندر جورج (١٨٥٠ - ١٩٣٨) الحان أوبرا عن ميرا :

George, Alexandre : Myrrha, opéra. Praga, 1752.

- (١٨) يضرب مثلاً بجانف اسكيكى الذى تنكر فى زى بووزو دوناتى كما سبق .
- (١٩) أى لكى ينال فرساً كانت تسمى ملكة القطيع .
- (٢٠) هؤلاء هم مزيفو النقود .
- (٢١) هو أدامو دا بريشا وسيأتى بعد .
- (٢٢) أى عند انفراج الفخذين .
- (٢٣) يجعل مرض الاستسقاء بطن الإنسان كبير الحجم وغير متناسب مع سائر الأجزاء .
- ويوجد رسم بالموزايكو لمرضى الاستسقاء ، ويرجع إلى القرن ١٢ ، وهو فى كاتدرائية مونريالى فى الجنوب الغربى من باليرمو .
- (٢٤) يصف دانتي بعض مظاهر المحسوم من حيث الشعور بالعطش .
- وفى التراث الإسلامى ما يشبه هذه الصورة من حيث شعور أهل النار بالجوع والعطش :
- الشعرانى : مختصر تذكرة القرطبى (السالف الذكر) . ص : ٧٧ .
- (٢٥) لم يسمع أدامو كلمات فرجيليو بجرىفولبى ، ولذلك نطق هكذا : *Inf. XXIX. 94.*
- (٢٦) أدامو دا بريشا (*Adamo da Brescia*) استخدمه آل جويدى لتزييف الفلورن عملة فلورنسا وأحرق فى ١٢٨١ .
- (٢٧) كازينتينو (*Casentino*) منطقة تلال خضراء فى حوض الأرنو الأعلى .
- (٢٨) يذكر هذا المعذب بالعطش المياه العذبة فى منطقة كازينتينو التى مارس فيها تزييفه ، وبذلك يزيد شعوره بالعطش .
- (٢٩) قلعة رومينا (*Romena*) فى كازينتينو وهى معقل آل جويدى .
- (٣٠) أى الفلورن عملة فلورنسا الذهبية الذى كان شائع الاستعمال فى أوروبا لمركز فلورنسا الاقتصادية . وكان يحمل أحد وجهيه صورة يوحنا المعمدان حامى المدينة ويحمل الوجه الآخر صورة الزنابق شعار المدينة .

(٣١) جويدو الثاني (Guido II.) ابن جويدو الأول كونت رومينا وإسكندر (Alessandro) أخو جويدو الثاني وأجيتولفو (Aghinolfo) أخوها . وهؤلاء هم آل جويدو الذين حملوا أدامو دا بريشا على تزييف عملة فلورنسا .

(٣٢) يرى بعض الباحثين أن المقصود هو نبع براندا (Branda) في سيينا ، ولكن يظهر أن الأغلب أن أدامو يشير إلى نبع آخر في رومينا .

(٣٣) يعنى أنه لم يكن يستطيع الحركة على الإطلاق .

(٣٤) حاول بعض الباحثين تحديد مساحة جحيم دانتي بناء على هذا التقدير ، ولكن دون جدوى .

(٣٥) يعنى هذه الجماعة من المزيغين .

(٣٦) الفلورين الذى صنعه أدامو كان يحتوى على ٢١ قيراطاً من الذهب وعلى ٣ قيراط من النحاس بدلا من ٢٤ قيراطاً من الذهب لكى يكون كشفه صعباً .

(٣٧) عند ما تبتل يد الإنسان في الشتاء القارس هناك يتصاعد منها البخار لأن الماء ترتفع درجة حرارته إلى درجة حرارة الجسم .

(٣٨) هذه جماعة مزيي الكلام الكاذبين .

(٣٩) أى عند موته منذ حوالى ١٩ سنة في ١٢٨١ .

(٤٠) هى زوجة فوطيفار المصرى (Putifarre) التى آهت يوسف الصديق باطلا بمحاولة اغتصابها في عهد الهكسوس في حوالى القرن ١٨ و ١٧ ق . م . : Gen. XXXIX. 6-23.

وتوجد رسوم بالموزايكو في إحدى قباب كنيسة سان ماركو في البندقية تسجل صورا من تاريخ يوسف ومنها قصته مع زوجة فوطيفار ، ويبدو فيها وهى تحاول أن تفرجه وكيف يهرب منها وقد ترك ثوبه في يدها وكيف تدعى عليه ما لم يفعله . وكذلك يوجد تحت يمثل يوسف يهدى من حال زوجة فوطيفار واضعاً يده على كتفها اليمنى وتبدو هى مطأطئة الرأس ، والنحت كائن على كرسي كبير الأساقفة ماسيمينيانو في رافنا ، وهو مصنوع من العاج .

وقد ألف ديلا رولو (حوالى ١٦٥٢ - ١٧٢٢) أوراتوريو عن يوسف في مصر ، وألف رايموندى (١٧٨٦ - ١٨٥٣) أوراتوريو عن فوطيفار ويوسف ويعقوب :

pollarolo, C. F. : Joseph in Aegypto, oratorio. Venezia, 1707.

Raimondi, P. : Putifar, Giuseppe, Giacobbe, oratorio.

(٤١) سينون (Sinon) هو الذى جعل الطرواديين يأسرونه ثم خدعهم فأدخلوا حصاناً خشبياً داخل أسوارهم ، وكان مملوفاً بالجنود المسلح ، الذين خرجوا في منتصف الليل وكانوا سبياً في سقوط طروادة ، وسبقت الإشارة إلى هذه الخدعة :

Inf. XXVI. 55.

Virg. Æn. II. 57-194.

Hom. Od. IV. 271; VIII. 492; XI. 523.

(٤٢) . سينون .

(٤٣) يعنى أن سينون ضرب بطن أدامو لأنه ذكر اسمه وخطيئته .

(٤٤) أى أجاب سينون أدامو .

(٤٥) وهكذا رد سينون عتف أدامو بما يماثله .

(٤٦) أى أن أدامو أخذ يعير سينون بخطيئته فى طرودة .

(٤٧) أى الذى خدع أهل طرودة .

(٤٨) أى سينون .

(٤٩) هناك مثل تسكانى يقول إن مريض الاستسقاء والمرأة الحبل يمنهما البطن المنتفخ

عن النظر .

(٥٠) مرآة ناريسس أى صفحة الماء . وناريسس (Narcissus) شاب جميل فى الميتولوجيا

القديمة وهو ابن نهر سيفيسوس فى بويتزيا والحورية ليريوپى ، وعشق نفسه بالنظر إلى صفحة الماء ، ومات وتحول إلى زهرة النرجس :
Ov. Met. III. 407...

والمقصود أن هذا المعذب كان شديد العطش ، حتى لم يكن يلزم الإلحاح عليه لكى يلحق

صفحة الماء .

(٥١) كاد فرجيليو أن يفضب على داتى ، وهو بهذا يستعته على السير .

(٥٢) هكذا يعرض داتى حالة التائم الذى يرى خطراً يوشك أن يصيبه فيرجو أن يكون

ما رآه مجرد حلم .

(٥٣) أى الاعتذار إلى فرجيليو .

(٥٤) أحس داتى بالحجل وأراد الاعتذار لفرجيليو ولكنه عجز عن الكلام وكان صمته

خير اعتذار . وهذا تصوير دقيق للموقف بين الشاعرين .

(٥٥) هكذا حاول فرجيليو أن يخفف عن داتى ما تولاه من شعور بالخطأ والحجل .

(٥٦) يعمل فرجيليو على أن يجنب داتى سماع مثل هذا السباب .

الأنشودة الحادية والثلاثون^(١)

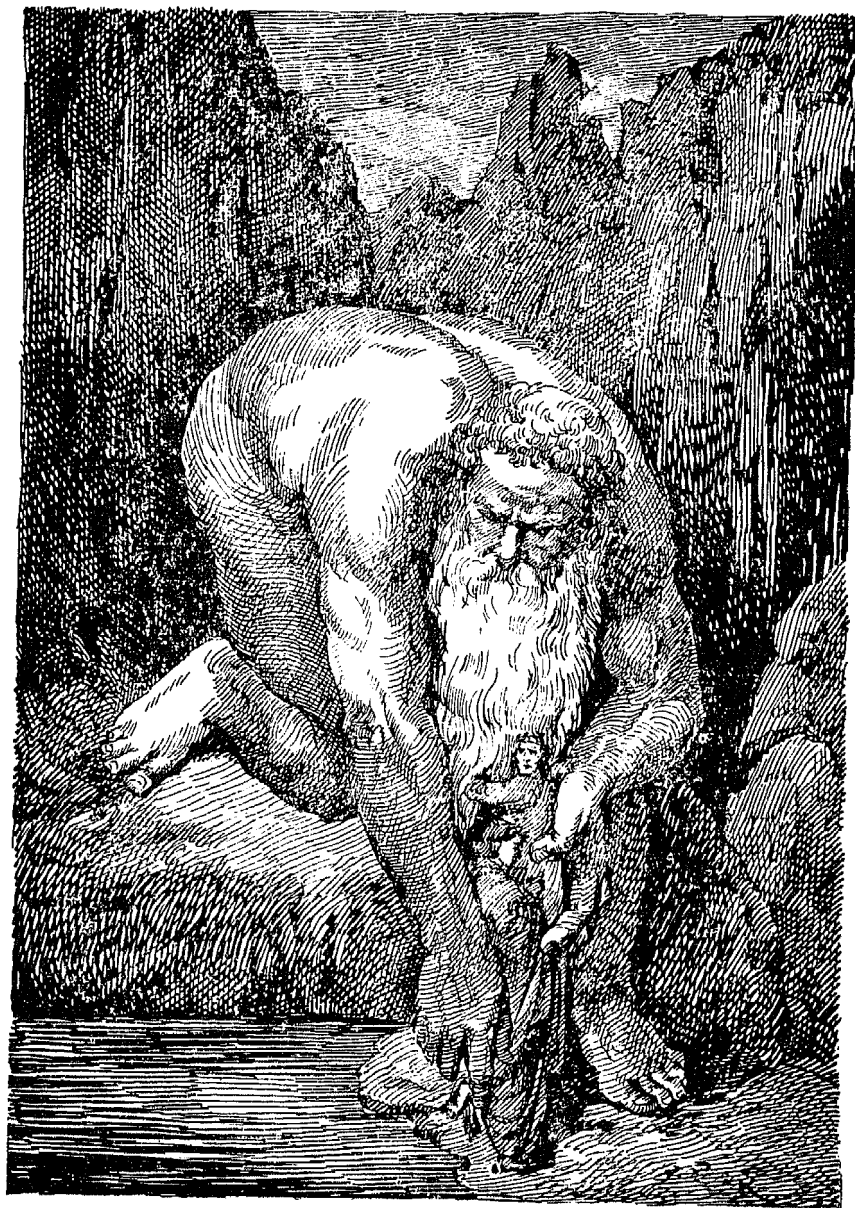
قارن دانتي بين ما لقيه من لسان فرجيليو من جرح ودواء وبين ما كان من رمح أخيل وأبيه من جرح وبلسم . وتقدم الشاعران قاصدين منطقة الحلقة التاسعة . كان الوقت بين الليل والنهار ، فلم تكن الرؤية واضحة ، وظن أنه رأى أبراجاً عالية ، ولكن فرجيليو أوضح له أن ما رآه ليس أبراجاً ولكن جماعة من المردة ، وقفوا حول شاطئ البئر . وتبين دانتي أجسامهم عند اقترابه منهم ، فزايله الخطأ ولكن زادت مخاوفه . رأى دانتي أحدهم وكان ذا حجم ضخم من الرأس إلى سرة البطن ، وقد أحسنت الطبيعة صنعاً عندما وقفت عن خلق مثل هذه الكائنات . كان ذلك نمرود ملك بابل ، الذى أخذ يصرخ بضمه المتوحش ويهذى بكلام غير مفهوم ، عند رؤية الشاعرين ، وعمل فرجيليو على إسكاته ، وأشار على دانتي بأن يدعه وشأنه لأنه لا جدوى فى التحدث إليه . ووصل الشاعران إلى إفيالتس المارد الذى ثار على جوپيتر ، وهو يعاقب هنا بتقييده بالأغلال . غضب إفيالتس عندما سمع فرجيليو يقول إن برياروس أقسى المردة وأشدهم وحشية ، فاهتز كزلزال عنيف ، وخشى دانتي الموت كما لم يخشاه أبداً . وصل الشاعران إلى المارد أنتيوس الذى لم يثر على الآلهة ، ولذلك فهو يتكلم بغير قيود . سأله فرجيليو أن يحملهما إلى الحلقة التاسعة ، لأن دانتي الذى ينتظر حياة طويلة سوف يكتسبه الشهرة فى الأرض . حملهما المارد بيديه ، وقد أصبحا كأنهما حزمة واحدة ، وبدا المارد لدانتي وهو ينحنى كبرج كاريزيندا ، ووضعهما برفقٍ فى حلقة يهوذا ، ثم ارتفع كساريةٍ فى سفينة .

- ١ هذا اللسان نفسه جرحني من قبل مرةً ، حتى علت حمرة الخجل كلا الخدين ، ثم قدّم لي الدواء (٢) :
- ٤ وهكذا سمعت أن رمح أخيل وأبيه اعتاد أن يكون مصدر الحزن أولاً ، وهبةً طيبةً بعد (٣) .
- ٧ أولينا ظهرينا للوادي البائس (٤) ، فوق الشاطئ الذي يحيط من حوله (٥) ، ونحن نعبه دون كلام .
- ١٠ كان الوقت هنا أقلّ من ليل وأدنى من نهار ، فامتدّ بصرى إلى الأمام قليلاً ؛ ولكنى سمعت بوقاً عالياً يدوى ،
- ١٣ حتى ليجعل كل رعدٍ بإذاته خافت الصوت ، وقد وجّهت كلتا عينيّ إلى موضعٍ واحدٍ ، وهما تبعان طريقه المقابل .
- ١٦ بعد الهزيمة الأليمة (٦) ، حينما فقد شارلمان جيشه المقدس (٧) ، لم ينفخ أورلاندو بمثل هذا العنف (٨) .
- ١٩ وما إن اتجهت برأسي هناك قليلاً ، حتى بدا لي أنى أرى أبراجاً كثيرةً عالية (٩) ، فقلت : « أستاذى ، خبرنى ، أية مدينةٍ هذه (١٠) ؟ » .
- ٢٢ فأجابنى : « لأنك تنظر خلال الظلمات من بُعدٍ شاسعٍ ، يحدث بعدُ أن تخطيء التصور (١١) ،
- ٢٥ وسترى جلياً ، إذا وصلت هناك ، كيف تُخدع الحواسّ من بعيدٍ ، ولذلك فسأستدفع نفسك إلى الأمام قليلاً (١٢) » .
- ٢٨ ثم أخذنى بيده بكلّ إعزاز ، وقال : « قبل أن نمضى فى سيرنا ، وحتى يبدو لك الأمر أقلّ غرابة (١٣) ،
- ٣١ اعلم أنها ليست أبراجاً ، ولكن مرده ، وهم جميعاً فى البئر حول الشاطئ ، من سرّة البطن إلى أسفل » .
- ٣٤ وكما يحدث عند ما ينشع الضباب ، فتبين العين قليلاً قليلاً ، ما يُخفيه البخار الذى يكثفه الهواء (١٤) ؛

- ٣٧ هكذا بينا كنا نخرق الهواء المظلم الكثيف ، ونحن نقرب رويداً رويداً من الشاطئ ، زايلى الخطأ وزاد عندى الخوف^(١٥) ؛
- ٤٠ فإنه كما فوق الحلقة الدائرية، تُتَوَجَّح مونتير يدجوني نفسها بالأبراج^(١٦) ، كذلك على الشاطئ الذى يحيط بالبر ،
- ٤٣ وقف ، كالأبراج بنصف أجسامهم، المردة المرعبون الذين لا يزال جويتر يهدد بهم من السماء ، حينما يُرعد^(١٧) .
- ٤٦ وكنت قد تبينت وجه أحدهم^(١٨) ، والكفتين والصدر وجزءاً كبيراً من البطن ، وعلى الجانبين تدلت كلتا الذراعين^(١٩) .
- ٤٩ وفى الحق أن الطبيعة حينما أفلتت عن فن^{٢٠} يصنع مثل هذه الكائنات، فعلت خيراً كثيراً ، كى تمنع عن مارس مقاتلين مثلهم^(٢٠) .
- ٥٢ وإذا هى لم تكن على القبلة والحيتان نادمةً ، فإن من ينظر بإمعان ، يجدها فى ذلك أعدل وأحكم^(٢١) ؛
- ٥٥ لأنه إذا انضمت أداة الفكر إلى إرادة الشر والقوة الغاشمة ، فلن يقوى البشر على مواجهتها^(٢٢) .
- ٥٨ بدا لى وجهه ضخماً طويلاً كصنوبر القديس بطرس فى روما^(٢٣) ، وتناسبت معه سائر عظامه^(٢٤) ؛
- ٦١ حتى إن الشاطئ الذى كان له مثيراً ، من وسطه إلى أسفل ، أظهر جزءاً كبيراً من أعلاه ، بحيث يبطل إدعاء ثلاثة
- ٦٤ فريزيين أنهم يبلغون شعره^(٢٥) ؛ لأنى رأيت منه ثلاثين شيراً كبيراً^(٢٦) ، من الموضع الذى يربط الإنسان عنده الثوب حتى أسفل^(٢٧) .
- ٦٧ « رافيل ماى أميخ زالى ألى^(٢٨) » ، هكذا بدأ يصرخ الفم المتوحش ، الذى لم يكن يليق به كلمات أعذب .
- ٧٠ فقال له دليلى : « أيتها الروح الحمقاء ، الزمى بوقك وكنفرتجى به عن نفسك ، عندما ينالك الغضب أو انفعال^{٢٩} غيره !

- ٧٣ تلمسى وقتك ، وستجدين الحبل الذى يقيدها ، أيتها النفس المضطربة ، وانظري إلى ما يطوق صدرك الضخم^(٣٠) .
- ٧٦ ثم قال لى : « إنه يتهم نفسه بنفسه ؛ هذا هو عمرو الذى كان فكره الخبيث سبباً فى ألا يتخذ العالم بعد لغة واحدة^(٣١) .
- ٧٩ فلأندعه وشأنه ، ولنكفّ عن التحدث بغير طائل ، لأن كل لغة عنده كلغته عند غيره ، لا يفهمها أحد^(٣٢) .
- ٨٢ وعندئذ سرنا شوطاً أبعد ، متجهين صوب اليسار ، وعلى مرى قوسٍ ، وجدنا الآخر أضخم كثيراً وأشدّ وحشية .
- ٨٥ من كان المعلم^(٣٣) الذى قيده ، لا أستطيع قولاً ، ولكنه كان مقيداً - وذراعه اليمنى إلى الخلف والأخرى إلى الأمام -
- ٨٨ بسلسلةٍ ربطته من الرقبة إلى أسفل ، حتى التفتت حول جزئه المكشوف إلى خامس دورة^(٣٤) .
- ٩١ قال دليلى : « أراد هذا المتخترس^(٣٥) ، أن يختبر قواه مع جوبيتر العظيم^(٣٦) ، وبذلك نال مثل هذا الجزاء .
- ٩٤ إن اسمه إفيالتس ، وقد قام بمحاولات جريئة ، حينما أخاف المردة الآلهة : والذراعان اللتان حركهما وقتئذ ، لا يحركهما بعد أبداً .
- ٩٧ فقلت له : « أرجو إن كان هذا أمراً مستطاعاً ، أن تنال عيناى خبرة بيرياروس الهائل^(٣٧) .
- ١٠٠ أجابنى عندئذ : « سرى قريباً من هنا أنتيوس^(٣٨) ، الذى يتكلم وهو طليق^(٣٩) ، وسيحملنا إلى أصل كل خطيئة .
- ١٠٣ إن من ترغبت فى رؤيته^(٤٠) بعيد كل البعد ومقيد ، وفى صورة هذا المارد ، سوى أن وجهه يبدو أكثر وحشية .
- ١٠٦ لم يحدث أبداً أن هز زلزال شديد العنف بربحاً يمثل هذه القوة ، كما كان إفيالتس سريعاً إلى هز نفسه^(٤١) .

- ١٠٩ خشيت الموت وقتئذٍ كما لم أخشه أبداً ، ولم يكن يلزم له سوى الخوف (٤٢) ، لولا أنى رأيت أغلاله .
- ١١٢ عندئذٍ تابعنا المسير إلى الأمام ، وبلغنا أنتيوس الذى ظهر منه خارج البئر ، فيما عدا الرأس ، خمس أذرعٍ كاملة (٤٣) .
- ١١٥ « أنت يا مَنْ أخذت ألف سبعٍ غنيمة في الوادى المحتوم (٤٤) ، ومَنْ أورث شيبليون المجد ، حينما ولّى
- ١١٨ هانيبال ظهره مع رجاله (٤٥) ، وإذا كنت اشتركت في حرب إخوتك الكبرى ، فيبدو أنه لا يزال هناك مَنْ يعتقد
- ١٢١ أن أبناء الأرض كانوا سيظفرون (٤٦) ؛ ضعنا أسفل ، حيث يجبس الزمهرير مياه كوتشيتوس (٤٧) ، ولا يأخذنك الحجبل من ذلك .
- ١٢٤ ولا تجعلنا نذهب إلى تيتوس (٤٨) ولا تيفون (٤٩) ؛ يستطيع هذا الرجل أن يعطى بعض ما يتمنى هنا ؛ ولذلك أحن قامتك ، ولا تلو شفتيك (٥٠) .
- ١٢٧ إنه لا يزال قادراً على أن يكسبك الشهرة في الأرض : لأنه يعيش ، ويتنظر بعد حياةٍ مديدة (٥١) ، إذا لم تستدعه رحمة الله إليها قبل الأوان (٥٢) . »
- ١٣٠ هكذا قال أستاذى ؛ فهدّ هذا بسرعة يديه ، اللتين كان هرقل قد أحس بضغظهما الشديد ، وأخذ دليل (٥٣) .
- ١٣٣ وحينما شعر فرجيليو أنه قد أخذ ، قال لى : « اقرب هنا ، حتى يمكننى أن أحملك » ، ثم جعل من نفسه ومنى حزمة واحدة (٥٤) .
- ١٣٦ وكما يبدو برج كاريزيندا (٥٥) عند النظر ، تحت الجانِب المائل ، حينما تمرّ فوقه سحابة هكذا ، فيميل في الاتجاه المقابل (٥٦) ؛
- ١٣٩ هكذا بدا لى أنتيوس ، حينما وقفت أرقبه لأراه منحنيّاً ، وكانت تلك لحظة وددت فيها لو اتخذت طريقاً آخر (٥٧) .
- ١٤٢ ولكنه وضعنا برفقٍ في الهاوية (٥٨) ، التى تلتهم لوتشيفيرو (٥٩) مع يهوذا (٦٠) ؛ ولم يبق هناك منحنيّاً هكذا ،
- ١٤٥ بل رفع نفسه كساريةٍ في سفينة (٦١) .



١١ - المارد أنتيوس

أنشودة ٣١ : ١٣٠ . . .

حواشى الأنشودة الحادية والثلاثين

- (١) هذه أنشودة المردة وهى مرحلة بين الحلقتين الثامنة والتاسعة .
 Inf. XXX. 131-132; 142-148. (٢) هذه إشارة إلى ما سبق :
- (٣) هذه إشارة إلى ربح بيليوس وابنه أخيل الذى كان يحرج ويشقى الجرح ، كما ورد فى
 Ov. Met. XIII. 171...; Tris. V. (II.) 15... لميتولوجيا اليونانية :
- (٤) أى الوادى العاشر فى الحلقة الثامنة ، وربما كان المقصود الحلقة الثامنة كلها .
 (٥) هذا هو الطريق بين الحلقتين الثامنة والتاسعة .
- (٦) أى موقعة رونسفال (Roncesvalles) فى جبال البرانس فى ٧٧٨ والتي قاتل فيها
 مؤخرة جيش شارلمان بقيادة أورلاندو قوة من العرب .
- (٧) أى القوات المسيحية التى كانت تقاتل العرب .
- (٨) عند ما وجد أورلاندو (Orlando) أن العرب أوشكوا على هزيمته نقح بمنف فى بوقه
 مستنجداً بشارلمان وكان على مسيرة ثمانية أميال من موضعه : Chanson de Roland : 1753...
 وقد وضع لولى (١٦٣٢ - ١٦٨٧) الحان أوبرا عن أورلاندو ، وكذلك فعل فيغالى
 (١٦٧٥ - ١٧٤١) وهيندل (١٦٨٥ - ١٧٥٩) :
- Lully, J. B. : Roland, opéra. Paris, 1685.
 Vivaldi, A. : Orlando Fruioso, opera. Venezia, 1727.
 Haendel, G.F. : Orlando, opera. London, 1732.
- (٩) ظن دانتى أنه ربما رأى أبراجاً ، ولكن ما رآه كان فى الحقيقة جماعة من المردة .
 وقد رسم جوييا (١٧٤٦ - ١٨٢٨) صورة المارد وهى إن كانت مستمدة من ظروف عصره ،
 إلا أنها تعبر عن ضلالة الكائنات والأحداث بإزائه كما ترسم ما يثيره من الرعب فى قلوب البشر
 والحيوانات ، وهى فى متحف برادو فى مدريد .
- (١٠) سبق أن رأى دانتى أبراجاً عالية فسأل فرجيليو عنها فأفاده بشأنها : Inf. VIII. 67...
 (١١) أى أن الظلام جعل دانتى يعتقد أن المردة أبراج عالية .
- (١٢) سبق مثل هذا التعبير : Inf. XXIX. 4-12.
 (١٣) هكذا حاول فرجيليو أن يزيل دهشة دانتى وبخاوفه .
 (١٤) هذه صورة دقيقة مستمدة من مشاهد الطبيعة وقت الضباب .
 (١٥) وضحت لدانتى الحقيقة وزايله الخطأ ولكن منظر المردة بعث فيه الخوف .
- (١٦) مونتر يدجونى (Montreggioni) قلعة فى وادى إلسا (Elsa) أقيمت فى ١٢١٣ للدفاع
 عن سينييا ، وكان يعلو أسوارها ١٤ برجاً .
- (١٧) سبقت الإشارة إلى هذا : Inf. XIV. 58.

(١٨) هو نمروذ (Nimrod) ملك بابل الذي أراد أن يصعد إلى السماء فبنى برجاً عالياً ،
وإبليل الله السنة الشعب .

ورسم بيتر و بروجل (حوالي ١٥٢٥-١٥٦٩) صورة لبرج بابل وهي في متحف تاريخ
الفن في فيينا.

(١٩) أى أنه وقف بغير عمل أو حركة .

(٢٠) يعنى أن الطبيعة حرمت مارس إله الحرب من هؤلاء المردة ، الذين لو وجدوا لكانوا
أداة طيبة في يده ولأحدثوا أضراراً بالغة بالبشر .

(٢١) هذا لأن الفيلة والحيتان مع ضخامة أجسامها تخلو من العقل ، وبذلك لا يمكنها
أن تلحق ضرراً كبيراً بالناس .

ويوجد رسم بالمولزايكو على الأرض لحيوان مكتوب فوقه أنه فيل ويتميز بناج الفيل ولكنه من
حيث الارتفاع والأرجل والحوافر يعد من البقر ، ويرجع إلى القرن ١٢ ، وهو في كاتدرائية
أووستا . وكذلك يوجد حفر يمثل الحوت ويرجع إلى القرن ١٣ وهو في كاتدرائية سيسا أوردونكا .

(٢٢) أى إن يكون للبشر قوة على مواجهة عدوان المردة .

(٢٣) هو تمثال لنبات الصنوبر مصنوع من البرونز ، ويقال إنه كان في البانتيون في روما
قديمًا ، وكان في عهد دانتى قائماً أمام كنيسة الفاتيكان القديمة ، وهو الآن في حديقة الفاتيكان
أمام سلم برامنت ، وطوله حوالي سبع أقدام ونصف .

(٢٤) وعلى هذا يصبح طول المارد من ٥٠ إلى ٦٠ قدماً .

(٢٥) نسبة إلى فريزيا (Frise) منطقة في هولندا اشتهر أهلها بطول القامة .

(٢٦) الشبر حوالي ٢٦ سم أى أن طول المارد من الرأس حتى السرة يبلغ حوالي ٧ أمتار .

(٢٧) أى من الرقبة إلى السرة .

(٢٨) (Rafel mai amech zabi almi) هذه الألفاظ لا يعرف معناها . ويرى بعض

الباحثين أنها ألفاظ محرفة عن العبرية وأنها يمكن أن تعنى : من أنتما ، ابتعدا عما أنتما فيه ! وقصد
دانتى أن يعطى مثلاً عن لغة نمروذ الذى تبليبل لسانه ولا يفهمه أحد . ويشبه هذا كلام پلوتس الغامض :
Inf. VII. 1...

(٢٩) يعنى أن كلماته مخترع مفهومة ، وأنه أولى به عند الغضب أن ينفخ في بوقه لا أن ينطق

بمثل هذه الألفاظ .

(٣٠) أى أن نمروذ من فرط اضطرابه لا يرى البوق المعلق في رقبته .

(٣١) وردت أخبار نمروذ في « الكتاب المقدس » : Gen. X. 8; XI. 1-9.

(٣٢) أى لا سبيل إلى التفاهم مع نمروذ ولا فائدة من التحدث إليه . وكان كلمات فوجيليو

السابقة إليه (٧٠ - ٧٥) كانت موجهة في الحقيقة إلى دانتى .

(٣٣) في الأصل الأستاذ أو المعلم والمقصود الله .

(٣٤) أى الجزء الظاهر من جسمه ، يعنى من الرقبة إلى السرة .

(٣٥) هو إفيالتس (Ephialtes) وهو ابن نپتون إله الماء فى الميتولوجيا القديمة :

Virg. Culex, 234.

(٣٦) ثار إفيالتس مع أخيه أوتس على الآلهة ولكن قتلهما أبولو .

(٣٧) برياروس (Briareus) أحد المردة الذين ثاروا على الآلهة :

Virg. Æn. VI. 287; Luc. Phars. IV. 596.

(٣٨) أنتيوس (Antaeus) وهو ابن بوسيدون والأرض ، لم يثر على الآلهة وقتله هرقل ،

ولذلك فهو يتكلم دون قيود وأغلال .

وتوجد صورة تمثل هرقل يرفع المارد أنتيوس ويسحق عظامه ، وهى من عمل أنتونيو دل بولا يولو (حوالى ١٤٣٢ - ١٤٩٨) وهى فى متحف الأوفيتزى فى فلورنسا .

(٣٩) يعنى أنه يتكلم لغة غير مفهومه وهو غير مقيد بالسلاسل .

(٤٠) أى برياروس .

(٤١) غضب إفيالتس واهتز بمنف عندما سمع من ثرجيليو أن هناك من يفوقه فى القسوة

والوحشية .

(٤٢) خاف دانتى حتى شعر أنه أوشك على الموت .

(٤٣) أى خرج منه خمس أذرع وهذا دليل على حجمه الهائل ، وشاطئ البئر هو الحد

الفاصل بين الحلقة الثامنة والتاسعة .

(٤٤) هو وادى باجرادا (Bagrada) بقرب زاما فى شمال أفريقيا . والمقصود بالوادى

المحتوم أنه وقعت به أحداث خطيرة . وكان هذا الوادى هو مقر أنتيوس . واستخدم دانتى هذا المعنى فى موضع سابق :

Inf. XXVIII. 8.

Luc. Phars. IV. 587...

(٤٥) انتصر شيبونى (Scipione) القائد الرومانى على هانيبال (Hannibal) ملك

قرطاجنة فى وادى باجرادا وتسمى معركة زاما فى ٢٠٢ ق . م . وبذلك انتهت الحرب البونوية الثانية وذكره دانتى فى مواضع أخرى من الكوميديا :

Purg. XXIX. 115-116; Par. VI. 53; XXVII. 61-62.

وقد ألف هيندل (١٦٨٥ - ١٧٥٩) ألحان أوبرا عن شيبونى :

Haendel, G.F. : Scipione, opera. London, 1726.

(٤٦) أى لو أن أنتيوس انضم إلى إخوته فى الثورة على الآلهة لكان من المحتمل أن ينتصر

المردة فى قوله .

(٤٧) كوتشيتوس (Cocytus) هذا هو نهاية نهر الجحيم الذى يتجمد فى الحلقة التاسعة

Inf. XIV. 119.

من الجحيم ، وهو مقتبس من ثرجيليو ، وسبقت الإشارة إليه :

Virg. Æn. VI. 132, 297, 323.

(٤٨) تيتوس (Tityos) أحد المردة الذين أعلنوا الحرب على جوبيتر ولكن قتله أبولو :

Virg. Æn. VI. 594. . ; Luc. Phars. IV. 595.

Hom. Od. II. 705-713.

(٤٩) تيفنون (Typhon) وحش وارد له مائة رأس ثار على جوبيتر فقتله بصاعقة :

Luc. Phars. IV. 595-596.

Virg. Æn. IX. 715-716.

Hom. Ill. II. 783.

(٥٠) يعنى لا يجوز للمارد أن يستصغر شأن دانتى .

وفى التراث الإسلامى صور للمردة و يبلغ طول الواحد منهم ٧٠ ذراعاً :

أبو إسحق بن إبراهيم الثعلبى : كتاب قصص الأنبياء المسمى بالمرائس . القاهرة ، ١٣٤٥ هـ .

ص : ٤١ و ٤٢ .

الهندي : كنز العمال (السابق الذكر) . ج : ٧ : ص : ٢١٢ : رقم : ٢٣٠١ .

ص : ٢٢٧ : رقم : ٢٦٦٨ .

(٥١) هذا هو ما يمكن أن يفعله دانتى له ، وهو لا يزال على قيد الحياة . وسبق مثل هذا

المعنى : Inf. VI. 89; XIII. 76; XV. 119; XVI. 82; XXVIII. 106.

(٥٢) يتدارك فرجيليو قوله الحياة المديدة ، وسبق أن حدد دانتى منتصف العمر :

Conv. IV. 23.

(٥٣) هذه صورة مأخوذة من لوكانوس :

Luc. Phars. IV. 617.

(٥٤) أى فرجيليو احتضن دانتى .

(٥٥) برج كاريزيندا (Carisenda) . أنشأ برج كاريزيندا فيليبو وأدو دى جاريزيندى

(Filippo & Oddo dei Garisendi) فى بولونيا فى ١١١٠ . ويبلغ ارتفاعه الآن حوالى ٤٧ متراً ،

ويميل بمقدار مترين وكسور لانخفاض الأرض .

(٥٦) يوازن دانتى بين البرج والمارد .

(٥٧) تولى دانتى الرعب عند ما انحنى أنتيوس المارد الضخم لكني يحملهما .

(٥٨) حملهما المارد بيديه ووضعهما يرفق فى الحلقة التاسعة .

(٥٩) لوتشيفيرو (Lucifero) ملك الجحيم .

(٦٠) يهوذا الإسخريوطى (Juidas) الذى خان المسيح . وسيأتى بعد :

Inf. XXXIV. 55-63.

(٦١) يوازن دانتى بين ارتفاع المارد وسارية السفينة .

(١١) الأنشودة الثانية والثلاثون

عندما وصل دانتى إلى الحلقة التاسعة وجد أنه قد استعصت عليه القوافى لوصف هذه الهوة البائسة ، واستنجد بربات الشعر لكى يساعده على القول . وكانت هذه منطقة دائرة قابيل حيث يعذب خونة الأهل والأقارب . قال دانتى إنه أولى بالآثمين أن يكونوا نعاجاً أو ماعزاً . وجد دانتى نفسه وإلى جانبه فرجيليو على سطح بحيرة متجمدة ، لم يكن مثلها الدانوب أو الدون في الشتاء . وبرز فوق الجليد رؤوس الخونة مثل الضفادع ، وبدا عليهم أمارات البؤس . رأى دانتى معدّبين انهمر الدمع من عيونهما وتحوّل إلى ثلج فاستحال عليهما النظر ، وكانا هما إسكندر وناپليون ابنا ألبرتو دى مانونيا وقد قتل أحدهما الآخر . ثم انتقل الشاعران إلى منطقة الأنتينورا حيث يعذب خونة الوطن والمبدأ السياسى ، واصطدم دانتى برأس أحد المعدّبين الذى ظنه رسول مونتاڤرتى آتياً للانتقام منه ، فتبادلا الكلام القاسى . وحاول دانتى أن يعرف شخص ذلك الآثم وجذبه من شعر رأسه ونزع بعضه ، ولكنه ظلّ يقاوم محاولة دانتى التعرف عليه . وصاح معدّب آخر ونادى ذلك الممتنع باسمه ، فعرف دانتى أنه بوكا دلى أباتى الذى خان قوات الجلف الفلورنسية فى معركة مونتاڤرتى . قال دانتى إنه سيحمل عنه فى الدنيا أنباءً صحيحة تجلب عليه العار ، فلم يعبأ بوكا بذلك وأشار إلى بووزو دا دوقيرا الذى خان الجبلين فى لمبارديا ، كما أشار إلى تيزاورو دى بيكيريا الذى خان الجلف فى فلورنسا . وشهد دانتى عن بُعد رأسى آثمين يخرجان معاً من ثغرة واحدة وسط الجليد ، وعندما اقترب منهما وجد أحدهما ينهش مؤخر رأس الآخر . حاول دانتى أن يعرف حقيقة الأمر من صاحب الرأس الأعلى واعدأ إياه بالتشهير بعدوّه فى الدنيا .

- ١ لو كانت لى قواف لاذعة^(٢) خشنه^(٢) ، تناسب الهوة البائسة ، التى ارتكزت فوقها سائر الصخور ،
- ٤ لوقيتُ التعبير عن عصاره فكرى ؛ ولكن ما دمتُ لا أملكها ، فلن أحمل نفسى على القول دون رهبة^(٣) ؛
- ٧ لأنه ليس مقصداً يؤخذ مأخذ اللهو ، أن يوصف مركز العالم كله^(٤) ، وليس هذا للسان يدعو أباه وأمه^(٥) ؛
- ١٠ ولكن فلنستاعدن شِعرى أولئك الربّات^(٦) ، اللاتى ساعدن أمفيون فى إغلاق طيبة^(٧) ، حتى لا يختلف القولُ عن الواقع .
- ١٢ يا مَنْ تجاوزتم أسوأ حثالة خلقت ، يا مَنْ هُم فى الموضع الذى يصعب الكلام عنه ، كان خيراً لكم أن تكونوا هنا نعاجاً أو معزاً^(٨) .
- ١٦ حينما صرنا فى قاع البئر المظلمة^(٩) ، تحت قدمى المارد^(١٠) ، بل أدنى منهما كثيراً ، وكنتُ أتطلع بعدُ إلى السور العالى^(١١) ،
- ١٩ سمعتُ مَنْ يقول : « انظر كيف تسير ؛ واحرص ألا تطأ بقدميك رأسى الأخوين البائسين المعذبين^(١٢) » .
- ٢٢ عندئذ استدرتُ ورأيتُ أمامى وتحت القدمين بحيرة^(١٣) ، كان لها من التجمد صورة الزجاج لا الماء^(١٣) .
- ٢٥ لم يصنع الدانوب فى النسا وقت الشتاء لجراه غطاءً بهذه الكثافة ، ولا الدون هناك تحت سماء الزمهرير ،
- ٢٨ كما كان هنا^(١٤) ؛ فإنه لو سقط عليه جبل تَمَسِيرِزِك^(١٥) أو پيترايانا^(١٦) ، لما أحدث حتى بحافته صريراً^(١٧) .
- ٣١ وكما يقف الضفدع للنقيق بنحيشومه خارج الماء ، حينما تحلم فتاة الريف كثيراً بالتقاط فضلات الحصاد^(١٨) ،
- ٣٤ كان الشبحان المعذبان مُنغمسين فى الثلج إلى الجزء الذى يبدو عليه الحجل^(١٩) ، وقد ازرق لونها ، وردداً بأسنانها صفير اللقلق^(٢٠) .

- ٣٧ كلاهما أبى وجهه مصوباً إلى أسفل^(٢١) : الزمهرير من الفم^(٢٢) ، وأسى القلب على العينين بدا واضحاً بينهما^(٢٣) .
- ٤٠ وحينما أجلتُ بصرى حوالى قليلاً^(٢٤) ، نظرت إلى موطىء قدىء ، فرأيتُ اثنين متلاصقين هكذا ، حتى اختلطت بينهما شعرُ الرأس .
- ٤٢ قلتُ : «خبرانى مَنْ أنما يا مَنْ تَضغطان صدرى كما على هذا النحو» ، فإلا بالعنقين إل الوراء ؛ ولما ارتفع وجهاهما نحوى ،
- ٤٦ تقطر الدمعُ على الخدود من عيونهما ، التى لم يمسهما البللُ من قبل إلا فى الداخِل ، فجمدهُ الزمهرير بينهما^(٢٥) ، وأعاد إغلاقها .
- ٤٩ لم يتقرنُ أبداً رباطٌ من حديدٍ قطعة خشبٍ بأخرى بمثل هذا العنف ؛ وهنا تناطحا معاً كعنزتين ، وقد غلبتهما شدة الغضب .
- ٥٢ وواحدٌ كان الزمهرير قد أفقده كلتا الأذنين ، قال لى وهو ما يزال مُطأطئ الرأس^(٢٦) : « لماذا تُطيل النظر إلينا ؟
- ٥٥ إذا أردت أن تعرف مَنْ هذان الاثنان ، فالوادى الذى تهبط منه مياه بيزنترىو^(٢٧) ، كان لهما ولأبيهما ألبرتو^(٢٨) .
- ٥٨ لقد خرجا من صلب واحد ؛ ويمكنك أن تبحث فى دائرة قابيل كلها^(٢٩) ، فلن تجد شيئاً أجدر منهما أن يستقرَّ فى الجحود^(٣٠) :
- ٦١ لا الذى حطَّم صدره وظله معه بضربةٍ من يد أرتو^(٣١) ؛ ولا فوكاتشا^(٣٢) ؛ ولا هذا الذى يعترضنى
- ٦٤ برأسه هكذا ، حتى لم أعد أرى إلى الأمام مزيداً ، وكان يُدعى ساسول ماسكيرونى^(٣٣) ؛ وإذا كنت تسكانياً ، فإنك تعرف الآن جيداً مَنْ كان .
- ٦٧ ولكيلا تحملى أكثر على الكلام ، اعلم أنى كنت كاميتشون دى پاتزى^(٣٤) ؛ وإنى أنتظر كارلينو ليظهر عُذرى^(٣٥) .
- ٧٠ بعدئذ رأيت ألف وجهٍ جعلها البرد مثل الكلاب^(٣٦) ؛ ومن ذلك يعرفونى الرعب ، وسيعرفونى دائماً من الغلران المتجمدة .

- ٧٣ وبينما كنا نسير نحو الوسط ، الذى يتجمع عنده كل ثقل^(٣٧) ، كنتُ أرتعد فى الزمهرير الأبدى ،
- ٧٦ وهل كان ذلك برغبتي أم بتصريف القدر أم بالمصادفة ، لست أدري ؛ ولكن عند مروري بين الرؤوس ، اصطدمت قدى عنيماً بوجه أحدهم^(٣٨) ،
- ٧٩ فصاح بي وهو يبكي^(٣٩) : « لماذا تطزني ؟ إذا كنت لم تأت لتزيد فى الانتقام لمونتأبرتي^(٤٠) ، فلم تعذبني ؟ » .
- ٨٢ قلتُ : « أستاذي ، انتظرنى هنا الآن ، حتى أخلص من شك فى أمره^(٤١) ؛ ولتحملنى بعدئذ على الإسراع كما ترغب » .
- ٨٥ وقف دليلي ، وقلت للذى استمر بعنف يلعن^(٤٢) : « مَنْ أنت يا مَنْ تسب سواك هكذا ؟ » .
- ٨٨ أجبني : « بل مَنْ أنت يا مَنْ تسير فى الأنتينورا^(٤٣) ضارباً وجوه الآخرين ، ولو كنت حيا لكان هذا أمراً إيداً » .
- ٩١ فكان ردتي : « إنني حيٌّ ، وإذا كنت تطلب الشهرة ، فقد يكون عزيزاً لديك ، أن أضع اسمك فى أبياتي الأخرى » .
- ٩٤ قال لي : « بي ظمأٌ إلى العكس^(٤٤) ؛ فارحل عني ولا تزدد فى تعذيبى ؛ إذ أنك لا تحسن الإغراء فى هذا المستنقع » .
- ٩٧ عندئذ أمسكتُ به من مؤخر رأسه وقلتُ : « سيكون حتماً أن تُفصح عن اسمك ، أو لن تبق لي شعرةٌ هنا فوق^(٤٥) » .
- ١٠٠ قال لي : « وإن نزعَت شعري كله ، فلن أخبرك مَنْ أنا ولن أدلك ، ولو هويت على رأسي ألف مرّة^(٤٦) » .
- ١٠٣ كان شعره فى يدي ملفوفاً ، وكنت قد نزعَت منه أكثر من خصلة ، على حين أطلق صرخاته وظل خفيض العينين ،
- ١٠٦ حينما صاح آخر^(٤٧) : « ماذا بك يا بوكا^(٤٨) ؟ ألا يكفيك أن تعزف بالفكين ، وهل ينبغي أن تنبح ؟ أى شيطان ركبك ؟ » .

- ١٠٩ قلتُ : « لا أريدك الآن أن تتكلم أيها الخائن الخبيث ، إذ سأحمل عنك أنباءً صحيحةً تجلب عليك العار » .
- ١١٢ أجاب : « اذهب عني وتحدث بما تريد ؛ ولكن إذا خرجت من هنا ، فلا تسكت عن ذلك الذي كان لسانه الآن مستعداً هكذا (٤٩) .
- ١١٥ إنه يندب هنا فضةً للفرنسيين (٥٠) ، ويمكنك القولُ إنني قد رأيت ذلك الدوقيرى (٥١) ، حيث يبقو الآثمون في جوٍ رطيب (٥٢) .
- ١١٨ وإذا سُئلتَ عمن كان هنا سواه (٥٣) ، فعندك قريباً منك ذلك الليكيري (٥٤) ، الذي ضربت فيورنترا عنقه .
- ١٢١ وأعتقد أن جانتى دى سولدا نيري (٥٥) في موضع أبعد ومعها جانيلوني (٥٦) ، وتيالدليو (٥٧) ، الذي فتح فايترتا وقد كانت نائمة » .
- ١٢٤ وكنا قد ابتعدنا عنه (٥٨) ، عندما رأيت اثنين متجمدين في ثغرةٍ واحدةٍ ، حتى كان رأس أحدهما (٥٩) قلنسوةً للآخر (٦٠) .
- ١٢٧ وكما يُلتهمُ الخبزُ من الجوع ، هكذا أنشب الأعلى أسنانه في الآخر ، حيث يلتقي الرأس يظهر العنق (٦١) :
- ١٣٠ لم ينهش تيديوس صدغى ميناليدوس (٦٢) وهو حنقٌ ، على غير ما فعل ذلك بالجمجمة وسائر الأجزاء (٦٣) :
- ١٣٣ قلتُ : « أنت يا من تبدي بمثل هذا العمل الوحشى الكراهية لمن تلتهمه ، اذكر لى السبب ، على شرط
- ١٣٦ أنك إذا كنت تشكو منه بحقٌ ، وعلمتُ من أنبا وعرفتُ خطيئته ، فسأعوضك بعدُ في العالم أعلى (٦٤) ،
- ١٣٩ إذا لم يحفّ هذا الذى أتكلم به (٦٥) » .

حواشى الأنشودة الثانية والثلاثين

- (١) هذه أنشودة خونة الأهل والوطن .
- (٢) بدا لدانتى وصف آخر الجحيم أمراً عسيراً .
- (٣) هكذا اعترف دانتى بمعجزه وعبر عن مخاوفه .
- (٤) اعتبر دانتى الأرض مركز العالم طبقاً لنظرية بطليموس الجغرافى ، وورد هذا المعنى فى « الوليمة » :
Conv. III. (V.) 7.
- (٥) أى لابد لهذا التعبير من لغة رجل مخنك صقلته التجارب .
- (٦) سبق أن استنجد دانتى بربات الشعر :
Inf. II. 7.
- (٧) أمفيون (Amphion) هو ابن زيوس وأنتيوني ، وجذبت أنعامه الأحجار من جبل سيرون وركبت بعضها بعضاً حتى أقيمت أسوار طيبة ، كما ورد فى الميتولوجيا اليونانية :
Hor. Ars Poet. 394-396.
- (٨) كان هؤلاء عند دانتى من البشر بل إن السائمات قد تفضلهم لأنها لا تعرف الحياة :
- (٩) هذه هى دائرة قابيل (Caina) حيث يعذب خونة الأهل والأقارب . وسبقت الإشارة إليها :
Inf. V. 107.
- (١٠) أى أن أنتيوس كان قد وضعهما بعيداً عنه بقدر المستطاع .
- (١١) تشبه هذه الصورة ما سبق :
- (١٢) هما ابنا ألبرتو دى مانونيا كما سيأتى بعد .
- (١٣) هذه مياه كوتشيتوس التى تجمدت بفعل الزمهرير .
- (١٤) يفوق تجمد كوتشيتوس تجمد مياه الداوب (Danube) فى النمسا والدون (Don) فى روسيا فى الزمهرير القاسى .
- (١٥) تمبرنك (Tambernic) جبل لم يتمكن الباحثون من تحديد موضعه وربما كان فى شرقى سلافونيا .
- (١٦) بيتراپيانا (Pietrapiana) قمة جبل يقع فى شمال غرب تسكانا .
- (١٧) يحدث صرير إذا سقط جسم ثقيل فوق سطح الثلج ، ولكن لم يحدث هنا صرير لصلابة الثلج .
- (١٨) أى فى أوائل الصيف .
- (١٩) أى الوجه .
- (٢٠) اللتلق (cicogna) طائر كبير يوجد فى أفريقيا وجنوب أوروبا . وذكره أوفيدىوس :
Ov. Met. VI. 97.
- ويوجد نحت يمثل اللتلق ويرجع إلى القرن ١٤ ، وهو فى كنيسة سان ماركو فى البندقية .
- (٢١) حاول الآثمان إخفاء وجهيهما عن الشاعرين حتى لا يكشف أمرهما .

- (٢٢) أى باصطككك أستانهما .
- (٢٣) أى بالدموع . وهذا تعبير دقيق عن العذاب والأسى .
- (٢٤) يعنى عند ما أخذ دانتى فكرة عامة عن الجليد الممتد أمامه .
- (٢٥) تجمد الدمع عند ملامسة الهواء القارس .
- (٢٦) أراد هذا المعذب أن يعرف دانتى بالمنطقة التى جاء إليها .
- (٢٧) يمر نهر بيزنزيو (Bisenzio) على مقربة من براتو ويصب فى الأرنو بقرب فلورنسا .
- (٢٨) هما إسكندر (Alessandro) ونابليون (Napoleone) ابنا الكونت ألبرتو دى مانونيا (Alberto di Manonga) والكونتيسة جولدرادا (Gualdrada) . وقتل إسكندر ونابليون أحدهما الآخر للخلاف على ممتلكات فى وادى نهر بيزنزيو بعد ١٢٨٢ .
- (٢٩) دائرة قابيل هى أول دائرة فى الحلقة التاسعة .
- ويوجد حفر يمثل مقتل هابيل على يد قابيل ويرجع إلى القرن ١٣ ، وهو فى كاتدرائية مودينا .
- (٣٠) يستخدم دانتى لفظ (Gelatina) والمقصود الثلج والحمد .
- (٣١) المقصود موردريد (Mordred) ابن الملك أرتو فى قصص المائدة المستديرة ، الذى أراد أن ينتصب العرش ، فقتله أرتو واخترق الرمح جسده ، وكان الجرح كبيراً مفتوحاً بحيث نفذت منه أشعة الشمس ، والمقصود أن الرمح اخترق الجسم ووصل إلى النزل وراءه :
- Malory, The Death of King Arthur, XX-XXI.
- ويوجد رسم بالموزايكو على الأرض ويرجع إلى القرن ١٢ يمثل الملك أرتو ، وهو فى كاتدرائية أوترنتو .
- (٣٢) فوكانشا دى كانثيليرى بيانكى دى بستويا (Focaccia dei Cancellieri Bianchi di Pistoia) أثار الشحنة بين أفراد أسرته وانقسموا بين حزبى البيض والسود وقتل منهم كثيرون .
- (٣٣) ساسول ماسكيرونى (Sassol Macheroni) مواطن فلورنسى قتل ابن عم له لكى يرثه وشاع أمر هذه الجريمة فى تسكانا .
- (٣٤) كاميتشون دى باتزى (Camicion de' Pazzi) من وادى الأرنو قتل أوبرتينو لاختلاف المصلحة بينهما .
- (٣٥) كان كاميتشون ينتظر كارلينو دى باتزى (Carlino dei Pazzi) الذى سيرتكب جريمة شنيعة عنده ما يسلم قلعة بيانترافينى إلى حزب السود فى نظير رشوه فى ١٣٠٢ ، وقد أدى إلى قتل كثيرين من البيض ثم باع القلعة للبيض . والمقصود أن ذنب كاميتشون سيكون أخف بالمقارنة بما سيرتكبه كارلينو .
- (٣٦) يعنى أن وجوه المعذبين قد ازرق لونها فى مثل لون أنوف الكلاب لشدة الزمهرير .
- (٣٧) أى مركز الأرض .
- (٣٨) لا يدري دانتى كيف اصطدم وهو يسير برأس أحد المعذبين .

(٣٩) هذا هو شبح بوكا دلى أباتى .

(٤٠) معركة مونتأپرتى (Montaperti) انتصر فيها الجبلين على الحلف الفلورنسيين على مقرية من سينتا في ١٢٦٠ . وقد سبقت الإشارة إلى اللماة التى أريققت فيها :
Inf. X. 85.

(٤١) أى تولاه الشك بشأن كلام بوكا دلى أباتى .

(٤٢) كان يصب اللعنات على دائتى لأنه صدم رأسه بقمحه .

(٤٣) الأنتينورا (Antenora) هى الدائرة الثانية فى الحلقة التاسعة . وتنسب إلى أنتينور أمير طروادة وأخى الملك بريام والذى امتاز بالفصاحة والحكمة . ويقال إنه عرض تسليم هيلانة إلى الإغريق حقناً للسماء . ونشأت حوله قصة تقول إنه خان بلاده بتسليم بالاديوم إلى الأعداء . ويقال إنه انتقل إلى إيطاليا وأنشأ مدينة بادوا . ويعذب فى دائرة الأنتينورا خوثة الوطن أو الحزب السياسى :
Virg. Æn. I. 242...
Hom. Ill. III. 148...

(٤٤) أى أنه كان يطلب النسيان ، وهذه هى رغبة الخوثة الذين كانوا يحشون سروه السمعة فى الدنيا ، وإن وجدت استثناءات لهذه الرغبة .

(٤٥) هكذا عامل دائتى بوكا دلى أباتى بعنف وقسوة .

(٤٦) كان بوكا حريصاً إلى هذا الحد على عدم الإفصاح عن شخصه .

(٤٧) هو بوزو دا دوفيرا (Buoso da Dovera) الذى سيطر زمناً طويلاً مع أوبرتو بالاقيشينو على كريمونا (Cremona) ثم طرد منها فى ١٢٦٧ ولم يفلح فى العودة إليها . وهو موضوع هنا لأنه خان حزب الجبلين عند ما تلقى من مانفريد مالا لكى يعد جنوداً فى لمبارديا لمواجهة جيش شارل دانجو ولكنه حفظ المال لنفسه ، ثم أخذ مالا من الفرنسيين وركبهم يعمرون دون مقاومة .

(٤٨) بوكا دلى أباتى (Bocca degli Abati) مواطن فلورنسى من حزب الحلف خان حزبه وقطع يد حامل العلم الفلورنسى ، وكان ذلك من عوامل هزيمة فلورنسا الجلفية على يد الجبلين فى موقعة مونتأپرتى فى ١٢٦٠ .

(٤٩) أى بوزو دا دوفيرا .

(٥٠) يعنى الرشوة التى أخذها من الفلورنسيين .

(٥١) هو بوزو دا دوفيرا .

(٥٢) أى يلقون عذابهم فى الثلج . وهذه سخرية دائتى بهؤلاء المعذبين .

(٥٣) أى عن غيره من المعذبين .

(٥٤) تيزارودى بيكيريا (Tesauro de' Beccheria) مواطن من پاڤيا وأصبح مندوب اليايا إسكندر الرابع فى فلورنسا واتهمه الحلف الفلورنسيين بالتآمر عليهم يعد طرد الجبلين من فلورنسا فى ١٢٥٨ فقطع رأسه .

(٥٥) جاتى دى سولدانييرى (Gianni de' Soldanieri) فلورنسى جبلىي خان حزبه وأصبح من زعماء الحلف وتنى فى ١٢٥٨ .

(٥٦) جانيلوني (Ganelone) من شخصيات المائدة المستديرة ، وقد ساعد العرب خفية وحال بالخدمة دون إنقاذ مؤخرة جيش شارلمان بقيادة أورلاندو ، كما سبق : Inf. XXXI. 16. Ch. de Roland, 3750-56.

(٥٧) تيبالدو تزامبرازي (Tebaldello Zambrasi) مواطن من فاينترا (Faenza) فتح أسوار المدينة أمام قوات الحلف البولونية لكي ينتقم من الجبلين في ١٢٨٠ .

(٥٨) يقصد بوكا دلي أباتي .

(٥٩) صاحب الرأس الأعلى هو الكونت أوجولينو دلا جيراردسكا .

(٦٠) أي الأسقف رودجيري دلي أوبالديني .

(٦١) أي أن أوجولينو المتعطر للانتقام نهش بأسنانه الأسقف رودجيري في مؤخر رأسه .

(٦٢) يروي استاتزيويس أن ميناليبوس (Menalippus) الطيرى جرح في الحرب ضد

طية تيديوس (Tydeus) جرحاً مميتاً ، ومع ذلك فقد استطاع تيديوس أن يقتله وهو جريح ، وسأل أصحابه أن يحملوا إليه رأس ميناليبوس فنهشها وقد سادته الغضب والكراهية :

Stat. Theb. VIII. 140...

(٦٣) أي لحم الرأس والمخ . وهذا دليل على بشاعة ذلك العمل الوحشي .

وتوجد صورة للكونت أوجولينو وهو ينهش رأس الأسقف رودجيري وترجع إلى القرن ١٤ ، وهي في

كنيسة سان جورجو في كامپوكيزي بقرب ألبينا الواقعة على خليج جنوا .

(٦٤) أثار هذا العمل أئوسشي داتشي فحاول أن يعرف سببه ، وقال إنه إذا وقف على حقيقة

الأمر فيسعضه في الدنيا بإشاعة ذكر الجريمة فيها .

(٦٥) أي إذا لم يحف لسانه ، يعني إذا لم يمتم .

الأنشودة الثالثة والثلاثون^(١)

رفع أوجولينو فمه عن رأس غريمه رودجيري عندما أدرك أن دانتى سوف يُشهر بعدوه في الأرض ، وأخبره عن شخصيهما وشرح له الدافع إلى قيامه بهذا العمل الوحشى . قال إنه وقع أسيراً في يد عدوه بسبب الغدر ، وإنه وُضع وأولاده في برج الجوع في پيزا ، وعرف الوقت فيه بأشعة القمر ، وإنه نام فرأى حلماً بغيضاً بدا فيه رودجيري قائداً لحملة صيد فوق جبل سان جوليانو . وقال إنه عندما استيقظ من نومه سمع أولاده يبكون في نومهم ويطلبون الخبز ، وسمع صوت إغلاق باب البرج في أسفل ، فنظر إلى أولاده دون كلام . وفي اليوم التالى تبين ما يعانيه أولاده ، فعضّ كلتا يديه في حركة عصبية ، فظنوا أنه فعل ذلك بسبب الجوع ، فنهضوا وسألوه أن يأكل لحمهم ! وظل أوجولينو يكتّم مشاعره في صدره حتى لا يزيد في بؤس أبنائه الأبرياء . وفي اليوم الرابع سأله جادو العون ثم سقط ميتاً، وتلاه بقية الأبناء. وبموتهم تحرر أوجولينو من قيد الأبوة الرهيب ، وسقط فوق أبنائه وأخذ يتلمسهم وهو أعمى، وظل يناديهم بأسمائهم يومين كاملين ، حتى فعل به الجوع ما لم يفعله الألم . رأى دانتى أوجولينو يعود إلى نهش رأس رودجيري الخائن، فأخذته الغضب ، وصبّ لعنته على پيزا وشعبها وتمنى هلاكه غرقاً في نهر الأرنو . وسار الشاعران فوق الثلج في منطقة بطليموس حيث يعذب خونة الأصدقاء والضيوف ، الذين استحال عليهم البكاء لتجمد الدموع في مآقيهم ، وتهبط هنا أرواح الخونة قبل موت أجسادهم في الأرض . رأى دانتى بين هؤلاء ألبريجو دى مانفريدى وبرانكا دوريا الجنوى . وكان دانتى قاسياً على ألبريجو حينما أخلف وعده ولم يُزل عن عينيه الثلج ، ثم صبّ لعناته على شعب جنوا .

- ١ رفع الفم^(٢١) عن الطعام الخبيث ذلك الآثم ، وهو يمسحه في شعر الرأس الذي أفسد مؤخره نهشاً^(٢٢) .
- ٤ ثم بدأ : « إنك تريد أن أجدد الألم اليأس ، الذي يهصر قلبي مجرد التفكير فيه من قبل أن أتكلم عنه^(٢٣) .
- ٧ ولكن إذا كانت كلماتي بذوراً تُثمر سوء السمعة للخائن الذي أنهشه ، فإنك سترى الكلام^(٢٤) والبكاء معاً^(٢٥) .
- ١٠ أنا لا أعرف مَنْ أنت ، ولا بأية طريقة أتيت هنا في أسفل^(٢٦) ، ولكنك تبدو لي في الحقيقة فلورنسياً ، حينما أسمعك^(٢٧) .
- ١٣ فلتعلم أني كنت الكونت أوجولينو^(٢٨) ، وهذا هو الأسقف رودجيري^(٢٩) : وسأخبرك الآن لِمَ أنا له مثل هذا الجار^(٣٠) .
- ١٦ ليس ضرورياً أن أقول^(٣١) إنه بتأثير أفكاره الخبيثة ، إذ وضعتُ نقتي فيه^(٣٢) ، وقعتُ أسيراً وقتلتُ بعدُ .
- ١٩ ولكنك ستسمع ما لا يمكن أن تكون سمعته^(٣٣) ، أعني كيف كان موتي وحشياً ، وستعرف ما إذا كان قد عدّني^(٣٤) .
- ٢٢ إن فتحةً ضيقةً^(٣٥) في القفص الذي يسمّى من أجلى برج الجوع^(٣٦) ، وعلى آخرين أن يجسوا فيه بعدُ^(٣٧) ،
- ٢٥ قد أظهرتُ لي من خلال منفذها أقماراً كثيرة^(٣٨) ، حينما نمتُ النوم البغيض^(٣٩) ، الذي هتك لي حجاب المستقبل^(٤٠) .
- ٢٨ وفي الحلم بدا لي هذا^(٤١) رئيساً وقائداً ، في صيد الذئب وجرائه^(٤٢) فوق الجبل^(٤٣) ، الذي لا يستطيع أهل پيزا أن يروا لوكتا خلاله^(٤٤) .
- ٣١ ومع كلاب ضامرة متحفزة مدربة^(٤٥) ، وضع أمامه في المقدمة آل جوالاندى وآل سسموندى وآل لانفرانكي^(٤٦) .
- ٣٤ وبعد شوط قصير بدا لي الأب والأبناء متعبين^(٤٧) ، وظهر لي أني رأيتُ الأنياب الحادة قد مزقت جوانبها^(٤٨) .

- ٣٧ وحينما استيقظتُ قبيل الفجر سمعتُ أولادى^(٣٩١) ، الذين كانوا معى ،
يبكون فى نومهم ويطلبون الخبز^(٣٠) .
- ٤٠ إنك لشديد القسوة ، إذا كنتَ لم تتألم بعدُ وأنتَ تفكر فىما وضَحَ لقلبى ؛
وإذا كنتَ لهذا لا تبكى ، ففيم اعتدتَ البكاء^(٣١) ؟
- ٤٣ وكانوا قد استيقظوا واقربتُ الساعة التى اعتاد أن يقدم لنا فيها الطعام ،
وكان كلُّ منا فى شكٍّ من رؤياه^(٣٢) ؛
- ٤٦ وسمعتُ إغلاقَ بابِ البرج الرهيب فى أسفل^(٣٣) ؛ وعندئذٍ نظرتُ إلى وجوه
أبنائى دون أن أنطق بكلمة^(٣٤) .
- ٤٩ ولم أبك بل تحجَّرتُ هكذا فى باطنى^(٣٥) ؛ وبكوا هم^(٣٦) ؛ وقال صغيرى
أنسلموتشو^(٣٧) : ”أبتاه ، إنك تنظر هكذا ، ماذا بك^(٣٨) ؟“ .
- ٥٢ ولكنى لم أبك ولم أجبُ ذلكَ النهار كله ولا الليل التالى ، حتى بزغتُ على
الدنيا الشمس الجديدة^(٣٩) .
- ٥٥ وحينما تسلل شعاعٌ قليلٌ إلى السجن الأليم ، وتبينتُ فى وجوهٍ أربعةٍ صورتى
ذاتها منعكسة^(٤٠) ،
- ٥٨ عضضتُ كلتا اليدين من الألم^(٤١) ؛ وفى ظنهم أنى فعلتُ ذلكَ رغبةً فى
الطعام ، نهضوا فجأة^(٤٢) ،
- ٦١ وقالوا : ”أبتاه ! سيخفّ ألبنا كثيراً إذا طعمتَ منا : أنتَ كسوتنا هذا
اللحم البائس ، فاخلعه عنا^(٤٣)“ .
- ٦٤ عندئذٍ هدأتُ نفسى كيلا أجعلهم أشدَّ حزناً^(٤٤) ؛ وخرسنا جميعاً ذلكَ
اليوم وما يليه^(٤٥) ؛ أوَاه أيتها الأرض الصلدة ليمَ نَمَ تنشقى^(٤٦) ؟
- ٦٧ وحينما جئنا لليوم الرابع^(٤٧) ، رى جادٌ و^(٤٨) نفسه عند قدمى قائلاً : ”أبتاه
لمَ لا تساعدنى^(٤٩) ؟“ .
- ٧٠ وهناك مات ؛ وكما أنتَ ترانى^(٥٠) ، رأيتُ الثلاثة يسقطون واحداً واحداً^(٥١) ،
بين اليوم الخامس والسادس ؛ وحينئذٍ أخذتُ ،

- ٧٣ وقد صرتُ أعمى^(٥٢) ، أزحف فوق كلِّ واحد منهم^(٥٣) ، وناديتهم مدّة يومين ، بعد أن أصبحوا موتى^(٥٤) : ثم كان الجوع أقدر من الألم^(٥٥) .
- ٧٦ وحينما قال هذا ، وبعينين منحرفتين ، أمسك الجمجمة البائسة ثانياً بأسنانه ، التي كانت على العظم قويّةً ، كأسنان الكلب^(٥٦) .
- ٧٩ أوّاه منك يا بيزا ، يا وصمة^(٥٧) في جبين شعب البلد الجميل^(٥٨) ، حيث تصدح اللغة الحلوة^(٥٩) ، ما دام جيرانك مُتباطئين في عقابك^(٦٠) ،
- ٨٢ فلتتحرك كإبرايا^(٦١) وجورجونيا^(٦٢) ، ولتصنعا سداً في الأرنو عند المصبّ^(٦٣) ، حتى يغرق فيك كلُّ إنسانٍ حتى^(٦٤) !
- ٨٥ لأنه إذا اشتهر الكونت أوجولينو بأنه خدعك في شأن القلاع^(٦٥) ، فما كان ينبغي أن تضعي أبنائه في مثل هذا العذاب^(٦٦) .
- ٨٨ لقد جعلتهم حدّاة السن أبرياء يا طيبة الحديدية^(٦٧) : أوجوتشوني^(٦٨) وبريجاتا^(٦٩) ، والاثنتين الآخرين^(٧٠) اللذين تذكّرهما أنشودتي من قبل .
- ٩١ ومضينا إلى الأمام ، حيث أطبق الجليد على قومٍ غيرهم ، لم يتجهوا إلى أسفل ولكن انقلبوا كلهم^(٧١) .
- ٩٤ بكاؤهم نفسه لم يدعُ للبكاء هناك سيلاً ، والألم الذي يجد عائناً في عيونهم ، يرتدّ إلى الداخل ليزيدهم تعديباً^(٧٢) ؛
- ٩٧ إذ أن أولى دموعهم تصنعُ عقدةً ، تملأ بحجر العينين كله ، كقناعٍ من البلور تحت الحاجب .
- ١٠٠ ومع أن كلَّ حسٍّ في وجهي قد توقف بفعل الزمهرير ، كما يحدث من نبرة القدم ،
- ١٠٣ بدا لي أني أشعر ببعض الريح : ولذا قلتُ : «أستاذي ، هذه ، منّ ذا يُحرّكها ؟ ألا يتلاشى كل بخارٍ هنا في أسفل^(٧٣) ؟ » .
- ١٠٦ قال لي : « ستصبح سريعاً في موضعٍ تُعطيك فيه عينك جواباً هذا ، حينما ترى المصدر الذي يصبّ الريح^(٧٤) » .

- ١٠٩ وصاح بنا واحدٌ من بؤساء القشرة الباردة : « أيهاتان النفسان الشديدتا القسوة ، حتى لقد أعطيتما آخر موضع^(٧٥) ،
- ١١٢ ارفعا عن وجهي النَّسَبَ الصلبة^(٧٦) ، لكي أفرِّج قليلاً عن الألم الذي يملأ قلبي ، قبل أن يعود دمعي إلى التجمد^(٧٧) .
- ١١٥ قلتُ له : « إذا أردتَ أن أعاونك فخبِرني مَنْ أنت ، وإذا لم أخلصك فلأذهبُ إلى قاع الجليد^(٧٨) . »
- ١١٨ أجاب عندئذ : « أنا الراهب ألبريجو^(٧٩) ، أنا صاحب الفاكهة من الحديقة الخبيثة^(٨٠) ، الذي أخذ هنا البلح بدل التين^(٨١) . »
- ١٢١ قلتُ له : « أوَاه ! أنت الآن ميتٌ هنا^(٨٢) ؟ » . قال لي : « كيف يبق جسمي أعلى فوق الأرض ، ليس لي علم بذلك^(٨٣) . »
- ١٢٤ ولنطقة بطليموس مثل هذه الميزة^(٨٤) ، ففي مراتٍ كثيرةٍ تهبط الروحُ هنا ، قبل أن يدفعها أتروپوس^(٨٥) .
- ١٢٧ ولكي تكون أكثر رغبةً في أن تُزِيل عن وجهي الدموع المتجمدة ، اعلم أن الروح حينها ترتكب الخديعة ،
- ١٣٠ كما فعلتُ أنا ، ينزع شيطانٌ منها الجسدَ ، ويتحكَّم فيه بعدُ ، حتى ينقضي كل زمانه^(٨٦) .
- ١٣٣ وهوى هي إلى مثل هذه الهاوية ، وربما لا يزال يبلو في أعلى جسم الشبح الذي يتجمد من ورأى هاهنا .
- ١٣٦ ولا بدّ أن تعرفه إذا جئتَ الآن فحسبُ إلى أسفل : إنه السيد برانكا دوريا^(٨٧) ، وقد مضتْ سنواتٌ كثيرةٌ منذ أنُ حبس هكذا .
- ١٣٩ قلتُ له : « أعتقد أنك تخدعني ؛ لأن برانكا دوريا لم يمِت بعدُ^(٨٨) ، وهو يأكل ويشرب وينام ويرتدى الثياب^(٨٩) . »
- ١٤٢ قال : « هناك أعلى في خندق ماليرانكي^(٩٠) ، حيث يغلي القطران الكثيف ، لم يكن ميكيل زانكي^(٩١) قد وصل بعدُ ،

- ١٤٥ حينما ترك هذا الرجل بدلاً منه شيطاناً في جسده وفي جسد أحد أقاربه ،
الذى ارتكب وإياه الغدر^(٩٢) .
- ١٤٨ ولكن امدد يدك إلىّ هنا الآن وافتح عينيّ « ؛ فلم أفتحهما له ، وكان
من الكياسة أن أكون قاسياً معه^(٩٣) .
- ١٥١ آه لكم يا أهل جنوا ! أيها الرجال الغرباء عن كلّ فضيلةٍ ، والحاقلون
بكلّ رذيلةٍ ، لماذا لم تزولوا من الدنيا ؟
- ١٥٤ فإنّي قد وجدتُ واحداً منكم^(٩٤) مع أنخبث روحٍ في رومانيا^(٩٥) ، وهو
لسوء فعله يغطس الآن بروحه في كوتشيتوس ،
- ١٥٧ ولا يزال يبدو في أعلى حياً بجسمه^(٩٦) .

حواشي الأنشودة الثالثة والثلاثين

- (١) هذه أنشودة خونة الوطن والأصدقاء ، وتسمى أنشودة الكونت أوجولينو .
- (٢) يبدأ النص الإيطالي بالقلم المفترس وكان القم أهم ما في الرأس عند دانتي .
- (٣) يدل هذا على الدم الذي غطى فم صاحب الرأس الأعلى - أوجولينو - ولم يشأ دانتي أن يذكره الآن ، وترك للقارئ أن يتصور هذا المنظر الرهيب .
- (٤) يعبر هذا القول عن الألم العنيف الذي يهصر القلب . ويشبه هذا قول فرجيليو :
Virg. Æn. II. 3.
- (٥) ومع أن الكلام عن مأساته يزيد ألماً فإنه سيتكلم ويبيكى في وقت واحد ، ما دام الكلام يثير سوء السمعة لعدوه . ويشبه هذا بكاء فرنسيسكا مع الكلام ، ومع الفارق بين الموقفين :
Inf. V. 126.
- (٦) لا يعنى أوجولينو أن يعرف شخص هذا الزائر المجهول ويكفيه أن يعرف أنه مواطن فلورنسى .
- (٧) عرف أوجولينو أن دانتي مواطن فلورنسى من طريقة كلامه ، وكذلك عرف فاريناتا من قبل :
Inf. X. 25.
- (٨) الكونت أوجولينو دلا جيراردسكا . (Ugolino della Gherardesca) عاش في القرن ١٢ ، ويرجع إلى أسرة لمباردية نبيلة كانت لها السيطرة على بعض القلاع في سهل بيزا . وتزوج وأنجب عدة أولاد ، وآلت إليه بعض أملاك في سردينيا ، وتزوج أحد أبنائه حفيدة الإمبراطور فردريك الثاني وبذلك أصبح أوجولينو جدياً . وكان أوجولينو من زعماء الجبلين وخاض معمران السياسة وأصبح صاحب نفوذ كبير في بيزا ، ورأى من مصلحته أن يتحول إلى قضية الجلف ، وحاول أن ينقل بيزا من سياسة الجبلين إلى سياسة الجلف . وأدرك الجبلين هذه المحاولة وحدث قتال مسلح بين الجبلين ، وعاونت فلورنسا وغيرها من المدن الجلفية في تسكانا أوجولينو في قتاله ضد الجبلين ، وبذلك نجح في استرجاع سيطرته ومكائنه ، وأصبح صاحب السلطة العليا في بيزا ، وقاد أسطولها ضد جنوا . ولكن بيزا هزمت في موقعة ميلوريا (Meloria) في ١٢٨٤ ، وأدت هذه الهزيمة إلى قيام التفاهم بين فلورنسا وجنوا ولو كما على حساب بيزا . وحاول أوجولينو أن يتخذ بيزا من الخطر الذي يهددها ، وعمل على تفريق أعدائه - وهم أعوانه منذ قليل - مع ترصيتهم في وقت واحد ، فلمهم بعض القلاع وأظهر استعداده للتحويل نهائياً إلى حزب الجلف ، وهكذا أبعد الخطر مؤقتاً عن بيزا ، وأقام فيها حكماً دكتاتورياً في ١٢٨٦ . ولكن الجبلين لم يسكتوا عن ذلك ، ونهضوا لاستعادة نفوذهم بقيادة الأسقف رودجيرى دلي أوبالديني . ونجح الجبلين في تحية أوجولينو عن سلطته في ١٢٨٨ ، وأسروه غدراً مع اثنين من أبنائه واثنين من حفده - واعتبرهم دانتي جميعاً بمثابة أبنائه - وحبسهم في بيزا حيث ماتوا جوعاً . ووضع دانتي أوجولينو في منطقة الخوذة لأنه كان من زعماء الجبلين ومع ذلك فقد صادق الجلف وأبى استعداده لتحويل بيزا إلى جانبهم ، وقد عاونه الجلف فترة من الزمن ثم انقلبوا عليه .

وكانت المصلحة هي الدافع على هذا التذبذب السياسي .

(٩) الأسقف رودجيري دلي أوبالديني (Ruggieri degli Ubaldini) هو قريب الكردينال أوتافيانودلي أوبالديني (Inf. X. 120.) وعاش في أثناء القرن ١٣ . دخل سلك الكهنوت وقضى شبابه في يولوثيا ، واستدعاه الجبلين لكي يشغل منصب أسقف راثنا ، ولكن قامت منافسة بينه وبين مرشح الحلف وانتهى الأمر بإبعاد المرشحين المتنافسين معاً . وأصبح أسقف بيزا في ١٢٧٨ وناصر قضية الجبلين ، وإن كان قد أظهر أنه صديق للحلف والجبلين على السواء . وقاد حركة الجبلين ضد أوجولينو وأصبح حاكم بيزا فترة قصيرة بعد سقوط أوجولينو . وقد أثار عداوة الأسقف رودجيري للحلف غضب البابا نيقولا الرابع عليه ، ولم ينقذه منه سوى موت البابا نفسه . ومات رودجيري في ثيربو في ١٢٩٥ . وخيانة رودجيري عند دانتى هي اتفاقه مع زعماء الجبلين في بيزا ضد الحلف ، وغدره بأوجولينو وحبه وموته مع ابنه وحفيديه .

(١٠) بعد أن عرف أوجولينو أن دانتى مواطن فلورنسى وبعد أن ذكر له أوجولينو اسمه واسم غيره أبدى رغبته في أن يجيزه عن جلية الأمر وسبب ذلك الانتقام الوحشي . ولا يحمل لفظ الجار الذي نطق به أوجولينو معنى الصداقة والصفاء والسلام ولكنه يحمل معنى السخرية المريرة .

(١١) عرفت كل تسكانا هذه المؤامرة ولذلك لا يخفى خبرها على دانتى الفلورنسى .

(١٢) عند ما انتصر الجبلين على الحلف وطردوهم من بيزا في يونيو ١٢٨٨ كان رودجيري وغيره من زعماء الجبلين قد طلبوا الاجتماع بأوجولينو للوصول معه إلى اتفاق ، فوثق بهم وذهب للقائم وجرت المحادثات بين الجانبين في صباح أول يوليو ، واتفق على أن تستمر بعد ظهر اليوم ذاته ، ولكن الجبلين نكثوا بالعهد وأسرُوا أوجولينو ومن معه .

(١٣) يعني أنه هناك تفصيلات رهيبية لم يسجلها التاريخ ، وكان على دانتى أن يستوحى بقته الصورة التي أفلتت من سجل التاريخ .

(١٤) عبر أوجولينو وأولا بكلمات قلائل عن العذاب الذي لقيه في السجن هو وأولاده .

(١٥) وقع أوجولينو في الأسر مع ولديه جادو (Gaddo) وأوجوتشوني (Ugucione) ومع حفيديه نينو (Nino) الملقب باسم بريجاتا (Brigata) وأنسلموتشو (Anselmuccio) في يوليو ١٢٨٨ ، وحبسوا أكثر من ٢٠ يوماً ثم نقلوا إلى برج جوالاندي في بيزا وبقوا فيه حتى ماتوا جوعاً في مايو ١٢٨٩ . وكانت هذه الفتحة الضيقة هي المنفذ الوحيد في البرج المظلم .

(١٦) برج جوالاندي (Gualandi) في بيزا سمي برج الجوع بعد موت أوجولينو وأولاده فيه جوعاً . واستخدم البرج كسجن حتى ١٣١٨ ، واستخدمته حكومة بيزا أحياناً كمكان لتفريخ النور ، ثم أصبح برج الكومون . وأقيم في مكانه قصر الساعة في بيزا .

(١٧) أي أن أوجولينو كان يفكر في غيره من الناس الذين سينالهم الغدر والحياة فيحبسوا في ذلك البرج .

(١٨) أي أنه رأى عدة دورات للقمر ، ويدل هذا على أنه قضى عدة شهور في ذلك البرج .

(١٩) النوم البغيض الذي اكتشفه الغدر والسجن والعذاب والشك في المستقبل والأمل في

الخلاص .

(٢٠) أي أنه رأى حليماً أوضح له المصير المحتوم .

- (٢١) يقصد الأسقف رودجيرى .
- (٢٢) يمثل الذئب وجراؤه أوجولينو وأولاده .
- (٢٣) هو جبل سان جوليانو (San Giuliano) ائذى يقع بين أملاك پيزا ولوكا .
- (٢٤) يحجب الجبل لوكا عن عين أهل پيزا .
- (٢٥) يقصد شعب پيزا الذى اشترك فى مهاجمة أوجولينو .
- (٢٦) أسرجوالاندى (I Gualandi) وسسموندى (I Sismondi) ولانفرانكى (I Lanfranchi) هي أسرجيلينية فى پيزا حرضها رودجيرى على مهاجمة أوجولينو .
- (٢٧) أى الذئب وجراؤه كناية عن أوجولينو وأولاده .
- (٢٨) يعبر بهذا عما سيلحق أوجولينو وأولاده .
- (٢٩) يقصد ولديه وحفيديه .
- (٣٠) هكذا تعذب أوجولينو وهو يرقب أبناءه فى نومهم ويسمع تأوهاتهم .
- (٣١) لم يلاحظ أوجولينو تأثر دانتى بما سمعه فأخذ يؤذبه ويسخر به ، وإن كان ذلك لا يعنى أن دانتى لم يتأثر فعلاً .
- (٣٢) أى أن الأبناء قد رأوا حلماً مشابها لما رآه أوجولينو ، واستيقظوا جميعاً وقد تولاهم الشك والقلق والهواجس .
- (٣٣) أمر الأسقف رودجيرى بإغلاق باب البرج وإلقاء مفاتيحه فى نهر الأرنو ، وكان معنى ذلك الموت للسجناء .
- (٣٤) تفرس أوجولينو فى وجوه أبنائه وحاول أن يعرف الأثر الذى أحدثه فى نفوسهم سماع صوت الباب المغلق ، ولم ينطق بكلمة حتى لا يجعل أبنائه يحسون بالخطر .
- (٣٥) حيس أوجولينو دمه وتحول إلى حجر حتى لا يشعر الأبناء بالخطر المحقق .
- (٣٦) أى أن الأولاد يكروا أما جولينو فلم يستطع حتى البكاء .
- (٣٧) فى هذه الكلمات حنو الأب على أبنائه .
- (٣٨) جزع الابن من هذه النظرة التى لم يفهمها وحاول أن يعرف سببها .
- (٣٩) تألم أوجولينو ولكنه كتم ألمه ولم يتكلم حتى لا يزيد فى ألم أبنائه .
- (٤٠) كان قد ظهر أثر السجن والجوع على الجميع ، وعندما لاح بصيص من نور رأى أوجولينو فى وجوه أبنائه من الشحوب والهزال والألم ما أصابه هو .
- (٤١) عض أوجولينو يديه من فرط الألم ، وكانت تلك حركة عصبية صدرت عنه على الرغم منه .
- (٤٢) نهض الأربعة جميعاً لأنهم ارتاعوا عند ما ظنوا أن أباهم يأكل يديه جوعاً .
- (٤٣) عرض الأولاد على أبيهم أن يأكلهم لأن لحمهم منه . وهذا عرض الأطفال السنج الذين يريدون أن يضحوا بأنفسهم فى سبيل أبيهم .
- (٤٤) أى وقف عن عض يديه بأسنانه حرصاً على شعور أبنائه .
- (٤٥) عادوا جميعاً إلى الصمت مرة أخرى .
- (٤٦) يشبه هذا قول فرجيليو :
- (٤٧) اليوم الرابع منذ إغلاق باب البرج .

- (٤٨) جادو بن أوجولينو ، كان فى الحقيقة شاباً حصل على لقب كونت ، ولكن دانتي اعتبره والابن الآخر والحفيدين أطفالاً لى يصبح الموقف أكثر تأثيراً .
- (٤٩) اعتقد الابن أن أباه يستطيع أن يساعده .
- (٥٠) أى أن الأمر حقيقى كروية دانتي لأوجولينو .
- (٥١) الثلاثة الباقون هم أوجوتشوف وبريجاتا (نينو) وأنسلموتشو .
- (٥٢) فقد أوجولينو بصره من الجوع والحزن .
- (٥٣) أخذ أوجولينو يتلمس الأبناء وهو فى شدة الحزن والملح . ويشبه هذا قول أوثيديوس :
Ov. Met. V. 274.
- (٥٤) هذا تعبير عن منتهى الحزن والألم .
- (٥٥) أى قتله الجوع ولم يقتله الألم ، ولعله كان يود أن يعيش على الألم لى يذكر أبنائه دوماً .

- وعلى باب الجحيم الذى صنعه رودان (١٨٤٠ - ١٩١٧) والمشار إليه فى أنشودة ٣ حاشية ٥ يوجد حفر بارز يمثل أوجولينو وأبنائه .
- (٥٦) عاد أوجولينو إلى عمله الانتقامى السابق .
- (٥٧) لم يقاطع دانتي حديث أوجولينو ، وظل منصتاً إليه كل الإنصات ، وعند ما انتهى أوجولينو من كلامه عبر عن شعوره بهذه اللعنات التى صبها على أهل بيضا ، وهو يعبر بذلك عن كراهية لرأى العام الفلورنسى لبيزا الجبيلية .
- (٥٨) البلد الجميل يعنى إيطاليا .
- (٥٩) أى اللغة التسكانية (الإيطالية) .
- (٦٠) يقصد أهل فلورنسا ولوكا .
- (٦١) جزيرة كاپرايا (Capraia) فى جنوبى غرب ليفورنو وكانت تابعة لبيزا .
- (٦٢) جزيرة جورجونيا (Gorgona) فى شمالى غرب جزيرة إلبا وكانت تابعة لبيزا .
- (٦٣) يخترق نهر الأرنو مدينة بيضا قبل مصبه بقليل ، فإذا ما سدت الجزيرتان مصب النهر طفت المياه وأغرقت كل سكان بيضا .
- ويوجد نحت يمثل ميناء بيضا ، ويرجع إلى ١٢٩٠ ، وهو فى متحف القصر الأبيض فى جنوا .
- (٦٤) هذا هو الجزء الذى يستحقه أهل بيضا عند دانتي من أجل الجريمة التى ارتكبتها الجبيلين .
- (٦٥) كان أوجولينو قد سلم بعض القلاع - التى لا تعرف على وجه التحديد - إلى فلورنسا ولوكا عند اتحاد الجلف على بيضا ، وبذلك ألقاها من الخطر ولم يكن فى هذا خيانة لبيزا ، ولكن أعداء أوجولينو صوروا الأمر على ذلك النحو .
- (٦٦) لم يكن هناك ما يدعو إلى موت الأبناء الأبرياء .

- (٦٧) يشبه دانتي بيضا بطيبة (Thebes) عاصمة بويتزيا فى اليونان ، أسسها كادموس وهى موطن ميلاد باخوس ، كما تقول الأساطير ، وقتلت بعض أبنائها الأبرياء . وسبقت الإشارة إليها :
Inf. XIV. 69; XXV. 15; XXX. 22; XXXII. 11.

- (٦٨) أوجوتشوف بن أوجولينو .
- (٦٩) بريجاتا (نينو) حفيد أوجولينو وابن الكونت جلفو .
- (٧٠) أى جادو بن أوجولينو وأنسلموتشو حفيده .
- رسم دانتي فى شخصية أوجولينو دلا جيران دسكا العنف والقسوة والكراهية والانتقام الوحشى

جزاء ما لقيه من غدر وخيانة وعذاب وموت ، وصور فيه الصمت والسكون والصبر واليأس والصراخ . والبكاء والنواح على الأبناء المعذبين الصرعى ، مع مشاعر الأبوة البارة الرحيمة التى تنفطر أسى وحرناً على مصير الأبناء الأبرياء . أخى أوجولينو عذابه وكم أفنسه حتى لا يزيد فى عذاب أبنائه الذين كانوا يستقون صرعى بين يديه . وعندما مات الأبناء تحلل أوجولينو من قيد الأبوة الرهيب ، وصبرت نفسه المعذبة عن آلامها الهائلة ، وكان ذلك تعبير نفس مصهورة فى حالة هذيان وأسى لا يوصف . ولم يكن ذلك التعبير صوتاً محدداً أو كلاماً واضحاً ولكنه كان صراخاً وعواء ونواحاً رهيباً مفاجئاً . وفقد أوجولينو بصرد من فرط الجوع والأسى ، وسقط فوق أبنائه وأخذ ينوح عليهم ويناديهم بأسمائهم العزيزة واحداً واحداً ، ثم سقط صريعاً وفعل به الجوع ما لم يفعله الألم . إن أوجولينو إنسان حى غاضب منتقم جبار ومع ذلك فهو أب بار عطوف . وروح المساة عند أوجولينو هى روح المساة فى حياة دانتي . وإننا نجد فى شخصية أوجولينو تلك النظرة الأخيرة لدانتي المنفى المشرذ نحو وطنه وأعزائه . وهنا نجد ذلك المزيج من المشاعر الإنسانية التى قد لا تعبر عنها الكلمات : غضب الرجل الذى تعرض لأهواء السياسة ، وعذاب الأب الذى تفرقت أسرته ، والرغبة فى الانتقام لما لقيه على أيدى أعدائه . هكذا أفضح دانتي عن بعض خفايا النفس البشرية ، وخلق هذه الشخصية التى تدب الحياة فى أوصالها ، وتتجاوزها مشاعر إنسانية متفاوتة ، وتتنفس وتعبر بصدق وبساطة عما جاش بين جوانحها . وبذلك ضرب معولاً فى تقاليد العصور الوسطى ووضع بعض أسس العصر الحديث .

وسياتى فى قائمة المراجع أسماء بعض الموسيقيين الذين استلهموا هذا المشهد فى وضع ألحانهم .

(٧١) أى دخلا منطقة بظليروس حيث تغمر أجسام خوفاً الأصدقاء والضيوف فى الجليد

تظهر وجوههم مرتفعة إلى أعلى .

(٧٢) البكاء يمنهم من الاستمرار فى البكاء لأن الدموع تتجمد فى عيونهم وبذلك حرموا

نعمة البكاء والتنفيس عن آلامهم .

(٧٣) أى كيف يتحرك الهواء فى هذه المنطقة ما دامت لا تظهر الشمس وتندم الحرارة

والأبخرة .

(٧٤) مصدر الريح هو لوتشيفيرو الذى يحرك أجنحته فيرسل الريح حيث دانتي وثرجيليو :

Inf. XXXIV. 48-52.

(٧٥) ظن هذا الممذب أن دانتي وثرجيليو معذبان يذهبان إلى منطقة يهودا فى أسفل الجحيم .

(٧٦) أى الدموع المتجمدة .

(٧٧) يريد أن يفرج عن نفسه ولكن هيهات .

(٧٨) لأن يذهب دانتي للبقاء فى أسفل الجحيم لأنه إنسان حى ، ولكنه ترك ذلك الممذب

يمتقه هذا ، وفى ذلك سخرية وتهكم من جانب دانتي .

(٧٩) ألبريجو دى مانفريدى (Alberigo dei Manfredi) أحد زعماء الجلف فى فاينزا فى

النصف الثانى من القرن ١٣ . تظاهر أنه سيعقد الصلح مع بعض أقرابه ودعاهم إلى وليمة ، وعندما

أوشك ضيوفه على نهاية الطعام هاجمهم رجاله وقتلهم في ١٢٨٥ ، وأصبح تعبير « فاكهة الأب أبريجو » دليلاً على الخيانة والعدو .

(٨٠) الحديقة الخبيثة يعنى العدو والخيانة .

(٨١) يعنى أنه يعاقب هنا الآن على هذا النحو .

(٨٢) كان دانتى يعرف أن أبريجو لم يكن قد مات بعد في أبريل ١٢٠٠ تاريخ هذه الرحلة ومع هذا فقد أظهر دهشته لملاقاته هنا .

(٨٣) أراد أن يزيل شك دانتى بسرعة وهو لا يدرى شيئاً عن جسده في الدنيا . ويأخذ دانتى بعض المعتقدات الشائعة التي كانت تقول بأن الروح قد تفارق الجسد إلى الجحيم قبل موت الإنسان .

(٨٤) دائرة بطليموس (Ptolomea) هي المنطقة الثالثة في هذه الحلقة . وفي الغالب اشتق اسمها من اسم بطليموس حاكم سهل أريحا (Jericho) الذي دعا سمان المكابي وأبناءه إلى وليمة ثم قتلهم في ١٣٥ ق . م . وورد هذا في « الكتاب المقدس » : Mac. ١, XVI. 11-17.

(٨٥) أتروپوس (Atropos) يعنى القدر انذى يفصل الروح عن الجسد كما ورد في Hesiod, Theog. 901...
Ov. Met. VIII. 452...

ورسم جويبا (١٧٤٦ - ١٨٢٨) صورة لآلهة القدر وبها أتروپوس إلى يسار الصورة وفي يده مقص يقطع به خيط حياة طفل ، والصورة في متحف برادو في مدريد .

(٨٦) أى أن الإنسان عند ما يرتكب الخيانة يفقد صفته الإنسانية ويتسلط عليه شيطان يقلب حياته رأساً على عقب .

(٨٧) برانكا دوريا (Branca D'Oria) مواطن جنوى جيلينى دعا حماه ميكيل زانكى إلى وليمة ثم قتله غدرأ في ١٢٩٠ .

(٨٨) عاش برانكا دوريا سنوات طويلة بعد ١٣٠٠ واشترك في الحرب التي شنها ملك أراجون ضد بيزا في ١٣٠٧ ونفى من سردينيا في ١٣٢٥ .

(٨٩) يعبر دانتى بذلك عن الأعمال الجسدية التي كان يقوم بها برانكا دوريا وقد ماتت روحه وإن لم يمض جسده بعد .

(٩٠) أى حراس الوادى الخامس في الحلقة الثامنة كما سبق :

Inf. XXI. 37; XXII-100; XXIII. 23.

(٩١) ميكيل زانكى (Michel Zanke) هو حمو برانكا دوريا .

(٩٢) أى حل شيطان في جسده وفي جسد قريبه .

(٩٣) هكذا أخلف دانتى وعده لهذا الآثم لأنه يستحق هذا بل أكثر منه .

(٩٤) أى برانكا دوريا .

(٩٥) أى أبريجو دى مانفريدى .

(٩٦) يعنى في الدنيا .

الأنشودة الرابعة والثلاثون^(١)

رأى دانتي عن بُعد هيكلاً يشبه طاحونةً يحركها الريح وسط الضباب الكثيف ، وكانت هذه دائرة يهوذا حيث يعذب الخائنون إلى من أحسنوا إليهم . اعتصم دانتي وراء دليله وقد اعتراه الخوف ، وشهد المعذبين في أوضاع مختلفة ، وظهروا وكأنهم أعواد قشٍّ وضعت في زجاج شفاف . أشار فرجيليو إلى لوتشيفيرو — إبليس — وسأل دانتي أن يتدرّع برباطة الجأش . زاد خوف دانتي حتى لم يعد حياً ولا ميتاً ، حينما رأى لوتشيفيرو بمجمه الهائل . وكان له ثلاثة وجوه ، الأمامي منها أحمر اللون والأيمن أبيض والأيسر أسود ، وكان له تحت كل وجه جناحان هائلان أضخم من أشعة البحر ، وجمد لوتشيفيرو وبحركة أجنحته مياه كوتشيتوس وحوّلها إلى ثلج . ومضغ بأفواهه الثلاثة يهوذا وبروتس وكاسياس الذين ارتكبوا الخيانة . هبط فرجيليو فوق جسم لوتشيفيرو مستعيناً بشعره كأنها درجات السلم ، وتعلق دانتي بعنقه ، وخرج الشعاعان من ثغرة في صخرة . بدا لدانتي أن فرجيليو قد تحول من المهبوط إلى الصعود عندما رأى ساق لوتشيفيرو قد اتجهتا إلى أعلى . تساءل دانتي أين ذهب الثلج ، وكيف انقلب لوتشيفيرو رأساً على عقب ، وكيف سارت الشمس من المساء إلى الصباح في وقت قصير . وفسر فرجيليو لدانتي ما غمض عليه ، وأوضح له أنهما اجتازا مركز الأرض وانتقلا من نصف الكرة الأعلى إلى نصفها الأدنى الذي تغطى بالماء عندما هبط لوتشيفيرو من السماء إلى الأرض ، وانتقل أغلب اليابس إلى النصف الأعلى ، وأصبح جزء منه جبل المطهر في النصف الأدنى ، وصعد الشعاعان في كهف طويل ، وخرجا إلى الفضاء حيث شهدا النجوم تتألق في كبد السماء .

- ١ قال أستاذي : « إن ألوية^(٢) ملك الجحيم^(٣) تتقدم نحونا^(٤) ، فانظر إلى الأمام إذا كنت تبيته . »
- ٤ وكما إذا انتشر ضبابٌ كثيفٌ ، أو حينما يخيم الليل على نصف كرتنا^(٥) ، فتبدو على البعد طاحونةٌ تُديرها الرياح ،
- ٧ بدا لي عندئذ أني أرى مثل هذا البناء ؛ فاحتميتُ وراء دليلي خشية الرياح ، إذ لم يكن هناك من معصمٍ سواه .
- ١٠ وكنتُ قد بلغتُ موضعاً ، يعتريني الخوف إذ أصوغه شعراً ، حيث كانت مغطاة كل الأشباح^(٦) ، وشفّت كقش في زجاج^(٧) .
- ١٣ بعضٌ استلقى^(٨) ، وانتصب آخرون قياماً ، هذا على رأسه^(٩) وذاك على عقبه^(١٠) ؛ ومال آخر بوجهه نحو ساقبه كالقوس^(١١) .
- ١٦ ولما تقدمنا إلى الأمام كثيراً حتى راو. لأستاذي أن يريني الكائن الذي كان يزينه الوجه الجميل^(١٢) ،
- ١٩ تراجع من أمامي ، واستوقفني قائلاً : « ها هو ذا ديس^(١٣) ، وانظر الموضع الذي يجب أن تتسلح فيه بقوة البأس . »
- ٢٢ لا تسلى أيها القارئ ، كيف أصبحتُ عندئذ خائر القوى مقروراً ؛ فلن أكتب ذلك ، لأن كل قولٍ سيكون قاصراً عنه^(١٤) .
- ٢٥ لم أمت ولم أبق جياً ، وفكرت لنفسك الآن ، إذا كنت ذا حصاةٍ من الحجى ، كيف أصبحتُ محروماً من هذا وذاك^(١٥) .
- ٢٨ لقد خرج بنصف صدره من الثلج إمبراطور العالم الأليم ، وإني بالنسبة إلى طول ماردٍ لأقربُ
- ٣١ من المردة إلى حجيم ذراعيه : فانظر الآن كم ينبغي أن يكون ذلك الكل الذي يناسب مثل هذه الأجزاء^(١٦) !
- ٣٤ ولئن كان ذات يومٍ فائق الجمال كما هو قبيح الآن ، ورفع عينيه على خالقه^(١٧) ، فهو جدبيرٌ أن يصدُر عنه كل حزن .

- ٣٧ آه ، كم بدا لي من عجب العجب ، حينما رأيتُ لرأسه ثلاثة وجوه (١٨) !
كان أحمر اللون ذلك الأمامي منها (١٩) ؛
- ٤٠ والآخران كانا وجهين ، اتصالاً به على وسط كلتا الكتفين ، واتحدت
جميعاً في مكان اليافوخ :
٤٣ وبين البياض والصفرة بدا الأيمن (٢٠) ، وكان الأيسر حين تراه مثل أولئك
الذين يأتون من هنالك ، حيث تنحدر مياه النيل (٢١) .
- ٤٦ ومن تحت كلٍّ منهما خرج جناحان كبيران ، كما يُناسب مثل ذلك
الطائر : ولم أر أبداً أشرةً بجرٍ مثلها .
- ٤٩ لم تكن ذات أرياشٍ ، بل كانت في صورة جناحي الخفاش ، وأخذ يحركها
حتى خفقتُ عنه ثلاث رياحٍ (٢٢) :
- ٥٢ وبذا تجمد سائر كوتشيتوس . وبكى هو بستٍ أعينٍ ، فتقاطر على
أذقانه الثلاثة الدمعُ والرغوةُ الدامية .
- ٥٥ وفي كلِّ فم مضغ بأسنانه أحد الآئمين ، على طريقة دواليب الكتان ،
حتى جعل ثلاثةً منهم يتألمون على ذلك النحو .
- ٥٨ وللذي في الأمام لم يكن العضُّ شيئاً يُذكر إلى إنشابه المخالب ، إذ
بقيتُ فقاره عاريةً كليها من الجلد أحياناً (٢٣) .
- ٦١ قال أستاذي : « تلك النفس التي تلتقي هناك عالياً أشد العذاب ،
هي يهوذا الإسخريوطي (٢٤) ، الذي رأسه في الداخل ويحمل ساقه إلى
الخارج (٢٥) .
- ٦٤ ومن الاثنين الآخرين اللذين يوجد رأساهما إلى أسفل ، بروتس هو ذلك
الذي يتدلّى من الوجه الأسود (٢٦) ؛ انظر كيف التوى ولا ينطق حرفاً !
- ٦٧ والآخر هو كاسيوس (٢٧) ، الذي يبدو هكذا غليظ الأعضاء . ولكن
الليل يعلو (٢٨) ؛ وعلينا الآن أن نرحل ، فقد رأينا كلَّ شيء .
- ٧٠ وكما طاب له احتضنتُ عنقه ؛ واختار هو المكان والزمان الملائم ؛ ولمّا
امتدت الأجنحة بعيداً ،



١٢ - لوتشيفير و - إبليس - ومغاب الجليل

- ٧٣ علق نفسه بالجوانب الشعراء : ثم من شعرةٍ لأخرى نزل إلى أسفل (٢٩) ،
بين الشعر الملبّد والقشر المتجمّد .
- ٧٦ ولما وصلنا إلى موضعٍ ينحني فيه الفخذ عند ضيخم الرّدف ، اتجه دليلي
برأسه في صعوبةٍ
- ٧٩ وجهد ، حيث كانت هناك ساقاه ، وتشبّث بالشعر كرجلي يذهب
صُعداً (٣٠) حتى ظننت أننا نعود ثانيةً إلى الجحيم (٣١) .
- ٨٢ قال أستاذي وهو يلهث كإنسان متعب : « تعلق جيداً ، لأن علينا أن
نرحل بمثل هذه الدرجات عن شرورٍ كثيرةٍ (٣٢) » .
- ٨٥ ثم خرج من ثغرةٍ في صخرةٍ ووضعني على حافها لكي أجلس ، وتقدّم
بعد نحوى بخطى المتثد .
- ٨٨ رفعت عينيّ ، وظننت أني أرى لوتشيفيرو كما كنت قد تركته ؛ ورأيت
قد جعل ساقيه إلى أعلى ؛
- ٩١ وإذا كنت قد أصبحت عندئذٍ مبلبل الخاطر (٣٣) ، هكذا فليفكر الدهماء
الذين لا يرون ، كيف كان ذلك الموضع الذي عبرته (٣٤) .
- ٩٤ قال أستاذي : « قم » ، وانفض على قدميك : إن الطريقَ طويلٌ والسيرُ
وعرٌّ ، وقد توسطت الشمسُ دورة الصباح (٣٥) .
- ٩٧ لم تكن ردهة قصرٍ هناك حيث كنا ، بل كهفٌ طبيعيٌّ ، ذو أرضٍ وعرةٍ
يعوزه الضياء .
- ١٠٠ قلتُ حينما نهضتُ واقفاً : « قبل أن أنزع نفسي من الهاوية ، حدثني
قليلاً أستاذي كي تخرجني من الخطأ (٣٦) :
- ١٠٣ أين الثلج ؟ وكيف زرع هذا رأساً على عقبٍ هكذا ، وكيف سارت
الشمس من المساء إلى الصباح ، في مثل هذا الوقت القصير (٣٧) ؟ » .
- ١٠٦ قال لي : « إنك ما زلتَ تتخيل أنك في الجانب الآخر من المركز ،
حيث تعلقتُ بشعر الدودة الخبيثة التي تخترق الدنيا (٣٨) .

- ١٠٩ لقد كنتَ في ذلك الجانب ، طالما كنتُ أهبطُ ؛ وحينما استدرتُ^(٣٩) ، عبرتَ الموضعَ الذى تنجذب إليه الأثقال من كلِّ جانب^(٤٠) .
- ١١٢ وقد وصلتَ الآنَ تحتَ نصفِ الكرة ، المقابلِ للنصفِ الذى يغطى كتلة اليابس الكبرى^(٤١) ، وقد قضى تحتَ قمته^(٤٢) ،
- ١١٥ الرجلُ الذى وُلد وعاش دونَ خطيئة^(٤٣) ؛ إنَّ قدميكَ فوقَ مساحةٍ صغيرةٍ^(٤٤) تكوّنُ الوجهَ المقابلَ لدائرة يهوذا^(٤٥) .
- ١١٨ وهنا يُصبحُ النهارُ ، حينما يكونُ هناكُ مساءً^(٤٦) : وهذا الذى جعلَ لنا من شعره سُلماً ، لا يزالُ مُثبتاً كما كانَ من قبل^(٤٧) .
- ١٢١ لقد سقطَ على هذا الجانبِ من السماءِ إلى أسفل^(٤٨) ؛ والأرضُ التى كانت ممتدةً هنا أولاً ، اتخذتْ خشيةً منه نقاباً من البحر^(٤٩) ،
- ١٢٤ وجاءتْ إلى نصفِ كرتنا ؛ وربما لكى تهربَ منه تركتْ هنا المكانَ الخالى ، الذى يبدو من هذا الجانبِ ويندفعُ إلى أعلى^(٥٠) .
- ١٢٧ هناكُ فى أسفلِ مكانٍ يُبعدُ كثيراً عنَ بَعلِ زَبوب^(٥١) كما امتدادَ قبره^(٥٢) ، ولا يُعرفُ بالنظرِ ولكنَ بنجرير
- ١٣٠ جدولٍ^(٥٣) ، يهبطُ هنا خلالَ فتحةِ الصخرةِ التى نحتها فى مجراه ، الذى ينعرجُ فيه وينحدرُ قليلاً .
- ١٣٣ دخلتُ ودليلي ذلكَ الطريقَ الخفى^(٥٤) ، لكى نعودَ إلى عالمِ الضياءِ ؛ ودونَ أنْ نحفلَ بقسطٍ من راحةٍ .
- ١٣٦ صعدنا إلى أعلى^(٥٥) ، هو الأوّلُ وأنا الثانى ، حتى رأيتُ خلالَ ثُغرةٍ مستديرةٍ ، الكائناتِ الجميلةِ التى تحملها لسماء^(٥٦) ؛
- ١٣٩ وهناكُ خرجنا لكى نستعيدَ رؤيةَ النجومِ^(٥٧) .

حواشي الأنشودة الرابعة والثلاثين

- (١) هذه أنشودة لوتشيفيرو .
- (٢) يعنى أجتحة لوتشيفيرو .
- (٣) ملك الجحيم يعنى لوتشيفيرو .
- (٤) استمار دانتي هذا القول من نشيد الصليب لثيئاتنزيو فورتوناتو أسقف بواتييه في القرن ٦ .
- (٥) يوازن دانتي بين الطاحونة التي تتحرك في الضباب ولوتشيفيرو الذي بدأ من بعيد .
- (٦) وصل الشاعران إلى دائرة يهوذا حيث يعاقب الخائفون إلى من أحسبوا إليهم ، وتنسب إلى يهوذا الإسخرىوطى الذي خان المسيح .
- (٧) هم كالقش يعنى أنهم فقاية البشر ، ووضعوا في زجاج يعنى أنهم كانوا داخل الثلج الشفاف فظهرت حقيقتهم .
- وعذاب الخوذة عند دانتي في الجليلد والزمهرير من القصيدة ٣٢ إلى ٣٤ يشبه من بعض الوجوه ما جاء في التراث الإسلامى :
- ابن عربى : الفتوحات المكية (السابق الذكر) . ج ١ : ص : ٣٨٧ .
- الشعرانى : مختصر تذكرة الترطى (السابق الذكر) . ص : ٦٩ .
- (٨) هؤلاء هم الذين خانوا من أحسنوا إليهم وكانوا مساوين لهم .
- (٩) هؤلاء هم الذين خانوا من أحسنوا إليهم وكانوا أعلى منهم قدرا .
- (١٠) هؤلاء هم الذين خانوا من أحسنوا إليهم وكانوا في مركز أقل .
- (١١) هؤلاء هم الذين خانوا من كانوا أعلى وأدنى منهم قدرا .
- (١٢) أى أنه كان أجمل الملائكة .
- (١٣) هذا هو ديس (Dis) أو لوتشيفيرو (Lucifero) أو الشيطان . وكان رأس الملائكة الذين ثاروا على الله فسقط من السماء إلى الجحيم مركز الأرض عند دانتي ، وأصبح ملك الجحيم ومصدر الشرور . وأخذ دانتي ديس عن فرجيليو ، وسبقت الإشارة إليه :
- Inf. VIII. 68; XI. 65; XII. 39.
- Virg. Æn. VI. 127, 269, 397; VII. 568; XII. 199...
- (١٤) هكذا ساء دانتي الرعب حتى عجز عن الكلام .
- (١٥) أى أنه لم يصبح حيا ولا ميتاً .
- (١٦) حاول بعض الناقدين تحديد حجم لوتشيفيرو وجعل بعضهم طول ذراعه ٤١٠ متراً وطوله كله ١٢٣٠ متراً .
- (١٧) هذه إشارة إلى ثورة لوتشيفيرو على الله .

لوتشيفيرو يعنى حامل الضوء أو المضيء ويقابل في الإسلام إبليس . ولكن يوجد خلاف بين كل منهما . لوتشيفيرو في المسيحية ثار على الله لأنه شعر بالغيرة من قدرة الإله وقام ليناهضه وسأول إغراء الله ذاته . أما إبليس في الإسلام فقد خرج على الله لأنه أحس بالغيرة نحو آدم فلم يطع الله في السجود له . ولذلك أبقيت لفظ لوتشيفيرو كما هو .

وفي التراث الإسلامى بعض الشبه يعذاب لوتشيفيرو في الجليد والزهرير بالنسبة لعذاب إبليس :
Cerulli, (op. cit.) pp. 166-167.

ابن عربى : الفتوحات المكية (السابق الذكر) . ج : ١ : ص : ٣٩١ .

(١٨) يرى بعض النقاد أن المقصود بوجوه الشيطان الثلاثة مقابلة الأقاليم الثلاثة عند

المسيحين .

(١٩) الوجه الأول ذو اللون الأحمر رمز الكراهية .

(٢٠) الوجه الأيمن ذو اللون بين الأبيض والأصفر رمز للعجز .

(٢١) الوجه الأيسر الداكن اللون كالأحباش - حيث ينبع نهر النيل - رمز للجهالة

عند دانتى .

(٢٢) هكذا - تلقى دانتى بعينه الجواب عن سؤال كان قد وجهه إلى فرجيليو من قبل :

Inf. XXXIII. 109-108.

(٢٣) أى أن هذا المعبذ يهوذا لى عذاباً مزدوجاً .

(٢٤) يهوذا الإسخريوطى (Giuda Iscariota) أحد الرسل الإثنى عشر وقد خان المسيح

في نظير المال :
Matt. XXVI. 14-16; Mar. XIV. 10-11; Luca, XXII. 3-6.

وقد رسم جوتو (١٣٦٦/٧ - ١٣٣٧) صورة يهوذا يقبل المسيح وهو يضمم الغدر والحياة

وهى في مصلى الإسكروثينى في كاتدرائية بادوا .

ورسم ليوناردو دا فنشى صورة يهوذا في «العشاء الأخير» في كنيسة الرحمة في ميلانو في أواخر القرن

١٥ . ووضع ليوناردو يهوذا بين سائر القديسين الذين تبدو عليهم علامات الدهشة والاستنكار والأسى والأسف

والحزن، وتبدو على وجه المسيح علامت الأسى والنيل والصفح والغفران . وتظهر على يهوذا علامت الغدر والحقد

والغضب . تجهم وجه يهوذا واتجه إلى الوراء وانفرجت يده اليسرى فوق المائدة ، واتكأ عليها بمرفقه

الأيمن ، وقلب بذراعه ملاحظة صغيرة ، وقد ساعدت هذه الحركة العصبية على الإفصاح عما ساوره

من المشاعر الأثيمة .

Inf. XIX. 22...

(٢٥) يشبه وضع يهوذا حالة السمانين من قبل :

(٢٦) جونيوس بروتس (٨٥ - ٤٢ ق . م . Junius Brutus) الذى انضم في الحرب

الأهلية إلى بومبي ضد يوليوس قيصر في ٤٩ ق . م . ولكن قيصرأ عفوا عنه بعد موقعة فارصاليا في ٤٨

٤٨ ق . م . وعينه في بعض اللوحات . ومع ذلك فقد انضم إلى المتآمرين على قيصر لإقامة الجمهورية

الرومانية . وقتل قيصر في ٤٤ ق . م . ولكن أوكتافوس هزم قوات بروتس وكاسياس معاً في معركة

فيلبي في ٤٢ ق . م . وانتحر بروتس عقب الهزيمة .

وصنع ميكالانجلو (١٤٧٥ - ١٥٦٤) تمثالاً نصفياً لبروتس وهو في متحف البارجلو في

فلورنسا .

(٢٧) كايوس كاسيوس (Caius Cassius) انضم في الحرب الأهلية إلى پرمي وهرب بعد موقعة فارصاليا إلى الدردنيل ، وعفا عنه قيصر وعينه في بعض الوظائف ، ولكنه سرعان ما اشترك في التآمر على قيصر . وهزم في موقعة فيليبى فانتحر .

(٢٨) أى أن دانتي أجرى الرحلة خلال حلقات الجحيم التسع مدة استغرقت - في رأى بعض الدارسين - حوالى ٤٨ ساعة من مساء الخميس ٧ أبريل ١٣٠٠ إلى مساء السبت ٩ أبريل ، وبلغ دانتي وفرجيليو المطهر في ساعة مبكرة من صباح الأحد ١٠ أبريل ، بعد اجتيازهما منطقة العبور بين الجحيم والمطهر .

(٢٩) كان الشعر بمثابة سلم من الجبال .

(٣٠) بدأ فرجيليو في الصعود عند بلوغه مركز الأرض عند السرة من بطن الشيطان .

(٣١) اختلط الأمر على دانتي فلم يعرف أكان صاعداً أم هايباً .

(٣٢) أى أن التخلص من عالم الآثام لم يكن أمراً سهلاً . .

(٣٣) أى بسبب وضع لوتشيفيرو الذى بدا لدانتي مقلوباً .

(٣٤) يعنى أن دانتي لا يعبأ بمن يصدر أحكامه دون معرفة .

(٣٥) يعنى لفظ (terza) الجزء الأول من الأقسام الأربعة التى ينقسم إليها النهار ، ابتداء من شروق الشمس في السادسة صباحاً في هذه المنطقة وقتئذ ، ومن منتصف الدورة الأولى يعنى أن الساعة أصبحت حوالى السابعة والنصف صباحاً .

(٣٦) يطلب دانتي إلى فرجيليو أن يوضح ما غمض عليه .

(٣٧) أتى دانتي بهذه الأسئلة الثلاثة طالباً للإيضاح والتفسير .

(٣٨) أى أن لوتشيفيرو انقسم امتداده بين جزئى الأرض .

(٣٩) يعنى حيناً أخذ فرجيليو يصعد .

(٤٠) أى عند ما عبر مركز الأرض ومركز الجاذبية .

(٤١) كانت فكرة الناس عن الأرض في العصور الوسطى هي أنها منقسمة قسمين ، نصف يابس يقابله نصف ماء .

(٤٢) أى بيت المقدس .

(٤٣) أى المسيح الذى عاش وصلب ومات - عند المسيحيين - دون خطيئة .

(٤٤) هذه منطقة صغيرة تقابل دائرة يهوذا أصغر دوائر الحلقة التاسعة ، لأنها تقع في نهاية المخروط الذى يكون الجحيم .

(٤٥) أى أن الثلج في الوجه المقابل لمكان وقوف دانتي الحالى ، وهذه هي الإجابة عن سؤال دانتي الأول .

(٤٦) وهذه هي الإجابة عن سؤال دانتي الثانى .

(٤٧) أى أن لوتشيفيرو لم يغير وضعه الذى كان عليه منذ هبوطه من السماء ، وهذه هي الإجابة عن سؤال دانتي الثالث .

وتوجد صورة لوتشيفيرو يرأس أشبه يرأس الثور ومن حوله المذبذبون فى صورة الحكيم الأخير والجحيم، وليس من الثابت نسبتها إلى فنان بيته، وترجع إلى القرن ١٤ ، وهى فى الكامبوساتو فى ييزا .
ورسم ميكلائنجلو صورة لوتشيفيرو فى صورة الحكيم الأخير بكنيسة سستو بالفاثيكان وقد بدأ يوجه مسيخ أغبر وفم واسع وأستان كبيرة وعينين تشعان الحقد والغضب والكراهية .

ويوجد حفر يمثل لوتشيفيرو بثلاثة وجوه ويحتضن أفعى ، ويرجع إلى القرن ١١ ، وهو فى كنيسة القديس بطرس فى تسكانيللا .

(٤٨) يتفق هذا مع ما ورد فى « الكتاب المقدس » :

Isia, XIV. 12, 15; Luca, X. 18; Apoc. XII. 9, ...

(٤٩) هذا هو اعتقاد أهل المصور الوسطى .

(٥٠) هذا هو جبل المظهر كما تصوره دانتى .

(٥١) بلل زبوب أو بعلزبول (Belzebut) اسم من أسماء الشياطين . وذكره « الكتاب المقدس »

Matt. XII. 24; Luca, XI. 15.

على أنه ملك الشياطين :

(٥٢) أى أنه هناك كهف طويل بمثابة قبر للشيطان لوتشيفيرو .

Purg. XXVIII. 130...

(٥٣) هذا هو نهر لى (Lethe) فى المظهر :

(٥٤) هذا هو الطريق الذى حفرته مياه نهر لى .

(٥٥) لم يخجل الشاعران بالراحة لأنهما كانا حريصين على الخروج إلى عالم النور والضياء .

Inf. I. 40.

(٥٦) الكائنات أو الأشياء الجميلة هى النجوم . وسبق هذا التعبير :

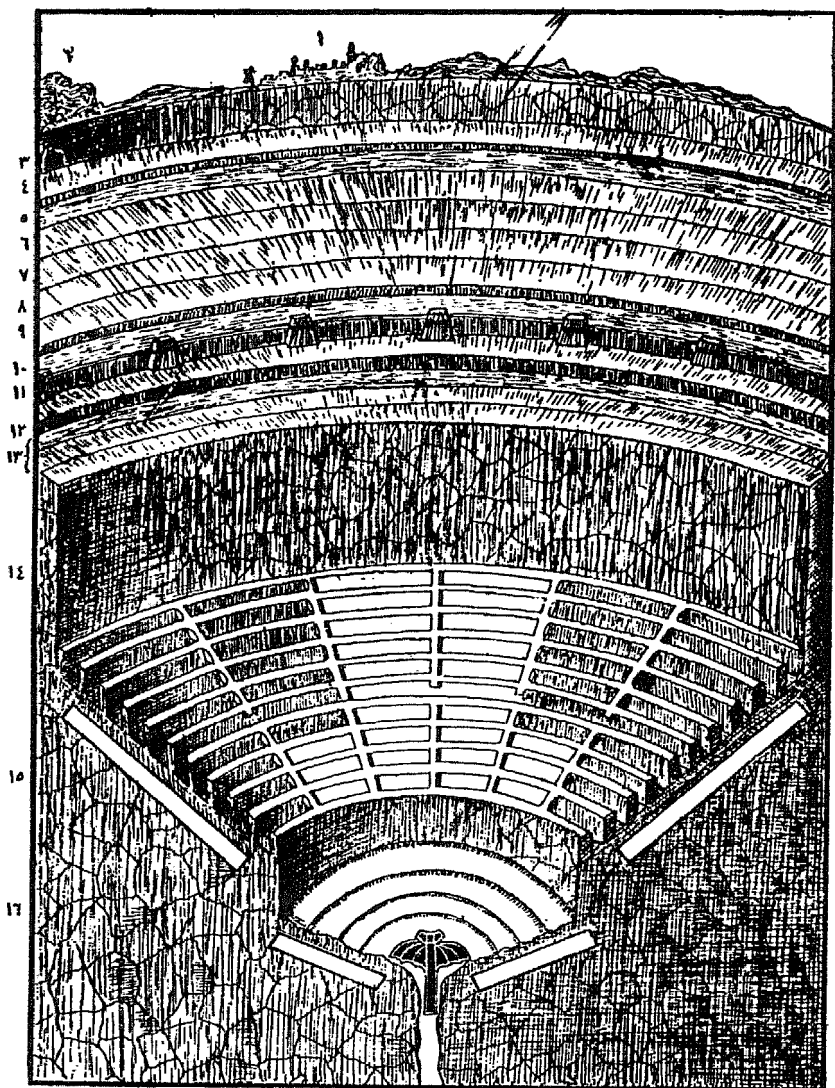
(٥٧) ختم دانتى الجحيم والمظهر والفردوس بلفظ النجوم وهى رمز الأمل والخروج من

الأسى والبؤس إلى السعادة الأبدية .

ويوجد رسم بالموزايكو للجحيم يوضح صورة المذبذبون وسط التيران والزواحف وهناك شيطانان يوجهان خطافيهما نحو المذبذبون ، ويرجع إلى القرن ١٢ ، وهو فى كاتدرائية تورتشيلو فى البندقية .

وفى مصلى استروتزى بكنيسة سانتا ماريا نوڤلا فى فلورنسا صورة ربما تكون من رسم أندريا أوركانيا أو أخيه ناردو دى تشونى (حوالى ١٣٥٧) ، صورة تصور « جحيم » دانتى ، وتبدأ بالغابة المظلمة ، ثم مدخل الجحيم ، فالحلقات التسع ، ويظهر بها واحدة بعد أخرى العذاب الملائم لكل طائفة من الآثمين ، كما رسمه دانتى ، وتنتهى بلوتشيفيرو وسط الثلج والجمد .

وقد رسم لوكا سنيوريل (حوالى ١٤٤١/٥٠ - ١٥٢٣) صورة للجحيم وقد ظهر فيها المذبذبون الذين تقيض أعينهم باليأس والأسى والكراهية وهم فى أوضاع مختلفة إذ انقلب بعضهم رأساً على عقب واستلق بعضهم على الأرض وأخذ فريق منهم يضربون بعضهم بعضاً ، ويحلق الشياطين من فوقهم ، على حين وقف الملائكة يشهدون كيف تأخذ العدالة مجراها . والصورة فى مصلى سان ايرتزيو فى كاتدرائية أوفيتيو .



١٣ - قطاع في الجحيم

شرح قطاع في الجحيم

- ١ - أورشليم
- ٢ - الغابة المظلمة
- ٣ - ياب الجحيم
- ٤ - مقدمة الجحيم : من لم يفعلوا الخير ولا الشر
- ٥ - نهر أكيروتى
- ٦ - الحلقة الأولى : الميمو : غير المؤمنين بالمسيحية والأطفال الذين لم يعمدوا
- ٧ - الحلقة الثانية : أصحاب شهوة الجسد
- ٨ - الحلقة الثالثة : الشرهون
- ٩ - الحلقة الرابعة : البخلاء والمسرفون
- ١٠ - الحلقة الخامسة : نهر استيكس : الغاضبون والكسالى
- ١١ - الحلقة السادسة : مدينة ديس : الهراطقة
- ١٢ - حائط
- ١٣ - الحلقة السابعة : مرتكبو للعنف :
- ١٢ » ا (نهر فليجيتوتى (نهر الدماء) : القتل وقطاع الطرق
- ١٣ » ب (المتحرون والمبدون
- ١٧٠١٦٠١٥٠١٤ » ج (المتكبرون على الله والمولطون والمرابون
- ١٤ - الشاطئ الوعر المنحدر
- ١٥ - الحلقة الثامنة : الخادعون :
- ١٨ » الوادى أو الخندق الأول : من أغروا النساء
- ١٨ » الخندق الثانى : الزناة
- ١٩ » الخندق الثالث : المرتشون
- ٢٠ » الخندق الرابع : المنجمون
- ٢٢ ، ٢١ » الخندق الخامس : مثيرو الخصام
- ٢٣ » الخندق السادس : المنافقون

أنشودة ٢٤ ، ٢٥	الحنديق السابع : اللصوص
» ٢٦ ، ٢٧	الحنديق الثامن : مشيرو السوء
» ٢٧ ، ٢٨	الحنديق التاسع : مروجو القنن
» ٢٩ ، ٣٠	الحنديق العاشر : المزيفون
» ٣١	العبور بين الحلقة ٨ والحلقة ٩

١٦ - الحلقة التاسعة : بئر المردة ومياه كوتشيتوس المتجمدة :

الحنوية :

أنشودة ٣٢	الدائرة الأولى : دائرة قايبيل : خونة الأقارب
» ٣٢ ، ٣٣	الدائرة الثانية : دائرة الأنتينورا : خونة الوطن
» ٣٣	الدائرة الثالثة : دائرة بطليموس : خونة الأصدقاء
» ٣٤	الدائرة الرابعة : دائرة يهوذا : خونة من أحسنوا إليهم
	لوتشيفيرو - إبليس - في أسفل
	الرسم ويليهِ المر الذي يؤدي إلى
	جبل المطهر بعد عبور مركز
	الأرض عند داتني .

موجز مضمون الأناشيد

مع بيان أرقام الآيات

الأنشودة الأولى

مقدمة الكوميديا

- ١ ٠٠٠ يفريق دانتي فيجد نفسه ضالاً في غابة موحشة رمز الدنيا والحطية .
- ١٣ ٠٠٠ يرى جبلا تملوه أشعة الشمس رمز الأمل .
- ٢٠ ٠٠٠ يهدأ خوفه قليلا .
- ٢٢ - ٢٤ صورة الخائف الذي ينجو من خطر البحر وهو لاهث الأنفاس وينظر إلى اليم الرهيب .
- ٣١ ٠٠٠ تظهر فهدة متحفزة رقطاع اللون .
- ٣٧ - ٤٣ يبعث الصباح في دانتي الرجاء والأمل .
- ٤٦ - ٤٨ خرج لدانتي أسد جائع غاضب .
- ٤٩ - ٥٣ بدت له ذئبة ضامرة مليئة بالشهوات .
- ٥٤ - ٥٧ دانتي يفقد الأمل في بلوغ الجبل ويبكى بقلبه ويحزن .
- ٥٨ ٠٠٠ دانتي يرجع القهرى .
- ٦٢ ٠٠٠ ظهر له شيخ أبيض الصوت فاستنجد به .
- ٦٧ ٠٠٠ يخبره الشيخ عن موطنه ومولده وحياته .
- ٧٩ ٠٠٠ يتهج دانتي عنده ما يتبين شخصية فرجيليو ويشيد بعلمه وفضله .
- ٩٢ ٠٠٠ يشير فرجيليو باتباع طريق آخر لبلوغ السعادة .
- ١٠١ ٠٠٠ يذكر فرجيليو السلوق الذي سيجهز على الوحش وينقذ إيطاليا المهيضة .
- ١٠٧ - ١٠٨ إشارة إلى كميلا وأوريرالوس وتورنوس ونيزوس الذين ماتوا في سبيل إيطاليا .
- ١١٢ ٠٠٠ يقول فرجيليو إنه سيكون دليل دانتي في الجحيم ومعظم المطهر .
- ١٢١ ٠٠٠ وستقوده في الساء روح أخرى (بياتريشي) .
- ١٣٦ يسير فرجيايو ويمضى دانتي في أعقابه .

الأنشودة الثانية

مقدمة الجحيم

- ١ ٠٠٠ زوال النهار وحلول الليل .
- ٧ ٠٠٠ يستنجد دانتي برباب الشمر ويمقر يته .

- يشك دانتي في قدرته على احتمال مشقات الرحلة ويسأل فرجيليو أن يختبر طاقته قبل
الشروع فيها .
- ١٠ ٠٠٠
- ويقول إنه ليس إينياس ولا بولس حتى يقدم على مثلها .
- ٣١ ٠٠٠
- يؤثر دانتي العدول عن الرحلة .
- ٣٧ ٠٠٠
- يعمل فرجيليو على إزالة مخاوفه .
- ٤٣ ٠٠٠
- يقص فرجيليو عليه كيف هبطت بياتريثي من السماء وسألته أن يهب لنجدته عندما
تمرض للخطر في الشاطئ القفر ، وكانت تخشى أن تكون متأخرة في العمل على
إنقاذه .
- ٥٢ ٠٠٠
- الحب هو الذي دفعها لإنقاذ دانتي .
- ٧٠ ٠٠٠
- قال فرجيليو إنه سأل بياتريثي كيف هبطت إلى هذه الهاوية .
- ٨٢ ٠٠٠
- شرحت بياتريثي لفرجيليو كيف تألمت ماريا في السماء لما صادف دانتي من الصماب
فنادت لوتشيا لكي تذهب إلى بياتريثي وسألها الإسراع إلى نجدة دانتي .
- ٩٤ ٠٠٠
- بكت بياتريثي وهي تقص الأمر على فرجيليو .
- ١١٦ - ١١٧
- دانتي يستمع ويسكت ويفكر .
- ١٢١ ٠٠٠
- صورة اتحناء الأزاهير تحت صقيع الليل ثم تفتتحها في الصباح عند ما تكللها أشعة
الشمس .
- ١٢٧ - ١٢٩
- استرجع دانتي رباطة الجأش .
- ١٣٠ ٠٠٠
- رجع دانتي إلى رغبته في القيام بالرحلة .
- ١٣٦ - ١٣٨
- يسير الشاعران تحدهما رغبة واحدة .
- ١٣٩ ٠٠٠
- ينادي دانتي فرجيليو بياذليل وسيدى وأستاذي ويسيران معاً .
- ١٤٠ - ١٤٢

الأنشودة الثالثة

مدخل الجحيم أو أنشودة كارونتي

- باب الجحيم طريق العذاب والألم الدائم .
- ١ ٠٠٠
- أيها الداخولون اطرحوا عنكم كل أمل .
- ٩ ٠٠٠
- فرجيليو يشجع دانتي ويشد من عزمه ويهدى من روعه .
- ١٣ ٠٠٠
- يسمع دانتي بكاء وصراخاً عالياً فيبكي من التأثر .
- ٢٢ ٠٠٠
- صرخات رهيبية وأصوات صماء عالية وصورة ذرات الرمل في زوينة .
- ٢٥ ٠٠٠
- دانتي يستفسر عما يسمع .
- ٣٢ - ٣٣

- يقول فرجيليو إن هذه نفوس من لم يتالوا في الدنيا ثناء ولا خزيًا لأنهم لم يفعلوا خيراً ولا
 شرّاً ، وطردتهم السماء ولا تقبلهم الجحيم .
 ٣٤ ٠٠٠
 ليس لهؤلاء في الموت أمل .
 ٤٦ ٠٠٠
 يقول فرجيليو لدانتى دعنا من ذكرهم ولكن انظر واذهب .
 ٥١
 رأى دانتى علماً يجرى بسرعة ووراء سيل من الهالكين .
 ٥٢ ٠٠٠
 جماعة المكروهين من الله ومن أعدائه .
 ٦١ ٠٠٠
 تلسعهم الزنابير والذباب وتسيل الدماء على وجوههم .
 ٦٤ ٠٠٠
 دانتى يستفسر عن الهالكين أمام ضفة نهر أكير وتنى .
 ٧٢ ٠٠٠
 يقول فرجيليو إنه سوف يعرف كل شيء .
 ٧٦ ٠٠٠
 يشعر دانتى بالحجل ويسكت .
 ٧٩ - ٨١
 كارون حارس الجحيم يصيح بالشاعرين .
 ٨٢ ٠٠٠
 فرجيليو يهدى من غضب كارون .
 ٩٤ ٠٠٠
 يلعن الآثمون الله والبشر والمكان والزمان .
 ١٠٣ - ١٠٥
 يعبر الهالكون في زورق كارون .
 ١٠٦ ٠٠٠
 صورة تساقط أوراق الشجر في الحريف .
 ١١٢ ٠٠٠
 فزع دانتى عند اهتزاز السهل المظلم .
 ١٣٠ ٠٠٠
 ريح عاتية وبرق ملتهب يفقدان دانتى مشاعره فيسقط على الأرض .
 ١٣٣ ٠٠٠

الأنشودة الرابعة

أنشودة الذين ماتوا دون تعميم أو أنشودة اللمبو

- دانتى يستيقظ بعنف وقد تولاه الفزع ويتأمل فيما حوله .
 ١ ٠٠٠
 دانتى على الحافة من وادى الهاوية الأليم في الحلقة الأولى .
 ٧ ٠٠٠
 يظن دانتى أن فرجيليو قد أخذه الخوف .
 ١٦ ٠٠٠
 قال فرجيليو إنه شعر بالإشفاق على المعذبين ولذلك شحب لونه .
 ١٩ ٠٠٠
 حشد من الأطفال والنساء والرجال الذين لم يتالوا التعميد .
 ٢٥ ٠٠٠
 يشرح فرجيليو حالهم .
 ٣١ ٠٠٠
 يعيشون في شوق لا يحده أمل .
 ٤٠ ٠٠٠
 دانتى يأسى ويحزن .
 ٤٣

- يقول فرجيليو إن المسيح هبط إلى المبو وأخرج منه بعض الأرواح مثل آدم وقابيل
وموسى وداود وراخيل .
- ٥٢ ٠٠٠
- يرى دانتى عن بعد عظماء العالم القديم .
- ٦٧ ٠٠٠
- يقول هومير وس « مجدوا الشاعر الأعظم » ويقصد فرجيليو .
- ٧٩ ٠٠
- هومير وس وهوراس وأوفيدىوس ولوكانوس .
- ٨٣ ٠٠٠
- يعد دانتى نفسه واحداً منهم .
- ٩١ ٠٠٠
- يتلقوه بالترحاب وأصبح دانتى السادس بين هؤلاء الحكماء .
- ٩٧ - ١٠٢
- الاقتراب من قلعة العظماء في العالم القديم .
- ١٠٣ ٠٠٠
- فطرات الحكماء الهادئة وكلامهم النادر الرقيق .
- ١١٢ - ١١٤
- يرى دانتى بعض شخصيات الميتولوجيا اليونانية : إيكرا ، هيكتور ، وإينياس ...
- ١٢١ ٠٠٠
- ويرى شخصيات تاريخية : قيصر ، بروتس ، تاركويتو ، صلاح الدين . . .
- ١٢٣ ٠٠٠
- ويشهد أرسطو وسقراط وأفلاطون .
- ١٣١ ٠٠٠
- ويرى علماء وفلاسفة يونان : ديموقريطس ، طاليس ، زينون . . .
- ١٣٦ ٠٠٠
- وابن سينا وابن رشد .
- ١٤٣ - ١٤٤
- بلغ دانتى مكاناً ليس به ما يضىء .
- ١٥١

الأنشودة الخامسة

أنشودة من ارتكبوا خطايا الجسد أو أنشودة فرنتشسكا

- المهبط إلى الحلقة الثانية ورؤية مينوس قاضى الخطايا .
- ١ ٠٠٠
- يرسل مينوس المعذبين إلى مواضعهم في الجحيم .
- ٧ ٠٠٠
- مينوس يحذر دانتى وفرجيليو يسكنه .
- ١٦ ٠٠٠
- العاصفة الجهنمية التي لا تهدأ أبداً ترهق المعذبين .
- ٢٥ ٠٠٠
- صورة الزرازير تطير في الشتاء والكراكى تشدو بصوتها الباكي .
- ٤٠ ٠٠٠
- بعض الشخصيات : ستراميس ، ديلو ، كليوباترا ، هيلانة ، أخيل ، باريس ، تريستانو .
- ٥٢ - ٦٧
- فرنتشسكا دا ريميني وپاولو مالاستا .
- ٧٣ ٠٠٠
- يدعوها دانتى إليه برقة وعطف .
- ٨٠ - ٨١
- صورة الحمام وهو يطير إلى العش الحبيب .
- ٨٢ - ٨٤

- فرنتشسكا تبادل داتى العطف وتتمنى أن يستجيب الله لهاها حتى آتدعو له بالسلام . ٨٨ - ٠٠٠
 تذكر مكان ميلادها . ٩٧ - ٠٠٠
 تتكلم فرنتشسكا عن الحب الذى يشغل القلب سريعاً والذى لا يعنى المحبوب من أن يجب
 حبيبها والذى قادهما معاً إلى موت واحد . ١٠٠ - ١٠٦
 وتقول إن قابيل ينتظر روح قاتلهما . ١٠٧
 داتى يفكر ويطلق رأسه . ١٠٩ - ١١١
 يتساءل داتى عما أدى بهما إلى هذا المصير . ١١٢ - ١١٤
 ويقول لفرنتشسكا إن آلامها تستقطر منه الدموع . ١١٥ - ١١٧
 ويسأل كيف كسفا عن حبهما . ١١٨ - ١٢٠
 تقول فرنتشسكا إنها ستبكي وتتكلم . ١٢٦
 كانا يقرآن يوماً قصة جينثرا ولانتشلتوتو . ١٢٧ - ٠٠٠
 القبلة . ١٣٦
 لم يقرأ منذ ذلك اليوم شيئاً . ١٣٨
 كان ياولو يبكي بمرارة . ١٣٩ - ١٤٠
 داتى يفقد الوعى وهوى كجسم ميت إلى الأرض . ١٤١ - ١٤٢

الأنشودة السادسة

أنشودة الهممين أو أنشودة تشاكو

- أفاق داتى من غشيته فوجد عذاباً جديداً ومعذبين جديداً . ١ - ٦
 الحلقة الثالثة حلقة المطر والبرد والثلج . ٧ - ١٢
 تشير بير وس حارس هذه الحلقة يعوى بأفواهه الثلاثة فوق المعذبين . ١٣ - ١٨
 يسلخهم الوحش ويمزقهم فيتدرعون بمنجى عن جنب . ١٧ - ٢١
 يفغر تشير بير وس أفواهه ولكن ثرجيليو يسد حلوقه بالتراب . ٢٢ - ٢٧
 صورة كلب جائع يلتهم الطعام . ٢٨ - ٠٠٠
 ينهض شبح تشاكو ليحدث داتى . ٢٧ - ٠٠٠
 لم يتعرف داتى عليه . ٤٣ - ٠٠٠
 يقول إنه مواطن له وإن مدينته (فلورنسا) مليئة بالحسد . ٤٩ - ٠٠٠
 يحزن داتى من أجله ويبكى . ٥٨ - ٥٩
 يستفسر داتى عن مصائر فلورنسا وشعبها . ٦٠ - ٦٣

- يروى تشاكو طرفاً من تاريخ فلورنسا ويتنبأ بسفك الدماء وسقوط البيض وارتفاع
 شأن السود .
 ٠٠٠ ٦٤
 العادلون قلائل ولا يسمع لهم والظلمة والجشع أصابوا فلورنسا بالولايات .
 ٧٥ - ٧٣
 استفسر دانتى عن بعض أبطال فلورنسا وطلب أن يعمل على رؤيتهم : فاريناتا ،
 تيجيا و ، روستيكوتشى . . .
 ٨٤ - ٧٩
 أجا به تشاكو بأنهم هبطوا إلى القاع .
 ٠٠٠ ٨٥
 ويطلب إلى دانتى أن يحمل ذكراه إلى الأحياء .
 ٠٠٠ ٨٨
 يسأل دانتى فرجيليو هل يزيد في يوم القيامة إحساس المذنبين بالألم عندما يقتر بون
 الكمال .
 ٠٠٠ ١٠٣
 يحيله فرجيليو إلى أرسطو .
 ٠٠٠ ١٠٦
 الوصول إلى بلوتوس .
 ١١٥

الأنشودة السابعة

أنشودة البخلاء والمبذرين وسريعي الغضب والكسالى

- ٠٠٠ ١ صرخ لموتوس حارس الحلقة الرابعة بصوته الأجنس .
 ٠٠٠ ٤ يزيل رجيليو مخاوف دانتى .
 ٠٠٠ ٧ 'يسكت' رجيليو الوحش لموتوس .
 ١٥ - ١٣ سقط الوحش كما تسقط الأشعة بقوة الريح .
 ٠٠٠ ١٦ هبط الشاعران إلى الحلقة الرابعة .
 ٠٠٠ ٢٢ صورة الموج الصاخب عند كاريدى .
 ٠٠٠ ٢٥ البخلاء والمبذرون يدفعون أثقالاً من الصخر بقوة صدورهم .
 ٠٠٠ ٢٨ يلتقى المذنبون ويتقارعون ثم يقترقون على الدوام .
 ٠٠٠ ٣٤ يستديرون ويمدون إلى اللقاء التالى .
 ٠٠٠ ٣٧ يستفسر دانتى عن هؤلاء وعن حليق الرأس على اليسار .
 قال فرجيليو إنهم جميعاً قد انحرفت عقوهم وحليقو الرأس كانوا قساوسه وبابوات
 وكرادلة .
 ٠٠٠ ٤٠ لا يستطيع دانتى التعرف عليهم .
 ٠٠٠ ٤٩ فقدوا الدنيا لأنهم أنفقوا المال دون تقدير .
 ٠٠٠ ٥٨ لا يستطيع ذهب الدنيا أن يربح نفساً واحدة من العناء الذى بذلته فى سبيله .
 ٦٦ - ٦٤ يسأل دانتى كيف يملك الحظ خيرات الأرض بين برائته .
 ٦٩ - ٦٧

- يندد فرجيليو بالجهل الذى يشين البشر ويقول إن الحظ خاضع لله الذى يوزع متاع
 الدنيا ويغيره من قوم إلى قوم ومن أسرة لأخرى .
 ٧٠ ٠٠٠
 ولا يقدر أحد على مناهضة الحظ .
 ٨٥ ٠٠٠
 الوصول إلى نهر استيكس .
 ١٠٠ ٠٠٠
 سريمو الغضب يتضاربون بالأيدى والصنوبر والأقدام وقد غمرهم طين مستنقع استيكس
 ١٠٩ ٠٠٠
 الكسالى تحت سطح الماء تتشرحج الكلمات فى حناجرهم .
 ١١٨ - ١٢٦
 وصل الشاعران إلى أسفل برج .
 ١٣٠

الأنشودة الثامنة

أنشودة الغاضبين والحاملين أو أنشودة فيليبو أرجنتى

- رأى دانتى شعلتين من نار فى أعلى البرج وبلغ إشارات من بعيد .
 ١ ٠٠٠
 يستفسر دانتى عن ذلك من فرجيليو بحر كل علم .
 ٧ ٠٠٠
 صورة مهم يُقذف وصورة قارب ينطلق فوق الماء بسرعة فائقة .
 ١٣ ٠٠٠
 فليجياس حارس الحلقة الخامسة يأتى نحو الشاعرين بهمة المرعة ويصيح بهما .
 ١٦ ٠٠٠
 فرجيليو يسكته ويحمل دانتى إلى القارب .
 ١٩ ٠٠٠
 يظهر فيليبو أرجنتى الفلورنسى عدو دانتى .
 ٣١ ٠٠٠
 حاول أرجنتى أن يقلب القارب ولكن فرجيليو دفعه إلى الوراء .
 ٤٠ - ٤٢
 فرجيليو يقبل دانتى ويبارك من حملته جنيناً .
 ٤٣ - ٤٥
 كان أرجنتى متفطرساً فى الدنيا وكم من الناس يحسبون أنفسهم فيها ملوكاً عظاماً وسوف
 يعمرون هنا كالتنازير فى الوحل .
 ٤٦ ٠٠٠
 هاجم سائر الممذّبين أرجنتى ورضى دانتى بذلك وشكر الله .
 ٥٨ ٠٠٠
 قال فرجيليو إنهما يقتر بان من مدينة ديس .
 ٦٧ ٠٠٠
 تبدو حمراء بفعل النيران .
 ٧٠ ٠٠٠
 أكثر من ألف شيطان فوق أسوار ديس يصيحون لم رأى الشاعرين .
 ٨٢ ٠٠٠
 يطلب الشياطين قدوم فرجيليو بمفرده لتفاهم معه .
 ٨٨ ٠٠٠
 دانتى يتولاه الخوف لأن فرجيليو سيركبه وحيداً ويطلب العودة من حيث أتيا .
 ٩٤ ٠٠٠
 فرجيليو يهدىء من روعه ويطلب إليه أن يسرى عن روجه الواهنة ويقذفها بالأمل الطيب
 ١٠٣ ٠٠٠
 يذهب الأب الحبيب ويركبه وحيداً يساوره الشك والقلق .
 ١٠٩ - ١١١
 دخل الشياطين مدينة ديس وأغلقت أسوارها .
 ١١٢ ٠٠٠

- تظهر على فرجيليو علامٌ فقدان الثقة ولكنه يهدى من روع دائى ويطمئنه .
 وسوف يأتى من ستفتح له أبواب مدينة ديس .

الأنشودة التاسعة

أنشودة رسول السماء

- أخفى فرجيليو لوزة الشاحب عندما رأى علامٌ الخوف على وجه دائى .
 صورة من يحرص على السمع عند ما تتعذر الرؤية بسبب الظلام والضباب .
 يعاود فرجيليو الشك .
- يتولى دائى الخوف لما لاحظته على وجه فرجيليو من التغير .
 يتساءل دائى عن هبطوا من قبل إلى أعماق الهوة البائسة .
 فرجيليو يطمئن دائى بأنه يحسن معرفة الطريق .
- ظهور ثلاثة جنيات جهنميات فوق الأسوار العالية : ميجيرا . وإلكتو ، وتيزيفونى .
 الجنيات تنادين ميدوزا .
- يطلب فرجيليو إلى دائى أن يدور إلى الوراء ويديره بنفسه ويغلق عينيه حتى لا يبصر
 ميدوزا ولا يتحول إلى حجر .
- دوى رهيب يضرب سطح المستنقع .
 صورة الريح العاتية التى تحطم الأشجار وتمضى وفى مقدمتها زوبعة من التراب وتدفع
 الوحوش والرعاة إلى الهرب .
- يخفى الشياطين كاختفاء الضفادع أمام الأفعى وغطسها إلى قاع المستنقع .
 يتبين دائى رسول السماء فيلزم الصمت ويتحنى أمامه .
- فتح رسول السماء باب مدينة ديس بضربة من صولجانه .
 ندّد الرسول بصلف الشياطين وبوقوفهم فى وجه إرادة السماء .
- يعود رسول السماء وهو فى صورة الرجل الذى تستحته مسائل هامة .
 يدخل الشاعران مدينة ديس فى الحلقة السادسة .
- بها مقابر على صورة مقابر أريلس عند الرون ومقابر پولا عند خليج كارنارو الذى
 يحدّ إيطاليا .
- يرى دائى قبور الهراطقة بين أسنة الذهب ويستفسر عن بداخلها .
 أجابه فرجيليو أن كلّ قرين من الهراطقة مع قرينه مدفون .
- مرور الشاعرين بين المعذبين والأسوار العالية .

الأنشودة العاشرة

أنشودة الهراطقة أو أنشودة فاريناتا دلي أوبرني

- يسير الشاعران بين سور مدينة ديس وقبور المذبذبين .
 ٠٠٠ ١
- يطلب دانتى معرفة من بداخل القبور .
 ٠٠٠ ٤
- قبور أبيقور وأتباعه .
 ٠٠٠ ١٠
- يعبر ثرجيليو عن إدراكه لما يدور بخلد دانتى .
 ١٨ - ١٦
- يريد دانتى أن يكون مقتصداً في كلامه .
 ٢٢ - ١٩
- فاريناتا يخاطب دانتى وقد عرف من كلامه أنه مواطن فلورنسى .
 ٠٠٠ ٢٢
- يشعر دانتى بالخوف .
 ٣٠ - ٢٩
- فاريناتا منتصب القامة وسيراه دانتى كله من الوسط إلى الرأس .
 ٣٦ - ٣١
- ثرجيليو يدفع دانتى إلى أسفل القبر ويطلب إليه أن تكون كلماته موزونة .
 ٣٩ - ٣٧
- ينظر فاريناتا إلى دانتى بازدراء ويسأله عن أصله .
 ٤٢ - ٤٠
- غضب فاريناتا عند ما عرف أن دانتى من الأعداء .
 ٠٠٠ ٤٣
- يقابل دانتى عنف فاريناتا بالمثل .
 ٠٠٠ ٤٩
- يخرج كما الكانتى من القبر إلى جانب فاريناتا باحثاً عن ابنه جويدو .
 ٠٠٠ ٥٢
- لم يجده فبكى بكاء الأب الذى فقد ابنه .
 ٦٠ - ٥٨
- ظن كما الكانتى أن ابنه قد مات ولما تباطأ دانتى فى الرد هبط داخل القبر ولم يمد للظهور أبداً .
 ٠٠٠ ٦٧
- ظل فاريناتا واقفاً كالتمثال غير آبه لما حوله .
 ٠٠٠ ٧٣
- يعود فاريناتا إلى الكلام ويتنبأ لدانتى بما سيناله وحزبه من الويلات .
 ٠٠٠ ٧٦
- القتال والدماء أحفظت قلوب الجلف على الجلبين .
 ٠٠٠ ٨٥
- قال فاريناتا إنه لم يكن وحده فى قتال فلورنسا ولكنه دافع وحده عنها عند ما أراد الجلبين
 ٠٠٠ ٨٨
 هدمها .
- ٠٠٠ ٨٨
- يدعو دانتى لفاريناتا بالسلام لوطنيته .
 ٠٠٠ ٩٤
- يفسر فاريناتا لدانتى أن أرواح الموتى ترى الماضى والمستقبل وليس الحاضر .
 ١٠٨ - ١٠٠
- يشعر دانتى بالندم لأنه أساء دون قصد إلى كافالكانتى .
 ٠٠٠ ١٠٩
- حاول ثرجيليو أن يزيل عن دانتى ما ساوره من خوف .
 ٠٠٠ ١٢١
- وقال إن من ترى عينها الجميلة كل شيء (بياتريتشى) سوف تنبئه عن رحلة حياته .
 ٠٠٠ ١٣٠
- دانتى

الأنشودة الحادية عشرة

أنشودة التقسيم الخلقى للجحيم

- شاطئ، صخري مرتفع في صورة دائرة .
 ٠٠٠ ١
- قبر ألبابا أناستاسيوس .
 ٠٠٠ ٧
- أشار ثرجيليو بالتأخر قليلاً حتى يتناد إحساسهما كرهه الروائح .
 ٠٠٠ ١٠
- ثرجيليو يشرح أقسام الجحيم .
 ٠٠٠ ١٦
- كل شر يثير الكراهية في السماء .
 ٠٠٠ ٢٢
- يختص الإنسان بالتندر .
 ٢٧ - ٢٥
- خطيئة العنف في الحلقة الأولى من الحلقات الثلاث الصغيرة أي الحلقة السابعة .
 ٠٠ ٢٨
- ثلاث صور لتعنف : مع الله ، مع النفس ، مع الأقربين .
 ٠٠٠ ٣١
- كل من يحرم نفسه من الدنيا يقامر بثروته ويحزن في موضع السعد .
 ٤٥ - ٤٣
- موضع أهل سادوم وكاهور .
 ٠٠٠ ٤٩
- صور من غدر الإنسان .
 ٠٠٠ ٥٢
- تحديد مواضع المنافقين والمتلطفين والمزيفين واللصوص والمرتشين في الحلقة الصغرى يعنى
 الحلقة التاسعة .
 ٠٠٠ ٥٨
- يعبر دانتي عن وضوح شرح أستاذه .
 ٠٠٠ ٦٧
- ولكنه يتساءل لماذا لم يعاقب أصحاب المستنقع والذين تقودهم الريح ومن يضرهم المطر
 الثقيل . . . في المدينة الحمراء .
 ٠٠٠ ٧٠
- يراجع ثرجيليو دانتي في أسئلته ويشير إلى كتاب أرسطو في علم الأخلاق .
 ٠٠٠ ٧٦
- ينمت دانتي ثرجيليو بالشمس التي تبرى كل بصر سقيم ويقول إن الشك عنده لا يقل
 إمتاعاً عن المعرفة .
 ٠٠٠ ٩١
- يشير ثرجيليو إلى فلسفة أرسطو .
 ٠٠٠ ٩٧
- ويشير إلى كتابه عن علم الطبيعة .
 ٠٠٠ ١٠١
- الفن يتبع الطبيعة ويكاد يكون لله حفيداً .
 ٠٠٠ ١٠٣
- يبني المرابي آماله على غير الطبيعة والفن .
 ٠٠٠ ١٠٩
- أقرباب الفجر يارتفع برج الحوت وعلو الدب الأكبر فوق ريج كاروس .
 ٠٠٠ ١١٢

الأنشودة الثانية عشرة

أنشودة من ارتكبوا العنف ضد الناس أو أنشودة القناطس

- مكان وعمر مثل جبال الألب .
٠٠٠ ١
- صورة لضفة نهر الأديج .
٠٠٠ ٤
- المينوطا وروس حارس الحلقة السابقة .
٠٠٠ ١١
- فرجيليو يبعده بكلماته .
٠٠٠ ١٦
- أصبح الوحش في صورة الثور الذي يحطم قيده عند إصابته بطمته قاتلة .
٠٠٠ ٢٢
- تحرك الصخور تحت قدمي دائتي لثقله .
٠٠٠ ٢٨
- يذكر فرجيليو هبوط المسيح إلى العمود لإيقاظه بعض الشخصيات واهتزاز الوادي كأن
العالم قد أصابته ومضة الحب .
٠٠٠ ٣٧
- اقتراب نهر الدم : فليجيتوني .
٠٠٠ ٤٦
- الجشع والغضب يثيران الإنسان في الحياة الدنيا ويؤديان به إلى العذاب الأبدي .
٥١ - ٤٩
- رأى دائتي سيلا من القناطس تسلمت بالسهم كأنها خارجة إلى الصيد .
٠٠٠ ٥٥
- القناطس كيرون ونيسوس وفولويس .
٠٠٠ ٦٧
- ألوف من القناطس حول بحيرة الدماء .
٠٠٠ ٧٣
- يحاول كيرون أن يضرب دائتي بسهمه .
٠٠٠ ٧٧
- شرح رجيليو أمر دائتي وطلب قنطروسا كدليل .
٠٠٠ ٨٥
- يسير الشاعران على ضفة نهر الدماء مع دليلهما نيسوس .
٠٠٠ ١٠٠
- مريقو الدماء والتاهبون غطسوا في الدم حتى عيونهم .
٠٠٠ ١٠٣
- ومنهم إسكندر وديونيسيوس .
٠٠٠ ١٠٦
- وأترولينو دا رومانو وأوبيتزو دا إسقي .
٠٠٠ ١٠٩
- وجويدو دي مونفورقو الذي قتل هنري بن ريتشارد ملك إنجلترا ويقال إن قلبه المقتول
لا يزال محفوظاً فوق نهر التاميز .
١٢٠ - ١١٨
- ينخفض الدم في النهر تبعاً للخطايا .
٠٠٠ ١٢١
- عذاب أتيليا وبيروس وسكستوس وپومپيوس .
١٣٥ - ١٣٣
- وعذاب رينير دا كورنيتو ورينير پاتزو قاطعا الطرق في إيطاليا .
٠٠٠ ١٣٦

الأنشودة الثالثة عشرة

أنشودة المتحمرين أو أنشودة بييرو دلا فينيا

- ١ غابة المتحمرين المليئة بالأشواك .
- ٧ مقارنتها بغابة تشيتشينا وكورنيثو في تسكانا .
- ١٠ أعشاش الهربوسات القبيحة : وجوه نساء وأجسام طيور .
- ٢٢ يسمع دانتي نواحاً بين جذوع الأشجار .
- ٣١ يقطع دانتي غصناً فيصرخ الجذع وقد سالت منه الدماء .
- ٣٤ يثير الجذع الرحمة في قلب دانتي .
- ٤٠ صورة غصن أخضر يحترق ، يتكلم الغصن ويقطر منه الدم في وقت واحد .
- ٤٥ يسقط الغصن من يد دانتي وقد تولاه الخوف .
- ٤٦ يطلب أرجيليو إلى الجذع الكلام حتى يجد دانتي ذكراه في الأرض .
- ٥٥ يتكلم الجذع : هذه هي روح بييرو دلا فينيا .
- ٥٨ قال إنه حفظ أسرار الإمبراطور فردريك ونال ثقته .
- ٦٤ الحسد - الذى يشبه المرأة الداعرة - أثار عليه النفوس .
- ٧٠ انتحر بييرو دلا فينيا لكي يخلص من الهوان .
- ٧٦ ويطلب إرضاء ذكراه في الدنيا .
- ٨٥ أرجيليو يسأل كيف تتحد نفس المتحمر بهذه الجذوع ذات العقد .
- يتكلم بييرو عن هبوط نفس المتحمر إلى الجحيم ونبتها ونموها إلى شجرة جافة تتغذى
عليها الهربوسات .
- ٩١ ولن ترجع نفس المتحمر إلى جسدها ثانية إذ ليس عدلاً أن ينال الإنسان ما خلعه بنفسه
- ٩٤ يسمع دانتي صوت الصيد وتهشم الأشجار .
- ١١٢ روحان عاريتان تجريان هرباً من كلاب متحفزة : لانو دى سيينا ، وجاكومو دا
سانت أندريا اللذان أسرفا في الأموال ، ويعاملهما دانتي كالمثحمرين .
- ١١٥ صورة كلاب سلوقية تمزق معذباً بين الأشجار (لوتو دلى آلى) .
- ١٢٤ يتكلم المعذب الفلورنسى الذى انتحر لحكم خاطيء أصدره ويطلب إلى دانتي أن يجمع
أوراق الشجرة التى هو فيها .
- ١٣٩ يتنبأ (لوتو) لفلورنسا بالصراع الداخلى الدائم .
- ١٤٢

الأنشودة الرابعة عشرة

أنشودة من لعنوا الله أو أنشودة كاپانيو

- ١ . حب داتى لفلورنسا جملة يجمع الأوراق المتناثرة كما طلبت روح الفلورنسى المتحر . ١٠٠٠
- ٧ . الوصول إلى سهل قاحل يشبه صحراء ليبيا التى سار فيها كاتون . ١٠٠٠
- رأى داتى قطعاناً من النفوس العارية التى ارتكبت العنف مع الله وهى تبحرى وتبكى فى
بؤس شديد . ١٩ ١٠٠٠
- كانوا فى أوضاع مختلفة . ٢٢ ١٠٠٠
- نذف النار تسط فوق الرمال . ٢٨ ١٠٠٠
- صورة أسنة اللهب التى سقطت على جيش الإسكندر فى الهند . ٣١ ١٠٠٠
- ألم المعذبين تحت وابل من النيران . ٣٧ ١٠٠٠
- كاپانيو يجلس غير عابى بالنيران . ٤٣ ١٠٠٠
- يتكلم كاپانيو بصلف وغطرسة . ٤٩ ١٠٠٠
- يقول له فرجيليو إنه ما من عقاب له سوى غضبه ذاته . ٦١ ١٠٠٠
- ويقول إن ازدراه الله حلية تزين صدره بما يناسبه . ٧٠ ١٠٠٠
- يطلب إلى داتى أن يسير وراه ويحذره من الرمل الملتهب . ٧٣ ١٠٠٠
- الوصول إلى جدول أحمر وهو استمرار لنهر فليجيتونى . ٧٦ ١٠٠٠
- مقارنته بنبح بوليكاى قرب فيتر بو . ٧٩ ١٠٠٠
- ينوء فرجيليو بهذا الجدول . ٨٥ ١٠٠٠
- يتكلم فرجيليو عن جزيرة كريت . ٩٤ ١٠٠٠
- هناك أخفت ربا ابنها جويتير فى جبل إيدا . ١٠٠ ١٠٠٠
- تمثال صنم فى الجبل مصنوع من الذهب والفضة والنحاس والحديد والقمح وأدار
كتفيه لدمياط ونظر إلى روما كأنها مرآة . ١٠٣ ١٠٠٠
- يذكر كيف تتكون أنهار الجحيم : أكبرونى ، واستيكس ، وفليجيتونى ،
وكوتشيتوس ، ومصدرها دموع المعذبين . ١١٥ - ١٢٠
- يستفسر داتى عن ظهور الجدول فى هذا الجانب وحده . ١٢١ ١٠٠٠
- يسأل داتى عن نهر لى نهر النسيان . ١٣٠ ١٠٠٠
- وفرجيليو يشرح . ١٣٣ ١٠٠٠
- ينصحه فرجيليو بأن يسير من ورائه حتى لا تحرقه النيران . ١٣٩ ١٠٠٠

الأنشودة الخامسة عشرة

أنشودة الملوطين أو أنشودة برونيو لاتيني

- ١ ٠٠٠ . مقارفة بين صفة فليجيتوني والسد في بلاد الفلمنك وحاجز نهر بريتا .
- ١٠ - ١٢ . يسخر داتني بعمل الإنسان عند ما يقول إن صفني فليجيتوني لم تكونا في ضخامة سد الفلمنك وحاجز بريتا .
- ١٦ ٠٠٠ . داتني يلاقى حشداً من النفوس فينظرون إلى الشاعرين كما يفعل الناس على ضوء القمر الوليد أو كما يحقد حائك عجوز في سم الحياط .
- ٢٢ ٠٠٠ . داتني يتعرف على برونيو لاتيني على الرغم من وجهة الحترق .
- ٣١ ٠٠٠ . يرغب برونيو في السير مع داتني قليلاً والذى يرحب بذلك .
- ٣٧ ٠٠٠ . يسير داتني فوق الحاجز المرتفع وينحني لكي يحدث برونيو .
- ٤٦ ٠٠٠ . يسأل برونيو داتني كيف جاء هنا .
- ٥٥ ٠٠٠ . قال برونيو إنه إذا اتبع نجمه فلن يفوته بلوغ المرفأ المجيد .
- ٦١ ٠٠٠ . ويقول إن شعب فلورنسا الحبيث سيصبح عدواً له لما قام به من طيب الأعمال .
- ٦٧ - ٦٨ . وهو شعب أعمى يتجمل متغطرس حوسد .
- ٧٠ ٠٠٠ . ويقول برونيو إن الحظ يحفظ لداتني رفيع الشرف وسيتلهف عليه هذا الحزب وذلك ولكن المشب لن يكون في تناول العنز .
- ٧٣ ٠٠٠ . وينوّه بأصله الروماني .
- ٧٩ ٠٠٠ . يمتز داتني بصورة برونيو الأبوية ويعترف بفضله .
- ٩١ ٠٠٠ . يقول داتني إنه مستعد لأن يحتمل كل ما يريد به الحظ .
- ٩٧ ٠٠٠ . يطرى فرجيليو داتني ويقول له إن من يحسن الإنصات يحسن الفهم .
- ١٠٦ ٠٠٠ . يذكر برونيو أن رفاقه في الخطيئة كانوا قساوسة وأدباء عظاماً وأصحاب شهرة مثل بريشان دا تشيزاريا ، وفرنتشسكو دا كورسو ، وأندريا دي موتزي .
- ١١٥ ٠٠٠ . كان برونيو يود البقاء أكثر ولكنه لا يستطيع ويوصي داتني بكتابه « الكتر » .
- ١٢١ ٠٠٠ . يرجع برونيو وهو يعدو بأقصى سرعة وكأنه أحد المتسابقين في سباق بقرب فورنا .

الأنشودة السادسة عشرة

تكملة للسابقة وتسمى أنشودة الفلورنسيين الثلاثة

- ١ ٠٠٠ . يسمع داتني هدير المياه الساقطة مثل دوى النحل .
- ٤ ٠٠٠ . رأى ثلاثة أشباح تنفصل عن بعضها .

- ١٠ ٠٠٠ وشاهد على أجسامهم انحنوب والجراح من أثر النار .
- ١٣ ٠٠٠ فرجيليو يسأل دانتى أن يكون رفيقاً بهؤلاء .
- ١٩ ٠٠٠ استأنف الثلاثة البكاء وجعلوا من أنفسهم حلقة واحدة .
- ٢٢ ٠٠٠ وكانوا على صورة أبطال الرياضة وهم يتحنون أوجه النظر .
- ٢٨ ٠٠٠ يسألون دانتى من هو الذى يحرك قدميه ديبب الحياة خلال الجحيم .
- ٣٤ ٠٠٠ أحد الثلاثة هو جويدو جوريرا المواطن الفلورنسى .
- ٤٠ ٠٠٠ والثانى تيجياريو ألدويراندى الفارس الفلورنسى .
- ٤٣ - ٤٥ والثالث جاكوبو روستيكوتشى الفارس الفلورنسى .
- ٤٦ ٠٠٠ كان دانتى يتمنى أن يلقي بقمعه بينهم فى النيران لكى يعاقبهم .
- ٥٢ ٠٠٠ حزن دانتى من أجلهم .
- ٥٨ ٠٠٠ يقول دانتى لهم إنه من مدينتهم وإنه أصغى بإعزاز إلى أعمالهم .
- ٦٤ ٠٠٠ سأله جويدو ألا تزال فلورنسا موطناً للشجاعة والكياسة .
- ٧٣ ٠٠٠ قال إن محدثى النعمة قد أوجدوا فى فلورنسا القنطرة والإفراط .
- ٨٢ ٠٠٠ سأل الثلاثة دانتى أن يحمل ذكراهم إلى الدنيا .
- ٨٦ ٠٠٠ وانطلقوا بأقصى سرعة .
- ٩١ ٠٠٠ يسمع دانتى دوى نهر أكوا كويتا الذى ينبع من جبل ثيزو ويمر بفورلى وسان بندتو .
- ١٠٦ ٠٠٠ يفك دانتى جبلا من حول وسطه ويعطيه لرجيليو .
- ١١٢ ٠٠٠ أتى فرجيليو بالحيل إلى أسفل عند طرف الحافة .
- ١١٥ ٠٠٠ توقع دانتى أن يستجيب شيء غير مألوف لهذه الإشارة .
- ١١٨ ٠٠٠ ينبغى أن يكون الإنسان حذراً أمام من ينفذون إلى الأفكار بذكائهم .
- ١٢٤ ٠٠٠ يجب على الإنسان أن يلزم الصمت أمام الصدق الذى له مظهر الكذب .
- ١٣٠ ٠٠٠ يقسم دانتى بأبيات الكوميديا التى يرجو لها المجد أنه رأى كائناً عجبياً يأتى إلى أعلى .
- ١٣٣ ٠٠٠ ويشبه فى حركته الملاح الذى يصعد إلى سطح الماء .

الأشودة السابعة عشرة

أشودة من ارتكبوا العنف ضد الفن وتسمى أشودة المرابين أو أشودة جيريونى

- ١ ٠٠٠ ظهر جير يوفى الوحش الذى له وجه إنسان وجسم زاحفة رمز الحياة .
- كان له مخالب يكسوها الشعر وتتركس الظهر والصدر والجانبان بالمقد مثل أقمشة
الترك والتى .
- ١٣ ٠٠٠

- ١٩ وقف على الشاطئ، كما تقف صغار السفن .
 ٢٢ إشارة إلى نهم الألمان .
 ٢٥ وكان للوحش شوكة مثل زنابي العقرب .
 ٢٨ سار الشاعران معاً .
 ٣٧ سأل فرجيليو دانتي أن يسير بمفرده قليلاً .
 ٤٦ رأى دانتي العذاب يتفجر من عيون الآثمين .
 ٤٩ وينحون بأيديهم النيران كما تفعل الكلاب في الصيف عند ما تدفع عنها الحشرات .
 ٥٥ رأى دانتي الأكياس التي تتدلى من رقاب المعتذرين وعليها علامات تسكانية .
 ٥٨ علامة زرقاء لها وجه الأسد وزيه وأخرى حمراء في صورة إوزة وغيرها في صورة خنزيرة زرقا سمينة .
 ٦٤ فيتاليه نو المواطن من اداوا .
 ٧٢ جواناني دي بويامونتي الفلورنسي أمير المرابين .
 ٧٤ لوى يتاليانو فه وأخرج لسانه كتور يلحس أنفه .
 ٧٦ خشى دانتي أن يكون قد أغضب فرجيليو لطول توقفه .
 ٧٩ يعتلى الشاعران ظهر الوحش .
 ٨٥ خوف دانتي وشعوره مثل إحساس حمى الربيع .
 ٩٤ فرجيليو يحمي دانتي ويستنده .
 ١٠٠ يتحرك الوحش كخروج السفينة من الشاطئ .
 ١٠٦ خاف دانتي أكثر من خوف إيكاروس عندما فقد جناحيه بذوب الشمع وسط السماء .
 ١١٥ هبوط جير يوفى البطيء والهواء يحيط بدانتي من كل جانب .
 ١١٨ زيادة خوف دانتي لسماعه دوى المياه وبكاء الآثمين .
 ١٢٧ هبط جير يوفى كالصقر الذي يهبط دون صيد .
 ١٣٦ انطلاقه كانطلاق السهم من الوتر .

الأنشودة الثامنة عشرة

أنشودة من أغورا النساء

- ١ في الجحيم مكان يدعى « ماليوبلجي » أي أودية الشرّ والعذاب .
 ٧ هي عشرة أودية أو خنادق تشغل الحلقة الثامنة .
 ١٠ وهي في صور الخنادق التي كانت تحيط بالقلاع في عهد دانتي .

وخرجت أحجار عبرت الأودية وكانت بمثابة جسور فوقها حتى بلغت البئر
في الحلقة التاسعة .

- ١٤
 ٢٢ رأى دانتى أسىً جديداً وعذاباً غير مألوف .
 ٢٥ كان الآثمون عرايا في قاع الخندق الأول .
 ٢٨ ازدحامهم كازدحام الجمالير في عام اليوبيل في روما .
 ٢٤ الشياطين يلهبون ظهور الآثمين بالسياط .
 ٤٠ بينيديكو كاتشانيميكو البولوني يحاول إخفاء وجهه ولكن دانتى يعرفه .
 ٥٢ أغرى أخته جيزولا بيلا بإرضاء شهوة مركزيز فرآرا .
 ٥٨ ورأى دانتى بولونيين كثيرين في هذا الخندق .
 ٦٤ الشيطان يلسع فينيديكو .
 ٧٠ يصعد الشاعران فوق جسر صخري .
 ٧٣ طلب فرجيليو إلى دانتى أن ينظر إلى وجوه بعض المعتدين .
 ٨٢ رأى دانتى جاسون التسالى الذى حرم الكولكيين من كبش الذهب .
 ٩١ وأغوى هيسپيل وهجرها حبل وحيدة .
 ١٠٠ وصل الشاعران إلى جسر جديد وسما نوحاً وبكاء وضربات أكف في الخندق الثانى .
 ١٠٦ كانت جوانبه مغطاة بعقن أرسبته الأبحرة المتصاعدة من أسفل .
 ١١٢ رأى دانتى المعتدين وقد غطسوا في غائط نجس من فضلات البشر .
 ١١٥ فحص دانتى قاع الخندق بعينه وعرف أليسوانترينيى المواطن من لوكا .
 ١٢٧ رأى دانتى تاليس الأثينية الداعرة وهى تمزق نفسها بالأظفار .
 ١٣٦ يكتفى فرجيليو بمشاهدته .

الأنشودة التاسعة عشرة

أنشودة السمعانية

- ١ سمعان الساحر وأتباعه الذين أفسدوا نعم الله بالذهب والفضة .
 ٧ صعد الشاعران فوق الخندق أو الوادى الثالث .
 ١٣ رأى دانتى في الخندق فتحات مستديرة تشبه فتحات معمدان سان جوفانى في فلورنسا .
 ١٩ قال دانتى إنه كان قد حطم إحداها لإيقاظ طفل أوشك على النرق .
 ٢٢ كان المعتدون داخل الفجوات في وضع مقلوب ولم يبد منهم سوى الأقدام .
 ٢٥ اشتعلت النار في باطن أقدامهم .

- وتحركت الشملات كما تتحرك على الأشياء المطوية بالزيت . ٢٨ ٠٠٠
- يستفسر داتني عن أحد المذنبين . ٣١ ٠٠٠
- يعرض ثرجيليو عليه أن يحمله ويهبط به إلى الخندق لكي يرى المذنب عن كثب . ٣٤ ٠٠٠
- يقول داتني لثرجيليو إن كل ما يرضيه جميل عنده ومقبول . ٣٧ ٠٠٠
- أنزل ثرجيليو داتني عن جنبه عندما بلغنا فجوة كان يذهب فيها البابا نيقولا الثالث . ٤٣ ٠٠٠
- يطلب داتني إلى هذا المذنب أن يتكلم . ٤٦ ٠٠٠
- نلق نيقولا الثالث أن من يحادثه هو بونيفاتشو الثامن . ٥٢ ٠٠٠
- أوضح له داتني حقيقة الأمر . ٦١ ٠٠٠
- يروى فيقولاً لداتني قصته بصوت باكٍ وهو يتهد . ٦٤ ٠٠٠
- قال إنه حرص على تقديم أسرته واختزن المال في الدنيا . ٧٠ ٠٠٠
- وقال إن بونيفاتشو الثامن سوف يأتي إلى هذا المكان . ٧٦ ٠٠٠
- وسوف يأتي كلمستوا الخامس . ٨٢ ٠٠٠
- قال داتني إن السيد الإله لم يطلب مالا من القديس بطرس بل سأله أن يتبعه . ٩١ ٠٠٠
- يحمل داتني على الياهورات . ٩٧ ٠٠٠
- ويقول إنهم اتخذوا من الذهب والفضة إلهاً . ١١٢ ٠٠٠
- يندد داتني بمنحة قسطنطين البابا سيلقيسترو . ١١٥ ٠٠٠
- رضى ثرجيليو بكلمات داتني القاسية وإبتسم . ١٢١ ٠٠٠
- حمل ثرجيليو داتني وصعد به راجعاً في طريق صعب حتى على سير المعز . ١٢٤ ٠٠٠

الأنشودة العشرون

أنشودة العرافين والمتجمين

- رأى داتني عقاباً جديداً كان عليه أن يصوغه شعراً . ١ ٠٠٠
- رأى في الخندق أو الوادئ الزابع قوماً يسرون بخطي يعلية ويكون في صمت . ٧ ٠٠٠
- شهد معذيين التوت رؤوسهم إلى الخلف . ١٠ ٠٠٠
- يقارن داتني هذا بمرض الشلل . ١٦ ٠٠٠
- تأثر داتني وبكى وهو يعتمد على صخرة في الجسر الوعر . ١٩ ٠٠٠
- يراجعه ثرجيليو ويقول له من أضل من الذي يأخذه الأسمى أمام قضاء الله . ٢٧ ٠٠٠
- يرى داتني أمفياروس العراف اليوناني يسير متكوس الرأس . ٣٤ ٠٠٠
- ويرى تيريسياس العراف اليوناني في الميتولوجيا القديمة . ٤٠ ٠٠٠

- ويشهد أرونس العرّاف الإترسكي .
 ٤٦ ويرى ماتو الساحرة ابنة تيريسياس تغطي ثديها بمجدائل الشعر ولها في الجانب الآخر
 ٥٢ كل جلد أشعر .
 وكانت قد جابت بلاداً كثيرة في أعالي إيطاليا : منح الألب ، وبحيرة جاردا ووادي
 كامونيكاً .
 ٦١ إشارة إلى قلعة بسكيراً التي تصد أهل بريشا وأهل برجامو .
 ٧٠ ونهر ميتشو الذي يصب في نهر الـ و عند مدينة جورنو .
 ٧٦ استقرت ماتو في أرض قفراء حيث عاشت وماتت .
 ٨٢ وأنشأ رجالها مدينة ماتو وتكاثر سكانها .
 ٩١ يعلن دانتى ثقته التامة في كلام فرجيليو عن أصل مدينة ماتو مسقط رأسه .
 ١٠٠ أشار فرجيليو إلى أورييلوس وكالكاس العرافين اليونانيين في الميتولوجيا القديمة .
 ١٠٦ رأى دانتى ميكيل اسكوت العرّاف الإسكتلندي .
 ١١٥ ورأى بوناق وأسدينتى العرافين الإيطاليين :
 ١١٨ وشهد البائسات اللاتى تركن المنزل وصنمن الطلامس .
 ١٢١ فرجيليو يسأل دانتى الذهاب لمرور الوقت .
 ١٢٤ - ١٣٠

الأنشودة الحادية والعشرون

أنشودة المرتشين

- ١ وصل الشاعران إلى الخندق الخامس .
 ٧ وصّف لمصنع سفن البنادقة وطلاء السفن المعطية بالقطران .
 موازنة ذلك بالقطران الآتى في هذا الخندق .
 ١٦ شرجيليو يحذر دانتى ويجذبه إليه .
 ٢٢ رأى دانتى شيطاناً رهيب المنظر فتولاه الخوف .
 ٢٥ وكان يحمل آتماً على كتفيه .
 ٣٤ الشيطان يتندّد بالمرتشين من لوكا
 ٣٧ في لوكا أصبحت لا بمعنى نعم من أجل المال .
 ٤٢ يقذف الشيطان بالآثم في القطران .
 ٤٣ صورة كلب ينطلق بسرعة وراء لص هارب .
 ٤٤ - ٤٥ يصيح الشياطين بالمعذّب بأن السباحة في القطران ليست كما في نهر سيركيو .
 ٤٧ يضرب الشياطين المعذب بمقامهم كالطهارة وأعاونهم وهم يفسون اللحم بمدارجهم في
 القذور .
 ٥٢

- ٥٨ فرجيليو يدعو دائتي للاحتباء وراء صحفيرة .
- ٦٧ اندفع الشياطين بخطايتهم نحو فرجيليو في صورة الكلاب التي تندفع وراء فقير يقف ليطلب الإحسان .
- ٧٣ فرجيليو يباحث الشياطين .
- ٧٩ ويقول إنه جاء بإرادة السماء .
- ٨٥ وقف الشياطين عند حدّهم .
- ٨٨ فرجيليو يدعو دائتي إليه .
- ٩١ تدافع الشياطين إلى الأمام في صورة المشاة الذين خرجوا من قلعة كاپرونا بعد التعاهد .
- ٩٧ كان دائتي لا يزال خائفاً فالتصق بفرجيليو .
- ١٠٦ قال الشيطان مالاكودا إن الجسر السادس محطم .
- ١١٥ وأرسل بعض أتباعه لمرافقة الشاعرين .
- ١٢٧ يعبر دائتي عن مخاوفه ويفضل السير بمفرده مع فرجيليو .
- ١٣٣ فرجيليو يهدى من روع دائتي .
- ١٣٦ السير إلى الأمام وقد جعل الشيطان بارباريتشا من عجزه بوقا .

الأنشودة الثانية والمشرّون

تابعة لأنشودة المرتشين السابقة

- ١ صورة الفرسان في المعركة وفي الاستعراض .
- ٤ إشارة إلى اعتداء فرسان فلورنسا على أملاك أريتزو .
- ١٠ يقول دائتي إن ذلك دون ما رآه من سير الشياطين بإشارة من بوق بارباريتشا الغريب .
- ١٣ - ١٤ ولكن الإنسان يصحب في الكنيسة القديسين وفي الحانة ذوى النهم .
- ١٩ - ٢١ صورة الدرافيل التي تنبه السفن إلى خطر العاصفة .
- ٢٢ هكذا برز الآثمون من القطران .
- ٢٥ صورة الضفادع عند حافة المستنقع .
- ٢٨ كذلك وقف الآثمون عند حافة القطران .
- ٣٤ جرافيكاني ينتزع معباً من شعر رأسه فبدا ككعب البحر .
- ٤٣ أراد دائتي أن يعرف من هو .
- ٤٦ عرف فرجيليو أنه جامبولو الناغازي الذي استغل مركزه في جمع المال .
- ٥٥ يمزق تشير ياتو لحم جامبولو .

- وبذلك وقع الفأر بين قطط شريرة .
 ٥٨ ٠٠٠
 فرجيليو يسأله أ يوجد تحت القطران واحد من اللاتين .
 ٦٤ ٠٠٠
 لبيكوكو يمزق لحم جامبولو .
 ٧٠ ٠٠٠
 يتكلم جامبولو عن الراهب جوميتا المرتشى وكان قاضياً في سردينيا .
 ٧٩ ٠٠٠
 جامبولو يعرض على الشاعرين أن يستقدم من القطران بعض أهل تسكانا ولبارديا
 وطلب بقاء الشياطين بعيدين قليلا .
 ٩٧ ٠٠٠
 الشيطان أليكينو يدخل في مباراة عجيبة مع جامبولو ،
 ١٠٩ ٠٠٠
 على أساس أيهما أسرع في بلوغ سطح القطران .
 ١١٥ ٠٠٠
 مباراة فيها هزل وبخيرية متمتجة بالمأساة والعذاب .
 ١١٨ ٠٠٠
 كان جامبولو أسرع في القفز إلى القطران من جناحي الشيطان وبذلك هرب من تمزيق
 لحمه .
 ١٢١ ٠٠٠
 صورة البط البري وهو يغوص في الماء عند ما يهبط عليه الصقر .
 ١٣٠ ٠٠٠
 معركة بين الشيطانين أليكينو وكالكابرينا .
 ١٣٦ ٠٠٠
 يعمل سائر الشياطين على إنقاذها من القطران .
 ١٤٥ ٠٠٠
 دانتى وفرجيليو يسيران وقد ارتبك الشياطين على ذلك النحو .
 ١٥١ ٠٠٠

الأنشودة الثالثة والعشرون

أنشودة المنافقين

- ١ ٠٠٠ سار الشاعران الواحد بعد الآخر كرهبان الفرنتسكان .
 ٤ ٠٠٠ إشارة إلى بعض قصص إيزوب .
 ١٠ ٠٠٠ يتضاعف خوف دانتى .
 فكر دانتى فيما نال الشياطين من السخرية واعتقد أنهم سيأتون في صورة الكلب عند ما
 ١٣ ٠٠٠ ينهش الأرنب البري .
 انتصب شعر دانتى من الخوف .
 ١٩ ٠٠٠
 يقول فرجيليو إن أفكارها واحدة ويطمئنه .
 ٢٥ ٠٠٠
 فرجيليو يأخذ دانتى بين ذراعيه كأمر تحمل ابنها من خطر النيران وتجري به وهي شبه
 ٣٧ ٠٠٠ عارية .
 يهبط فرجيليو بدانتى كما تجري مياه تدير عجلة طاحون .
 ٤٣ ٠٠٠
 كان فرجيليو يحمل دانتى فوق صدره كأنه ابته .
 ٤٩ ٠٠٠
 ابتعاد خطر الشياطين لأنه لا يمكنهم عبور منطقتهم .
 ٥٢ ٠٠٠
 يرتدى المنافقون في الخندق السادس ثياباً ملونة وقلائنس من الرصاص الثقيل ويكون
 ٥٨ ٠٠٠ ويسرون في بطء شديد .

- كان للشاعرين رفته جديدة من المناقنين في كل خطوة .
 ٧٠ ...
 متافقان يحاولان اللحاق بدائتي .
 ٧٦ ...
 دائتي يبدو لهما إنساناً حياً من حركة حنجرته .
 ٨٨ ...
 يسألاه عن شخصه كنتسكاني .
 ٩١ ...
 قال دائتي إنه ولد ونشأ على ضفة الأرنؤ الجميل في المدينة العظيمة (فلورنسا) .
 ٩٤ - ٩٦ ...
 أفصحا لدائتي عن شخصيهما : وهما الراهب كاتالانو والراهب لوديرينجو من بولونيا .
 ١٠٠ ...
 الكاهن قيافا مصلوب على الأرض .
 ١٠٩ ...
 كان قد أشار بالتضحية بالمسيح في سبيل خلاص الشعب .
 ١١٥ ...
 يعجب فرجيليو من وضع قيافا المزرى .
 ١٢٤ ...
 وسأل عن ثغرة يمكن المرور منها .
 ١٢٧ ...
 أعلمه كاتالانو بمكان العبور .
 ١٣٣ ...
 أدرك فرجيليو كذب مالاكودا عليه .
 ١٣٩ ...
 الشيطان كذوب وأبو الأكاذيب .
 ١٤٢ ...
 سار فرجيليو وقد بدت على وجهه علامة الغضب .
 ١٤٥ ...
 دائتي يتابع مواطلي قديم فرجيليو العزيزين .
 ١٤٨ ...

الأنشودة الرابعة والعشرون

أنشودة اللصوص

- صورة لبعض مظاهر الريف الإيطالي في الشتاء .
 ١ ...
 يتولى الفلاح اليأس بسقوط الصقيع .
 ٧ ...
 ويسترجع الأمل عند طلوع الشمس فتتغير معالم الأرض .
 ١٢ ...
 يقارن دائتي بين هذه الحال وما تولاه من يأس أعقبه الأمل .
 ١٦ ...
 فرجيليو يحمل دائتي عند الجسر المحطم .
 ١٩ ...
 الصعود بحذر وتؤدة فوق الصخر الوعر .
 ٢٥ ...
 يعانى دائتي من مشقة الصعود .
 ٣١ ...
 يجلس دائتي وهو لاهث الأنفاس بمجرد وصوله .
 ٤٣ ...
 يدعو فرجيليو إلى أن يمرر نفسه من الإعياء لأن المجد لا يتال بالجلوس على الريش ولا
 تحت الأغطية ولا قيمة للحياة دون مجد .
 ٤٦ ...
 فرجيليو يدعو دائتي للهنؤ والتغلب على الإعياء بقوة النفس التي تغفر في كل معركة

- ٥٢ ٠٠٠ إذا لم تنز تحت جسدها الثقيل .
- ٥٨ ٠٠٠ يهض دانتى وقد قويت روحه المعنوية .
- ٦٤ ٠٠٠ سمع دانتى أصواتاً ولكنه لم يفهم كلاماً ونظر ولكنه لم ير شيئاً بسبب الظلام .
- ٧٦ ٠٠٠ هبط الشاعران إلى الخندق السابع .
- ٨٢ ٠٠٠ رأى دانتى حشداً من الزواحف يفوق ما في ليبيا وإثيوبيا وسواحل البحر الأحمر .
- ٩١ ٠٠٠ جرى بينها اللصوص وهم عراة .
- ٩٤ ٠٠٠ تلتف الزواحف حول اللصوص المذبذبين .
- ٩٧ ٠٠٠ يشغل الآثم بعد لدغه ويتحول إلى رماد ثم يعود إلى شكله السابق ، وكان هذا هو فانتى فوتشى اللص من بستويا .
- ١١٢ ٠٠٠ كان هذا المذبذب في هبوطه ونهوضه في مثل حاة من يسقط بتقلص الجسد ثم يهض وهو زائف البصر .
- ١١٩ ٠٠٠ يشير دانتى إلى قوة القوة الإلهية في انتقامها من الآثمين .
- ١٢٤ ٠٠٠ قال فانتى فوتشى إنه كانت له صفات البغال ولذلك فقد لذت له حياة البهائم .
- ١٣٠ ٠٠٠ وارتسم على وجهه حجل حزين .
- ١٣٦ ٠٠٠ واعترف بأنه سرق من كاتدرائية بستويا وأتهم غيره بالسرقة .
- ١٤٢ - ١٥١ ٠٠٠ ولكيلا يتسع دانتى بما رآه تنبأ له فوتشى بما سيحل بالبيض من الوبلات .

الأنشودة الخامسة والعشرون

تكلمة لأنشودة اللصوص السابقة

- ١ ٠٠٠ اجترأ اللص فانتى فوتشى على الله بأن أتى بحركة تدل على الزواية .
- ٤ ٠٠٠ أصبحت الزواحف صديقة لدانتى لأنها التفتت حول الآثم وقيدته .
- ١٠ ٠٠٠ يحمل دانتى على بستويا .
- ١٦ ٠٠٠ رأى دانتى كا كوس اللص المارد في الميتولوجيا اليونانية .
- ١٩ ٠٠٠ الأفاعى فوق ظهره وتنين رهيب على كتفيه .
- ٢٥ ٠٠٠ سفك كا كوس الدماء وقتله هرقل .
- ٣٤ ٠٠٠ اقتربت ثلاثة أشباح من الشعارين .
- ٤٣ ٠٠٠ يضع دانتى أصبعه بين اللدقن والأنف لكي يحمل فرجيليو على الانتباه إلى هؤلاء الثلاثة وهم من نبلاء فلورنسا .
- ٤٦ ٠٠٠ رأى دانتى مشهداً عجباً .

- كاينفا دى دوناقى النيبيل الفلورنسى اللص فى صورة زاحفة وثبت للمهاجمة أنيلو دى
 ٠٠٠ ٤٩ برونلسكى النيبيل الفلورنسى اللص .
- ٠٠٠ ٥٢ التفافهما وامتزاجهما وتعانقهما كما لم يتعانق لبلاب وشجرة أبدأ .
- ٠٠٠ ٦١ لم يبد اللص ولا الزاحفة على ما كانا عليه .
- ٠٠٠ ٦٤ صورة الورق وهو يحترق بالتدريج فيتغير لونه .
- ٠٠٠ ٧٠ بدا الاثنان معا وحشاً مسيحاً .
- فرتنشسكو دى كافالكانتى الفلورنسى فى صورة زاحفة يهاجم بووزو دل أباتى وكان فى
 ٠٠٠ ٧٩ هجومه كعظااية تنتقل من عوسج لآخر زمن الصيف .
- ٠٠٠ ٨٥ لدغت الزاحفة بووزو فى سرّة البطن .
- يدعو داتى لوكانوس وأوفيدوس إلى السكوت عما تناولا فى كتابتهما من ضروب
 ٠٠٠ ٩٤ التحولات لأن ما رآه هنا يفوق الوصف .
- تتحول الزاحفة إلى رجل والرجل إلى زاحفة . وحدث هذا على تقابل بين أعضاء كل
 ٠٠٠ ١٠٣ منهما ، فتحول الذنب إلى قدمين والقدمين إلى ذنب وهكذا .
- ٠٠٠ ١٢١ نهض واحد واقفاً وسقط الآخر على الأرض .
- ٠٠٠ ١٢٤ وتكون رأس الرجل ووجهه وكذا للزاحفة .
- ٠٠٠ ١٣٦ وظل كل منهما يحتفظ ببعض صفاته .
- ٠٠٠ ١٤٥ اضطراب بصر داتى .
- ٠٠٠ ١٤٨ رأى داتى پوتشو تشانكاتو دى جاليجاي النيبيل الفلورنسى اللص .

الأنشودة السادسة والعشرون

أنشودة مشيرى السوء أو أنشودة أوليسيس

- ٠٠٠ ١ داتى غاضب على فلورنسا ساخر منها .
- ٠٠٠ ٤ يذكر العار الذى لحقه من مواطنيه اللصوص .
- ٠٠٠ ٧ يتنبأ داتى بما سيحيق بفلورنسا من الكوارث .
- ٠٠٠ ١٣ يسير الشاعران فوق الصخور الوعرة وارتكز داتى بيديه حتى يمكنه الذهاب .
- ٠٠٠ ١٩ يتألم داتى عند ذكر ما شهده .
- ٠٠٠ ٢٥ صورة لبعض أنحاء الريف الإيطالى فى الصيف .
- ٠٠٠ ٣١ يضىء الوادى الثامن بشعلات مثل الحياجب .
- ٠٠٠ ٤٠ تتحرك الشعلات فى الوادى وتتسلل كل منها بآثم .
- ٠٠٠ ٤٩ يستفسر داتى عن فى الشعلة ذات القرنين .
- ٠٠٠ ٥٥ قال هرجيليو إن فيها أوليسيس وديوميدي بيكيان خدعة الحصان أمام طروادة .

- ٠٠٠ ٦٤ يلحف دانتى فى الرجاء للانتظار حتى تأق هذه الشعلة .
- ٠٠٠ ٧٠ يقبل فرجيليو رجاء دانتى ويثنى عليه ولكن يسأله أن يسكت .
- ٠٠٠ ٧٩ يتحدث فرجيليو برقة إلى من بالشعلة ويستحلفهما باسمِ شعره الرفيع (الإنيادة) أن يقفا
- ٠٠٠ ٨٥ اهتز القرن الأكبر فى الشعلة كلسان إنسان يتكلم .
- قال أوليسيس إن شغفه بابنه وعطفه على أبيه وجبه لپنيلوپ لم يغلب فى نفسه الرغبة فى المعرفة .
- ٠٠٠ ٩٤
- ٠٠٠ ١٠٠ وضع نفسه فوق البحر المفتوح فى سفينة مع رفاقه القلائل .
- ٠٠٠ ١٠٣ رأى شاطىء إسبانيا وشاطىء مراکش .
- ٠٠٠ ١٠٦ بلوغ جبل طارق .
- أوليسيس يحفز رفاقه على متابعة الرحلة للعالم الخالى من البشر وقال لهم إنهم لم يخلقوا
- ٠٠٠ ١١٢ ليعيشوا كالوحوش ولكن ليبتغوا الفضل والمعرفة .
- ٠٠٠ ١٢١ جعل رفاقه متحفزين للرحلة حتى كاد يتعذر عليه أن يكبح جماحهم .
- ٠٠٠ ١٢٤ ساروا فى البحر وقد جعلوا من المجاديف أجنحة .
- ٠٠٠ ١٢٧ عبور خط الاستواء وتحديد ذلك بالكواكب .
- ٠٠٠ ١٣٠ استمرت الرحلة خمسة شهور .
- ٠٠٠ ١٣٣ رأوا جبلا شاهق الارتفاع (المطهر) .
- ٠٠٠ ١٣٦ داخلهم الفرح ولكنه انقلب إلى بكاء طيبوب عاصفة هوجاء .
- ٠٠٠ ١٣٩ غرق أوليسيس ورفاقه .

الأنشودة السابعة والعشرون

تكلمة للسابقة وتسمى أنشودة جويدو دا مونترفلترو

- ٠٠٠ ١ ابتعدت شعلة أوليسيس بالإذن من الشاعر الحبيب .
- أقربت شعلة أخرى خرج منها صوت يشبه خوار الثور الصقلّ المصنوع من النحاس
- ٠٠٠ ٤ وفى باطنه صانعه بيريلوس .
- ٠٠٠ ١٦ يهتز طرف الشعلة كما يهتز اللسان عند الكلام .
- جويدو دا مونترفلترو بدأخل الشعلة يوجه الكلام إلى فرجيليو وقد سمع كلامه المباردى
- ٠٠٠ ١٩ ويسأله البقاء قليلا .
- ٠٠٠ ٢٥ ويسأله عن أحوال رومانيا أهى فى حرب أم سلام .
- ٠٠٠ ٣١ يطلب فرجيليو إلى دانتى أن يتكلم .
- تكلم دانتى فقال إن قلوب الطغاة فى رومانيا لا تخلو من الحرب ولكنها ليست الآن فى
- ٠٠٠ ٣٤ قتال سافر .

- وقال إن رافنا تحت حكم آل مالاستا وكذلك تشريفيا .
 ٤٠ ٠٠٠
 وتحكم الخالب الخضراء (آل أورديلافي) مدينة فوري .
 ٤٣ ٠٠٠
 وقال إن آل مالاستا قد ألحقوا الأذى بمونتانيا پارتشيتاني وإن ماجيناردو پاچاني دا
 سوزينا يحكم (فاييتزا) على نهر لامونف (ولإيمولا) على نهر سانتيرنو . وهو
 ٤٩ ٠٠٠
 يغير حزبه من الصيف إلى الشتاء .
 ٥٢ ٠٠٠
 وقال إن تشيرينا على نهر السافيرو وقعت تحت طغيان مالاستينو .
 ٥٨ ٠٠٠
 أخذ جويدو دا مونتفلترو يتكلم وهو يعتقد أن دانتى لن يعود إلى الأرض .
 ٦٧ ٠٠٠
 قال إنه كان من رجال الحرب ثم أصبح راهباً وظن أنه كثر عن خطاياہ .
 ٧٠ ٠٠٠
 ولكن القسيس الأعظم (بونيفاتشو الثامن) أعاده إلى آثامه الأولى .
 ٧٣ ٠٠٠
 لم تكن أعمال جويدو أعمال أسد بل ثعلب .
 ٧٩ ٠٠٠
 وأراد التوبة عند ما تقدم في السن .
 ولكن البابا - الذي لم يحارب العرب أو اليهود - بحث عنه لكي يشفيه من حمى
 ٨٥ ٠٠٠
 كبريائه ومنحه الغفران مقدماً .
 أشار جويدو على البابا ببذل الوعد العريض مع الوفاء القليل .
 ١٠٦ ٠٠٠
 تنافس القديس فرنشسكو والشيطان من أجل روح جويدو .
 ١١٢ ٠٠٠
 لا يمكن الجمع بين التوبة والرغبة في الإثم .
 ١١٨ ٠٠٠
 هو من الآميين في النار السارقة .
 ١٢٧ ٠٠٠
 تسير شعلة النار وهي تتألم وتهز قرنها المدبب .
 ١٣٠ ٠٠٠
 يمضى الشاعران في المسير ويبلغان الخندق التاسع
 ١٣٣ ٠٠٠

الأنشودة الثامنة والعشرون

أنشودة مثيرى الفتن الدينية والسياسية

- يعترف دانتى بصعوبة وصف المشهد الرهيب الذي رآه .
 ١ ٠٠٠
 يقول إن جرحى أبوليا وقتلاها وضحايا طروادة وقرطاجنة وصرعى الحرب ضد روبرتو
 ٧ ٠٠٠
 جويسكارديو ليسوا شيئاً إلى جانب ما رآه .
 رأى دانتى بيتر و دا مديتشينا مثير الشقاق في رومانيا وهو مقطوع الحلق والأنف والأذن
 ٢٢ ٠٠٠
 يذكر سهل لمبارديا وفيرتشيلي وماركابو .
 ٣١ ٠٠٠
 وسأل دانتى أن يخبر جويدو وأنجلوليلو دا كاليثيانو بأنهما سيفرقان بقرب كاتوليكا
 ٣٤ ٠٠٠
 بخيانة مالاستينو .
 ٤٣ ٠٠٠
 ووصف طريقة خداعهما عند رأس فوكارا .

- ٥٢ . كوريون مقطوع اللسان ، وكان من أسباب إشعال الحرب الأهلية في روما .
 موسكا دى لامبرقى البطل الفلورنسى مقطوع اليدين ، وكان سبباً في انقسام فلورنسا
 إلى الجلف والجليلين .
 رأى دانتي مشهداً كان من شأنه أن يخيفه لولا الضمير الذى يجعل الإنسان مطمئناً ويشد
 من عزمه تحت درع من الإحساس بانطهر .
 شهد دانتي برتران دى بورن شاعر التروبادور يسير وهو يحمل رأسه بيده ويجعل من
 نفسه لنفسه مصباحاً .
 قال إنه أثار الأب والابن أحدهما على الآخر (هنرى الثانى ملك إنجلترا وابنه هنرى) .
 ولذلك فهو ينال القصاص .

الأنشودة التاسعة والعشرون

تكملة للسابقة وتسمى أنشودة المزيفين

- ١ . تأثر دانتي لعذاب الآثمين وبكى ورضب في البقاء للمزيد من البكاء .
 ٤ . فرجيليو يستحثه على المسير لأن الوادى طويل .
 ١٠ . ويقول إن الوقت قصير .
 ١٣ . يسير الشاعران ويقول دانتي إنه لو عرف السبب فر بما كان يمنحه من البقاء مزيداً .
 ١٦ . قال دانتي إن بداخل الكهف أحد أقربائه .
 ٢٢ . قال فرجيليو إنه يعرف أن هناك جيرو دل بلو الذى أثار الدسائس في فلورنسا .
 ٣١ . قال دانتي إنه قتل ولم ينتقم له أحد .
 ٣٧ . وصل الشاعران إلى الخندق أو الوادى العاشر .
 ٤٣ . سمع دانتي صرخات عجيبة كأنها سهام والأسى حديدها فغطى الأذنين بالكفين .
 ٤٦ . شهد دانتي آلاماً تشبه ما حدث عند انتشار الملاريا في وادى كيانا وماريما وساردينيا .
 ٥٨ . صورة انتشار الطاعون في إيجينا باليونان ومقارنة هذا بما رآه دانتي .
 ٦٧ . استلقى المزيفون في أوضاع مختلفة .
 ٧٠ . أصاب الشلل بعض الآثمين .
 رأى دانتي اثنتين استند أحدهما إلى الآخر كوعائين للتسخين وانتشر الجرب والبرص على
 جسديهما .
 ٧٣ . صورة الفتى الذى ينتظره سيده أو الذى يبى يقظان على غير رغبة فيحمل السرج بسرعة .
 ٧٦ . مقارنة هذا بإنشاب المعدبين أظفارها في جسديهما .
 ٧٩ . مقط قشر الجرب والبرص مثل زعانف الشلبة .
 ٨٢ .

- ٩١ . قال أحد الملعدين إنهما من اللاتين .
 ٩٤ . لما عرفا أن فرجيليو يهبط مع دائتي الحى فى الجحيم انفصلا عن بعضهما من الدهشة .
 ١٠٣ . سألهما دائتي عن شخصيهما .
 ١٠٩ . جريغولينو داريتزو الساحر الذى زعم أنه سيعلم ألبرتو دا سيينا الطيران .
 ١٢١ . سأل دائتي فرجيليو هل يوجد قوم مزهرون كمشعب سيينا .
 ١٢٤ . أجاب كاپوكيو دا سيينا أن استريكا دى جوفانى (عمدة بولونيا) كان يمتدلى فى النفقات .
 ١٣٠ . وكاتشا دا شانو اشتهر بالإسراف .
 ١٣٩ . وكان لكابوكيو الساحر طبيعة القرد .

الأنشودة الثلاثون

تكلمة للسابقة ونحوى مزيفى الأشخاص والكلام والنقود

- ١ . إشارة إلى يونون ابنة ساتورن وثورتها من أجل سيميل .
 ٤ . وإلى أتاماس ملك أركومونوس الذى قتل ابنه ليركوس وجعل زوجته إينو تنتحر مع ابنها الثانى .
 ١٣ . إشارة إلى سقوط طروادة وهيكونيا زوجة الملك بريام التى أحست الحزن لما حل بها من الويلات .
 ٢٢ . إشارة إلى ربات الانتقام وقسوتهن فى نهش الوحوش والبشر فى طيبة وطروادة .
 ٢٥ . لم يساو هذا كله ما رآه دائتي من شبحين عاريين جريا يعملان النهش كالتنزيير حينما يتنطق من الحظيرة .
 ٣١ . أحدهما شيخ جافى اسكيكى الفلورنسى الذى تنكر وزيف وصية لأصلحه .
 ٣٧ . والشيوخ الآخر شيخ ميرآا التى تنكرت فى زى امرأة أخرى وارتكبت الإثم مع أيها سنيراس ملك قبرص فى الميتولوجيا القديمة .
 ٤٩ . رأى دائتي ملعوناً مريضاً بالاستسقاء يفتح شفثيه من العطش .
 ٥٨ . كان هو أدامو دا بريشا مزيف العملة الفلورنسية .
 ٦٤ . يذكر بالحسرة نهيرات الأرنو التى تهبط من كازيتيتو .
 ٧٣ . ويتكلم عن قلعة رومينا التى حملها أصحابها على تزيف عملة فلورنسا .
 ٨٢ . كان يتمنى لو يستطيع الحركة ليبحث عن روح أحد الذين حملوه على تزيف عملة فلورنسا .
 ٩٤ . أفاد جافى سكيكى دائتي عن وجود زوجة فوطيفار التى أهتمت يوصف باطلا وسيتون أغريقى طروادة الكنوب .

- ضرب سينون بطن أدامو .
 ١٠٠ ٠٠٠
 وضرب أدامو وجه سينون .
 ١٠٦ ٠٠٠
 مقارعة بين الآثمين .
 ١٠٩ ٠٠٠
 تظهر فرجيليو غضبه لطول توقف دانتى .
 ١٣٠ ٠٠٠
 يولى دانتى الخجل وتمنى أن يكون ما رآه حلماً لا حقيقة .
 ١٣٢ ٠٠٠
 أدّى دانتى اعتذاره بالصمت .
 ١٣٩ ٠٠٠
 عطف فرجيليو على دانتى وطيب خاطره .
 ١٤٢ - ١٤٨

الأنشودة الحادية والثلاثون

أنشودة المردة

- يذكر دانتى كيف أخجله لسان فرجيليو ثم أزال خجله .
 ١ ٠٠٠
 يشبه هذا برمح أخيل وأبيه الذى كان يجرح ويشق الجروح .
 ٤ ٠٠٠
 سار الشاعران بين الحلقتين الثامنة والتاسعة .
 ٧ ٠٠٠
 كان الوقت بين الليل والنهار وسمع دانتى بوقاً يدوى ويجعل الرعد خافت الصوت بالنسبة إليه .
 ١٠ ٠٠٠
 لم ينفخ أورلاندو فى حرب العرب بمثل هذا العنف .
 ١٦ ٠٠٠
 ظن دانتى أنه رأى أبراجاً عالية .
 ١٩ ٠٠٠
 قال له فرجيليو إن الخواص تنخدع بسبب الظلام وبعد المسافة وأخذ يده بإعزاز وأخبره أنه رأى مردة وليس أبراجاً .
 ٢٢ ٠٠٠
 صورة الضباب وانقشاعه والقدرة على الإبصار .
 ٣٤ ٠٠٠
 كان المردة على صورة أبراج قلعة مونتر يدجوفى .
 ٤٠ ٠٠٠
 رأى دانتى المارد نمرد .
 ٤٦ ٠٠٠
 أحسنت الطبيعة صنماً عند ما وقفت عن خلق المردة .
 ٤٩ ٠٠٠
 إشارة إلى أهل فريزيا فى هولندا الطوال الأجسام .
 ٦٣ ٠٠٠
 يصرخ نمرد بصوت غير مفهوم .
 ٦٧ ٠٠٠
 يسكنه فرجيليو .
 ٧٠ ٠٠٠
 وقال لدانتى بأن يدعه وشأنه لأنه لا سبيل إلى التفاهم معه .
 ٧٦ ٠٠٠
 رأى دانتى إفيالتمس المارد مقيداً بالأغلال جزاء ثورته على جويپتر .
 ٨٢ ٠٠٠
 أبدى دانتى رغبته فى رؤية المارد بياروس .
 ٩٧ ٠٠٠

- قال فرجيليو إنهما سيريان المارد أنتيوس وإن برياروس بعيد ويبدو وجهه أكثر وحشية .
 ١٠٠ ٠٠٠
 غضب إفيالتس عندما سمع أن برياروس يفوقه وحشية واهتز كزلزال عنيف فخشى
 ١٠٦ ٠٠٠
 دانتى أن يموت .
 ١١٥ ٠٠٠
 خاطب فرجيليو أنتيوس وأشار إلى انتصار شيبليون على هانيبال .
 ١٢٢ ٠٠٠
 طلب إليه فرجيليو أن يحملهما إلى كوتشيتوس وقال له إن دانتى يستطيع أن يكسبه
 الشهرة في الأرض .
 ١٣٠ ٠٠٠
 أخذها أنتيوس بيديه .
 ١٣٦ ٠٠٠
 انحنى المارد في صورة برج كاريزيندا وهو يضمهما برفق في الحلقة التالية .
 ١٤٥

الأنشودة الثانية والثلاثون

أنشودة خونة الأهل والوطن والحزب السياسى

- تمنى دانتى أن تكون له القوافى اللاذعة بما يناسب الهوة البائسة .
 ١ ٠٠٠
 استنجد دانتى بربات الشعر .
 ١٠ ٠٠٠
 قال دانتى إنه أولى بالآخمين أن يكونوا ناعجاً أو معزاً .
 ١٣ - ١٥
 وصل الشاعران إلى دائرة قابيل أولى الدوائر في الحلقة التاسعة حيث يعدّ بقتلة الأقارب
 ١٦ ٠٠٠
 معدّ بان يحذّران دانتى ألا يطأها بقدميه .
 ١٩ ٠٠٠
 وجد دانتى نفسه فوق بحيرة من الجليد أقى من الدانوب والدون في الزمهيرير القاسى .
 ٢٢ ٠٠٠
 صورة الضفدع وقد أخرج خيشومه من الماء .
 ٣١ ٠٠٠
 هكذا كان المعدّ بان منغمسين في الثلج وأحدثا بأسناهما صفير اللقلق .
 ٣٤ ٠٠٠
 ظهر الزمهيرير من الفم وبدأ أسمى القلب على العينين .
 ٣٧ ٠٠٠
 رأى دانتى عند موطن قدميه معدّ بين متلاصقين اختلط بينهما شعر الرأس .
 ٤٠ ٠٠٠
 تقطر الدمع على جفونهما فجمده الزمهيرير وأغلق عيونهما .
 ٤٦ ٠٠٠
 كانا ملتصقين في صورة رباط من حديد يقرن قطعتين من الخشب .
 ٤٩ ٠٠٠
 تكلم كاميتشون دى باترى عن إسكندر وفايليون إبنى الكونت ألبرتو دى مانونيا اللذين
 قتل أحدهما الآخر .
 ٥٢ ٠٠٠
 ويقول لدانتى إنه لا يفوقهما في الإثم أحد ولا حتى ابن الملك أرتو ولا فوكاتشادى پستويا .
 ٥٨ ٠٠٠
 رأى دانتى أكثر من ألف وجه جعلها البرد مثل أنوف الكلاب فأخذه الرعب .
 ٧٠ ٠٠٠
 بينما كان الشاعران يسيران صوب الوسط اصطدم قدم دانتى برأس أحد المعدّ بين .
 ٧٣ ٠٠٠

- صاح المذّاب وهو يبكي وأخذ يسب ويلعن .
 يسأل دانتى المذّاب عن شخصه .
 ولكن المذّاب سأله عن شخصه هو وقد أخذ يضرب وجوه الآخرين وهو يسير في
 الأنتينورا (حيث يعدّاب خوفاً الوطن والحزب السياسى) .
 لا يرغب المذّاب في نيل الشهرة في الدنيا ولا يبوح باسمه .
 جذبته دانتى من شعر رأسه ليعرف شخصه .
 ناداه معذب آخر - وهو يصيح - باسمه فعرف دانتى أنه بوكا دلى أبانى خائن موثأبرقى ١٠٦
 تكلم بوكا عن بووزو دا دوثيرا وپزاورو دى بيكيرا يا .
 وأشار إلى جاني دى سولداثيرى وجانيلوفى وتيبالديلو .
 رأى دانتى رأسين يخرجان من ثغرة واحدة .
 وينهش الرأس الأعلى مؤخر الرأس الأدنى .
 يستفسر دانتى عن السبب ويعد صاحب الرأس الأعلى بإشاعة ذكره في الدنيا إذا عرف
 حقيقة الأمر .
 ١٣٣ - ١٣٩

الأنشودة الثالثة والتلاتون

أنشودة خونة الوطن والأصدقاء وتسمى أنشودة أوجولينو

- صورة رهيبة للغم المقترس الملوث بالدم فوق الرأس الأدنى .
 قال صاحب الرأس الأعلى إنه سيتكلم ويكفى معاً لكى يشهر بعده .
 وقال لدانتى إنه لا يعرف من هو ولكن يكفى أن يكون فلورنسيا .
 أعلن أوجولينو دلا جيراردسكا عن شخصه وغريمه رودجيرى دلى أوبالدنى .
 تكلم عن الغدر به ووقوعه في الأسر وجسه في برج الجوع في پيزا .
 عرف مرور الشهور بالتمر .
 وقال إنه رأى حلماً يفيضاً يتهده وأولاده بالخطر .
 صورة كلاب الصيد الضامرة المتحفزة .
 سمع أبناءه يبكون في نومهم ويطلبون الخبز .
 ندّد أوجولينو بقسوة دانتى إذ لم ير عليه علامّ التأثير .
 استيقظ الأبناء وسمع أوجولينو صوت إغلاق البرج فلزم الصمت ولم يبك بل تعجّر في
 باطنه .
 استفسر أنسلموتشو عما به فلم يجب أوجولينو .
 تبين أوجولينو وجوه أبنائه فعضّ يديه في حركة عصبية .

- ظن الأبناء أنه فعل ذلك بسبب الجوع فسألوه أن يأكل من لحمهم .
 ٥٩ ٠٠٠
 ٦٤ - ٦٦
 ٦٧ ٠٠٠
 كتم أوجوليتو مشاعره حتى لا يجعلهم أشد حزناً .
 سأل جاد وأوجوليتو المعونة وسقط ميتاً ومات الباقون .
 ٧٢ ٠٠٠
 فقد أوجوليتو بصره وزحف فوق أبنائه وأخذ يناديهم بأسمائهم ثم فعل به الجوع ما لم يفعله الألم .
 ٧٦ ٠٠٠
 عاد أوجوليتو إلى نهش رأس رودجيرى فى صورة كلب ينهش قطعة عظم .
 ٧٩ ٠٠٠
 لعن دانتى ييزا وتمنى أن يسد مصب الأنفو حتى يفرق كل أهلها .
 وصل الشاعران إلى منطقة بطليموس حيث هدّ ب خوفه الأصدقاء والضيوف : وكانت دموعهم تتجمد فى عيونهم فيمتنع عليهم البكاء .
 ٩١ - ٩٩
 ١٠٠ ٠٠٠
 شعر دانتى ببعض الريح فسأل عن مصدره .
 ١٠٩ ٠٠٠
 سأل البريجو دى مانفريدى زعيم الخلف فى فاينترا دانتى أن يزيل عن عينيه الثلج المتجمد .
 ١١٢ ٠٠٠
 طلب دانتى أن يفصح عن شخصه ووعده بإزالة الثلج .
 ١١٨ ٠٠٠
 أفصح عن شخصه وقال إن روح الخونة تهبط إلى دائرة بطليموس قبل موت الجسد .
 ١٣٧ ٠٠٠
 رأى دانتى برانكا دوريا الجنوى .
 ١٤٨ ٠٠٠
 لم يزل دانتى الثلج عن عيني البريجو وكان من الكياسة أن يكون قاسياً معه .
 ١٥١ - ١٥٧
 لعن دانتى شعب جنوا .

الأنشودة الرابعة والثلاثون

أنشودة لوتشيفيرو (إبليس)

- ١ ٠٠٠
 قال فرجيليو إن ألوية ملك الجحيم تتقدم نحوها .
 ٤ ٠٠٠
 رأى دانتى ما يشبه طاحونة وسط الضباب الكثيف .
 ٧ ٠٠٠
 احتسى دانتى وراء دليله خشية الريح .
 ١٠ ٠٠٠
 اعترى دانتى الخوف عند ما رأى المعدّ بين فى الثلج فى أوضاع مختلفة .
 ١٩ ٠٠٠
 سأله فرجيليو أن يتسلح بقوة البأس أمام ديس .
 ٢٢ ٠٠٠
 أصبح دانتى خائر القوى ولم يمت ولم يبق حياً .
 ٢٨ ٠٠٠
 لوتشيفيرو هائل الحجم وظهر من الثلج بنصف صدره .
 ٣٤ ٠٠٠
 كان فى يوم مضى فائق الجمال وأصبح الآن قبيح المنظر .
 ٣٧ ٠٠٠
 عجب دانتى عند ما رأى له ثلاثة وجوه .
 ٣٩ ٠٠٠
 كان الأمامى أحمر اللون .

- وكان الأيمن بين البياض والصفرة والأيسر في لون من يأتون حيث ينبع نهر النيل . ٤٣
- وكان له أجنحة فاقت في الحجم أشرعة البحر . ٤٦
- تجمدت مياه كوتشيتوس بتحريك أجنحته . ٤٩
- وبكى بست أعين . ٥٣
- مضغ بأسنانه ثلاثة آثمان على طريقة دواليب الكتان . ٥٥
- مضغ يهوذا ، ٦١
- وبروتس ، ٦٥
- وكاسيوس . ٦٧
- احتضن دانتى عنق فرجيليو الذى هبط من شجرة لأخرى على جسم لوتشيفيرو . ٧٠
- وعند بلوغ الفخذ بدا لدانتى أنهما يصعدان . ٧٦
- سأل فرجيليو دانتى أن يتعلق به جيداً ثم خرجا من ثغرة في صخرة . ٨٢
- أصبح دانتى مبلبل الخاطر . ٩١
- دعا فرجيليو دانتى إلى النهوض لأن الطريق طويل والسير وعمر . ٩٤
- أخذ دانتى يستفسر عن اختفاء الثلج ووضع لوتشيفيرو والمقلوب وعن ظهور الشمس . ١٠٠
- أوضح له فرجيليو أنهما عبرا مركز الأرض وانتقلا إلى نصف الكرة الجنوبي . ١٠٦
- وقال فرجيليو إنه هنا يصبح النهار حينها يكون هناك مساء وإن لوتشيفيرو لا يزال على وضعه الأول . ١١٨
- وقال إن لوتشيفيرو سقط من السماء إلى أسفل وانقسمت الكرة الأرضية قسمين نصف يابس ونصف ماء . ١٢١
- وأشار إلى نهر لى في المطهر . ١٢٧
- تابع الشاعران المسير وصعد فرجيليو ثم دانتى وخرجا من ثغرة مستديرة لكي يستعيدا رؤية النجوم . ١٣٣ - ١٣٩

المكتبة

أولاً : مؤلفات دانتي أليجييري :

ا - في نصوصها :

Dante Alighieri : La Divina Commedia :

- contributions to the textual criticism of the Divine Comedy, by E. Moore. Cambridge, 1888.
- nuovamente riveduta nel testo dal Dr. E. Moore. Oxford, 1900.
- col commento di P. Fraticelli. Firenze, 1902.
- nel testo critico della Società Dantesca Italiana, esposta e commentata da E. Mestica. Firenze, 1921.
- nella Figurazione Artistica e nel Secolare Commento, a cura di G. Biagi. Torino, 1924.
- col commento di G.A. Scartazzini rifatto da G. Vandelli. Milano, 1949.
- testo critico a cura di M. Casella. Bologna, 1949.
- commentata da V. Rossi. Città di Castello, 1923.
- commentata da I. Del Lungo. Firenze, 1928.
- commentata da L. Pietrobono. Torino, 1932.
- commentata da A. Momigliano. Firenze, 1950.
- con note e riassunti di L. Medici. Bergamo ?
- con il commento di T. Casini rinnovata e accresciuta per cura di M. Barbi. Firenze, 1932.
- Le Opere di Dante Alighieri, a cura di E. Moore, nuovamente rivedute nel testo da P. Toynbee. Oxford, 1924:

I. Poesie :

La Divina Commedia : Inferno, Purgatorio, Paradiso .
Le Rime.
Eclogae.

II. Prose :

La Vita Nuova
Il Convivio.
Monarchia.
De Vulgari Eloquentia.

Epistolae.

Quaestio De Aqua et Terra.

— Opere Minori. Firenze, 1935.

ب — بعض ترجمات إنجليزية (وأمريكية) للكوميديا والملكية :

- The Divine Comedy, trans. by H.F. Cary. Florence ?
- « « « « by H.W. Longfellow. Boston, 1867-1871.
- The Divine Comedy, trans. by J.B. Fletcher, with Botticelli Sketches. New York, 1931.
- The Divine Comedy, trans. by M. Anderson. U. S. A. ?
- « « « « by J. Carlyle, Ph. Wicksteed and Th. Okey. U. S. A., 1944.
- The Divine Comedy, trans. by L.G. White. New York, 1948.
- « « « « by J.D. Sinclair. London, 1948.
- The Comedy of Dante Alighieri, Cantica I. Hell. trans. by D.L. Sayers. Edinburgh, 1949.
- The Divine Comedy, tans. by L. Binyon. New York, 1950.
- La Divina Commedia with an English trans. by H.M. Ayres. New York, 1949-1953.
- The Inferno, trans. by J. Ciardi. New Brunswick, 1954.
- Monarchy, trans. by D. Nicholl. London, 1954.

ج — بعض ترجمات فرنسية :

- La Divine Comédie, trad. par P.A. Fiorentino. Paris, 1892.
- « « « par A. Pératé. Paris, 1921.
- « « « par A. De Montor. Paris 1925.
- « « « par H. Longnon. Paris, 1938.
- « « « par A. Brizeux. Paris, 1943.
- « « « par A. Masseron. Paris, 1947-1905.

د — ترجمتان عربيتان :

- الرحلة الدانتيية في الممالك الإلهية : الجحيم — المطهر — النعيم .
ترجمة عبود أبي راشد . طرابلس الغرب ، ١٩٣٠ — ١٩٣٣ .
- جحيم دانتي : ترجمة أمين أنى شعر . القدس ، ١٩٣٨ .

ثانياً : مراجع في تاريخ الأدب الإيطالي :

- De Sanctis, F.: Storia della Letteratura Italiana, vol. I. Milano, 1934.
 Hauvette, H. : Histoire de la Littérature Italienne. Paris, 1932.
 Momigliano, A. : Storia della Letteratura Italiana. Milano, 1954.
 Papini, G.: Storia della Letteratura Italiana vol. I. Milano, 1935.
 Rossi, V. : Storia della Letteratura Italiana vol. I. Milano, 1935.
 Wilkins, E.H.: A History of Italian Literature. Cambridge, U.S.A., 1954.

ثالثاً : مراجع عن دانتى ومؤلفاته :

- Apollonio, M.: Dante, Storia della Commedia, 2 voll. Milano, 1951.
 Armstrong, E.: Italian Studies. London, 1934.
 Barbi, M.: Life of Dante. Eng. trans. by P.G. Ruggiers. California, 1954.
 Batard, Y.: Dante, Minerve et Apollon, les Images de la Divine Comédie. Paris, 1952.
 Bignami, E.: La Divina Commedia, schemi, riassunti, analisi dei singoli canti. Milano, 1948.
 Bonaventura, A.: Dante e la Musica. Livorno, 1904.
 Bradford, M.W.: Dante, the Man and the Poet. Cambridge, 1924.
 Carducci, G.: Dante. Bologna, 1944.
 Chaytor, H.J.: The Trobadours of Dante. Oxford, 1902.
 Chiari, A.: Letture Dantesche. Firenze, 1939.
 Cipolla, C.: Studi Danteschi. Verona, 1921.
 Comité Français Catholique, Sixième Centenaire de la Mort de Dante Alighieri (1321-1921). Paris, 1921-1922.
 Croce, B.: La Poesia di Dante. Firenze, 1921.
 Dante Alighieri (1321-1921), Omaggio dell'Olanda. L'Aia, 1921.
 Dante, Essays in Commemoration. London, 1921.
 De Lafontaine, H.C.: Dante and War. London, 1915.
 D'Entrèves, A.P.: Dante as a Political Thinker. Oxford, 1952.
 De Sanctis, F.: Saggi Critici. Milano, 1921.
 D'Ovidio, F.: Nuovi Studi Danteschi. Napoli, 1932.
 Faneulli, G.: Dante. Milano, 1930.
 Gardner, E.G.: Dante. London, 1923.
 Gauthiez, P.: Dante le Chrétien. Paris, 1933.
 Gillet, L.: Dante. Rio de Janeiro, 1941.
 Gilson, E.: Dante et la Philosophie. Paris, 1939.

- Goss, E.: *Saggi Letterari*. Genova, 1939.
- Gustarelli, A.: *Il Poema Sacro, riassunti e schemi per lo studio della D.C.* Milano, 1934.
- Hauvette, H.: *Dante*. Paris, 1912.
- Lectura Dantis*. Firenze, 1912...
- Leigh, G.: *New Light on the Youth of Dante*. London ?
- Lewis, C.S.: *The Allegory of Love*. London, 1953.
- Maturin, M.P.: *The Mind and Art of Dante*. London, 1921.
- Merejkowsky, D.: *Dante*, trad. dal russo di R. Kufferle. Bologna, 1938.
- Mestica, E.: *La Psicologia nella Divina Commedia*. Firenze, 1893.
- Misciattelli, P.: *Pagine Dantesche*. Siena, 1920.
- Moore, E.: *Studies in Dante*. II, III, IV. series. Oxford, 1899-1917.
- Nardi, B.: *Dante e la Cultura Medievale*. Bari, 1942.
- Oliphant, M.: *The Makers of Florence*. London, 1883.
- Orr, M.A.: *Dante and the Medieval Astronomers*. London, 1913.
- Ozanam, A.F.: *Dante e la Filosofia Cattolica, versione italiana (dal francese) con note di P. Molinelli*. Milano, 1841.
- Palhories, F.: *Dante et la Divine Comédie*. Paris, 1936.
- Papini, G.: *Dante Vivo*. Firenze, 1943.
- « : *Il Diavolo*. Firenze, 1954.
- Pascoli, G.: *Scritti Danteschi*. Milano, 1952.
- Passerini, G.L.: *La Vita di Dante*. Firenze, 1929.
- Renaudet, A.: *Dante Humaniste*. Paris, 1952.
- Renucci, P.: *Dante Disciple et Juge du Monde Gréco-Latin*. Paris, 1954.
- Sayers, D.L.: *Introductory Papers on Dante*. London, 1954.
- Scotti, T.G.: *Dante*. Milano, 1947.
- Scrocca, A.: *Saggi Danteschi*. Napoli, 1908.
- Secentenario della Morte di Dante*. Roma, 1921.
- Singleton, Ch. S.: *Studies in Dante I. Commedia : Elements of Structure*. Cambridge, U.S.A., 1954.
- Symonds, J.A.: *Renaissance in Italy, vol. IV. p. I*. London, 1937.
- Toynbee, P.: *Dante Alighieri, trad. dall'inglese de G. Balsamo-Crivelli*. Torino, 1908.
- « : *Dante Studies and Researches*. London, 1902.
- Tozer, H.E.: *An English Commentary on Dante's Divina Commedia*. Oxford, 1901.
- Whitfield, J.H.: *Dante and Virgil*. Oxford, 1949.
- Wicksteed, Ph. H.: *Dante and Aquinas*. London, 1913.
- Wilkins, E.H.: *Dante, Poet and Apostle*. Chicago, 1921.

Zingarelli, N.: La Vita, I Tempi e Le Opere di Dante. 2 voll.
Milano, 1948.

فوزى ، طه : دانتي أليجييري . القاهرة ، ١٩٣٠ و ١٩٦٥ .

رابعاً : مراجع عن التراث القديم :

١ — مؤلفون قدماء :

Aristotle : Physics, Eng. trans. by Ph. Wicksteed and F.M. Cornford
(L.C.L.) London, 1929.

Aristotle : Nicomachean Ethics, Eng. trans. by H. Ra kham. (L.C.L.)
London, 1934.

Boethius : Consolatione Philosophiae, Eng. trans. by H.E. Stewart
and E.K. Rand. (L.C.L.) London, 1953.

Cicero : De Officiis, Eng. trans. by W. Miller (L.C.L.) London, 1921.

Homer : Illiad, Eng. trans. by W.D. Smith and W. Miller. (L.C.L.)
New York, 1945.

Homer : Odyssey, Eng. trans. by A.T. Murray (L.C.L.) London, 1946.

Horace: Satires, Epistles, Ars Poetica, Eng. trans. by H.R. Fairclough.
(L.C.L.) London, 1926.

Lucan : Pharsalia, Eng. trans. by J.D. Duff (L.C.L.) London, 1928.

Ovid : Heroides and Amores, Eng. trans. by G. Showerman (L.C.L.)
London, 1921.

« : Metamorphoses, Eng. trans. by F.J. Miller(L.C.L.) London,
1939.

« : The Art of Love and Other Poems, Eng. trans. by J.H. Mozley.
(L.C.L.) London, 1939.

Stattius : Thebaides, Eng. trans. by J.H. Mozley (L.C.L.) London,
1928.

Virgil : Eclogues, Georgics, Aeneid, Eng. trans. by H.R. Fairclough
(L.C.L.) London, 1942.

هوميروس : الإلياذة ، ترجمة سليمان البستاني . القاهرة ، ١٩٠٤ .

هوميروس : الإلياذة ، ترجمة أمين سلامة . القاهرة ، مطبوعات كتابي

أعداد ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ .

ب — مراجع :

Bibbia, La Sacra. Cambridge, 1947.

Bulfinch, Th. : Mythology. New York ?

- Durant, W.: *Our Oriental Heritage*. New York, 1954.
 « : *The Life of Greece*. New York, 1939.
 « : *Cesar and Christ*. New York, 1944.
 Hamilton, E.: *Mythology*. New York, 1953.
 Harvey, P.: *The Oxford Classical Companion to Classical Literature*.
 Oxford, 1953.
Legacy of Greece. Oxford, 1951.
Legacy of Rome. Oxford, 1951.

الكتاب المقدس . طبعة جمعية الكتاب المقدس . القاهرة ، ١٩٥٥ .
 الكتاب المقدس . طبعة المطبعة الكاثوليكية . بيروت ، ١٩٥١ .

خامساً : مراجع عن تراث العصور الوسطى :

- Bréhier, E.: *La Philosophie au Moyen Age*. Paris, 1949.
 Caggese, R.: *Duecento - Trecento*. Torino, 1939.
 Durant, W.: *The Age of Faith*. New York, 1950.
 Ghebart, E.: *Mystics and Heretics in Italy*, trans. from French by E.M.
 Hulme. London, 1922.
 Gilson, E.: *La Philosophie au Moyen Age*. Paris, 1952.
 Gorce, M.M.: *L'Essor de la Pensée au Moyen Age, Albert le Grand et
 Thomas d'Aquin*. Paris, 1932.
 Haskins, Ch. H.: *The Renaissance of the Twelfth Century*. Oxford, 1927.
Legacy of the Middle Ages. Oxford, 1951.
Legacy of Israel. Oxford, 1953.
 Malory, Th.: *The Tale of the Death of King Arthur*, ed. by E. Vinaver.
 Oxford, 1955.
 Regis, A.C.: *The Basic Writings of Saint Thomas Aquinas*, 2 vols.
 New York, 1945.
 Seligman, K.: *The History of Magic*. New York, 1948.
 Villari, P.: *I Primi Due Secoli della Storia di Firenze*. Firenze, 1885.
 كرم، يوسف : تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط . القاهرة ، ١٩٤٦ .
 سادساً : مراجع عن تراث الإسلام :
- Affifi, A.E.: *The Mystical Philosophy of Muhyid-Din-Ibnul Arabi*.
 Cambridge, 1939.
 Asin, M.P.: *Islam and the Divine Comedy*, Eng. trans. of the abridged
 Spanish copy by H. Sunderland. London, 1926.

Blachère, R.: Introduction au Coran. Paris, 1947.

Cerulli, E.: Il "Libro della Scala" e la Questione delle Fonti Arabo-Spagnole della Divina Commedia. Roma, 1949.

ألف ليلة وليلة . طبع القاهرة .

پالنثیا ، آنخل جونثالث : تاریخ الفکر الأندلسی . ترجمة وإضافات وتعليقات بقلم حسين مؤنس . القاهرة ، ١٩٥٥ .

الثعلبي ، أبو إسحق محمد بن إبراهيم : كتاب قصص الأنبياء المسمى بالعرائس . القاهرة ، ١٣٤٥ هـ .

الخازن ، علاء الدين علي البغدادى المعروف ب : تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل . القاهرة ، ١٣١٢ هـ .

السمرقندى ، ابن الليث : قرة العيون ومفرج القلب المحزون . (مطبوع على حاشية مختصر تذكرة القرطبي) القاهرة ، ١٣٠٨ هـ .

الشعراني ، عبد الوهاب : مختصر تذكرة القرطبي . القاهرة ، ١٣٠٨ هـ .
الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير : كتاب جامع البيان في تفسير القرآن . القاهرة ، ١٣٢٣ هـ .

ابن عربى ، محيى الدين : الفتوحات المكية . القاهرة ، ١٢٩٣ هـ .
ابن عربى ، محيى الدين : كتاب ذخائر الأعلام شرح ترجمان الأشواق . بيروت ، ١٣١٢ هـ .

الغزالي ، أبو حامد محمد : كتاب إحياء علوم الدين . القاهرة ، ١٣٥٢ هـ .
فوزى ، حسين : حديث السندباد القديم . القاهرة ، ١٩٤٣ .
القرآن الكريم . القاهرة ، ١٣١٥ هـ .

لوبون ، جوستاف : حضارة العرب . ترجمه عن الفرنسية عادل زعير .

القاهرة ، ١٩٤٨ .

مرتضى ، محمد بن محمد الحسينى الزبيدى الشهير ب : كتاب إتحاف

السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين . القاهرة ، ١٣١١ هـ .

- المعري ، أبو العلاء : رسالة الغفران . شرح كامل كيلاني . القاهرة ، ١٩٣٠ .
- المعري ، أبو العلاء : رسالة الغفران . تحقيق وشرح عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي) . القاهرة ، ١٩٥٠ .
- المعري ، أبو العلاء : الغفران . تحقيق ودرس عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي) . القاهرة ، ١٩٥٤ .
- الهندي ، علاء الدين بن حسام الدين : كتاب كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال . حيدرآباد ، ١٣١٢ هـ .
- ابن الوردي ، سراج الدين عمر : جريدة العجائب وفريدة الغرائب . القاهرة ، ١٣١٦ هـ .

سابعاً : مراجع عن الناحية الفنية :

١ - التصوير والنحت :

- Bérenice, F. : Raphaël. Novara, 1962.
- Canton, F.J.S. : Goya and the Black Paintings, trans. by H. Mins, Milan, 1964.
- Dante Alighieri : La Divina Commedia, nell'Arte del Cinquecento. Milano, 1908.
- Dante Alighieri : The Vision of Hell, Eng. trans. by H.F. Cary, with illustrations of G. Doré. London ?
- Dante Alighieri : La Divina Commedia, nuovamente illustrata da artisti italiani, a cura di V. Alinari e G. Vandelli. Firenze, 1922.
- Fattorusso, G.: Wonders of Italy. Florence, 1930.
- Formaggio, D. : Goya. Novara, 1960.
- Gauthier, M. : Delacroix. Novara, 1963.
- Golscheider, L.: The Paintings of Michelangelo. London, 1948.
- « : The Sculptures of Michelangelo. London, 1948.
- « : Leonardo Da Vinci. London, 1943.
- « : Rodin. London, 1949.
- Mottini, G.E.: Storia dell'Arte Italiana. Milano, 1934.
- Roe, A.S.: Blake's Illustrations to the Divine Comedy. Princeton, 1953.
- Salinger, M. : Diego Velasquez. Norwich, 1959.

Venturi, A.: Luca Signorelli interprete di Dante. Firenze, 1923.
Wilenski, R.H. : Bosch. London, 1953.

ب — كتب في الموسيقى :

Ewen, D.: Music for the Millions. New York, 1950.
Hill, R.: The Symphony. London, 1951.
« : The Concerto. London, 1952.
Kobbé, G.: Complete Opera Book, ed. and rev. by the Earl of Harewood.
London, 1954.
Lang, P.H.: Music in Western Civilization. New York, 1941.
Scholes, P.A.: The Oxford Companion to Music. Oxford, 1950.
West, S.E. and Taylor, S.D.: The Record Guide. London, 1951.

فوزى ، حسين : الموسيقى السيمفونية . القاهرة ، ١٩٥١ .

ح — ألحان موسيقية مسجّلة وغير مسجّلة ، وقد وضعت أمام المسجّل منها كلمة أو بعضه ، ما يدل عليه بين قوسين . وإن تذوق المسجّل منها ، أو ما يمكن أن يسجّل في المستقبل ، ليساعد الراغب في الاقتراب من فنّ دانتى وتذوّقه ، فضلاً عما في ذلك في حدّ ذاته من تهذيب النفس والسمو بالروح ، وهذا كله عالم زاخر من الفن الرفيع لا يقدر بثمن ، على الرغم من اختلاف أزمانه وتفاوت أساليبه ومستوياته :

Barbieri, Domenico (sec. XVIII.) : La morte di Abele, oratorio.
Bologna, 1769. Inf. IV. 56.
Battista, Vincenzo (sec. XIX.) : Francesca da Rimini, musica su
parole. Inf. V. 73 — 142.
Benvenuti, Tommaso (1838—1906) : Ugoino, musica su parole. Inf.
XXXII. 123 — 139; XXXIII. 1 — 90 .
Berlioz, Hector (1803—1896) : La mort d'Orphée, musique vocale.
Paris, 1827. Inf. IV. 140.
Borgatta, Emanuele (sec. XIX.) : Francesca da Rimini, opera. Genova,
1837. Inf. V. 73—142.
Bouillard, Mario (sec. XIX.) : Francesca da Rimini, opera. Paris,
1866. Inf. V. 72—142.
Bozzano, Emilio (1845 — 1918) : Il canto 3° dell'Inferno di Dante,
musica su parole, 1874. Inf. III.
— Il canto 5° dell'Inferno di Dante, musica su parole, 1874. Inf. V.

- Brancaccio, Antonio (1813—1896) : Francesca da Rimini, opera. Venezia, 1844. Inf. V. 73 — 142.
- Cagnoni, Antonio (1828—1896) : Francesca da Rimini, opera. Torino, 1878. Inf. V. 73—142.
- Caldara, Antonio (1670—1736) : Assalone, opera. Salisburgo, 1720. Inf. XXVIII. 137.
- Canneti, Francesco (1807 — 1884) : Francesca da Rimini, opera. Vicenza, 1842. Inf. V. 73 — 142.
- Cherubini, Maria Luigi (1760 — 1842) : Medea, opéra. Paris, 1797. (Mer). Inf. XVIII. 96.
- Cimarosa, Domenico (1749 — 1801) : Absalom, oratorio. Venezia, 1782. Inf. XXVIII. 137.
- Confidati, L. (sec. XIX.) : Francesca da Rimini, musica su parole. Inf. V. 73 — 142.
— Ugolino, musica su parole. Inf. XXXIII. 123 — 139, XXXIII. 1 — 90.
- Gonti, Claudio (sec. XIX.) : Francesca da Rimini musica su parole. Inf. V. 73 — 142.
- D'Arcais, Francesco (1830—1890) : Francesca da Rimini, musica su parole. Inf. V. 73 — 142.
- Devasini, Giuseppe (1822 — 1878) : Francesca da Rimini, opera. Milano, 1841. Inf. V. 73 — 142.
- Di Giulio, Angelo (sec. XIX.) : Ugolino, musica su parole. Inf. XXXII. 123 — 139, XXXIII. 1 — 90.
- Dittersdorf, Karl Ditters (1739 — 1799) : Metamorphosen, sinfonien nach Ovid, 1767 — 1785. Inf. XXV. 97 — 99.
— Ugolino, opera. Oels, 1796. Inf. XXXII. 123 — 139; XXXIII. 1 — 90.
- Donizetti, Gaetano (1797 — 1848) : Ugolino, musica su parole. Inf. XXXII. 123 — 139; 1 — 90.
- Footé, Arthur (1853 — 1937) : Francesca da Rimini, prologo sinfonico, 1890. Inf. V. 73 — 142.
- Fournier — Gorre (sec. XIX.) : Francesca da Rimini, opera. Livorno, 1832. Inf. V. 73 — 142.
- Franchini, Giovanni (sec. XIX.) : Francesca da Rimini, opera. Lisbona 1857. Inf. V. 73 — 142.
- Franch, César (1822 — 1890) : Les Dijns, poema sinfonico. Parigi, 1884. (Columbia) .
- Gaggi, Adauto (sec. XIX.) Il 1° canto dell'Inferno di Dante, musica su parole. Inf. I.

- Galilei, Vincenzo (1520 c. — 1591) : Ugolino, musica su parole. Inf. XXXII. 123 — 139; XXXIII. 1—90.
- Generali, Pietro (1773 — 1832) : Francesca da Rimini, opera. Venezia, 1829. Inf. V. 73 — 142.
- Georges, Alexandre (1850— 1938) : Myrrha, opéra. Paris, 1895. Inf. XXX. 37 — 39.
- Gilson, Paul (1865 — 1942) : Francesca da Rimini, musica su parole. Inf. V. 73 — 142.
- Gluck, Christoph Willard (1714 — 1787) : Issipile, opera. Praga, 1752. Inf. XVIII. 91 — 93.
- Pâris et Hélène, opéra. Vienna, 1770. (ex. Decca). Inf. V. 67.
- Orfeo ed Euridice, opera, Vienna, 1762. (Deutsche). Inf. IV. 140.
- Godard, Benjamin (1849 — 1895) : Le Dante, opéra — comique. Paris, 1890 (ex. Delta).
- Götz, Herman (1840 — 1876) : Francesca da Rimini, opera terminata da E. Frank. Mannheim 1877. Inf. V. 73 — 142.
- Guerrini, Guido (1890—) : L'Ultimo viaggio di Odisseo (Ulisse), sinfonia, 1921. Inf. XXVI. 52 — 142.
- Haendel, George Friderick (1685 — 1759) : Arianna, opera. London, 1733. Inf. XII. 20.
- Deidamia, opera. London, 1740. Inf. XXVI. 61 — 63.
- Hercules, oratorio. London, 1745. Inf. XXV. 32, ecc.
- Orlando (d'Ariosto); opera. London, 1732. Inf. XXXI. 16 — 18.
- Scipione, opera. London, 1726. Inf. XXXI. 116 — 117.
- Semele, oratorio. London, 1743 (Oiseau-Lyre). Inf. XXX. 1—3.
- Teseo, opera. London, 1712. (ouverture Vox). Inf. IX. 54.
- Liszt, Franz (1811 — 1886) : Dante Sonata, 1849 (Columbia).
- Symphony to Dante's Divine Comedy, 1855—1856. (Brunswick)
- Lucilla, Domenico (1820—1884) : Ugolino, musica su parole. Inf. XXXII. 123 — 139; XXXIII. 1 — 90.
- Lully, Jean-Baptiste (1632—1687) : Achille et Polyxène, opéra. Parigi, 1687 (Pascal Colasse terminó l'opera dopo la morte di Lully) Inf. XXV. 97.

- Lully, Jean — Baptiste (1632 — 1687) : *Cadmus et Hermione*, opéra chaconne. Parigi, 1673. (ex. Anthologie sonore). Inf. XXV. 97.
- *Hercule Amoureux*, ballet. Paris, 1662 (Contrepoint). Inf. XII. 67 — 69.
- *Phaéton*, opéra. Paris, 1683 (ex. Anthologie Sonore). Inf. XVII. 107 — 108.
- *Proserpine*, opéra. Paris, 1680. Inf. X. 80.
- *Roland*, opéra. Paris, 1685. Inf. XXXI. 16 — 18.
- *Thésée*, opéra. Saint-Germain, 1675 (ex. Telefunken). Inf. XI. 54.
- Magazzari, Agostino Gaetano ? (1808—1872) : *Francesca da Rimini*, musica su parole. Inf. V. 73 — 142.
- Mahler, Gustav (1860 — 1911) : *Intermezzo sinfonico per la Francesca da Rimini* (del D'Annunzio). Inf. V. 73 — 142.
- Malipiero, Gian Francesco (1882 —) : *Ecuba*, opera. Roma, 1914. Inf. XXX. 16.
- Mancinelli, Luigi (1848—1921) : *Paolo e Francesca*, opera. Bologna, 1907. Inf. V. 73 — 142.
- Manfroce, Nicola Antonio (1791—1813) : *Ecuba*, opera. Napoli, 1812. Inf. XXX. 16.
- Manna, Ruggero (1808—1864) : *Francesca da Rimini*, opera. Cremona, 1829. Inf. v. 73—142.
- Marcarini, Giuseppe (1832 — 1905) : *Francesca da Rimini* opera, Piacenza, 1870. Inf. V. 73—142.
- Martelli, Henri (1899 —) : *Le Chanson de Roland*, opera. (non rappresentata). Inf. XXXI. 16 — 18 .
- Maurice, Pierre (1868 — 1936) : *Francesca da Rimini*, poema sinfonico. Inf. V. 73 — 142.
- Maza, Francesco (sc. XIX.) : *Francesca da Rimini*, musica su parole. Inf. V. 73—142.
- Mercadante, Saverio (1795—1870) : *Francesca da Rimini*, opéra. Madrid, 1827. Inf. V. 73—142.
- Monteverdi, Claudio (1576 — 1643) : *L'Arianna*, opera. Mantova, 1608. Perduta, tranne il *Lamento d'Arianna* (Discophiles Français) Inf. XII. 20.
- *Nozze d'Enea con Lavinia*, opera. Venezia, 1641. (perdute). Inf. I. 73 — 74; ecc.
- *Orfeo*, opera. Mantova, 1607. (Vox). Inf. IV. 140.
- *Il Ritorno d'Ulisse in patria*, opera. Bologna, 1640. Inf. XXVI. 52—63, ecc.

- Morlacchi, Francesco (1784 — 1841) : Il canto 33° dell'Inferno di Dante, per b. e pianoforte, 1831. Inf. XXXIII.
- Francesca da Rimini, opera (incompiuta). Inf. V. 73 — 142.
- Moscuzza, Vincenzo (sec. XIX.) : Francesca da Rimini, opera. Malta, 1877. Inf. V. 73 — 142.
- Nàpravanik, Eduard (1839 — 1916): Francesca da Rimini, opera. San Pietroburgo, 1902. Inf. V. 73—142.
- Nat, Yves (1890— 1956) : L'Enfer, per coro e orchestra, 1940.
- Nordel, Eugenio (sec. XIX.): Francesca da Rimini, opera. Linz, 1840. Inf. v. 73 — 142.
- Offenbach, Jacques (1812—1880): Orphée aux Enfer, operette, Paris, 1858 (Telefunken). Inf. v. 140.
- Papi, David (sec. XIX.) : Francesca, per pianoforte. Inf. V. 73—142.
- Pappalardo, Salvatore (1817 — 1884): Francesca da Rimini, opera. Napoli, 1844. Inf. V. 73 — 142.
- Podestà, Carlo (1847-1921) : Francesca da Rimini, musica su parole. Inf. V. 73-142.
- Pollarolo, Carlo Francesco (1653 c. — 1722): Joseph, in Aegypto, oratorio. Venezia, 1707. Inf. XXX. 97.
- Ponchielli, Amilcare (1843—1886) : Bertrando del Bornio, opera (non rappresentata). Inf. XXVIII. 134.
- Purcell, Henry (1659 — 1695) : Aeneas and Dido, opera. Chelsea, 1689 (HMV). Inf. v. 61 — 62.
- Quilici, Massimiliano (1774—1861) : Francesca da Rimini, opera. Lucca, 1829. Inf. v. 73 — 142.
- Rachmaninof, Sergei (1873 — 1943) : Francesca da Rimini, opera. Mosca, 1906 (Columbia). Inf. V. 73 — 142.
- Raimondi, Pietro (1786—1853) : Putifar, Giuesppe, Giacobbe, oratorio. Inf. XXX. 97.
- Rameau, Jean Philippe (1683—1764) : Orphée, cantata. Parigi, prima del 1772. (DGGARC). Inf. IV. 140.
- Rondamina, A. (sec. XIX.): Francesca da Rimini, musica su parole. Inf. V. 73 — 142.
- Rosseau, Norbert (1907 —) : Inferno, oratorio, 1940.
- Rossini, Gioacchino (1792 — 1868) : Francesca da Rimini (anche in Otello) (ex. HMV). Inf. V. 73 — 142.
- Semiramide, opera. Venezia, 1823 (Columbia). Inf. V. 58.
- Saint — Saëns, Camille (1835 — 1921) : Déjanire, opéra. Montecarlo, 1911. Inf. XII. 67 — 69.

- Salieri, Antonio (1750 — 1825) : *Gesù nel Limbo*, oratorio. Vienna, 1803. Inf. IV. 53...
- Scarlatti, Alessandro (1670—1725): *Penelope la casta*, opera. Napoli, 1696. Inf. XXVI. 96.
- Schoeck, Othmar (1886—1957) : *Penthesila*, opera. Dresda, 1927. Inf. IV. 124.
- Schweitzer, Anton (1735—1787) : *Polyxena*, melologo, 1775. Inf. XXX. 17.
- Scontrino, Antonio (1850—1922) : musica per *Francesca da Rimini*, (di D'Annunzio). Roma, 1903. Inf. V. 73 — 142.
- Silveri, Domenico (sec. XIX.): *Francesca da Rimini*, musica su parole. Inf. V. 73-142.
- Smith, John Christofer (1712 — 1795) : *Jehosaphat*, oratorio. Inf. X. 11.
- Staffa, Giuseppe (1807 — 1877) : *Francesca da Rimini*, opera. Napoli, 1831. Inf. V. 73 — 142.
- Strauss, Richard (1864—1949): *Ariadne auf Naxos*, opra. 1912 (Ang). Inf. XII. 20.
— *Elektra*, opera. Dresda, 1906—1908 (DGGCET). Inf. XIV. 121.
- Strepioni, Feliciano (1797 — 1832) : *Franceseca da Rimini* , opera. Vicenza, 1823. Inf. V. 73 — 142.
- Taudou, Antoine (1846 — 1925) : *Francesca da Rimini*, cantata, 1869. Inf. V. 73—142.
- Thomas, Ambroise (1811—1896) : *Françoise de Rimini*, opéra. Paris, 1882. Inf. V. 73—142.
- Tippett, Michael (1905 —) : *King Priam*, opera. London, 1962. Inf. XXX. 15.
- Tschaikowsky, Peter Ilich (1840 — 1893) : *Francesca da Rimini*, fantasia, 1878 (Decca). Inf. V. 73 — 142.
- Verdi, Giuseppe (1813 — 1901) : *Attila*, opera. Venezia, 1846. (ex. Decca). Inf. XII. 134.
- Veretti, Antonio (1900 —) : musica per *Francesca da Rimini* (di D'Annunzio). Roma, 1938. Inf. V. 73 — 142.
- Viceconte, Ernesto (1836 — 1877) : *Francesca da Rimini*, musica su parole. Inf. V. 73—142.
- Vivaldi, Antonio (1675? — 1741) : *Orlando Furioso*, opera. Venezia, 1727. Inf. XXXI. 16—18.
- Viviani, Giovanni Bonaventura (sec. XVII.) : *Le Fatiche d'Ercole per Dejanira*, opera. Napoli, 1679. Inf. XII. 67 — 69.
- Wagner, Richard (1813 — 1883) : *Tristan und Isolde*, opera. Monaco 1855 (HMV). Inf. V. 67.

- Wolf, Hellmuth Christain (1906 —) : *Inferno*, musica per orchestra, 1944.
- Zandonai, Riccardo (1883 — 1944) : *Francesca da Rimini* (di D'Annunzio), opera. Torino, 1914. (Columbia). Inf. V. 73 — 142.
- Zingarelli, Nicola Antonio (1752 — 1837) : *Il 33° canto dell'Inferno di Dante*, per soprano con accompagnamento di pianoforte. Inf. XXXIII.

ثامناً : قواميس وفهارس :

- Cary, M. and others : *The Oxford Classical Dictionary*. Oxford, 1951.
- Concordanza Dantesca. Firenze, 1919.
- Gustarelli, A.: *Dizionario Dantesco*. Milano, 1946.
- Lori, F.: *Indice Alfabetico dei versi della Divina Commedia*. Firenze, 1904.
- Scartazzini, G.A.: *Enciclopedia Dantesca*, 2 voll. Milano, 1896-1899.
- Toynbee, P.: *Dante Dictionary*. Oxford, 1898.

هاو وهرر ، معجم الأعلام في الأساطير الكلاسيكية ، ترجمة أمين سلامة
القاهرة ، ١٩٥٥ .

تاسعاً : الدوريات :

- Annual Reports of the Dante Society*. Cambridge, U.S.A., 1882 ...
- Bullettino della Società Dantesca Italiana*, nuova serie : M. Barbi - G. Parodi. Firenze, 1894-1921.
- Etudes Italiennes* : H. Hauvette. Paris, 1919-1935.
- Il Giornale Dantesco* : L. Pietrobono. Firenze, 1921...
- Italice*. Chicago, 1924...
- Studi Danteschi* : M. Barbi - M. Casella. Firenze, 1920...

- مجلة الرسالة . القاهرة ، ١٩٣٤ و ١٩٣٦ .
- مجلة رسالة الإسلام . القاهرة ، أكتوبر ١٩٥٤ .
- مجلة الكاتب المصري . القاهرة ، أبريل ١٩٤٨ .
- مجلة كتابي . القاهرة ، ١٩٥٣ .

مجلة كلية الآداب بجامعة (القاهرة) . القاهرة ، مايو وديسمبر ١٩٤٩ ،
 وديسمبر ١٩٥٠ .

مجلة المجمع العلمي العربي . دمشق ، ١٩٢٧ — ١٩٢٨ .

عاشراً : دوائر المعارف :

Encyclopedia Britannica. London, 1953.

Enciclopedia Italiana. Roma, 1929-1939.

Encyclopedia of Religion and Ethics. Edinburgh, 1925-1926.

حادى عشر : كتب المراجع :

Cosmo, U.: Guida a Dante. Torino, 1947.

Eng. trans. by D. Moore: A Handbook to Dante Studies. Oxford,
 1950.

Eva, N.D.: Bibliografia Dantesca (1920-1930). Firenze, 1932.

Koch, Th. W.: Catalogue of the Dante collection presented by W.
 Fiske to Cornell University. New York, 1988-1900.

Additions by M. Fowler (1898-1920). New York, 1921.

La Piana, A.: Dante's American Pilgrimage, (1800-1944).

New Haven, 1948.

Passerini, G.L. e Mazzi, C.: Un Decennio di Bibliografia Dantesca
 (1891-1900). Milano, 1905.

Toynbee, P.: Britain's Tribute to Dante in Literature and Art. London,
 1921.

أعمال للمترجم

- ١ - منهج البحث التاريخي . الطبعة الأولى ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، ١٩٤٣ .
الطبعة الثانية مزيدة منقحة . دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ .
- ٢ - كوميديا دانتي أليجييري « الفلورنسى مولداً لا تُخلقاً » : النشيد الأول : الجحيم ، مقدمة وترجمة وتحليل وشروح وتعليقات . دار المعارف ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٩ .
الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- ٣ - كوميديا دانتي أليجييري « الفلورنسى مولداً لا تُخلقاً » : النشيد الثاني : المطهر ، مقدمة وترجمة وتحليل وشروح وتعليقات وتذييل . دار المعارف ، ١٩٦٤ .
نال هذا الكتاب جائزة الدولة التشجيعية في فن الترجمة - ٥٠٠ جنية ووسام الجمهورية من الطبقة الثالثة وميدالية من البرونز - في ١٨ ديسمبر ١٩٦٥ .
ونال المترجم على أعماله الدانتية ميدالية « اسكارداماليا » الذهبية باسم اللجنة الدولية لوحدة الثقافة وعالميتها في روما في ٣ يونيو ١٩٦٥ ، مع أستاذين آخرين من العالم ، ونال جائزة مليون ليرة من اللجنة الوطنية الإيطالية الدانتية في فلورنسا في ٣٠ أبريل ١٩٦٦ ، مع سبعة أساتذة آخرين من العالم ، ونال جائزة ٣٠٠,٠٠٠ ليرة من الإدارة الثقافية بوزارة الخارجية الإيطالية في روما في ٢٨ يوليو ١٩٦٦ ، وذلك بمناسبة الاحتفالات الدولية بالعيد المئوي السابع لميلاد دانتي .
كما حصل على الميدالية الذهبية من « المحجم العلمي للعلماء الدانتيين » في روما في ٢٧ نوفمبر ١٩٦٦ ، وعلى الميدالية الذهبية من « جمعية دانتي أليجييري » في باليرمو في ١٥ ديسمبر ١٩٦٦ .
تحت الإعداد :
- ٤ - كوميديا دانتي أليجييري « الفلورنسى مولداً لا تُخلقاً » : النشيد الثالث : الفردوس ، مقدمة وترجمة وتحليل وشروح وتعليقات وجداول وتذييل . (من المنتظر صدوره في سنة ١٩٦٨) .

فهرست الصور

- صفحة
- ١ - دانتى .
- مقتبسة من رسم رافاييلو سانتزيو فى صورة الديرىوتا أو
تمجيد القربان المقدس (١٥٠٩ - ١٥١٠) . الأصل
موجود فى متحف الفاتيكان ٢٣
- ٢ - دانتى وبياتريتشى عند جسر سانتا ترينيتا فى فلورنسا .
مقتبسة من رسم هنرى هوليدى (١٨٨٣) . الأصل موجود
فى متحف الفن فى ليقرپول ٣٧
- ٣ - دانتى فى الغابة المظلمة .
مقتبسة من رسم جوستاف دوريه (١٨٦١) .
أنشودة ١ : ٣٦ ٨٣
- ٤ - قارب كارون .
مقتبسة من رسم جوستاف دوريه .
أنشودة ٣ : ٨٢ ١٠٧
- ٥ - فرنشسكا وپاولو .
مقتبسة من رسم جوستاف دوريه
أنشودة ٥ : ٧٣ ١٣٣
- ٦ - البخلاء والمسرفون .
مقتبسة من رسم جوستاف دوريه
أنشودة ٧ : ٢٥ ١٥٧

٧ - القنطاس .

مقتبسة من رسم جوستاف دوريه .

أنشودة ١٢ : ٥٢ ٢٠٩

٨ - برونيتو لاتيني وشواظ الذهب .

مقتبسة من رسم جوستاف دوريه .

أنشودة ١٥ : ٢٢ ٢٤١

٩ - اللصوص والأفاعى .

مقتبسة من رسم جوستاف دوريه .

أنشودة ٢٤ : ٨٥ ٣٢٧

١٠ - ميرآ .

مقتبسة من رسم جوستاف دوريه .

أنشودة ٣٠ : ٣٦ ٣٨٥

١١ - المارد أنتيوس .

مقتبسة من رسم جوستاف دوريه .

أنشودة ٣١ : ١٣٠ ٣٩٧

١٢ - لوتشيفيرو - إبليس - وعذاب الجليلد .

مقتبسة من رسم جوستاف دوريه .

أنشودة ٣٤ : ٢٨ ٤٢٧

١٣ - قطاع فى الجحيم .

مقتبسة من أندريا جوستاريلي (١٩٣٤) ٤٣٥

فهرست المحتويات

صفحة		
٥	الإهداء
٧	تصدير
١١	مقدمة
٧٩	النشيد الأول : الجحيم
٨١	الأنشودة الأولى
٩٣	» الثانية
١٠٢	» الثالثة
١١٣	» الرابعة
١٢٨	» الخامسة
١٤٥	» السادسة
١٥٤	» السابعة
١٦٥	» الثامنة
١٧٣	» التاسعة
١٨٣	» العاشرة
١٩٦	» الحادية عشرة
٢٠٥	» الثانية عشرة
٢١٨	» الثالثة عشرة
٢٢٩	» الرابعة عشرة
٢٣٨	» الخامسة عشرة
٢٥٠	» السادسة عشرة
٢٥٩	» السابعة عشرة
٢٦٨	» الثامنة عشرة
٢٧٧	» التاسعة عشرة

٢٨٦	الأنشودة العشرون
٢٩٥	» الحادية والعشرون
٣٠٤	» الثانية والعشرون
٣١٤	» الثالثة والعشرون
٣٢٣	» الرابعة والعشرون
٣٣٦	» الخامسة والعشرون
٣٤٦	» السادسة والعشرون
٣٥٥	» السابعة والعشرون
٣٦٤	» الثامنة والعشرون
٣٧٢	» التاسعة والعشرون
٣٨١	» الثلاثون
٣٩٢	» الحادية والثلاثون
٤٠٣	» الثانية والثلاثون
٤١٢	» الثالثة والثلاثون
٤٢٤	» الرابعة والثلاثون
٤٣٩	موجز مضمون الأناشيد
٤٧٤	المكتبة
٤٩٠	أعمال للمترجم
٤٩١	فهرست الصور
٤٩٣	فهرست المحتويات

١٩٨٨ / ٢٦٨٨	رقم الإيداع
ISBN ٩٧٧-٠٢-٢٤٤١-٣	الترقيم الدولي

١ / ٨٨ / ٥

LA DIVINA COMMEDIA DI DANTE ALIGHIERI

"florentini natione, non moribus"

CANTICA I.
INFERNO

TRADUZIONE IN PROSA ARABA
DI
HASSAN OSMAN



DAR AL-MAAREF

1988

هذا الكتاب

«الجحيم» هي الجزء الأول من «الكوميديا الإلهية» للشاعر الإيطالي العظيم دانتي أليجييري. وهي الشباب الحر الطليق الثامر، والفطرة الإنسانية، وعالم الخطيئة والعذاب والمأساة. وقد أبرز دانتي فيها عيوب البشر التي تنحرف بهم عن سواء السبيل، وحاول إصلاح البشرية وإحلال العدل والسلام والوحدة والحرية في المجتمع الإنساني، بالسمي إلى تغيير روح الإنسان في ذاته، من طريق العلم والمعرفة والفن والصدق والإخلاص والإيمان والمحبة. ويختتم الكتاب على مقدمة تاريخية أدبية مطولة، يليها متن الترجمة مصحوبة بالشروح والحواشي القيمة التي لا تسلس قيادها إلا لكل الدكتور المترجم، الذي توفر على دراسة أدب دانتي وثقته سنوات طويلة ففحص فيها إلى الأعماق.